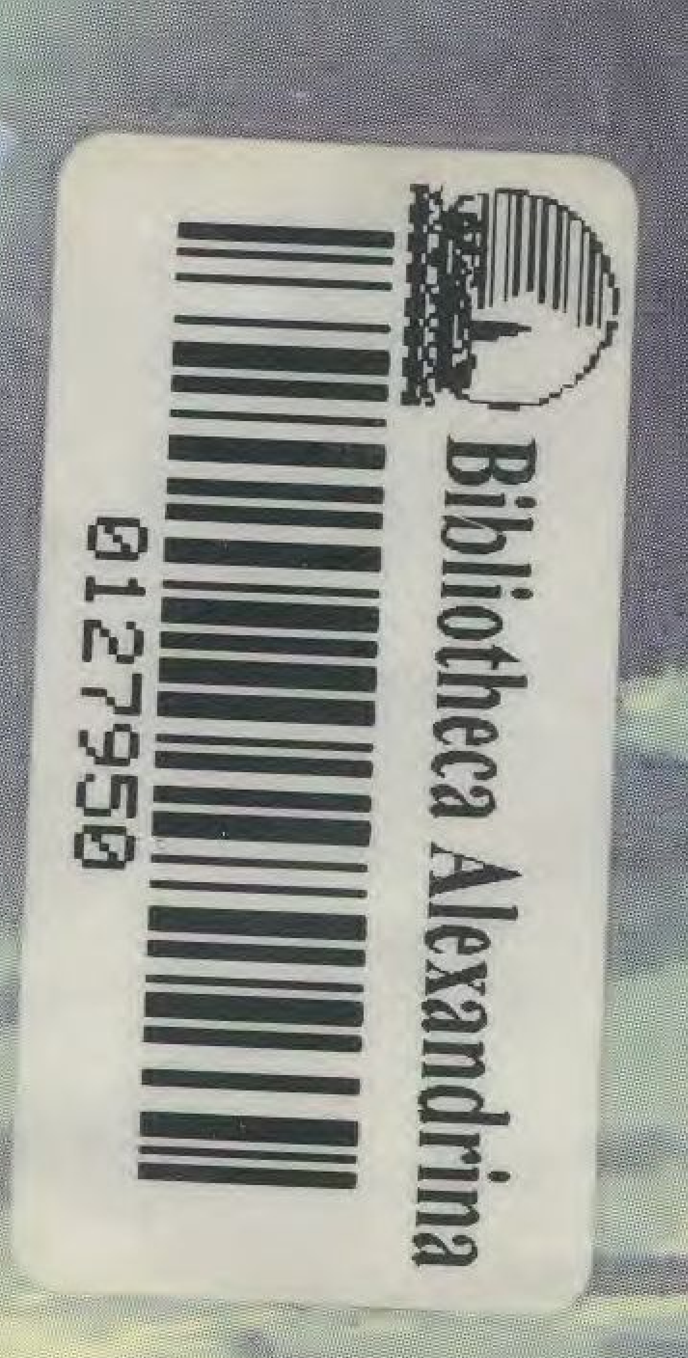
ليلة في غرفة تشريح الجثث

ترجمة
موسى الزعبي

سبع حكايات في الحياة والموت والأمل

الكاتب الياباني
يوشيو ساكاب



ليلة في غرفة تشريح الجثث

سبع حكايات عن الحياة والموت والأمل

الكاتب الياباني
يوشيو ساكاب
دكتور في الطب البشري
ترجمها للعربية
موسى الزعبي
ترجمته عن اليابانية إلى الإنكليزية
بروك نيل

NIGHT AUTOPSY ROOM

SEVEN TALES OF LIFE, DEATH, AND HOPE

YOSHIO SAKABE, M.D.

ملاحظة من المؤلف

أرجو أنه من خلال قراءة هذه الرواية أن يصل القارئ إلى ما يمكن أن يستشف منه رغبة اليابان بالسلام وماذا اختبر اليابانيون من خلال الحرب العالمية الثانية، وبالتالي وصولهم إلى أعظم فهم لجميع ما اشتملت عليه مأساة الحرب. هذا الكتاب كتب من أجل خلق أفضل فهم لليابانيين بين شعوب العالم ومن أجل تعزيز الصداقة بين اليابان والأمم الأخرى.

يوشيو ساكاب

دكتور في الطب البشري.

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

موافقة وزارة الإعلام مديرية الرقابة

رقم ٤٣٧٠٧ تاريخ ١٠/١١/١٩٩٨

تنضيد وإخراج محمد الرشيد

هاتف ٦٣٤٢٤١٥

الأوائل

للنشر والتوزيع

والخدمات الطباعية

دمشق - ص.ب ٣٣٩٧

مقدمة

ليلة في غرفة التشريح
سبع حكايات عن الحياة والموت والآخرة

إنها قصة الشعب الياباني الذي عاش في مطلع القرن العشرين، وماتت الملايين منه وسط الدمار والخراب الذي أنزله الحلفاء في بلاده خلال الحرب العالمية الثانية أو حرب المحيط الهادي، كما اعتادوا على تسميتها. إنها رواية، ضمنتها أفكاري وإيماني بالآخرة، وما تأمل الإنسانية في مجال الحياة والموت والآخرة.

الناس على الأرض، يولدون ويعيشون، وفي النهاية يدركهم الموت المحتم. ماذا يحدث لهم بعد الموت؟ الآباء والأمهات يندبون بالدموع والأحزان أولادهم وأطفالهم الذين ماتوا منذ لحظات.

ويصاب الأصدقاء بالذهول لخسارة رفاقهم. الزوج يندب شريكة حياته، تتقطع أوصال المحبين لأن الموت لا يعرف الرحمة، ويفرق المحبين والأصدقاء إلى الأبد.

يتساءل الناس من كافة الأعمار والأجناس إلى أين يذهب أحبتنا الذين ماتوا؟

هذا السؤال حيَّر البشر، حيث تظل رغبة اللقاء في الآخرة قائمة، لكن هل هناك جواب واضح لسؤالنا؟ وهل من أمل فعلاً في تحقيق رغبة اللقاء في الآخرة؟

لقد عالج الفلاسفة ورجال الدين هذه المسألة فاستعان بعضهم بالآلهة لتمنحهم الإلهام على فهم قدرة الموت على الحياة. تَصِفُ الكتب المقدسة البوذية ما يحدث للإنسان بعد الموت: يجتاز الموتى سانزو (نهر الجحيم لدى

الإغريق) ويصعدون من ضفته الثانية إلى الجنة، أما الأشرار الذين ارتكبوا المعاصي والأعمال الشريرة، في حياتهم فيهبطون إلى جهنم ليحاكمهم «إنما» ملك جهنم، ويحكم عليهم بالعذاب الأبدي».

يقدّم «أوجيو يوشيو» في هذا الكتاب وصفاً دقيقاً للآخرة، أي ما بعد الموت، ويحاول إثبات حقيقة العدالة السماوية في الجنة والنار من خلال الفن البوذي المتمثل في الرسم والنحت وسائر الفنون. كما يقدم مفهوما هاماً في البوذية عن التقمص والجبرية أو الكارما (عقيدة أساسية في الديانة البوذية تقول بأن كل عمل أو تصرف يصدر عن الإنسان هو مقدَّر له) ويتساءل أوجيويوشيو: هل تشكل هذه المفاهيم كامل العقيدة البوذية أم جزءاً منها؟

لم يعثر في الكتابات البوذية القديمة ما يشير إلى أن «شاكا» مؤسس البوذية قد تحدث عن الجنة والنار، وهذا يقود لتساؤل آخر، هل تغاضت البوذية عن ذلك من أجل نشر الأفكار والمعتقدات البوذية؟

يجيب أوجيويوشيو: أعتقد أن هذا ما تهدف إليه البوذية في النهاية. فالموت والحياة وجهان لصورة واحدة، فالعيش في لحظة الحياة وكمالها يبعدنا عن التفكير في الموت الذي نجهل ساعة حدوثه.

دوَّن «يودي إن» أحد أتباع شيزان، التعاليم البوذية في كتاب «تانيشو» وجاء في الفصل الثاني «نحن لا نعلم فيما إذا كانت الأدعية الموجهة إلى «آميتابها» ترتقي بالإنسان إلى الجنة أم تلقيه في لجة الجحيم». وفي الفصل الثالث يقول: تولد الفضائل في الجنة، ويمكن للأشرار أن يولدوا في الجنة أيضاً. وتشدد تعاليم «شيزان» على أن الإيمان ليس وحده الطريق إلى الجنة، بل يسبقه التساؤل أين هي الجنة؟ وهذا ما تسعى إليه البوذية.

إن الأهداف الأساسية للمسيحية هي تعليم البشرية الأعمال الصالحة ليعيش أفرادها بسعادة ونعيم على الأرض، وورد في الإنجيل أن التسامح والتوبة تمنحان الإنسان النعمة الإلهية والحياة الأبدية، فقد أرسل الله ابنه يسوع المسيح على الأرض ليبشر بالجنة لمن عمل صالحاً. ويتكلم السيد المسيح في الأناجيل الأربعة بأمثلة رمزية كثيرة وجميعها تدور حول الجنة والنار «من يعمل

صالحاً سيدخل الجنة ومن يعمل طالحاً يكون مصيره نار جهنم» أما موضوع السماء فقد ذكرها القديس يوحنا عندما سمع صوتاً من الأعالي يقول عن المسيح: «هذا هو ابني الوحيد».

تحدد المسيحية الخطيئة بأنها عمل يسيء للغير ويلحق به الضرر، فقد ولد البشر وهم يحملون الخطيئة، وعليهم التكفير عن ذنوبهم في حياتهم على الأرض، وسيمنحهم الله حياة أبدية بعد الموت، وقد جاء المسيح وعاش على الأرض يبشر بملكوت السماوات، ومن ثم يحمل الصليب ليفتدي البشر ويخلصهم من الخطيئة.

وليس للمسيحية فكرة واضحة عن شكل الحياة الأبدية والخلود، ونعتقد أن الإيمان المطلق بالمخلص ،يمنح راحة نفسية، فهو يرضى بحكم الله ويقول «حتى لو هبطت إلى جهنم فتلك إرادة الله، ومتى كان الله بجانبي فتلك رغبته وإرادته». ولكن الله وعد البشر بالخلاص إذا آمنوا بالمسيح لكن أي خلاص هذا بعد الموت، حيث يعجز كبار علماء اللاهوت عن تثبيت القناعة بالحياة ما بعد الموت ومنهم ايمانويل سويد نبرغ، وهودسن توتل.. وكثيرون غيرهم ومعظمهم لم يصل إلى نتيجة، محاولات ونظريات من قبل متصوفين باءت جميعها بالفشل. قام البعض بتجارب الاقتراب من الموت، ولدى عودته للحياة يحاول تأكيد الحياة بعد الموت، هذه الاختبارات بعيدة جداً عن الواقع.

عندما يموت الإنسان بصورة حقيقية يحاول البعض استخلاص النتائج، يفكرون بأنها ستكون كذلك، ويعلنون عن رغبات إنسانية وطموحات دون أن يؤدي تحقيقها إلى نتائج واقعية، يحاول البعض الاتصال بالأرواح، والتوسط لديها للحصول على معلومات عن الحياة بعد الموت، لكن نتائج تلك المحاولات تظل بعيدة عن عالم الإنسان الروحي، وهي تسيء لله الخالق، الحقيقة المطلقة، القوة التي تدير الكون، الموجودة في كل مكان، والتي تقرر حياة البشر على الأرض وفي الآخرة.

تشمل هذه الرواية سبع قصص عن الحياة، استوحاها طبيب شاب، ذات ليلة، داخل غرفة تشريح الجثث في إحدى كليات الطب من أرواح الموتى.

تصف هذه الحكايات: حياة الإنسان وموته وتأمله في الحياة الآخرة. قد ينعتني من يقرأ هذه الحكايات من الزعماء الدينين، بأني مصاب بالهرطقة، وقد يتهمني بعض العلمانيين بالجنون، لكن نشر هذا الكتاب- نستطيع القول- يؤيده ماجاء في إنجيل متى ١٣:٥٢ «قال يسوع. من أجل ذلك كل كاتب متعلم في ملكوت السماوات يشبه رجلاً ربَّ بيتٍ يُخرِج من كنزه جُدداً وعتقاءَ».

أقدم هذا الكتاب للقراء، وأدعوهم للتفكير في عالم اليوم وعالم الأبدية، ولا أطمح من عملي هذا بالحصول على مكافأة أو سعادة، بل خدمة للإنسانية المعذبة السائرة نحو الأبد المجهول.

الفصـــل الأول

اللقاء الأول مع الأرواح

الفزع من الفشل

كان يوماً لن ينساه أبداً، ذلك يوم الـ(٧) من تموز (١٩٤٦) يوم احتفال تانا باتا- أحد أيام السنة، عندما سمح للنجمتين فيغا النَسّاج وألتير راعي البقر بالإلتقاء في طرق انفصالهما عبر السماوات. توقف المطر أخيراً، على غير العادة، في صيف طويل ماطر مبكر، لقد سقط في نهر رتيب من شفاه المذيع، في الصباح، حيث فصل المطر قد انتهى رسمياً، كان راديو التنبؤ بحالة الطقس، وأسماء المناطق، يؤكد صحه التنبؤ الجوي، سطعت شمس الصباح الباكر على الزرع والشجيرات، بشكل شديد تماماً على عكس اليوم السابق حيث تفتحت شجرة الكوبية داخل الحديقة، بجمالها الهادئ الملطف تحت السماوات الرمادية خلال الأيام القليلة الأخيرة من المطر وقد نشرت تويجاتها بألوانها المتعددة بابتهاج في ضوء الشمس الصباحي المشرق.

يوشيو أو ميكي، طالب الطب، يضع دفتر الملحوظات الخاص بعلم الأمراض وأسبابها وأعراضها وعلم الجراثيم، للدروس الصباحية، على منصب دراجته الهوائية التي كانت تستند في زاوية من مدخل الطريق، ووضع على رأس هذه الأشياء، أطلس التشريح الثقيل الصادر عن روبر، المصدر الألماني الشهير في مجال علم التشريح الإنساني لمن يحتاجه كمرجع خلال العمل في مخبر التشريح بعد ظهر هذا اليوم، وتوج الحمولة بغدائه الذي أعدته له أمه ووضعته في صرة وبالمصادفة، لحد ما لَفَّ معطف المخبر الأبيض المطوي حولها كلها، وأمن عليها بحبل- وبدأ رحلته نحو كلية الطب.

مع أنه مضى عام تقريباً منذ اليوم الذي جاء بالآمال بنهاية المأساة بالهزيمة، مع ذلك، فالبلاد لم تكن بعد قد استردت حياتها من فوضى انهيارها. فانتقل الوضع بالنسبة للطعام من سيئ إلى أسوأ. حتى في المدن التي لم تكن قد دمرت مثل كيوتو بقنابل العدو وبالنار، كانت شروط السكن فيها سيئة للغاية،

والناس يكافحون من أجل البقاء على قيد الحياة من يوم لآخر. واللباس كان نادراً أيضاً– معظم الناس ليس لديهم من الثياب سوى ماهو على ظهورهم.

كانت بيوت كيوتو تظهر داكنة وقذرة. وسقطت معظم الملصقات عن الجدران الخارجية، كاشفة عوارض الخشب الأسود الرمادي للبناء الأساسي. وكانت الظروف الإقتصادية سيئة جداً، بحيث ما من أحد لديه ما يمكن أن يستخدمه ليقوم بمجرد كل ماله صلة بالإصلاح كالشبابيك المحطمة. فلم تكن هناك وسيلة للحصول على الزجاج، هكذا جرى استبدال الزجاج برقائق الخشب، لكن ذلك قد ساعد على بروز الأشياء البالية.

« أيها الصبي فترة التعتيم تلك، حطمت دراستي، بشكل لا ريب فيها في ليلتي الأخيرة، وكنت أنجز بصعوبة أي عمل لدروس ذلك اليوم، خصوصاً تلك المتعلقة بمخبرالتشريح، من أجل دراستي في علم التشريح الذي شرعت بدراسته بشهر حزيران تماماً – على الأقل لألقي نظرة عاجلة على أطلس روبر على ضوء الشمعة»، هذا ما قاله يوشيو مدمدماً لنفسه، حول إخفاقه القوي المديد في الليلة الماضية.

ركب الدراجة واتجه نحو الشمال في شارع فوياشو إلى شارع واكي العريض. قبل أشهر قليلة من نهاية الحرب أخليت المنازل الممتدة على طول شارع واكي العريض بصورة إجبارية وجرى تدميرها من أجل التقليل من الخراب المتسبب عن النيران نتيجة الغارات الجوية الأمريكية. مع ذلك بقي الشارع غير معبد ووعراً ومليئاً بالحفر، بعد أن أصبح كبيراً كما كان من قبل، ومبقع هنا وهناك بحدائق صغيرة للخضراوات المسموح بها ضمنياً من قبل سلطات المدينة الرسمية. وقد استخدمت هذه النباتات الهزيلة لتكبر هناك على الرغم من النقص في السماد، وكانت على الأغلب عرضة للسرقة في منتصف الليل، بحيث تترك المحاصيل مبعثرة على نحو كبير، وبصورة هزيلة بين الأعشاب الضارة. كانت التربة رمادية، ضاربة إلى الحمرة، مغطاة بالحطام المتساقط من أسقف وجدران المخازن، وبالوحل والحصى، نتيجة تعرضها المدمر الكامل وكانت تنتشر هنا وهناك ألواح خشبية ثقيلة وعوارض ضخمة، لا تزال تنتظر إزالتها. المنظر إلى الغرب، يمتد عريضاً ومفتوحاً على امتداد شارع هو ريكادا

العريض، ومنظرها القاحل لا ينقطع، فقط بمظلة قوية من اثنتين أو ثلاث في المستودعات التي نجت من الدمار أثناء إخلائها والكشف عن المشاكل الكثيرة أيضاً أمام تدميرها.

بالعبور فوق هذه الآثار نتيجة الإخلاءات إلى الشارع الرئيس، الذي كان بعرض يزيد عن خمسة أمتار، وعلى الرغم من الحفر هنا وهناك، بقي لا يزال مرصوفاً ويعرف على أنه الشارع العريض وايلك، كما كان يسمى قبل الإخلاء. أدار يوشيو دراجته الهوائية نحو الشرق، واتجه إلى هناك، ثم استدار إلى اليسار، نحو شارع تيراماشي، وبعدها اجتاز شارع نيتجو ثم شارع ماروتاماشي العريض ماراً بين مدرسة البنات الثانوية من المنطقة رقم (١) والقصر الإمبراطوري في كيوتو، واستدار نحو اليمين- إلى شارع هيروكوجي- مقابل ضريح القديس ناشينوكي. ثم مر عبر شارع كاواراماشي العريض إلى حرم كلية الطب التابعة لمقاطعة كوتوراكوهوكي. كان يوشيو يقوم بهذه الرحلة يومياً، ماعدا أيام الآحاد، وذلك منذ أن تسجل في كلية الطب.وقد أُقيم في مقام القديس ناشنوكي- شمال شارع مارينوماشي العريض، نصب تذكاري من حجر ضخم، منحوت بنقش حكومي «لمقام القديس خاصة»- مقام القديس ناشينوكي». ضخم وشهير، يخضع لبيئته. وكان الكانجي «المقام المقدس الحكومي» قد ألصق فوقه بالإسمنت بعد أن انتهت الحرب بناء على أمر من القيادة العامة لجيش الاحتلال. مع ذلك، فإن ذلك كان بعيداً عن مَحْيِهِ، لا بل فإن الإسمنت الأبيض جعله أكثر من رائع وبارز. وتجاهله يبدو غريباً وبطريقة أو بأخرى خارج المبنى، برغم ذلك، فكل شيء عداها- البيوت المحيطة، وكثرة الأوراق المخضرة «الإمتدادات الفسيحة من حصى القصر الإمبراطوري في كيوتو، ومن القيعان، والتي تبدو بالضبط كما كان عليه الحال قبل الحرب.

وكلما كان يمتطي دراجته الهوائية كل صباح، يلقي نظرات خاطفة على جبل هيياي وجبل ديمونجي، بين حين وآخر من فوق السطوح ويحملق في التلال الشمالية، وكان يشعر عندئذ، بعمق القول القديم، وأكثر من أي وقت مضى، «الممالك يمكن أن تسقط، لكن الجبال والأنهار تبقى».

كانت كلمات «كلية الطب في راكوهوكو من مقاطعة كيوتو» مكتوبة

بحروف كبيرة على لوح خشبي معلق في أعلى الباب الكبير منذ زمن ماضٍ، وبخط واضح. داخل البوابة– يفتح الفناء رقم (١) إلى اليمين– في قذارته النسبية لمدخل حديث القنطرة. وتقع مكتبة الكلية في الطابق الثاني مع صالة المطالعة وهي تحمل الرقم (٣) وتُلْقى معظم المحاضرات في الطب الأساسي، في الطابق الثالث. كان بيته بالقرب من نقطة تقاطع شارع فوبيا شو مع شارع تاكوياكوشي، وهكذا كان بإمكان يوشيو ركوب دراجته الهوائية إلى المدرسة، لكن صعوده للطابق الثالث بعد ركوبه القصير يجعل ساقيه يشعران بالألم مع التعب، وربما يرجع ذلك إلى سوء التغذية المزمن خلال الحرب وبعدها.

كان مخبر علم النسج في الأصل مخصصاً لفترة الصف الأول، لكن كانت معظم مجاهر الكلية معارة بشكل مؤقت إلى مدرسة طب مقاطعة كوب التي احتاجتها من أجل مفتشيه وزارة التعليم في سبيل الحصول على شهادة الكلية، وهكذا فالمخبر كان يؤجل العمل فيه لمدة شهر تقريباً.. وملاحظته الدقيقة الأخيرة حول نشرة المجلس في الماضي أن فترتها الأولى في المحاضرة ستعطى من قبل الدكتور آراتا، من فرع علم الأمراض الأول.

كانت المحاضرة الأولى عن أمراض الكبد، وكانت مزودة بمعلومات مفصلة حول آفة التليف الكبدي، لكن لم يكن يوجد جديد مما قرأه الدكتور آراتا من ملاحظات في محاضرته المرهقة. وكل شيء قاله جاء من الكتاب المدرسي والمجلات الدورية المنشورة قبل الحرب. وكانت سنين الحرب معبرة عن الإرباك بمقدار ما كانت تهتم بكل ما يتعلق بالمعرفة في الطب الحديث. فكانت معظم محاضرات الأساتذة الآخرين مجردة تماماً من كل مادة جديدة، كما هو الحال بالنسبة للدكتور آراتا، لكن امتحاناته معروفة بكونها صعبة حقاً. فأخفق العديد من الطلاب في امتحاناتهم، إذ كان عليهم الإضطلاع بذلك. وهكذا كان على يوشيو والطلاب الآخرون تدوين الملاحظات. وكان الدكتور آراتا قد قال لتحقيق النجاح يجب أن تكون طرفاً في تحالف من ثلاثة رجال ذوي نفوذ عظيم في الكلية، مع الدكتور فوجيكاوا في قسم طب العيون، والدكتور يامانو، وأنا في القسم الأول للطب الداخلي. وكانوا يعرفون جماعياً باسم جماعة آراتا، وكان لهم الكلمة القوية في اجتماعات الكلية.

وقد أُشيع أنهم كانوا سببًاً في طرد أستاذين مساعدين، هما الدكتور أوياما

أستاذ مَبْحَثِ المرارة وجهاز البول، والدكتور تاكيناكا، من فرع طب الأذن والحنجرة، بسبب نشاطاتهما اليسارية.

وكانت محاضرات القسم الثاني حول علم الجراثيم، تعطى من قبل الدكتور ايباراجي، الذي ترقى في نهاية الأمر ليصبح أستاذاً بعد عدة سنوات، من عمله كأستاذ مساعد، خلال الحرب، وكان موطن قوته في الحقيقة في مَبْحَثِ المناعة. مُفَضِّلاً ذلك على علم الجراثيم، وكان قد نشر عدة كتب حول الموضوع. وكان نابغاً ف اللغات. وعلى نحو طبيعي، بدأ كفيزيائي، ثم أخذ يُشْرِفُ على اللغة الألمانية بشكل جيد ثم أصبح متميزاً باللغة الفرنسية والإنجليزية. واحتوت محاضراته حديثاً، أنباءً سارة ومثيرة عن المواد الجديدة والنظريات الأخيرة، يجمعها من الصحافة الطبية من الولايات المتحدة. كما حصل من أطباء جيش الإحتلال على بعض منها– وكان يرثي لها بسبب النقص في النصوص التقليدية. وحصل الطلاب على بعض الأفكار بالإستماع إلى محاضراته، حول كيفية استعادة التطورات المدهشة تماماً في الطب في الولايات المتحدة والتي تجاوزت المعارف الطبية الألمانية واليابانية العتيقة، والتي أصبحت متاحة كلها في اليابان أثناء الحرب.

كان معظم الطلاب يبقون عادة في قاعة المحاضرات وقت الغداء، يتحركون بلا هدف دائرياً ويتحدثون. وكانت وجوههم شاحبة، فاقدة الحياة. كانوا يختلفون عن أسلافهم قبل الحرب، فهؤلاء الطلاب، لم يكن لديهم أية طاقة متوفرة لممارسة ألعاب القوى، وكان نقصهم إلى النشاط الجسماني نوع من الدفاع الذاتي على الأغلب، هكذا، من أجل توفير طاقتهم بقدر الإمكان. والطلاب الذين يعيشون مع عائلاتهم، مثل يوشيو، كانوا يحضرون غداءهم– مع ذلك، غداء هزيل وتعافه النفس– من المنزل. لكن كان واضحاً، أن الطلاب من خارج كيوتو، ممن كانوا يعيشون في بيوت مجاورة يتغيبون وقت الغداء جملة، أو ما عدا ذلك، فإنهم يقومون بقضم خبز محمص.

كان زملاء يوشيو يلبسون ثياباً عريضة متنوعة، منهم من يرتدي اللباس الجامعي القديم الموحد من غير المتخرجين. كانوا خمسة أو ستة من طلاب السنة الثالثة والرابعة من التابعين للأكاديميات العسكرية البحرية، التي أصبحت

مغلقة قبل تخريجهم، عندما انتهت الحرب، مع إلغاء القوات العسكرة اليابانية وإغلاق تلك الأكاديميات. وأصبح عليهم أن يتقدموا بفحوص للدخول إلى الجامعات النظامية، ثم الشروع بدراساتهم الجامعية من جديد جميعها. وكانوا يلازمون الصفوف وهم يلبسون ألبستهم العسكرية القديمة، مع تناولهم القليل مما أحرزوه في السابق كضباط بحرية عسكرية، مع غياب العلامات المميزة على قبات ثيابهم.

في غرفة التشريح:

عندما اقتربت الساعة الواحدة، نهض الطلاب واحداً تلو الآخر، وشرعوا في هبوط الدرج باتجاه غرفة التشريح. كانت غرفة التشريح ملحقة بالقاعة رقم واحد (١) بواسطة ممر من الجانب الشرقي من البناء، وكانت الأعشاب الضارة على سقف ذلك الممر، قد غطت السخام، وأصبح الدهان البرتقالي باهتاً يتشقق على نحو سيء، وسقط من مواقعه. كما كانت خيوط العنكبوت تغطي سقوف الممر، معطية الإنطباع أنها لم تنظف منذ سنوات، وفيها ضوء وحيد اعزل معلق، وأصاب الجزء الزجاجي من رأسه الجدري من بحر خيوط العنكبوت. وجرى زرع القليل من شجيرات الزيتون ذات العطر على طول أحد جانبي الممر. وفي الوسط يقف تمثال نصفي من البرونز للدكتور الألماني المشهور شويب، الذي يرجع تاريخه إلى إنشاء الكلية. لقد انضمت ألمانيا واليابان سوية لمحاربة الحلفاء، وكلاهما ذاقا الهزيمة الموجعة، كان الوجه البرونزي لهذا الدكتور الألماني المشهور الصارم والمهجور، هذا التمثال النصفي لا يزال باقياً في حرم الجامعة، وذلك أمر عجيب على الرغم من أن كل خردة الحديد والبرونز قد منحت على الأغلب للقوات المسلحة، بعد أن تضاءلت المصادر اليابانية الأولية، إلى أن أصبحت منهكة في آخر الأمر تماماً خلال الحرب. بعض نبات الكويتّة – وهي جنبة للتزيين تشبه ثمارها كوب الماء– البرية التي نمت حول التمثال النصفي الذي أصبح كتلة حديدية مُطَرَّقَة، ومهجوراً إلى حد ما، لكن على الأقل، فقد جلبت هذه النباتات قليلاً من الجمال على المحيط المنعزل.

كان جَدُّ يوشيو، هايد نوسوك، قد تخرج من مدرسة الطب التي أصبحت

مؤخراً كلية طب راكوهوكو. وهو لم يَكُلُّ مطلقاً من الحديث عن سنوات الجزء الأخير من عصر المايجي عندما أنشئت جامعة سايتو إلى الشرق، عبر نهر كامو. وكان هو والدكتور إيراكو، رئيس قسم الجراحة في مدرسة راكوهو الطبية، قد تخليا عن منصبيهما من أجل المساعدة في إنشاء المدرسة الطبية في جامعة سايتو. وكان لكلية طب راكوهوكو، تاريخ متميز على نحو واضح. فكان ينظر إليها منذ زمن بعيد نظرة عالية كأحد مدارس الطب البارزة في اليابان. لكن، عانت الظروف نفسها، كما هو الحال بالنسبة للمؤسسات الطبية الأخرى في البلاد، منذ هزيمة اليابان الجديدة - فميزانيتها العملياتية قد انقطعت حتى العظم، واستمرت أعمال التخريب الموجهة للتسهيلات لها دون توقف، وعندما فكر يوشيو بالعديد من الجامعات المدمرة تماماً بسبب القصف الجوي المعادي خلال الحرب، أو بهؤلاء من معظم الطلاب وهيئات التدريس الذين قتلوا أو جرحوا، مثل كلية طب ناغازاكي، أدت به إلى الضياع وإلى طرف في العين نتيجة الدمار المرعب الذي سببته القنبلة النووية، فلم يعد قادراً على التفكير بأن كلية طب راكوهوكو كانت محظوظة جداً نظراً لموقعها في مدينة نجت إلا بقليل من الدمار في كيوتو، فقد وصل القصف الجوي إلى تخوم منطقة هيغاشيياما خاصة في الزاوية الجنوبية - الشرقية من المدينة لكن كان الدمار صغيراً بحيث أن الشرطة توقفت عن إصدار الأوامر بمنع التجول لكن بالنتيجة حرمت معظم الناس خلال زمن الحرب من ذلك، وفي أجزاء أخرى من المدينة يمكن القيام بذلك.

أخذ يوشيو وطلاب آخرون طريقهم عبر الممر إلى بناء تاريخي قديم من الخشب، الذي يؤدي إلى قاعة مختبرات علم التشْريح، وعلم الأمراض والطب الشرعي. إذ كانت مخابر علم التشريح وعلم النسج وغرف تشريح الجثث وعلم الأمراض، والطب الشرعي، في الطابق الأول، أما الطابق الثاني فكان مقسماً إلى مخابر البحث، والأساتذة المساعدون والمدرسون.

يتم الدخول إلى البناء من خلال باب مفتوح، والطلاب يسيرون على طول ردهة كطريق مغطى برفوف ملأى بجرات زجاجية، تحتوي على عينات بحيث تبدو وكأنها هنا منذ زمن بعيد، منذ يوم افتتاح الكلية. ويلقي ضوء أجرد ذلك

المصباح ذو العشرة واطات: المعلق في السقف نوراً على الزجاجات ومحتوياتها الغريبة، من تلك المحتويات، عينات من عاهات جسدية متنوعة تطفو في جرار من الزجاج، ومن أجنة من الشهر الثالث حتى سن الرضاعة، وتوائم سيامية وأجنة بعين واحدة، ومايشبه ذلك. كانت كل هذه المعروضات تخص إدارة علم الأمراض. وكانت الكتابة بالألمانية على المواد، طويلة إلى درجة أن خبت تدريجياً، وهي الأكثر صعوبة لفهم المعنى، ومغطاة، بطبقة سميكة من الغبار تشهد على أن الجرار قديمة.

كان البناء بالكامل تخترقه رائحة الفورمالين اللاذعة، لكن الطلاب الملازمين للصفوف اعتادوا عليها تدريجياً، وليس منذ زمن طويل وجدوها بغيضة. كان يوشيو يصاب بالعمى المؤقت عند الدخول لغرفة التشريح، من شدة الضوء الساطع ومن أشعة الشمس الصيفية المتدفقة من خلال نافذة مقابلة. وكانت عشرة طاولات تشريح الجثث مصفوفة في الغرفة، والجثث ممدة على سبع منها، مغطاة بأغطية غير متقنة من قماش زيتي لامع، مما يعطيها وهجاً تحت الضوء القوي. يضع الطلاب نصوصهم ودفاتر ملحوظاتهم بالقرب منهم على الرفوف أو الكراسي الفارغة، ينسابون بمآزرهم السوداء والأقمشة الزيتية «البعض كان يلبس المئزر فوق المعطف الأبيض المخبري وآخرون، كانوا يخلعون قمصانهم ويلبسون مآزرهم فوق جلودهم العارية». ثم يأخذون أماكنهم على طاولات التشريح. كانوا ستة طلاب يختار كل واحد طاولة، ويقف الواحد بجانب الآخر، من ثلاث مجموعات رئيسة، لكل جثمان، من الرأس، فالصدر، ثم البطن. في نهاية الدرس، تكون كل المجموعة من الستة طلاب، قد شرحت قسماً من ثلاث جثث يعملون فيها ثلاثة مجموعات كل بدوره.

عندما يأخذ الطلاب مقاعدهم بجانب الجثث تبدأ عيونهم فاترة الهِمَّةِ مع تَألُّقٍ ممزوج بالفضول والرغبة بالتعلم. ياماغوشي وآأوكي، يربط كل منهما عصابة، حول مقدمة الرأس، كما هو الحال دائما، وهذا يعني إخلاصهم لدراسة جادَّة، كذلك لمنع شعرهم من السقوط على عيونهم عندما يقومون بالعمل. ويفتح كل طالب أطلسه التشريحي الياباني أو الألماني، ويضعه على كرسي دون ذراعين، والذي يقع بعده. من ثم يرجعون بصورة مستمرة إلى

أطلسهم، ويأخذ كل واحد منهم سكيناً ومقصاً أو كلايات توضع في ابهامات اليد، ثم يشرعون في التشريح. ومع متابعة الرسم البياني أو التخطيطي في أطلسهم الروبر، يقوم يوشيو بسلخ الجلد من الجانب الأيسر عن وجه الجثة، من ثم يطابق العضلات الوجهية، ويتابع الدرس، على الأعصاب الوجهية. ومن وقت لآخر، يستخدم أحد زملائه أطلساً مختلفاً وقد يواجه بعض الصعوبات فينادي: «هاي، أوميكي، ماذا يقول أطلس روبر حول ذلك؟ وكان يوشيو فخوراً بامتلاكه أطلس روبر، والذي كان متفوقاً على غيره من حيث الوضوح في التفاصيل ونوعية الطباعة. لقد تركه ابن عمه الأول أوديدا كوجي في بيته قبل الحرب الذي كان قد درس أيضاً في كلية طب راكوهوكو في منحة تعليمية بحرية. وبعد التخرج في عام (١٩٤٠)، منح رتبة الرائد في الفيلق الطبي في البحرية الامبراطورية اليابانية، وخدم كطبيب في المُدمِّرة بوغامي في النسق الأول، وقد قتل أثناء العمل عندما كانت راسية في الفلبين خلال معركة من أجل خليج لايتي. حتى الآن، يذكر يوشيو، وعلى نحو واضح زيارة يوويدا العرضية القصيرة لمنزل عائلته على الشاطئ، حاملاً معه أطلس روبر الثقيل الذي كان قد اشتراه للتو، وكان لايزال يرى يوويدا يُقَلِّب الصفحات بعناية، واحدة وراء الأخرى، وهو ينوس برأسه على نحو يدل على التقدير وبطريقة تدل على الرضى. كان عمر يوشيو في ذلك الوقت ستة عشر عاماً فقط، ومع ذلك، ترك انطباعاً عند ابن عمه بولعه العميق للتعلم.

انقضت ثلاثون دقيقة على الدرس، عندما دخل الدكتور نوغوشي أستاذ علم التشريح غرفة التشريح وهو يلبس صندلاً ورداءً ابيضاً خاص بالمخبر، نصفه فوق قميصه الداخلي. وقد قلب سوء التَّغذِيَة شحوبه الطبيعي في مظهره العام إلى بياض خاص. تجول أثناء العمل، حول طاولات التشريح، وينحني على الطلاب وأحياناً يعض على شفتيه بعصبية، ويردد، «حسن كيف تسير الأمور؟» ويسأل كل طالب بدوره، أية أسئلة؟ وإن لهجته تدل على كونه من كيوتو. قبل الساعة الرابعة، بقليل يبدأ ضوء الشمس، بعد الظهر، محرقاً بالسطوع من خلال النوافذ المقابلة الغربية، وكذلك تشتد الرائحة النتنة المنبعثة من بخار محلول الفورمالين ومن الجثث.

فجأة يفتح الباب، ويدخل ثلاثة ضباط من جيش الاحتلال مسرعين إلى الغرفة، وَبِرِفْقَتِهِمْ مستشرقين اثنين يعملان كمرشدين، وجميعهم ببزاتهم العادية النظامية الفاتحة، تدل على كونهم مستخدمين مدنيين لدى جيش الاحتلال، وعلى نحو واضح، فإنهم جاؤوا لمراقبة التدريب الطبي الجاري في اليابان، عن كثب. عرف يوشيو المرشدين المستشرقين: كانا، الدكتور وانغ والدكتور سو، كلاهما من الجنسية التايوانية، وقد تخرجا منذ أمد قصير من كلية راكوهوكو الطبية، ذلك الربيع، وأصبحا الآن مستخدمين في مستشفى الصليب الأحمر رقم (١) في منطقة هيفاشيياما، التي كانت قد احتلت من قبل قوات الاحتلال. كانت تايوان احدى المناطق المستعمرة من قبل اليابان، وجرى تحريرها من قبل الحلفاء، وكان التايوانيون في اليابان، منحوا معاملة خاصة بكل وضوح من قبل جيش الاحتلال منذ أن أصبحت حكومتهم تقف إلى جانب المنتصر بعد هزيمة اليابان في الحرب.

كانت أحد المظاهر الجديدة، الركوب بسيارات الجيب، واستيلاء قوات الاحتلال على أفضل أماكن السكن لاستخدامهم الخاص. مثل فندق مياكو، وفندق كيوتو، وكانا مستخدمين لإيواء قوات الاحتلال. واستولى جيش الاحتلال أيضاً على حدائق النباتات، وعلى متحف أوكازاكي للفن، وعلى مبنى اجتماعات البلدية، حيث بنوا إلى الجنوب منه تماماً كنيستهم الخاصة. بخلاف منازل اليابانيين التي أصبح يخيم عليها الظلام، حيث انخفضت قوة الكهرباء، في حين كان معظم الأحياء الملائمة للحياة والسهلة والمسكونة من قبل قوات الاحتلال منارة– فكانت نوافذها البلورية تتوهج كل مساء. وأصبح كامل بناء ديكن القريب من زاوية شارع شيجو وشارع كاراسوما العريض في وسط المدينة مستخدماً من قبل القيادة العامة لجيش الاحتلال في كيوتو. وهناك إشارات ضخمة طبعت بأحرف (R.T.O) معلقة تدل على تسهيلات النقل، وتحفظ لاستخدام جيش الاحتلال. وكانت القطارات المخصصة لجيش الاحتلال، تعطى الأفضلية على تلك المستخدمة من قبل اليابانيين، وحتى كان لها الأفضلية في الوصول والمغادرة من أرصفتها الخاصة. فكانت قوة الاحتلال مطلقة الصلاحيات.

وكان هناك تناقض شديد مع مظهر الأطفال اليابانيين من يتامى الحرب، الذين كانوا يحملون صناديق مسح الأحذية التي تصنع من قطع الخشب الصغيرة المثبتة ببعضها، ويطوفون الشوارع القريبة من محطات القطارات ومنطقة مركز المدينة، وهم يصرخون ماسح أحذية؟ ماسح أحذية؟ بالقرب من رجال جيش الاحتلال، ويقومون بتلميع أحذية عساكر ذلك الجيش، وهم يتصارخون من أجل بَعْضِ الدريهمات النحاسية أو علبة من العلكة كدفعة.

كانت الذرة الأمريكية، ذات العلامة المميزة، المخصصة أصلاً لإطعام الدواجن، توزع على اليابانيين الذين يسحقوها إلى طحين، ثم يخبزوها لتصبح صلبة، وقاسية، حتى بالكاد يمكن كسرها لتصبح مستساغة. كان اليابانيون يتلقون جراية من الأرز أسبوعياً، لكنها كانت تعادل لما يكفي ليومين فقط، وتبذل الجهود لجعلها كافية، فكان الناس يمزجون الأرز مع البطاطا ويصنع من ذلك عصيدة مائية ، وأصبحت هذه السلعة كغذاء لليابانيين متوسطي الحال خلال تلك الحقبة.

ودارت إشاعات، بأن العديد من اليابانيين كانوا يموتون جوعاً، وبدأت الصرخات ترتفع تنتقد سياسة الجنرال ماك آرتر المُحْتَل باعتبارها المسؤولة عن أولئك الأموات جوعاً، ليس فقط من قبل اليابانيين، بل حتى في بعض الأوساط الأمريكية. ونتج عن التهديد بالغضب الجماهيري توزيع خاص من جرايات جيش الولايات المتحدة لليابانيين. وكانت هذه الجرايات تأتي في صناديق من الكرتون، وهي تعادل نصف حجم صناديق الغذاء من الألمنيوم التي كانت تستخدم في اليابان. أو كان كل صندوق مغلف بالقصدير الأخضر لحفظ علب الطعام- حساء، لحم البقر المفروم، حلوى كوكتيل الفواكه، وصناديق متعددة الألوان لسجائر اللاكي سترايك، والجمل، وشيستر فيلد، وبعض السجائر من التبغ الأمريكي.

في إحدى المرات، تناول يوشيو وعائلته بعضاً من أطعمة الجيش الأمريكي التي كانت تباع في السوق السوداء، وكان من الصعب عليه أن يصدق وجود مثل هذه الأشياء اللذيذة. وهو يعرف أن جنود الولايات المتحدة كانوا يتناولون هذه الأنواع من الأطعمة خلال الحرب، وقد وصل به الإحساس، أن

نصف القوات اليابانية الجائعة، كانت تتوقع خسارة الحرب منذ البداية. مع ذلك، بدا أنه من الجنون أن يعتقد يوشيو، أنه من العيب أن يلقى بمثل هذه الأمور إلى الدَّهماء.

وهكذا، احتفظ بالقليل من صناديق سيجارات الجمل الفارغة، والعلكة، التي لاتزال تحتفظ برائحة تلك النكهة الخاصة بها، وخبأها في درج طاولته، وبالجرار المجاور وضع فيه غلافاً ورقياً لنوع من الصابون الأمريكي. كانت الندرة في العثور على الأشياء شديدة الوطأة جداً ، حيث لم يعد بالإمكان الحصول على السجائر مثلاً. إلى درجة أن تخلى بعض زملاء يوشيو عن القواعد العادية في علم الصحة والأجسام، ووصل بهم الأمر إلى أن يستعيدوا نصف أعقاب السجائر الملقاة في الشوارع من قبل جنود جيش الاحتلال وتدخينها.

شعر يوشيو وزملاؤه بالقلق الغامض نتيجة حضور الضباط الثلاثة إلى غرفة التشريح. وأصبح عالم جيش الاحتلال مختلفاً بكل مافي الكلمة من معنى، عن العالم الياباني. فكان الخلاف بين المحتلّين والمُحْتلّين، بين المضْطَهَدين والمضْطَهِدين. وبين الغني والفقير. بين من يلبس بشكل جيد، وأولئك رثي الثياب. والأمر الأسوأ أنه لم يعد قادراً على فهم كلمة قالوها، ولم يعرفوا مطلقاً من يستطيعون التكلم إليك أو ماذا يمكنهم القيام بذلك فيما بعد. حاول الطلاب تجاهل الضباط الذين كانوا يراقبونهم والمحافظة على عيونهم منخفضة باتجاه الجثث التي كانوا يشرحونها، صامتين وعندما يتخلى أحد الطلاب عن هفوة بعدم التركيز بين الفينة والآخرى ويدرك بوعيه حضور الضباط، فيشعر على نحو ثابت بالقلق.

لقد سمع يوشيو ذلك قبل أشهر قليلة، أن بعض أطباء جيش الولايات المتحدة قد زاروا مستشفى الكليّة الطبية في راكوهوكو كمراقبين. وقد ذهلوا، عندما شاهدوا أربع عمليات تنجز في وقت واحد، على أربع طاولات مزدحمة في غرفة عمليات واسعة وحيدة، وبدون تخدير عام، ومن قبل جراحين، حتى أنهم لم يكونوا يلبسون كفوفاً للجراحة، لكنهم غسلوا أيديهم بالمطهرات وحسب. وهكذا الآن، فهؤلاء الأمريكيون، يقفون يراقبونه، وزملاؤه من الطلاب، والفكرة هي، بماذا يفكر هؤلاء حول درسنا التشريحي؟ لمع هذا

السؤال في عقل يوشيو، من بين أحاسيس امتزجت بالقلق وبالفضول. غادرت مجموعة الضباط بعد عدة دقائق قليلة فقط. ربما بسبب أن ماكان يقوم به الطلاب، يفسر نفسه بنفسه، أو لاأهمية كبيرة أو مصلحة لهم فيه. عندما خرجوا من الغرفة، التقت عيون أحد الضباط بعيون يوشيو، وابتسم الرجل كترحيب، وشعر يوشيو بحالة من ارتفاع ضغطه وقلقه عندما لمس هذا الشعور غير المتوقع من الصداقة.

نقلت وسائل الإعلام أنه مع بداية السنة التالية، فالبلاد قد تنتقل إلى التوقيت الصيفي لتوفير الطاقة في الصيف. فهذه الممارسة بتقديم الساعة كانت غير مألوفة بالنسبة لليابانيين، لكنها أصبحت إجبارية في البلاد من قبل جيش الاحتلال. لكن بالنسبة للآن، فكانت الخمس ساعات لاتزال في الوقت نفسه من اليوم، كما كان عليه الحال قبل أن تخسر اليابان الحرب. توهج الشمس بعد الظهر لم يكن قد ألغي أو أَقَلُّ عما كان عليه. الآن، من ثم، كان الدكتور ناغوشي ينظر بعصبية إلى ساعته اليدوية. على الرغم من ذلك. ما من أحد الطلاب قد يشرع بالاستعداد للمغادرة، بل تابعوا التشريح ناسين أي أمر آخر. مع الابهام والكلابات في إحدى الأيدي والمقصات والسكاكين في أيدي أخرى، مستغرقين في التركيز الكلي، كما لو أن كل دقيقة من الدراسة أصبحت ثمينة.

تحول جلد الجثة المخصصة لمجموعة يوشيو إلى رمادي غامق من الفورمالين المستخدم لحفظها. وأصبحت جميع النسج قاسية ومطاطية. لقد كانت جثة لامرأة في الأربعينات من العمر. وكان شعرها قد سحب عن وجهها وعقد إلى الخلف، مع ذلك يمكن لأحد ما، أن يحزر من هيئتها أنها كانت، على ما يبدو، ذات جمال فوق المتوسط، عندما كانت على قيد الحياة، وبدت قصبة أنفها الجميلة تضفي على وجهها نوعاً من الأناقة والكبرياء.

«يامادا إن مايدهشني مانوع الحياة التي عاشتها هذه المرأة عندما كانت على قيد الحياة؟» قال يوشيو بهدوء، إلى زميله في التشريح الذي كان يقطع الجانب الأيمن من وجه الجثة من ناحيته.

«فأصحاب هذه الأجساد والتي نقوم بتشريحها عاشوا حياتهم تماماً، مثل

أي واحد غيرهم» رد يامادا، باقتضاب. لم يكن يامادا متحدثاً كثيراً، خصوصاً عندما يكون مستغرقاً في الدراسة. وقد كان يصور جانباً رومانسياً منذ عهد قريب، غريب عن طبيعته، وذلك بالاستمرار بخططه للزواج، عارفاً تماماً أن خطيبته قد أصيبت بمرض السل في الرئتين، واليوم، أصبح يامادا أكثر انشغالاً بأعباء مالية فرعية.

«كيف تسير الأمور مع الستربتومايسين؟ وهل تأخذه بشكل صحيح؟».

لقد سمع يوشيو أن يامادا كان يشتري الستربتومايسين من أجل زوجته، حيث كان يعمل جزئياً في الليالي، يقوم بأعمال إضافية حول مناطق جيش الإحتلال. وحالة يامادا دائماً محزنة وثقيلة على عقل يوشيو، وأصبح الآن أمام فرصة جيدة ليسأله عنها.

«وإنها لا تأتي مطلقاً عندما يفترض مجيئها، وعندما أحصل على بعضها فإنها تكلف غالياً جداً».رد يامادا

في الحقيقة أصبح البنسلين الستربتومايسين كمخدرات للطبقة الجديدة بالكامل. وهي من المضادات الحيوية، وكانت فعاليتها لاتصدق، فالأطباء في التطبيقات السريرية في مستشفى كلية الطب في راكوهوكو اجتازوا مرحلة لم يشهدوا مثيلاً لها. بالطبع، لم تكن هذه المضادات الحيوية قد صنعت في اليابان، حتى ذلك الحين. وكان يتم الحصول عليها من جيش الإحتلال من خلال قنوات غير شرعية. الطريقة الأولى أم الأخرى، يجب الإعتماد فيها على علاقة عسكرية لشراء حتى واحدة أو اثنتين من زجاجات الدواء. والستربتومايسين، بصورة خاصة، كان من الصعب جداً الحصول عليه، وذلك كونه لايزال في مرحلة اختبار في الولايات المتحدة.

كان شعور الإستياء والحزن يعتمر في قلب يوشيو بعمق شديد ومن الممكن أنه أصبح سريعاً في حكمه على الأشياء، لكن بدا له أن الشدائد طالت كل ياباني وعلى الجميع أن يجتازوها الآن، فهي سهلة على البعض وعسيرة على البعض الآخر. وكان للجميع صلة بالحرب التي انتهت في الصيف السابق. ياإلهي! ماذا كان معنى هذه الحرب، حقاً؟ وفكر بأصدقائه عندما كان في.

المدرسة المتوسطة، الذين توجهوا إلى أكاديميات الجيش والبحرية، حيث امتهنوا العسكرة، كما أصبح أصدقاؤه في الجامعات ومعظمهم من البارزين في الفنون العقلية،ممن سحبوا من دراستهم ودفعوا إلى جبهات القتال بعيداً خلال المرحلة الأخيرة من الحرب. والغالبية منهم قد مات «ميتة أبطال» على أرض غريبة في الصين، في قاع المحيط، أو في الأدغال، أو في جزر منعزلة، أو في مكان ما في السماء، جميعهم قد ماتوا قبل الأوان باسم الامبراطور، وكانت حياتهم القصيرة الحافلة بالذكريات، سريعة الزوال، حياة قصيرة لكنها مليئة بالأزهار الكرزية.

من ثم كان هناك مئات آلاف المدنيين الذين فُقدوا في ليلة واحدة بين النيران والرعب التي جاءت على كل شيء يملكونه في هذا العالم- والبعض فقد حياته وكل ماله، بيته الذي عمل لسنوات لبنائه- وبعض فقد كل شيء في البيوت المدمرة بالقنابل التي كانت تتساقط على طوكيو، غالباً، وعلى معظم المدن الكبيرة الأخرى، ومدن صغيرة عديدة كذلك «الموت قبل الخزي» هذه العقيدة نتجت عن موت أعداد لا تحصى من اليابانيين في سيبان وفي أوكيناوا. وفي قمة كل ذلك، في هيروشيما وناغازاكي، اللتان دمرتا بالكامل بالقنابل النووية. ثم أصبح على اليابان في النهاية قبول الإستسلام بلا شروط والتعهد بالقبول بإعلان بوتسدام. هكذا انتهى كابوس الحرب. كان يوشيو قد قرأ في جريدة الصباح أن توزيع مخصصات الطعام أصبحت مخفضة إلى مرتين في الأسبوع فقط، ولزمن طويل، كما بدت، ولم يسمع يوشيو شيئاً، لكن أخباراً سيئة، مع الأخبار الحسنة كانت قد اختلطت بأن تسريح القوات اليابانية في الصين قد أنجز. مع ذلك، فالجنود اليابانيون المتمركزين في منشوريا جرى اعتقالهم في معسكر في روسيا، وليس من أحد يستطيع أن يحزر متى سيسمح لهم بالعودة للوطن، والأسوأ ما نَقَلَتْهُ الصحف أن العديد من المستعمرين اليابانيين كانوا قد أجبروا على إيداع أطفالهم الرضع والصغار للعناية بهم من قبل أصدقاء صينين أو جيران لهم، وهربوا بجلودهم لليابان، بدون أي شيء معهم، فقد نجوا بأنفسهم.

إن جروح هذه الحرب قد حفرت بعمق كبير في قلوب اليابانيين الذين مست حياتهم، وبأنهم لن يشفوا مطلقاً، هكذا، فكر يوشيو لنفسه، مع ذلك، كم هم كثر،

فإن الأوضاع قد كشفت عن حقائق الشعب في بلدان جنوب شرقي آسيا الذين تحولت مدنهم ومزارعهم إلى ساحات قتال في سبيل هذه الحرب البشعة! وهذه الجثث الممددة على طاولات التشريح- في حين أنها عندما كانت على قيد الحياة وجب عليها أن تكون، مستخدمة ومتورطة في الحرب بطريقة أو بأخرى. نعم، لقد شعر أنه على يقين أن أشخاص هذه الجثث ،كانوا في يوم ما بين المعدمين من المجتمع. ومع ذلك هناك بعض الناس ممن يرغبون بتقديم أجسامهم للدراسات الطبية، لكنهم مستثنون جداً. لقد كان المعدمون، هم المعدمون بقسوة بالحقائق القاسية للحرب، وعلى الدوام. كما أنهم ، هم الذين تحملوا الحرائق المرعبة لمأساة الحرب.

جثمان امرأة

وجدت نفسي متعجباً من حياة الناس الذين أصبحت أجسادهم مادة من أجل دراستنا الطبية، التشريحية. وفكرت بنفسي: «هؤلاء الناس أيضاً كان يجب إنقاذهم» فهذه كانت كلمات نيشيوراكو، الذي دخل فرع الطب في جامعة سايتو بعد التخرج من مدرسة يوشيدا ياما الثانوية.

أصبح يوشيو صديقاً له في الكنسية. ولم يكن يعلم لماذا، لكن الآن، باعتباره كان يعمل بحل الأسرار الفيزيولوجية للجثة قبله- فإن كلمات نيشيورا، ارتدت إليه بقوة.

سيطرت على يوشيو الرغبة بالصلاة للكائن الأعلى، والخالق الذي يسهر على هذا العالم، الخالق، الآلة الحنون.

«ما نوع الحياة التي كانت لهذه المرأة التي يتمدد جسدها تحت سكيني الآن؟ إن الأمر لا يهم حقاً، مع ذلك، أياً كان نوع الشخص الذي كانت عليه، أيضاً، كان يجب إنقاذها!»

مهدئاً من الجيشان العميق للعاطفة التي استيقظت في قلبه، قدر المستطاع. لم يتحدث يوشيو مع يامادا لكنه احتفظ لنفسه بالاضطراب. كان من عادة يوشيو أن يغلق عينيه ويقوم بالصلاة للحظة ويطلب الهداية عندما يكون في ورطة. كان عليه إتخاذ قرار حاسم، وإلا أصبح في ورطة معقدة، وإلا العرفان بالجميل «عندما لا يريد أن ينسى».

عندما يحدث له أمر حسن. الآن في سبيل تهدئة الإنفعال الذي استحوذ على تعبه، يتوقف عن التشريح، ودون أن يلحظه زملاؤه الطلاب من حوله، أغلق عينيه وبدأ يصلي على نحو غير واضح!

«آلهي إنني أصلي للمرأة التي يتمدد جسمها هنا، أرجوك اضمن لها خلاصاً سماوياً، واشملها بسلامتك الدائمة باسم المسيح آمين»

بعد ذلك، وعلى الفور، حدث، مالا يصدق.

انهمرت الدموع، واحدة وراء الأخرى، من الغدد الدمعية بالقرب من جسر أنف الجثمان، وتدحرجت من داخل زوايا كلا العينين. عبر مقلتي العينين، كما لو كانت لاتزال لم تمس بالسكين أو المقص، وتحت الوجنات المغمورة، قليل من الدموع الخفيفة. ومن الطبيعي أن هذه الدموع القليلة على وجنات الجثمان، قد تبللت عندئذ وامتزجت بالفور مالين واختفت بالكامل دون أن يلاحظهّا يوشيو والطلاب الآخرون الذين لم يحلموا مطلقاً بأن تحدث مثل هذه الأمور.

مع مرور الوقت، عندما اقترب الصيف، بدأ وهج شمس بعد الظهر الحار يخمد الهمم عندما تقترب الساعة من السادسة. وأصبح ظلال هياكل النوافذ مطولاً ومشوهاً، كما بدأ في آخر الأمر بالسقوط على الطلاب وعلى الجثث.

كان الدكتور نوغوشي يتمشى صاعداً نازلاً بين طاولات التشريح، زاماً شفتيه، وهازاً رأسه بنوع من الإنتظام، بحيث يوحي تقلص عضلات الوجه اللا إرادي بالتعب، بعد قليل وبكل هدوء يغادر الغرفة على نحو مفاجىء بدون كلمة بوضوح، أخذاً ذلك كتلميح لهم، وحزم واتانابي وطالبين أو ثلاثة آخرون أغراضهم وغادروا أيضاً «يجب أن تغلق غرفة التشريح حتى الوقت الذي يحصلون به على تقرير عن عملهم الجزئي»، فكر يوشيو. وبست وثلاثين ساعة كافية بالتأكيد، وبدأت الظلمة تزحف إلى الغرفة، وشرع كل واحد، ماعدا يوشيو ويامادا بالذهاب إلى منازلهم.

كان يوشيو قد سر تماماً من العمل الذي قام به اليوم، فقد عين الأعصاب الصغيرة لما تحت الجلد،في العين والأوعية الدموية للوجه. وحدد مجرى

الأعصاب الوجهي، وكما حدد عضلات الوجه مثل تلك العضلة الكروية للعين، والعضلة المضغية، كما فحص أيضاً الصدع الحجري الأعلى للغصن الأول للعصب مثلث التوائم، والمكان، الذي يوجد فيه الغصن الثالث للعصب الذي يمر فيه لدى الرجال المتقدمين عقلياً. وقَطْ يوشيو نفسه وبسهولة، وضرب مؤخرته، بعد أن انتصب واقفاً على مسند القدمين، في آخر الأمر، حيث كانت تؤلمه من كونه يجلس وينحني إلى الأمام على الجثمان مدة طويلة. ويسترد كتبه من خزانة صغيرة تقع تحت طاولة التشريح، ويضعها فوق الكرسي، ويضع أطلس الروبر في الأعلى، وبدا يامادا أنه يريد الإستمرار في العمل، لكن عندما ألح عليه يوشيو، نهض، وساعد يوشيو على وضع الملاءة من القماش الزيتي فوق الجثمان. من ثم ذهبا ليغسلا وجهيهما وأيديهما في الحوض في الجانب الشرقي من الغرفة حيث لا يصل نور الشمس لهذا الجزء منها، وبناءً على ذلك فهي مظلمة في ذلك الحين، قليلاً، مع قتامة حمرة الأفق عند الغروب، ونوافذها رمادية قاتمة، ولايزال القليل من الجزء العلوي من الزجاج يحفر شبكة مع الخط القطري لخطوط الورق التي كانت تُغَرَّى بها خلال الوقت الحار للمحافظة على الزجاج المتهشم من انفجارات القنابل من السقوط إلى الغرفة.

كانت أصابع يوشيو مُجَمَّدَةٌ، مثل تلك لدى الجثث، وبيضاء، نتيجة الإتصال بالفورمالين، وكان يشعر أن حواسه قد تخدرت قليلاً. وقف إلى جانب يامادا، وشرع بغسل يديه بقطعة صابون مشوهة واكتشفوا أن الثانية كانت قد غطست، فالكلية لم تكن قادرة على تزويد المغاسل بالصابون، لهذا كان على البعض أن يحضرها من المنزل، وكانت تشبه الصابون الذي كان يصنع في البيوت، أو الصابون المصنوع في السوق السوداء. فرك يوشيو يديه بشدة بقطعة الصابون المهترئة، محاولاً التخلص من رائحة الفورمالين بالكامل قدر الإمكان. وذكرته رائحة الصابون الزيتية ولونها البرتقالي الضارب للحمرة بصابون المصبغة بما قبل الحرب، وكان الشيء الوحيد في اليابان الذي يمكن مقارنته بوفرته خلال تلك الفترة لما بعد الحرب، بالماء المنصب من الحنفية.

كان الشيء الغريب، الذي لا يصدق، أيضاً، ما حدث على طاولة

التشريح في الجانب الآخر من الغرفة. فاليد اليسرى للجثمان الذي كانْ يوشيو ويامادا يشرحانه تدلت عضلاتها الكالحة. والأوعية الدموية، والأعصاب، واندفعت خارجاً من تحت الغطاء الزيتي مثل أسلاك الكهرباء، فلو لاحظ يوشيو ويامادا ذلك، كان بالإمكان أن يتلقيان رعباً طوال حياتهما، ومن المحتمل الإصابة بالدوار. كما لو كانا ينتظران هذه المصادفة، بينما كان الطالبان مشغولين بغسل نفسيهما بدأ الجثمان بتمرير أصابعه فوق كومة كتب يوشيو. ووجدا واحدة كانت تتطلع من أعلى أطلس روبر التشريحي. وتأخذ الكتاب الثقيل من الكومة وتزلقه بهدوء، مع ذلك، بطريقة غير متقنة لحد ما إلى خزانة صغيرة تحت طاولة التشريح.

قال يوشيو، دعنا غداً نعمل في المنطقة حول الغدة النكفية ثم نشرع في العمل في الأذن، حسن؟ وكان يوجه كلامه إلى يامادا، عندما انتهى من غسل يديه وتجفيفهما، من ثم رجع إلى طاولة التشريح، وتناول كتبه ووضعها تحت ذراعه، دون تفكير، وخرج مع يامادا، وأغلقا الباب، بعد التأكد فيما إذا كانا الأخيرين في الخروج، وأن الباب لا يزال مفتوحاً. كانت مسكة الباب مخلعة الأوصال، وذات بورسلان متنوع من الأبيض، وكانت حسبما هو محتمل عتيقة من عصر المايجي. عندما سار يوشيو ويامادا مَرّا برفوف العَيِّنات، خارج البناء، بدت الحرارة أخفض بدرجات قليلة. وكانت السماء إلى الغرب متوهجة باحمرار برتقالي عميق، ورسمت صورة ظليلة. مقابل هذه الأشكال شديدة الشحوب، أشكال العصافير السوداء التي كانت تطير عائدة إلى أعشاشها باتجاه قصر كيوتو الإمبراطوري، وكلها مسودة.

بعد الصف:

كانت دراجة يوشيو قد أوقفت في أحد الأماكن المخصصة لوقوف الدراجات الأقرب إلى المدخل، المواجه لذلك اللوح الخشبي القديم للمستشفى. وبعد أن ربط أمتعته على منصب دراجته توجه إلى البيت. كانت عادة يوشيو إتباع عكس الطريق الذي يأخذه كل صباح إلى كلية الطب، ركب دراجته، غرباً عبر شارع كاواراماشي العريض، جنوباً إلى شارع تيراماشي، ثم غرباً مسافة قصيرة في شارع ماروتاماشي العريض وجنوباً في

شارع غوكوماشي، عبر شارع وايك العريض. ثم نزولاً باتجاه منزل والديه في شارع تاكوياكوشي. بالعين المجردة، تبدو شوارع كيوتو، أفقية، لكن، عندما يركب دراجته باتجاه المنزل، يسجل جسم يوشيو الإنعطاف البسيط من الشمال إلى الجنوب، في الأرض المنبسطة. وتصبح الرحلة باتجاه المنزل في آخر الأمر، هي الأسهل، فالركوب ناعم، ولايتطلب ركوب الدراجة طاقة كبيرة. وكان مسروراً، لأن وقته في الكلية، خصوصاً الساعات التي يقضيها في مختبر التشريح، ممتعاً. فكان يوشيو يقود دراجته بجذل باتجاه المنزل.

تكون والدته بانتظار عودته، مع الغداء «مع ذلك، غداء بسيط، غير معقد» الجاهز من أجله. عندما يبدأ منطلقاً من نقطة تقاطع شارع غوكوماشي، ثم شارع وايك العريض، ثم من ناحية ثانية، يجتاز الشارع العريض بحذر شديد، متذكراً حادثاً وهو في طريقه إلى المنزل من كلية الطب، في ذلك التقاطع بالذات، تقدمت سيارة جيب عسكرية، تابعة لجيش الولايات المتحدة، مسرعة من الشرق إلى وايك، وصدمت مقدمة دولاب دراجته، قاذفة إياها خارج الشارع. مامن شك، لقد نجا باعجوبة. وباستعادة وعيه، تحقق له، أنه لو وصلت الجيب أو هو لتقاطع الطريق قبل جزء من الثانية على نحو أسرع، كان من المحتمل أن يقتل، أو يصاب بجروح بليغة على الأقل. وباعتبار أن الطرف الثاني عسكرياً من جيش الاحتلال، أصبح لزاماً عليه أن لايلجأ للمطالبة بالتعويض.

عندما تذكر يوشيو الحادث مع الموت، سرت قشعريرة في عموده الفقري، في الوقت نفسه، شعر بالامتنان، بأن الحادث الغريب، لم ينتج عنه سوى التواء الدولاب. تذكر يوشيو، لحناً لأغنية شعبية واسعة الانتشار حديثة العهد بين جنود جيش الاحتلال:«أنت سعادتي»، غالباً ماتأتي على شفتيه على نحو طبيعي عندما يركب دراجته. وقد تعلمها من ليدا، وهو طالب لاهوت من جامعة دوشان. كانت كلمات الأغنية الإنكليزية بسيطة وسهلة نسبياً على تذكرها. ولاتزال كما كانت عليه منذ عام مضى. ولم يكن يوشيو يحلم بغناء أغنية لشعب معادٍ أو على أقل تقدير أن يحب أغنية خالية من الهجوم.

كانت الأنوار مضاءة، عندما وصل إلى البيت، وكان والده قد بدأ في

الوقت نفسه بمعاينة مرضاه في المستشفى الذي يعمل فيه في المساء. ودمدم بكلمات شكر قليلة بنعومة لجهود والده الذي لايعرف التعب في سلوكه تجاه عائلته، فتح يوشيو الباب الخصوصي الشرقي في المستشفى الذي يؤدي إلى واجهة البيت، ودخل إلى الممر الذي يقود على طول المستشفى وداخل الحديقة إلى باب مساكن معيشة العائلة. كان الممر يحاذي الجانب الأيمن لدهليز يوصل إلى مركز الطب السريري ومساكن المعيشة، وخارج ذلك تفتح الغرف المنفصلة على المكان الذي يشتمل على الحمام والمرحاض والمغسلة. في الجانب الآخر، فإن الممر يحاذي الحديقة من الداخل، ويفتح باب خصوصي آخر إلى مناطق مسكن العائلة في نهاية الممر. دخل يوشيو إلى البيت. أسند دراجته على حائط المدخل، وأخذ كتبه وأشياء أخرى من منصب الدراجة، وجمعها تحت ذراعه، ونادى على والدته، «انني هنا».

ردت والدته: «مرحباً بعودتك. أظنك تعب وتشعر بالجوع» في اللحظة التي سمع بها صوتها.

ألقى بنفسه على خشبة في غرفة الطعام التي كان يسميها غرفة البيانو منذ الطفولة، لأن فيها بيانو، في إحدى زواياها. وضعت والدته زبدية فيها فروجاً مخلوطاً بالأرز على طاولة مستديرة قبالته. وكان الفروج في تلك الأيام، من الطعام الترفي.

«لقد أحضره جدك من عند عمك الذي يعيش في ماجي» قالت والدته، موضحة أن الندرة في الفروج أخذت طريقها إلى طاولتهم. تذكر يوشيو سنين طفولته قبل الحرب ل«أيام ماضية جيدة» الزمن الذي كان يوجد فيه دائماً قدر وافر من المندرين يحفظه تحت طاولة مستديرة في الشتاء، ويرسل للعائلة كهدايا من قبل أناس عديدين، ومن صناديق الفواكه والحلوى تطرح أكداساً في المدخل وراء الساحة المشرعة الأبواب. أما زمن الحرب، فقد أصبح الطعام نادراً، في منطقة المحيط الهادي، وكذلك في الأيام الأخيرة من الحرب، ولاتزال للآن، وتحول النقص في الطعام بعد هزيمة اليابان إلى كارثة. وأصبح حتى وجه والده نحيلاً منتفخاً، منذ شهور طويلة بسبب قلة الطعام. فكان والده يحاول، خلال الفترات العاجلة بين ساعات صباحاته ومساءاته في العيادة، أن يجعل

جرايته غير المستساغة من الأرز غير المقشور، والمستساغ قليلاً لحد ما، بِقَدَرِ مايمكن مثل الأرز الأبيض، كبديل مؤقت لعملية القشر. وكان عليه أن يضع قليلاً من الأرز في زجاجة الساكي الفارغة كبيرة، ويدفع قضيباً فيها من خلال رقبة الزجاجة مرة بعد مرة، وكان يوشيو أيضاً، غالباً ما يرى والده يسحق جرايتهم من الذرة بطاحونة من الحجر لعمل الطحين للخبز أو الكعك القاسي.

بعد تناول الطعام المصنوع بيدي والدته الحبيبة الساهرة والذي لم يكن كافياً تماماً لتجعله يشعر بالشبع. ينتقل يوشيو للراديو الذي كان يوضع في درج صغير في زاوية الغرفة. وأصبح مؤخراً، من غير العادة العودة للمنزل اليوم. لولا البرنامج الانكليزي للمحادثة تحت عنوان «تعال، تعال، كل واحد» والذي يبث منذ شهر ايلول، بعد هزيمة اليابان تماماً، وكان قبل ذلك قد توقف، لكن، أخذت محطة تابعة لجيش الاحتلال تذيع سلسلة أغاني دويس داي، رحلة عاطفية» وفرانك سيناترا «الحلم»وبيري كومو، حتى نهاية الزمن، وأغان أخرى مثل:«كان ذلك، منذ زمن بعيد، بعيد جداً»، و«أنت تخص قلبي» التي أصبحت شعبيةبشكل واسع، بين عساكر جيش الاحتلال، وكانت الموسيقى في الواقع محل ترحيب من قبل آذان المستمعين اليابانيين عند سماعهم للراديو، والذي دام حتى انتهاء الحرب بشهر آب الماضي، لايقدم أغاني سوى أغاني ومارشات عسكرية، ليلاً نهاراً.

كان يوشيو يعتقد أن باستطاعته إغناء حياته المفقرة على الأقل من خلال الموسيقى، على الرغم من ندرة الطعام والثياب والسكن. فكان يستمع إلى تسجيلات الحاكي قبل الحرب وخلالها، كذلك من الموسيقى الكلاسيكية الأثيرة لديه، ويتحمل نوعية الصوت السحيق للتسجيلات. وهكذا صنع من الورق المقوى المغطى بالباكليت، وعلى نحو فقير، ألحاناً كانوا يحبونها، يلقيها على قرص الحاكي مع إبرة من الخيزران. وبعد عدة سنوات من الاستماع إلى مثل هذه «الموسيقى»، وعلى نحو تحكمي، أخذ يرحب بعض الشيء بشوق شديد تقريباً بالموسيقى الشعبية الأمريكية لما بعد الحرب، أو لأية أغنية أمريكية جيدة، وحديثاً، وجد نفسه يستمتع عند الاستماع للموسيقى عن طريق الراديو، الذي كان يقدم على الأقل نوعية صوت جيد.

عندما كان يوشيو يستمع للراديو حوالي ساعة واحدة، أو هكذا، بعد الغداء، كان عليه أيضاً أن يفكر بدراسته المتوجبة نهاراً خصوصاً في مختبر التشريح، وهذا قد بدأ يثقل عقله. فنهض على مضض وتوجه إلى غرفته فوق الدرج.

ماأن اجتاز بقوة، وبشكل ساخر على نحو كافٍ، وكأنه على موعد، يصبح المكان وقد غطس في ظلام دامس. نهض لفترة وقد أحس بالكسل، وتلمس يوشيو طريقه إلى السرير وألقى بنفسه عليه. ماأن تمدد في الظلمة لم يعد قادراً على تذكر الأوقات التي تعرض فيها للتمهيد للغارات الجوية التي لاتحصى، كذلك التحذيرات من الغارات الجوية أثناء الحرب. ارتحلت نظرة يوشيو المحدقة إلى السقف الذي بدا له اسوداً بسبب الظلام المخيم، حيث حط نظره على ثقب ضخم لازال يذكره. في تلك الأثناء عندما كانت نار القنابل المتساقطة على المدن اليابانية خلال الغارات الجوية للطائرات الأمريكية، كان والد يوشيو، مثله مثل الاخرين كرب عائلة في كيوتو، كان يؤمر من قبل السلطات أن يفتح ثقباً في السقف، بحيث يكون لهم طريقاً للوصول للسقف للنجاة من النار، إذا ما سقطت إحدى القنابل الحارقة من نوع النابالم على سطح منزلهم. مع ذلك، من الناحية العملية فإن هذا التكتيك قد أثبت على كونه لاشيء، أكثر من فكرة طفولية، وكانت على الأغلب، فكرة غير مجدية، في المدن الأخرى التي قصفت بقنابل حارقة.

كان اليابان يناضل من أجل التعويض عن هزيمته، لكن البلاد كانت تنزف مواردها، واستوردت موارد خلال فترة الحرب، ولايزال طريق التعويض طويلاً، كما كان النقص في الحاجات الأساسية واضحاً، مثل الكهرباءفبعد ساعة تطفأ الأنوار على الأغلب، وهذا يبدي ماترمز إليه حالة اليابان الجارية من الأسى والحزن، أخيراً انتهى ذلك الوضع، وعادت الكهرباء، وأنارت البيوت، والآن، أصبح بإمكان يوشيو الدراسة، فأصبح يجلس على طاولة وتقليب أطلس روبر التشريحي، من بين الكتب والملحوظات التي كان يحضرها إلى المنزل من كلية الطب.

«ماذا ؟ لكن، إن ذلك صحيح هنا! هَمْهَمَ يوشيو لنفسه معبراً عن الشك، كما لو أن حدسه حذره بأن أطلسه الروبر، الثمين لم يكن هنا.

عودة إلى غرفة التشريح في الليل

«ماذا يمكن أن يحدث له؟» سأل يوشيو نفسه، مرات ومرات، أيعذب نفسه من فقده الكتاب، فالرحلة والعودة إلى الكلية للبحث عن الكتاب في هذا الوقت من الليل، لم تكن مضمونة، لأنه قد ربط كتبه بأمان على منصة دراجته الهوائية، ولايمكن أن يكون قد سقط وهو في طريقه إلى البيت، وهكذا إذن يجب أن يكون قد تركه في غرفة التشريح. وبوصوله للتفكير بذلك، لم يعد يستطيع التذكر، بكل تأكيد، هل كان معه أطلس روبر الضخم عندما ترك الصف. أصبح يوشيو حانقاً بسبب إهماله، إذ لم يعاين العمل الذي سيعطى في الصف اليوم، كذلك الاعداد من أجل الصف غداً، وشعر بالخوف، فقد سقط بشكل لم يعد بالإمكان إصلاحه في درس علم التشريح الضخم. والأسوأ، مع قدوم عطلة الصيف، وسيصبح الدكتور يوغوشي، مجبراً على إعطائه إختباراً شفهياً حالاً، وإذا لم يجتز ذلك الاختبار، فإن درجته النهائية في الصف ستكون موضع شك بالتأكيد.

لقد أصبح تعباً على نحو أكيد، وشعر حقاً، أكثر من ذلك، بالكره الشديد للعودة إلى غرفة التشريح لوحده متأخراً في الليل، وعلى الرغم من أنه كان يذهب بصورة منتظمة إلى هناك، قبل أكثر من ثلاثة أشهر، وكان معتاداً تماماً، إلى حدما، على الجو المضطرب. إلى جانب ذلك، لم يكن الروبر الوحيد كأطلس تشريحي ليكون لديه، وكلا الأطلسين اليابانيين، أحدهما للدكتور موري، الذي كان مكتوباً بصورة جيدة وبكل معنى الكلمة، «مع ذلك مطبوعاً بصورة رديئة»، وأطلس والد يوشيو التشريحي السباليتهوهلز، الذي كان نوعاً ما مهملاً وعتيقاً، وربما أن يجد واحداً في أحد خزائن والده للكتب، بالتأكيد، حاول يوشيو أن يقنع نفسه أنه يستطيع عمل ذلك بأحد هذه الأطلسات في هذه الكلية، فهل يمكنه؟ كانت نتيجة ذلك، أنه أصبح يستخدم الروبر، وكان أفضل أطلس تشريحي بلا جدال. ولم يستطع مع ذلك، تجاهل احتمال أن يحصل على أطلس من الكلية في الصباح التالي.

لكن، استنتج يوشيو، «من الأفضل الحصول عليه الآن»، وأنني ذاهب للحصول على شيء تركته في الكلية، لكن يجب الحصول على المفتاح، وهكذا توجه إلى هناك، للطابق الأسفل.

أمي، نادى يوشيو، وهو في طريقه خارج الباب، «انني ذاهب من أجل الحصول على شيء تركته في الكلية، لاتقلقي، ولاتنتظريني، سآخذ الترام إلى الجامعة، وسيكون ذلك أسهل وأسرع من دراجتي». يجب أن أحصل على المفتاح، وهكذا، توجه إلى هناك، وانطلق في جنح الظلام، واندفع باتجاه تقاطع شارع كاواراماشي العريض مع شارع تاكوياكوشي. ولقد أصبح ليل كيوتو أكثر مضاءً قليلاً منذ نهاية الحرب، لكن كان حتى مركز المدينة لايزال أكثر ظلمة مما كان عليه قبل الحرب. فالسماء فوقه كانت خالية من القمر والنجوم، كما لم تكن توجد حركة مرور في الشوارع باستثناء مرور عرضي لسيارة جيب من جيش الولايات المتحدة.

«أيها الصبي، حقاً إن الوقت متأخر، للعودة للبيت، وبالتالي لااستطيع الشروع في الدراسة. إن ذلك وكأنني ذاهب لأمر آخر في الليل البهيم. قال يوشيو لنفسه، عندما كان ينتظر في موقف الترام. ثم جاء الترام أخيراً، يقعقع بطريقة أخرى في الشارع الخالي، بسرعة وعنف. ويهزهز من جانب لآخر. كانت الترامو ايات تنقل اللذين يتوجهون لفترة العمل في النهار، لكن في هذا الوقت من الليل، لايوجد إلا القليل جداً من الركاب، وكان يسمع أحياناً خشخشة غريبة صادرة عن الترام، وتعجب يوشيو، فيما إذا كان يوجد خطأ ما فيه. اجتاز الترام شارع كاواراماشي العريض على نحو مستقيم باتجاه شارع سانجو، من ثم شارع بنجو، ثم أخيراً إلى الجدار الغربي للحرم الجامعي الذي يمر باتجاه الشمال متوازياً مع كاواراماشي، وأصبح خط الترام تحت النظر، من خلال نوافذ واجهة الترام، وكان خط السكة الحديدية في المواجهة واضحاً، فقط لمسافة قصيرة، ووراء ذلك يصبح غاطساً في الظلام.

كانت جميع نوافذ الأبنية المؤدية إلى مخابر الطب الأساسية لاتزال مظلمة، من المحتمل لأن الكلية لاتزال غير مكتملة من حيث الكادر، وكان البناء نفسه محاطاً في الظلام.

في هذه النقطة، أصبح ليوشيو أفكاراً مقلقة حول الذهاب إلى غرفة التشريح وحده في هذا الوقت المتأخر من الليل وبدأن أحداث وقت النهار في غرفة التشريح وسكانها من الأموات تغزو عقله، وأخذ فكره يجرفه بتيار من

الرعب، لانعدام أي نشاط هناك. فالحي السكني الذي يقطنه الرجل العجوز الذي يعمل كحاجب في إدارة علم التشريح، كان بعيداً تماماً من غرفة التشريح، وهكذا باستطاعة يوشيو الذهاب إليه بصعوبة وسؤاله لمرافقته في مهمة في منتصف الليل.

فهل يمكن أن يتخلى عن الفكرة والعودة للمنزل؟ لكن ذلك قد يعتبر أمراً سخيفاً. بعد كل ذلك، فإنه لن يكون هناك شبح يهاجمه، ويسيطر عليه. على أي حال، لم يقم بأي شيء مطلقاً لإعطاء الجثث في غرفة التشريح سبباً للتذمر والقفز عليه. صحيح أنه قطعها بالمقصات، لكن حتى ذلك، فإنه فقط قام بدراسة نبيلة للطب.آه، لقد أحس باضطراب وارتباك، بين الفينة والفينة، وعلى نحو غير ضروري، وحتى فصل نصل عصب هام أو وعاء دموي، بالتأكيد، هي أخطاء بريئة، ويمكن أن تكون محل تسامح. انطلقت مثل هذه الأفكار، في ذهن يوشيو، عندها شرع الترام بالتباطؤ عندما اقترب من الموقف التالي.

مستشفى كلية طب راكوهوكو! الموقف التالي، مستشفى كلية طب راكوهوكو» ما أن ترجل من القاطرة مسرعاً، نتيجة صوت السائق الداوي، والخالي من المعنى، حتى قفز يوشيو بسرعة إلى الشارع. «تنغ، تنغ» كانت تلك إشارة السائق من أجل متابعة السير، بوضوح، في هواء الليل الساكن. واتجه الترام المقعقع نحو الشمال، واختفى على الفور، في ظلام الليل، تاركاً يوشيو واقفاً لوحده بجانب السكة في الشارع.

تلاشت فكرة العودة للمنزل تماماً، ودخل يوشيو بعزم من الباب الرئيس وتوجه نحو غرفة التشريح. تعثر عدة مرات في الظلمة أثناء اجتيازه الدرج الواقع بين البناء الرئيس والقاعة رقم (١)، لكن، تحول أخيراً إلى مكان فيه النور معتم قليلاً في الممر. عندما اقترب من المدخل حتى صوت الصفحة المعدنية الصغيرة في نعل الحذاء تعطي صدى دائماً حينما تصطدم بالإسمنت عندما يمشي، وهكذا، وجد نفسه مرعوباً حتى من خياله المضطرب على نحو غريب. أصبح يوشيو قلقاً على نحو شديد، عندما وقف أمام باب البناء الذي يحتوي غرفة التشريح، وشعر بدقات قلبه السريعة وهي تدوي. وكان يعرف أن

ذلك الباب ليس الباب الخارجي، ولا باب غرفة التشريح، فقد ترك مقفلاً. وكان مقبض باب كل غرفة غير ثابت وواهناً، ويقال عن الأبواب إنها من الصعب إغلاقها حتى إذا دارت المفاتيح في الأقفال.

أمسك يوشيو بمقبض الباب، بعد أن دفع الباب الخارجي وفتحه، وسمع صريراً عالياً، وعبر الباب في الضوء الخافت حيث المصباح المعلق هو الضوء الوحيد المُعَلّق في السقف، ويعطي النور على الوجوه الشاحبة، وأجسام الأجنة المشوهة الطافية في زجاجات مملوءة بعينات على نحو بشع. وكان يوشيو يستخدم جنيناً بعين واحدة عندما كان يراه في وقت النهار عادة، مع ذلك، فقد بدت العين الآن أوسع وكأنها تحدق فيه وكأنها تتوعده، وأصبح فزعاً حتى درجة الموت.

فأغلق يوشيو عينيه على نحو تام، وضيق من تحديقه لكي يحصل على تماسك نفسه ويتغلب على ذعره قدر ما يمكن، حيث أصبح مباشرة في مواجهة الجثث عندما وقف أمام باب غرفة التشريح في الضوء الخافت، وبدت مضيئة، مقابل الظلمة المحيطة.

حاول ملء نفسه بالعزم والتصميم لتنفيذ المهمة، فأدار يوشيو قبضة الباب إلى اليمين، وفتح الباب بعنف. كان مقتنعاً أن ذلك، العمل الأنفعالي قد يبدد من خوفه، وأكثر من ذلك، إبعاد أية أرواح شريرة مؤذية، إذا حدث مثل هذه الأمور من قبل هذه المخلوقات.

«أمر لا يصدق، إذ صرخت» منتظراً هناك لتسبب له الأذى. صار استنباطه العقلي مشابهاً لذلك الساموراي في قصة الشبح القديمة الذي تَوَعَّدَ الشبح «اغرب» عندما شرطه بضربة سيفه.

خطا يوشيو داخل غرفة التشريح المظلمة وعندها مد يده اليمين ليمسك مفتاح الضوء، فتمثل له مشهد ليس من هذا العالم أمام عينيه، مشهد لا يصدق، يفوق الخيال.

أول لقاء مع الأرواح:

حتى في الظلام، فالنوافذ في الواجهة الغربية من غرفة العمليات تبدو رمادية، ضبابية، خطوط كفافية متعامدة، من المحتمل بسبب مسافة الضوء المشع في الخارج في مكان ما، أصبحت عيون يوشيو واسعة من الرعب، وكانت مركزة بإحكام على شيء ما في وسط الغرفة، رؤيا من عالم آخر يتحدى كل وصف بكلمة أو صورة مجردة، مشوهة، لاشكل لها، كتلة تتوهج، ظهرت فجأة وكأنها مصنوعة من آلاف الكرات بالغة الصغر والتألق كالحباحب المتعددة.

أصيب بدوار تقريباً، فانتصب واقفاً يتفرس ذلك الشبح، كتلة متألقة عندما بدأت بالتحرك مبتعدة عن باقي الكتلة وباتجاهه. في اللحظة التالية، فقد وعى أن ما كان قد ظهر حتى الآن، عديم الشكل، كانت الكتلة المتوهجة، آخذة الآن شكلاً إنسانياً غامضاً. كانت الخطوط الكفافية غامضة، لكنها إنسانية على نحو واضح. عندما اقترب الشبح أكثر، فكر يوشيو بأن يتعرف على وجهه، فبدا له أن ذلك لإمرأة متوسطة العمر. وتذكر بأنه شاهدها من قبل في مكان ما. وتوجه الشكل نحوه حتى مع عدم وجود أي أثر لعداوته مهما كانت صغيرة في وجهه، وكان يبتسم برقة، وبدا كأنه عهد إليه مهمة الإشراف على جو الغرفة مع عبير سلام شديد.

حتى تحت الظروف العادية، فإن وجود شخص لوحده في غرفة مملوءة بالجثث الميتة، يمكن التوقع، أن يصاب بالرعب بشكل معقول من مكانه، إذا قفز قط تائه عليه في الظلام. وعلى نحو معاكس إذا ظهر شيء ما بصورة غير متوقعة بكل مافي الكلمة من معنى لا يمكن أن يبقى أحد ما هادئاً لبعض الوقت. رغم ذلك، يمكن، لكن ليس على الأغلب، للتجربة المرعبة أن تصبح سبباً للخوف، إذا كان هناك شيء ما يشبه الكائن الحي، لكن ليس من هذا العالم، وعلى نحو واضح، وظهر في مثل هذا الوقت، في مثل هذا المكان؟ مع ذلك، أصبحت احساسات يوشيو بالكامل في حالة إنذار، بواسطة بعض القوة فوق الفهم الإنساني، لقد شعر كما لو كان قد سحب إلى عالم آخر، وتحول إلى عالم مليء بالخوف، حتى إذا لم يوجد مبرر له. كان عقله في حالة سلام لكنه

أختبر شعوراً جديداً كلياً. وبقيت إحساساته الجسدية متوترة، فكان يدرك كل شيء حوله، وبوضوح، وعلى نحو خارق للطبيعة.

مع ذلك، فقد تجمد يوشيو من أول إشارة صادرة عن الشبح، وأنه لم يضيء الأنوار، والجزء من الغرفة الذي كان يوشيو يقف فيه تدريجياً يحصل على النور عندما اقترب منه، بدأ يتكلم بنعومة، كان صوته جميلاً، لطيفاً ومبجلاً، وبلهجة لم يسمع بها من قبل مطلقاً في هذا العالم. وهو لم يستطيع ان يعلم فيما إذا كان الصوت يأتي من فم مفتوح لهذا الشكل أو فيما إذا كان قادم بطريقة ما قد صدر عن جسم الشكل بالكامل.

«لا تخف، إنني آسف، لقد أخفتك».

لم يكن يوشيو متأكداً ما إذا كان يسمع الصوت بآذانه أم وعيها من خلال نوع من التلباتي، لكنه لم يستطع أن يفهم بوضوح. ماذا قال الشكل.

نحن أرواح الجثث التي تتشرح هنا. أرواح؟، هممهم يوشيو على نحو مريب.

نعم أرواح. حسن، حقاً، ليس المهم ماذا نسميها، لكننا لسنا ما يدعوه الناس في عالم الأحياء؟ «بالأشباح» «أرواح شريرة. أو «أرواح شؤم»، دعنا نقول، تماماً، إن كل واحد منا، فيه قوة الحياة الجماعية مؤلف من تريولونات الخلايا الفردية التي تشكل أجسامنا عندما نكون أحياء. وكما تعلمون، الكائن الحي يتشكل من الجسد ومن ماهية أو الروح غير الملموسة التي تسكن في هذا الجسد– قوة الحياة، الروح– سمها ما شئت. لكن «الروح» حسبما هو محتمل، هي الأكثر ملاءمة للتفاهم. وبعد أن يموت الشخص، تصبح قوة الحياة، منفصلة عن الجسم، وتصبح روحاً.والجسم يموت، ويتلف. فهي عادة فوق ذلك، ويتعفن الجسم في الأرض حيث يدفن، أو حيث يحرق ويتحول إلى رماد خلال إحراق جثث الموتى. والحالة هذه، فإنه يتحول إلى حالة من المادة المجردة، كما في حالة أجسامنا التي يحتفظ بها من أجل الدراسة الطبية. والروح من ناحية ثانية، تدخل إلى عالم جديد بعد الموت، عالم الأرواح».

رد يوشيو متحيراً، «فهمت».

تجاهلت الروح ملاحظة يوشيو الملائمة، وما إذا كان مستحيلاً تحديد ما يدرك بإخلاص عما قالته الروح، واستمر في الحديث.

يوشيو، لقد أتيت لهنا للتحدث معك حول شيء ما ذو أهمية كبيرة لك، أعني ماذا يحدث للناس بعد أن يموتوا، ليس تماماً نفسي، بل أيضاً أرواح الجثث الست الأخرى في هذه الغرفة التي ستعلمك حول حياتها على الأرض والمشقات المتنوعة التي تحملتها. لقد أتينا هذه الليلة إلى هنا، لأنه تمّ الإعتداء علينا. يوشيو، فمن أجل مصلحتك فيما يتعلق بنوع الحياة، قد قادت بالناس ليجلبوا الجثث إلى هنا، ولتقوم أنت وزملاؤك بتشريحها، لكن الأكثر من ذلك، لقد تحركت في الواقع، إنه بعد ظهر هذا اليوم وأثناء الصف، فإنك صليت لله من أجل خلاصي والسلام لروحي.

كان يوشيو لحد ما قد استعاد وعيه، وعرفت الروح اسمه.

حسن، أنا...أوه....حقاً لم يكن هناك أي شيء، ليس لدي قوة الإيمان كما يجب، فإنني لم أستطع الإحساس كما في الصلاة، تمتم بهياب.

«من فضلك، اقترب منا»، حثته الروح.

تقدم يوشيو مع إحساس بالذعر، ببطء باتجاه وسط الغرفة. والآن أصبح باستطاعته أن يتبين الهيئات الشخصية والجسمية للأشكال التي ظهرت من قبل لتشكل كتلة وحيدة متوهجة فوسفورياً.

توجه إليه شكل آخر واندفع إلى يمين يوشيو «فيما إذا كان مثل ذلك، التعبير الدنيوي يمكن أن ينطبق على الكائنات ذات العلاقة بالعالم غير العالم الواقعي»، وبدأ بالكلام، و يديه ممدودتان أمامه.

«إنني حقاً آسف لأننا سببنا لك الرعب، نحن الأموات المنتمين الآن إلى عالم الأرواح، ولا نظهر حقاً، في الواقع بهذا الشكل، بعضنا للبعض الآخر: وهو شكل مؤقت تماماً، إنها هيئة لتجعلنا واضحين للناس في عالم الحياة، مثلك تماماً، يايوشيو. لقد مُنحنا اذناً خاصاً من الروح القدس لنظهر أمامك بهذا الشكل. فيمابعد سأخبرك قليلاً حول حياتي، كنت رئيساً بجامعة إيكو غاكوين في نيشينوميا، وانني على ثقة أنك سمعت بها.

يجب أن تكون روح البروفيسور يوهارا من جامعة ساتيو الذي أصبح فيما بعد رئيس جامعة ايكو غاكوين، وتوفي أخيراً، حيث وقع ميتاً بعد وقت قصير من نهاية الحرب»، تغلب يوشيو على خوفه، على نحو مفاجيء، وارتعد عند توقع سماعه لقصة حياة البروفيسور يوهارا البارزة من شفتيه الخاصتين.

تابع الحديث: «نعم، إنني روح البروفيسور يوهارا، «وانني سأخبرك كل شيء حول نفسي فيما بعد، لكن، حقاً الآن، انني أرغب أن أعطيك فكرة عامة عما يشبه عالم الروح.

«في لحظة الموت، تنفصل الروح عن الجسد، وتتجه إلى السماء إلى أن يتفسخ الجسد، وللحظة ترتحل الروح عبر نوع من النفق المظلم والأسود كلية بدون مَمَرٍّ تماماً. وتجري الروح على طول النفق غافلة عن مرور الزمن كما يقاس بالساعات والأيام في عالم الحياة، وكما تعلم، لوقت ما لا يوجد زمن حقيقي في الأبدية. وانني أستخدم عبارة «النفق» هذا النفق لا يؤدي بالروح إلى تحت الأرض- بل إنها تصعد، وتشعر الروح نفسها كونها ترتفع إلى أعلى فأعلى، إلى مستوى جديد من الوجود.

في غضون ذلك، يتجمع أعضاء العائلة حول الباقين الأرضيين للشخص الذي عاش مرة ما بينهم. وروح الميت لها سلوك غامض عليهم، يطوق الجثمان ويسمع صراخهم على نحو بعيد من الأسى، لكن الروح لا تندفع بلا هدف فوق الآثار الأرضية، أو حول البيت، الذي يستخدم لتعيش فيه، والناس يعرفونها، لأنها تركت الجسم وراءها، وصعدت بعيداً فوقه. خلال الجنازة آخذاً على عاتقه القيام بما يلزم للجنازة، بالطبع». فالعائلة والأقارب والأصدقاء والمعارف الشخصيون، شاركوه أحزانه، وقاموا بالتأبينات، . الصلوات والتراتيل من أجل راحة الميت، لكن، حتى روح ذلك الشخص. بعيدة جداً، في عالم آخر، عالم الأرواح، ويحدث الأمر نفسه مع أرواح الناس الذين يلقون حتفهم وحدهم، وغير ملاحظ- مثلاً في الحرب. هكذا، يمكننا أن نقول أن الجنازة ليست من مصلحة الميت كثيراً، كما أنها ليست من أجل مصلحة هؤلاء الذين تركهم وراءه في عالم الحياة. لكن ذلك لا يعني أن الجنازات هي غير ذات جدوى، وخلو من المغزى. فالمصلون يرفعون من خلالها للرب أثناء الجنازة، الصلوات، لتكون مسموعة في

السماء، وتمنح البركة للروح المغادرة وللعائلة التي فقدت الميت وللأصدقاء على الأرض، الذين يتلقون العزاء والسلام من الأعلى...».

هل يشمل ذلك كل شخص- الفاضل، الشرير، المسن، والطفل - جميعهم يرفعوا إلى السماء؟ سأل يوشيو. بدت كلمات الروح متناقضة، بأن هذه الأفكار مقبولة لدى معظم الأديان، أعني أن الجيد يجب أن يخلص - ويدخل ملكوت السموات والجنة، والسيء أن يعاني العذاب الأبدي في جهنم.

«نعم»، أجابت روح البروفيسور يوهارا وكل الأرواح، تدخل عالم الأوراح، بعد ترك الجسم وراءها، لكن عالم الأرواح، ليس الجنة.

الإله كلي القدرة، الذي خلق كل شيء، وهو إله المحبة، وكما يقول الإنجيل: «أبانا في السماء، أنزل المطر على الصالحين وغير الصالحين».

هل تريد القول، إنه من غير المفيد أن تقوم بأعمال جيدة، أو تكون أفكارك جيدة في هذه الحياة؟،» قاطع يوشيو مرة أخرى الحديث».

كلا،كلا، مطلقاً! إن ذلك مكتوب في إنجيل متى، أن المسيح قال: «أعلمك الحقيقة، كل ما تعمله هو من أجل هؤلاء الأخوة خاصتي على الأقل». وهذا صحيح، فالأعمال الصالحة، تباركك، وترضي الرب، على نحو كبير، فبعملك هذه الأعمال والأفعال للحب الخالص، يعني أن الشخص يجمع غنى كبيراً في الجنة. لكن الناس ليسوا كاملين، والشخص الذي يقوم بأعمال صالحة، يحصل على الزهو بها تقريباً، في قلبه، وهكذا، يقوي من صلاحه. وطبيعي أن يعاقب الشخص، من أجل أعماله الشريرة. لكن جميع الناس، هم هكذا، منغمسون في الأثام بحيث ما من أحد يمكنه أن يمحو ذاته بالعمل الصالح، ولا يستطيع أي رجل أن يقف أمام الرب في طبيعته، في حالة من غير ندم على أعماله الشريرة. يمكن أن يظهر بمظاهر متناقضة ظاهرياً، لكن القلب الذي يتوب عن أعماله الشريرة ، ويفكر بشكل أكثر بما يرضي الرب، يجب أن لا يأخذه الغرور عَلَى أعماله الجيدة. وكما قال القديس بطرس: «إنني لا أقوم بالعمل الجيد الذي أريد، لكن الإثم الذي أقوم به، لا يمكن أن أرغب أن أقوم به».

«بالطبع، فهؤلاء الذين قاموا بأعمال شريرة يصمون آذانهم لكلمة الرب، وينكرون الإله خلال زمنهم على الأرض، فإنهم يتلقون عقوبة خاصة في عالم الأرواح، وعلى طول خطوط تلك الحواجز بين الجنة والنار الموصوفة في الكوميديا الإلهية لدانتي، والتي من المحتمل أن تكون قد قرأتها. لكن عليك أن لا تنسى أن الأسلوب الضمني لمثل هذه العقوبة، هي أولاً وأخيراً، حب الرب للجنس البشري، ورغبة في إنقاذنا».

«حسن، فإذا لم يستطع شخص ما الوقوف امام الرب في حالته الطبيعية من الشرور، فهل يتلقى الخلاص؟ سأل يوشيو، وماذا عليه أن يعمل»؟

التوهج الشديد للحب العالي يغمر وجه الروح، وفي لحن متذرع بالصبر لصديق قديم، وضح.

في سبيل انقاذ كل إنسان، نتيجة للرغبة الحرة، قد ارتكبت أعمالاً خاطئة، كذلك أعمالاً جيدة، من أجل تجديد العلاقة العادلة بين الرب والجنس البشري من أجل التخلص من أثام كل الناس، أرسل الرب ابنه الوحيد إلى العالم على صورة إنسان، هو يسوع المسيح».

محققاً بذلك، ضربة حظ هو الحصول على جواب حاسم لسؤال هام كان يقلقه منذ زمن طويل، كان سؤال ملك الروح من عالم ماوراء الموت، وتجرأ يوشيو مقاطعة حديث الروح مرة ثانية.

لكن، إذا أراد الرب، الذي هو ذو المعرفة غير المحدودة، وكلي القدرة، من كل واحد منا، أعني العمل مباشرة لإنقاذ الجنس البشري، بدون اللجوء لمثل المعاني غير المباشرة، كارسال الوسيط، أعني إلى العالم؟ وماذا حول العدد الضخم من الديانات المختلفة؟ فهناك شعوب تؤمن بالبوذية، وأخرى بالإسلام. ومنهم من يؤمن باليهودية. وبالطبع، يوجد من يؤمن بابلمسيحية، وفي قمة ذلك، توجد عقائد أخرى، أقيمت من أجل الربح الشخصي. فماذا حدث لكل هذه الشعوب التي تؤمن بالديانات المختلفة؟

«نعم، حسن، عندما كنت على قيد الحياة، بدأت روح البروفسور يوهارا بالحديث «انني أعتقد أن القمر نفسه كان واضحاً فوق القمة، مهما كان

الطريق، فالواحد يلاحق بدون انقطاع الجبل. هكذا، فبينما كنت أعمل في الجامعة، نظمت نادياً للناس يهتم بأمور الدين، حيث يمكن للناس من مختلف الديانات أو الطوائف الدينية امكانية التحدث سوية وتبادل الأفكار. لكن، عند دخول عالم الروح، أصبح من الواضح، بالنسبة لي، أنه توجد عقيدة واحدة حقة فقط. الطريق إلى الحقيقة ليس شيئاً ما يمكن إيجاده بأشكال متعددة، لكن الشعوب التي تعتقد بهذه الديانات المتنوعة، صرفوا حياتهم بتواضع وبجدية باحثين عن الحقيقة، والخلاص، يمنحون معاملة خاصة في عالم الأرواح. كان عليهم أن ينفقوا وقتاً قصيراً فقط هناك، من ثم، على الفور، يؤخذون إلى السماء. بالطبع، فالله، يمكنه العمل مباشرة، كما طرحت، لإنقاذ الجنس البشري، لكن على سبيل المثال، اعتبار عقيدة اليهود التي لاتعترف بالمسيح، كمخلص للجنس البشري، ولاتُسَلّم بضرورة التوسط بين الله والإنسان، ونقدر أن حقيقة المخلص لم تظهر على الأرض بعد. وفي سبيل أن يخلصنا الرب من الخطيئة، قد يحدث خلاص الجنس البشري. كان السر السماوي ضرورياً، ابن الرب كان قد ولد على شكل إنسان، وخبر العاطفة الإنسانية، وكان بدون خطيئة. لقد أخذ على عاتقه أخطاء جميع الجنس البشري بموته على الصليب، ثم بعث وصعد إلى السماء. النقطة الأساسية في العقيدة المسيحية، العقيدة التي فيها، ابن الرجل، هو المخلص للجنس البشري – تكون ضرورية للسر الإلهي.

حسن، حسن، تحولت هذه إلى شيء ما من التعليم الشفهي، أليس كذلك؟.

في هذه النقطة، روح المرأة التي تكلمت أولاً إلى يوشيو، خاطبت يوشيو من جديد:«عندما قالت روح البروفيسور يوهارا تماماً عندما يموت الناس وتدخل روحهم عالم الأرواح، فإنهم يتجمعون طبقاً لعقائدهم وأفعالهم خلال حياتهم. ففي حالة الشعب الذي ارتكب أخطاء، فعائلة الشخص، البنية الإجتماعية والتربوية، فمن الواجب أن تؤخذ بالاعتبار. وهذا لم يكن الشيء نفسه، إذا أخذت بالحساب الظروف الملطفة، كما يجري في مجتمعات عالم الحياة، إنها أكثر بكثير تماماً من عملية سديدة، فتقاس لكل شخص الحب الإلهي بواسطة مقياس معتمد. وكنتيجة، بعضهم يعتبر شخصاً شريراً على

الأرض، ويمكن أن يسمح له ترك عالم الأرواح بعد وقت قصير فقط، ويدخل في السماء، في حين يمكن لرجل الدين المسيحي، أو رجل الدين البوذي، أو زعيم دين آخر، من هوريائي يمكن أن يقضي زمناً طويلاً في عالم الأرواح في سبيل أن يصبح تائباً بإخلاص. فهؤلاء الذين يسمعون كلمات المسيح خلال حياتهم على الأرض، ومع ذلك، لايؤمنون، هؤلاء هم يقرون بالإيمان بالرب لكنهم لايعيشون حياتهم وفقاً لذلك. وهؤلاء الذين لايذلون أنفسهم، لكن بدلاً من ذلك، يمجدون ذاتهم الخاصة – فهؤلاء تكون أرواحهم محجوزة أو في إعتبار في عالم الأرواح».

في هذه النقطة، سأل يوشيو، سؤالاً آخر، ذو أهمية قصوى بالنسبة له.

هل لحظة الموت، رهيبة، حقاً؟ فعندما يموت الشخص، يقوى شعوره المبهم، وحتى، إن أحداً عاش حياة طويلة في الإيمان، مؤهل لأن يصبح مجنوناً، ومشوشاً ويهذي، فهل مثل هذا الشخص يمكن أن ينجو؟

ابتسمت روح المرأة بلطف، أشكر حنان الإله غير المحدود، إذ يصبح عقل الشخص متلبداً في لحظة الموت لتجنبه رعب الموت. هكذا، تجربة الموت ليست حقاً شيئاً رهيباً كما يتخيل الناس. أليس خوف الإنسان من الموت جزئياً هو خوف غريزي كنهاية لكل شيء، ولحد ما أيضاً، الخوف من العقاب بعد الموت بسبب الخطايا على الأرض؟ أكثر من ذلك، فالخوف من هذه النتائج المتخيلة تجعل من كل شيء أكثر رعباً بسبب مصيره الغامض».

هل يمكن أن أسأل سؤالاً آخر فقط؟ قاطعها من جديد يوشيو، وببطء وتردد. إن فهمه السابق عن وجود الأرواح قد تلاشى، وامتلأ عقله برغبة واحدة فقط، معرفة الحقيقة.

«يفصل معظم الناس عمن يحبون بسبب الموت في وقت ما. دعنا نقول إنه قبل الموت، يخبر الزوج زوجته! «إنني سأرحل وإنني أنتظرك». وهي تعيش عشرين أو ثلاثين عاماً أخرى، ثم تموت. فبأي ظرف، سيلتقي الزوج والزوجة من جديد؟ قد تبدو مثل هذه الأمور سخيفة، او موضوع تافه، لكن افتراض ذلك، يكون بأن سمح للناس أن يجتمع شملهم من جديد مع محبيهم بعد الموت

ودخلوهم عالم الأرواح، فهل لا تجد الروح في هذا المثال نفسها وقد اجتمعت وجرى لم الشمل مع زوجة عجوز على نحو كاف وكأنها أم له؟ وماذا بشأن الأم التي مات طفلها؟ فإنها تخرج عن طورها مع الحزن، وتعيش من أجل اليوم الذي سيجتمع شملها مع طفلها في السماء. لكن إذا ماتت الأم الشابة بعد خمسين عاماً أو ستين، وكما أمِلَتْ، سيكون عندئذ جمع الشمل مع طفلها الحبيب، يشبه، وَكَأَنَّ عمرها قد أصبح في السبعين أو الثمانين عاماً من عمر المرأة، وابن حفيدها، أليس كذلك؟ وماذا إذا مات ثلاثتهم جميعاً قد دخلوا عالم الأرواح، ماذا ستكون عليه العلاقة بين الزوجين؟ وهناك أمر آخر، يوجد، حسبما هو محتمل، بعض الأزواج والزوجات الذين لا يريدون أن يرى أحدهم الآخر مرة أخرى بعد موتهم، فإذا تجاوزنا موضوع الخلود سوية، فما يحدث لهما؟

«هذه أسئلة معقولة، يوشيو،» في هذه الأثناء، كانت روح الأستاذ يوهارا التي ترد على أسئلة يوشيو، «في عالم الأرواح، فالأشياء مختلفة تماماً عما يفكر به الناس في عالم الحياة، أو يأملون أن تكون. فالأم التي يموت طفلها، فإنه من المسموح أن تجمع شملها مع طفلها العزيز في الشروط نفسها حينما غادرها. وستشعر بالعواطف نفسها، ويظهر بالشكل نفسه لطفلها، فالآباء والإخوة والأخوات والأصدقاء، أو أي أشخاص لهم علاقة حميمة، قادرون على الإعتراف الواحد بالآخر على الفور، عند لقائهما من جديد في عالم الأرواح. وفي القديم، قاربت موضوع الظهور في عالم الأرواح لمدة قصيرة. دعنا نقول إن الشخص عنده جرح مشوه في وجهه عندما مات، الآن يمكنك أن تفكر أنه إذا دخلت عالم الأرواح، في ذلك الشرط، والتقيت بأحد أحبته، فإنه لن يتعرف عليه، ويمكن أن يخاف منه، لكن يمكن أن تفكر بآجالك الخاصة، في حدود فهم الإنسان. فكيفية الظهور في لحظة الموت هي غير متصلة بالموضوع. إذ نبدوا في عالم الأرواح لكل محب، في أغلب الأشكال ملاءمة لذلك الشخص. وهذه الإجتماعات مع مجيئنا تهيء لنا فرحاً عظيماً. من الطبيعي، أنت في عالم الحياة، غير مسموح لك أن ترى أو أن تسمع ما يجري في عالم الأرواح.

«لدي سؤال آخر أريد أن أطرحه حول العلاقة مع هذه الإجتماعات مع

المحبين في عالم الأرواح: الحياة هكذا، صعبة ويستطيع الواحد أن يقول أن قدرة ذلك الرجل على النسيان هي حقاً إحدى نعم الحياة. وإذا شعر شخص بالنسبة لباقي حياته بالحزن يخترقه، وبألم عاطفي بسبب فقدان عزيز، فمن المحتمل أن لا يصبح قادراً على تحمل ذلك، وقد يصاب بالجنون. وهكذا، من حسن الحظ، فالألم يتناقص ويتلاشى بالتدريج، لكنه يستمر إذا رغب الشخص بلقاء المحبوب مرة أخرى في عالم الأرواح الذي يكون قد سمع في السماء.

ففي أية حالة، يعني الإيمان بشيء غير مرئي فالموت المدرك، لكن غير المدرك موجود للأبد.

حسن، سيحصل في وقت متأخر. فالزمن لا اعتبار له عندنا كما في عالمكم، يوشيو، لكن، يجب علينا أن لا نحتفظ بك، من أجل دراستك في الغد، دعنا نتوقف هنا بالنسبة للآن. ودع النقاش الأبعد لهذه المواضيع لمناسبة أخرى، فالشروع هذه الليلة، يوشيو، بإذن منك، فنحن السبعة نعتزم أخذ دورنا لإخبارك حول حياتنا على الأرض– قصة حياة روح. وجميعنا كان يأخذ طريقاً خلال الحياة. فبعضنا عاش حياة تبدو كسولة وعادية، والبعض الآخر، عاش حياة مليئة بالأحداث. وبعض آخر، عاش حياة ممزوجة بالبهجة والحزن، وبالأمل، واليأس. لكن، حياتنا تشترك بصفة واحدة وهي عدم معرفة المستقبل، ولا حتى ولو للحظة عما في المستقبل. وماذا أكثر، فكل واحد منا، يصرف حياته بالكامل، بدون أن يكون مدركاً، حتى تلك الحقيقة، إنها كما لو أصبحت فجأة مغلفة بسديم، بينما تسير على طول سلسة، تلال أو جبال، وتستمر بالمسير، ومن ثم، ينقشع السديم قليلاً، وتنظر إلى الأسفل لترى أين أصبحت تقف، ومن ثم تشعر بقشعريرة تتسلل إلى عمودك الفقري عندما تتحقق أنك تسير على طول حافة جرف مجرد.

«في عالم الحياة، الحقيقة الوحيدة، هي أن الموت، آت عاجلاً ام آجلاً. مع ذلك، فالناس، يتصرفون، كما لو أنهم يفكرون أنه يوجد شخص آخر، دائماً، لست أنا بالتأكيد، مطلقاً لست أنا» من سيموت، وأن ذلك وحده يستثنى من قدوم الموت المحتوم.

أنني تحدثت حول ما يحدث بعد موت الشخص، بشكل عام، يوشيو، وإن

ما هو هام بالنسبة لك، هو أن تعيش لأفضل قدراتك ومواهبك، والحياة التي كانت مضمونة لك. وحسب نوعية الشخص يكون رضى كل من الإله وزملاؤك من الرجال والنساء، والسمعة الحسنة دنيوياً، والأمور المادية، والعمل والسرور- جميع هذه الأشياء لا تساوي شيئاً عندما تقف على باب الموت، لكن ستكون حياة الشخص الذي يعتقد أن حياته هي جزء من خطة إلهيه، ويضع ثقته بالله، كاملاً في هدف الحياة. ويكافح ليصبح كاملاً، يوشيو، في سبيل بلوغ مستوى الفضيلة الكاملة محققة من قبل يسوع المسيح.

«في العقيدة البوذية، الحياة والموت، شيء واحد، وأن يقول إن «خلق الجنة على الأرض»، له المعنى نفسه، أكثر أو أقل، كما هي كلمات المسيح في لوقا (١٢:٣١) ابحث عن مملكته».

«فكل شخص يعيش، لكن حياة واحدة، من فضلك تذكر هذه الأشياء يوشيو، عش حياتك وفقاً لذلك».

التزمت روح الأستاذ يوهارا بالصمت، وكان وجهه الهزيل والجاد مليئاً بالحب والحنو.

كما لو أنه تَمَّ له الغلبة، عندما غادرت روح الأستاذ يوهارا، وإن روح المرأة التي تكلمت أولاً إلى يوشيو خاطئة:

«ستضع الأرواح الأخرى هنا نفسها موضع الإستعمال فيما بعد، عندما تقوم برواية قصص حياتها في الليلة الأخيرة. والآن، فإنني أظن أنك سوف تغادرنا. قصتي هي غالباً، قصة باهتة، لكن من فضلك اسمعني».

كانت الأرواح السبع ويوشيو، تجلس حول إحدى طاولات التشريح، واتجهت كل العيون نحو روح المرأة التي كانت على وشك الكلام.

وكل روح لها وجهها الخاص وشكلها بالطبع، لكن خلقت سوية جواً موحداً من اللطف والسلام، ملأ الغرفة.

وبدأت الروح الأولى الحديث بنعومة.

الفصـــل الثـــاني

الليلة الأولـى

قصة المرأة التـي كانت ضحية القنبلة النووية

يقظة الحب

سأكون الأولى التي تتحدث، لكن قبل أن أبدأ، يوشيو، دعني، أعتذر لك مرة أخرى. فاليوم، عندما وضحت الفائدة عن نوع الحياة، فإنني عشت وصليت من أجل روحي، حتى اللحظة التي بالكاد قد هجرت فيها طبيعتي البشرية جثماني الذي كنت أعمل فيه، وكان بعيداً جداً عن عالم الأرواح. لقد شعرت بأفكارك وأعمالك بوضوح. أما في عالم الأرواح فتكون موهوبة بمثل هذه القوى. ولا يسمح لنا في العادة القيام بمثل هذه الأشياء، لكن استخدام جسم غير مسكون، فقد أخفيت كتابك الثمين تحت طاولة التشريح. أذ لم توجد طريقة أخرى تجبرك على العودة إلى غرفة التشريح هذه الليلة. وفي سبيل القيام بذلك، كان علي أن أطلب إذنا خاصاً من الروح القدس، وكنت مخولاً تماماً هذه المرة، بسبب أنني تحركت بنقاوة مشاعرك. لقد قال المسيح مرة:

«إذا كان لديك الإيمان، مهما كان صغيراً كحبة الخردل، يمكنك أن تقول لهذا الجبل: تحرك من هنا إلى هناك فسوف يتحرك. وما من شيء سيكون مستحيلاً أمامك» فوجودنا هنا هذه الليلة، يوشيو هو برهان على صحة ذلك.

لم أخبرك باسمي مع ذلك. عندما كنت على قيد الحياة، كنت أدعى شيونو يوشيكو. لقد ولدت في الثامن عشر من حزيران (١٩٠٠)، في عائلة تعمل بأعمال التزود بالمواد الصيدلانية بالجملة في منطقة دوشوماشي في أوساكا للعديد من السنين. كان والد والدتي أستاذاً جامعياً في قسم الصيدلة في جامعة شيتو. وكان والديه يعيشان في شيموفوزا- شو في دائرة كاميغيو من مقاطعة كيوتو، بسبب ذهاب أمي للبيت لتعتني بي قبل وخلال وبعد ولادتي، وحدث أن ولدت في كيوتو، ونشأت محاطة بكل ما يريح من الناحية المادية، ومغمورة بحب والديَّ. بعد تخرجي من المدرسة الإبتدائية القريبة من بيتنا في أوسكا، دخلت مدرسة نانيوا الثانوية للبنات وكانت الحرب الروسية- اليابانية مُسْتَعِرَّةً

خلال طفولتي في الفترة (١٩٠٤-١٩٠٥)، لكن لم يكن لدي ذكريات عنها. بعد ذلك، جاءت فترة هدوء نسبي مرت فيها الأيام خالية من الأحداث الهامة. وهادئة ومتمتعة بجميع الميزات المادية والإجتماعية للحياة في عائلة موسرة. وجلبت تلك السنوات إضراب عمال المصانع وصعود الحركة البروليتارية، لكن، لم تكن تلك الأمور مفهومة لأمثالي، فقد تربيت لأصبح سيدة شابة. وَلَدَيَّ كل مظاهر زمن الحرية والسلام. وكان ما سماه تيشو عصر الديموقراطية.

كان لي أخ، أصغر مني، يدعى هيكو ايشورو، في الزمن الذي كانت هذه الأحداث تأخذ مكانها، وكان يلازم المدرسة المتوسطة كفرع من فروع مدرسة أوساكا العادية.

بعد التخرج من مدرسة نانيوا الثانوية للبنات، بدأت التدرب استعداداً للزواج، مطبقة الصرامة (OGO- SAN) على نفسي كامراة شابة من عائلة محترمة. وكنت أقضي أيامي في تلقي الدروس الخاصة باحتفالات الشاي والإيكويانا والكوتو باعتبارها ملائمة لموقعي «O,TO-HAN »، وهذا يعني الآنسة الغنية» حسب لهجة أوساكا.

في هذه الأثناء، توفي جدي بنوبة قلبية في كيوتو، وحزنت من جراء ذلك، حزناً غير عادي وواجهت المصاعب في حياتي، أو على الأغلب أصبحت أعيش ببساطة يوماً بعد يوم دون التفكير في حياتي بعمق أو ما يمكن أن يجري في العالم من حولي، وسيتردد ذلك كمبرر. لكن في تلك الأيام كانت النساء تهتم قليلاً بمشاكل المجتمع، وكان موقعها الإجتماعي بسيطاً، ولم أكن أختلف عن النساء والشابات الأخريات المحيطات بي، ولو تابعت مسيرة والديَّ تكون قد قادتني للزواج من رجل من اختيارهم، ومن المحتمل عندئذ أنني عشت بهدوء حياة خالية من الأحداث الهامة كامراة عادية من كل النواحي. لكن حدث أمر ما قلب عالمي راساً على عقب وَغَيَّر مجرى حياتي على نحو يتعذر تفسيره.

كان والدي لايزال يملك بيتاً في الضواحي في سوما، وكان ذلك لا يزال غريباً في تلك الأيام، والطريق المؤدي إلى ذلك البيت يمر عبر غيضات صنوبر باتجاه الجبال وبمحاذاة الشاطىء. في بداية العام دخلت مدرسة تانيوا الثانوية للبنات. وكنا نقضي عطلاتنا الصيفية هناك. وجاءت النقطة الحاسمة في حياتي

خلال الصيف الثاني من تخرجي من الثانوية العامة. كان أخي الصغير هيكوإيشورو معي في البيت في سوما كالعادة، لكن ذلك الصيف، فإن أبوينا، بالكاد كانا يتمكنان من المجيء من أوساكا في أيام العطل في نهاية الأسابيع. وكان الناظر الذي يتولى الإشراف على البيت والأرض، رجل يدعى تاكينو، الذي كان قد جرح في الحرب الروسية- اليابانية. وكانت زوجته أيضاً معه. ولهم ولد شاب يشق طريقه من خلال كلية هيوغو التجارية في كوب. وغالباً ما يأتي ليعيش معهم. اسم ذلك الشاب هو ساي ايشي، وكان من عمري تقريباً، يساعد والديه باعمال البيت اليومية ويعمل خلال عطلة الصيف دائماً. ومن خلال الرد على تحيته «صباح الخير» بأدب كل يوم، ولعدة سنوات، فإنني لم ألاحظ أي شيء عنه بشكل خاص، ولا أكنُّ نحوه أي شعور خاص وكنت في الحقيقة غير واعية لوجوده. وعلاقتنا ليست أكثر من علاقة رئيس خدم بابنة المستخدم وابن الخادم.

لكن، ذلك الصيف، تغير كل شيء فجأة، بدأت أنظر إلى ساي ايشي على نحو مختلف تماماً، بعيون تلجأ إلى (OLO-SAN) ، مثل نفسي. فهذا الشاب يشق طريقه من خلال الكلية. والآن يظهر للعيان مدهشاً بطريقة ما. ومع بلوغه سن الرشد وعضلاته، والمتمتع بصفات الرجل الطبيعي. بإختصار، بدأت أنظر إلى شاي ايشي كرجل. فكان شاي ايشي منذ نهاية تموز حتى عطلة نصف آب يأخذني، وفي بعض المناسبات، أخي الصغير، لنسبح ونقوم بالتجديف واصطياد السمك. وذهبنا أيضاً لتسلق الجبال من حين لآخر في جبال خلف منزل والداي.

كانت الرمال البيضاء في تلك الأيام على ساحل سوما، جميلة جداً على مدّ النظر على امتداد الشاطىء في المدى والعمق، مع خضرة ساكنة من غيضات الصنوبر التي تلمع تحت أشعة الشمس في منتصف الصيف. بالطبع، كان البحر جميلاً أيضاً. فأمواج بحر إنلاند تتراكب بلطف على الشاطىء بهمهمة ناعمة، كأنها تهمس بكلمات. في بعض الأحيان، كنا نبدي رغبة في رؤية صيادي السمك المحليين، وهم يسحبون شباك الصيد بكل قواهم، بما صادوه، من سمك السردين الفضي وهي حية. كانت تلك الأيام سعيدة، مملوءة بالمرح والرضا،

وممارسة جميع النشاطات الصيفية العادية، التي، حتى ذلك العام، كنت آتي لرؤية ذلك على نحو عادي- والآن تتراأي لي كشيء عذب، وخبرات جديدة. إذ بدا العالم لي وكأنه قد تحول إلى شيء ما نادراً وثميناً، كل ذلك بسبب شاي ايشي.

في تلك الأيام، كانت الصفوف مختلطة ابتداء من السنة الثالثة في المدرسة الإبتدائية، لكن في الصفوف الأعلى، يجري فصل الجنسين، بناء على ذلك، كانت تندر فرص الصداقة بين الشباب والشابات، وكان من الأمور التي لا يمكن تصورها مشاهدة الطلاب الذكور والإناث في عمر المدراس المتوسطة أو الأكبر سناً، يتجولون على طول الشوارع جنباً إلى جنب. ولم يكن مسموحاً لطلاب المدارس المتوسطة بالسير في مناطق التسوق لوحدهم كما لم يكن مسموحاً لهم الدخول لدور السينما لمشاهدة الأفلام والمسرحيات بدون حراسة مرافقين بالغين. وكان ممنوعاً الذهاب للمقاهي التي كانت شعبية تماماً في تلك الحقبة. فهذا الأسلوب التربوي خلال حقبة الصبا كان حافزاً، مع اهتمامي القوي بشاى ايش كطرف من الجنس الآخر.

حتى ذلك الحين، كنت أتذكر ليلة اعلاننا شاى ايشي وأنا عن حبنا لبعضنا للمرة الأولى! وأتى الصيف على نهايته التي لايمكن تجنبها، وكان علينا أخي وأنا العودة إلى أوساكا خلال ثلاثة أيام. وموعد مدرسة الخريف يقترب، وكان هيكوإيشورو مشغولاً بإتمام الأعمال البيتية الصيفية. أحسست بعد الغداء بوحدة لا تطاق وشوق شديد للتحدث مع أيٍّ كان، وكنت قادرة على النوم خارج البيت دون اهتمام من قبل هيكوايشورو، وذهبت أبحث عن شاى ايشي، كان يقطع حطب الوقود خلف المنزل في ضوء أحد أيام الصيف الطويلة. توقف عن العمل، وأومأ برأسه لي محيياً. أعلمته أنني أشعر برغبة بالذهاب للمشي ودعوته ليأتي برفقتي. ربما كان ذلك غير ملائم له أن يترك قطع الحطب قبل أن ينهيه، لكنه أسند فأسه على كرسي بجانب رزم حطب الوقود، ورافقني. كالعادة، كان متحفظاً بلا مبالاة في موقفه تجاهي ،كما لو أنه كان يعرف بوجود خط مرسوم بيني وبينه خفياً وواضحاً.

عندما نزلنا إلى الشاطيء، شرع شاى ايشي يقذف بحجارة صغيرة مسطحة

على سطح ماء البحر، مصوباً على صورة الشمس في الماء عند الغروب. كانت الحجارة الصغيرة التي يرميها ترحل بعيداً تماماً، تندفع بشدة من نقطة لأخرى على سطح الماء، وقذفت بعض الحجارة مقلداً شاى ايشي. لكن كانت حجارتي تغرق بمنأى عن النظر بعد قفزة أو قفزتين في أحسن الأحوال. مع ذلك: جعلتنا هذه اللعبة، ببساطة إلى حد ما نضحك ونقهقه بحماسة وعلى نحو طفولي. ثم غابت الشمس بعد لحظات خلف الأفق الغربي، ولم نعد نتمكن من رؤية مكان سقوط الحجارة، وهكذا توقفنا حيث أنها بعد أن تغادر أيدينا تصبح مبتلعة في عتمة عميقة متزايدة. فتوقفنا عن لعبتنا التافهة وألقينا بأنفسنا على رمال الشاطيء.

بعد فترة صمت قصيرة، رفعت بصري طويلاً إلى صورته الجانبية الواضحة المعالم على نحو ممتاز التي برزت بوضوح من خلال العتمة التي أخذت تغلفنا في الضوء المتلاشي المنعكس على ماء البحر.

شاي ايشي، ماذا كانت الأغنية الألمانية التي كنت تغنيها قبل بضعة أيام عندما كنا نتسلق التل وراء البيت؟ لقد كانت جميلة حقاً.

هم....إنني أعجب من شخص يسمعني أغني. إنني أعرف ثلاث أغنيات فقط، التي علمني إياها معلمي خلال سنتي الأولى في الكلية وهي«شجرة الزيزفون» و «السيرناد» من قبل شوبرت، و «التهويدة» من قبل ويبر، رد بنعومة.

«غنّها! أمرته برقة، وكالعادة في تلك الأيام، كانت نبرة صوتي حاسمة تماماً.

وعلى الرغم من برنامجه الناشط الخاص بدراسته، والعمل الجزئي، كان ساي ايشي يَتَدَبَّر الأمر ليجد الوقت ليغني في كورس الرجال في كليته. ولقد احتلوا المرتبة الثانية في الخريف الماضي في منافسة كورال كانسي. وهكذا، وما يمكن توقعه، كان لساي ايشي صوتاً رائعاً غنى بالألمانية، أولاً أغنية «شجرة الزيزفون» ومن ثم «السيريناد».

كانت الألحان مختارة بعناية، وَتَدَفَّقَتْ من بين شفتيه، وكأنها طفت على الأمواج التي كانت تتكسر بلطف على الشاطيء مع الموج اللامع من الزبد الأبيض خارج البحر، وتتعانق. ثم أصبح كل شيء مبتلعاً مع تقدم الليل.

آه، إنني أعرف الأولى، لقد تعلمنا (شجرة الزيزفون) في مدرستي الثانوية وهكذا، تلك التي غنيتها في يوم آخر، على التلة، يجب أن تكون «السيريناد» لشوبرت. وأنني أستطيع أن أغني: «أغنية شجرة الزيزفون» باليابانية، غنها مرة أخرى وساغني معك.

غنيت الميلودي، ثم غنى ساى ايشي الهارموني:

بالقرب من الينبوع، قبل المدخل، هناك تنتصب شجرة زيزفون، كيف، في أحوال كثيرة أحلام عذبة كانت تراودني تحت ظلالها، وكلمات حب عميق أبدعها، فوق لحائها، عند الإستغراق ولا يزال الإبتهاج والأسى يسحباني إلى ظلالها، بالطريقة نفسها شعرت أن وجهي قد احمر خجلاً وتوقفت عن الغناء وكل شيء في الحال. وعرض ساي ايشي هل أغني لشوبرت باليابانية «السيرينادو»؟.

أوه، نعم، من فضلك قم بذلك !

قد ارتعشت أخيراً، إذ تكلم معي من تلقاء نفسه، دون أن يتسنى لي أن أحثه على السؤال. استمعت وأنا أسبح في عالم آخر عندما كان يغني:

دافيء التوسلات، يلتمس بوداعه إليك من خلال الليل.

يقول أيتها العزيزة تعالي إلي- في حين كل شيء هادىء وصامت، تهمس وترن الأغصان بنعومة وتوشوش في ضوء القمر المشرق، لا أحد يمكنه مراقبتي، لا أحد يمكنه إيذائي- لذلك- من يمكنه إخافتي؟ اسمع صوت الهزار الحنون جداً، يريد أغنيتها حيث الرقة، فكل ملاحظة تشير لأصداء النواح والتنهد العميق مني آه.

انها تعرف رغبات الحبيب، تتفجع عندما رحلت الآمال انتقلت مع أيقاعها الناعم في كل قطرة من القلب.

دع شفقتك اذن تعدني للأعز، هل أنت الأقرب؟

أوه، إنني أرتجف خشية أن أفقدك. تعال وباركني هنا.

صوته الجميل،...تلك الأغنية العاطفية...والآن، حجاب الليل يُلُفُّنا معاً بالكامل ويحيط بالشاطيء، والصوت الوحيد كان همسة الموجات الناعمة،

عندما تندفع إلى الشاطىء، ثم ترتد إلى الوراء تهدهدنا بتكرارها الإيقاعي. حتى ذلك الحين لم ألاحظ من قبل مطلقاً كم يكون الزبد في اعلى الموج أبيضاً ويلمع في الليل، لكن تلك الليلة، أثر في كثيراً وبشدة، كما لو كنت آراه للمرة الأولى، وبدت لي رائحة البحر المالحة كأنها تسكرني، ونسمة البحر الناعمة تلمس برفق خَدَّيَّ الملتهبين كالعناق.

فجأة، غالباً بدون معرفة منا، وجدت أيدينا كل منا بعضها الآخر، واستراحت وجنتي على كتف ساي ايشي، وشعر قلبي بقرب الإنفجار مع اهتياج على نحو لم أعرفه من قبل- الشرارة الأولى للهيام، ربما- كان فمي جافاً، مع القلق، لكن على الرغم من الغصة في حلقي همست بنعومة.

ساي ايشي، أحبك!

أو جو سان، ماذا تقولين؟ هل تمزحين حول هذا الأمر، ألم تدركي أننا ننتسب لعالمين مختلفين كلياً؟. تذكري ذلك. عندما تكلم، امتلأت عيونه بالدموع.

لا،لا، إن الإختلاف في ظروفنا لا يشكل عقبة، إنني أحبك وسأتزوجك.

ما أن بدأ اعترافي بالحب، وشاع كالسيل الجارف، مع ذلك فإن الكلمات التي قيلت، حسب عرفي وبلحن متعجرف، كانت صادقة.

إنني أعرف، إنني لست مناسباً لك على نحو كافٍ أوجوسان، لكنني أحبك أيضاً، لقد أحببتك منذ زمن بعيد.

مع ذلك، تظاهر بالهدوء، وكان يحاول السيطرة على إحساساته بقسوة، على نحو واضح. فجأة أخذني بين ذراعيه وضمني بقوة.

أخيراً، نهضت، كذلك وعدت إلى البيت، في الطريق، نظفت قدمي من الرمال، وكذلك الكيمونو القطني الصيفي، وتوجهت إلى غرفتي. وكان هيكوايشورو لا يزال يعمل أعماله البيتية في الغرفة المجاورة، بوضوح.

سحبت شبكة الناموسية وفتحتها، وصعدت إلى السرير، وعندما تمددت مفكرة حول ساى ايشي الذي كان في ذلك الوقت ربما يتمدد للنوم، في الأسفل، في الغرفة التالية لغرفة والديه، تحت السقف نفسه، اكتأب قلبي، مع

شوق شديد، كان ضوء مصباحي الصغير على وشك أن يطفأ جزئياً، عندما كان الضوء يمر من خلال إحدى عيون الناموسية الدقيقة، وغشيت دموعي بصري كله أكثر. أدرت وجهي باتجاه غرفة ساي ايشي وهمست بنعومة ساي ايشي، أحبك، ليلة سعيدة.

بعد أسبوع، عدنا أخي وأنا، إلى أوساكا، جلسنا ساي ايشي وأنا في حضرة والدي كما خططنا سوية مقدماً، وكنا على علم بأنهما لن يوافقا مطلقاً على زواجنا. مع ذلك، فكرنا بذلك من زاوية يمكن تخيلها. لكن كانت النتيجة دائماً نفسها: لن يسمح لنا والدي بالزواج إطلاقاً. من جانبي، كنت راغبة بالحفاظ على علاقتنا سرية في الوقت الحاضر، وأقوم بلقاء ساي ايشي من حين لآخر، عندما نستطيع، حتى أنني اقترحت ذلك أكثر من مرة على ساي ايشي.

إذ كان كافياً بالنسبة لذلك الوقت، أن نتمكن من الإستمرار، بلقاء بعضنا البعض، بحيث يمكننا الزواج فيما بعد عندما يصبح الوقت مناسباً.

مع ذلك، كان عمري تسعة عشر عاماً ،في ذلك الوقت، وكنت أعرف أن والديَّ كانا يتحدثان حول احتمالات زواجي، وكانا يبحثان عن صنو مناسب لي، علاوة على أنني كنت عنيدة بطبيعتي وإصراري على شق طريقي الخاص (OGO-SAN) من حيث التنشئة فقد أجمعت ذهني، ذات مرة، بأن ساي ايشي، كان الرجل المناسب الذي أريده زوجاً لي، ولا أستطيع الإنتظار طويلاً أكثر من ذلك لنكون معاً. كان ساي ايشي الرجل ذو الإستقامة القوية، ولم تكن فيه صفات يمكن إخفاؤها وأن يلتقي خلسة بالمرأة التي أحبها، إنني اعتقدت أن علي تشجيعه كثيراً ليتخذ قراره. لكن، قال في النهاية، سأذهب معك لأسألهم السماح لي بالزواج منك.

كان والدي من أكثر الناس عناداً وشراسة جميعاً. إذ يعتقد أن رأيه، هو الأكثر صواباً على الدوام، وفي أي وقت، بناء عليه، فإنه هو الوحيد الذي على حق. يضاف إلى ذلك، فإن البنية الإجتماعية والعائلية، كطبقة متوسطة في منطقة تيشو مختلفة جداً بشكل واسع عنها اليوم. فالزواج نتيجة الحب يعتبر منافياً للعقل في أحسن الأحوال، وفي أسوأ الأحوال عاراً، ولا أخلاقي وإثم ضد الطبقة الإجتماعية. وكما كنا نخشى، كان والدي عثرة أمام علاقتنا، حتى أنه لم يستمع لنا بعرض الموضوع.

كيف تتجرؤون، ياللمنكر، ابن أحد خدمي يستغل ابنة سيد البيت قبل كل شيء، كيف تعتزمين أن تضعي الطعام في فمه؟ أنت مغرورة صغيرة، مع نبل محتدك، ذات الوجه البريء الطهور– أنت لا شيء. بل جديرة بالازدراء، إنك فتاة شابة ضالة.

استمر والدي في هذا المزاج لبعض الوقت، وأصبح أكثر مداهنة، وتابع ذَمّي وإغداق كل طريقة للشتم والتشهير بي وتوجيه الإهانات لمسكيني ساي ايشي.

ساي ايشي، مطرق الرأس، محافظاً على موقف المستغيث الجاد.

وبدت أمي عاجزة تماماً للتدخل لجانب سلوكنا، إنها تعرف طبيعة والدي تماماً على نحو جيد جداً، فقد عاشت معه العديد من السنين، وتأكد لها دون شك، أنه من غير المفيد أن تحاول أو أن توجه له النصح. فوق ذلك، عندما وصل الأمر إلى موضوع زواجي من ساي ايشي، فإنها أيضاً بدت أنها تشعر بعجزها عن الخوض بهذا المجال، وكانت تذكر من حين لآخر كلمة أو كلمتين، وتسألنا أن نعيد النظر، لكنها لن تعرض علينا دعماً أو تشجيعاً بأية طريقة. ثم مرة أخرى، من الممكن أنها كانت تأمل بأن الحب الذي أعلناه، لا وجود له، لأنه انفعال عابر، ويمكن في آخر الأمر أن يبرد ويتبدد من تلقاء نفسه عندما تحين الفرصة، ومع كل يأس المحبين الشباب على شفير جهنم، الأسوأ من الموت – الحياة بدون أحدنا للآخر– ساي ايشي وأنا، توسلنا إلى والديَّ لكي يعترفا لنا بأهمية شعورنا ويدعانا نتزوج، لكن محاولاتنا لم تنفع، فإنهما بقيا معترضين على اتحادنا بعناد وبشدة.

بعد ذلك النقاش، أمر ببرود على نحو فظ «إذا أصريت أن تبقي معه– اخرجي من بيتي -!».

لقد صدمنا بهذا المشهد المريع، وأصبحنا على استعداد للمقاومة، وأصبحت علاقتنا ذات قيمة بالنسبة لنا، ولن نتخلى عنها، حتى مقابل أسوأ نتيجة ممكنة. أصبحت مطلعة على تمردي البنوي بألم، وسمعت للمرة الأولى، خلال المناقشة معهما، أنهما كانا على استعداد أن يعدا من أجلي زواجاً من

عائلة متميزة، التي كانت تمتلك شركة صيدلانية هامة. وكان لا يزال في تلك الأيام من العادة بالنسبة للوالدين أن يقررا من الذي سيتزوج أطفالها.

أما بالنسبة لساي ايشي، وطريقتي بالتفكير: فالأمر الهام، والأساسي، لزواجنا، فإنه يخصنا، فهو يخصنا وحدنا. وفي لحظة سوداء من اليأس، حتى أنني سألت ساي ايشي، أن ينتحر معي. في تلك الأيام، كانت علاقات الحب نادرة تماماً، لكنها لم تكن غير مسموح بها. فمن وقت لآخر، كانت الصحافة تنقل أخبار انتحارات مزدوجة، كذا وكذا، عند مساقط المياه، والجرف الصحراوية، في منطقة تدعى شنجو (SHINGO) العشاق، الذين لم يتحقق لهم شيء في هذا العالم أبداً، الذين يعتقدون أنه يجب أن يكونوا افضل في فضاء السرمدية معاً في الآخرة. مثلهم أنا أيضاً، كان التفكير بالموت يجري بشكل جدي، لكن ساي ايشي ألح أن علينا أن نستمر بالحياة وأن نحافظ عليها مهما كانت الصعوبات التي تعترض طريقنا.

لقد تربيت على الحماية والدلال (OJO-SAN)، لهذا فلم أختبر أي نوع من الضيق، ولم أكن متحمسة أكثر مما ينبغي لفكرة البدء من جديد. لكنني كنت ذات إرادة قوية، وقراري كان على الأغلب، الجانب الإيجابي في أنانيتي، وبدأت أشعر أنني أستطيع أن أكون قادرة على مواجهة الحياة المتنوعة معه من جانبي، مع حبيبي ساي ايشي وتشجيعه. ووصلت بالتدريج إلى تهيئة حياتنا الجديدة معاً.

بيت جديد:

تركت رسالة وداع من صفحة واحدة لوالديَّ، وانتقلت مع ساي ايشي إلى منطقة سانغينيانيشي من مقاطعة تايشو التابعة لأوساكا. وعشنا في الطابق الثاني في منزل مهدم في شارع مهدم أيضاً. يقع مباشرة خلف خط كوب لإنطلاق القطارات الوطنية اليابانية. كانت غرفتنا، في الحقيقة، حقيرة، حتى أنها أسوأ من تلك التي تخصص لحياة العمال في البيت الذي نشأت فيه.

وواجه ساي ايشي، الذي كان عليه أن يهجر دراسته، صعوبات عظيمة لإيجاد عمل، لكن عن طريق الحظ، أصبح قادراً على الحصول على عمل في

مصنع حيث كان يعمل فيه ابن مؤجرنا الغرفة. وكان المصنع في الواقع، ورشة متوسطة الحجم يقوم بصناعة كرات فولاذية شديدة الإحتمال.

كانت المنطقة المجاورة شعبية، يسكنها عامة الشعب، كانوا ودودين ظرفاء محبين. وربما أنهم خمنوا بأنهم يخففون من الظروف الصعبة التي نعاني منها. دون ذكر الأمر، وقاموا جميعاً بتقديم العون بمقدار ما يستطيعون لنا.

مع ذلك، كان هنالك طراز جديد من الحياة قاسياً علي. فبعد أن يغادر ساي ايشي كل صباح للورشة، كان علي أن أنزل حوض الغسيل بمشقة على درجات سلم ضيق ومخلع الأوصال، من خلال عتمة المطبخ قذر الأرضية، خارجة إلى فناء من أربعة أمتار مربعة، للقيام بعملية الغسيل، من ثم حمل الغسيل إلى الأعلى، ومن ثم، نشره في الأعلى من أجل أن يجف على عمود خارج شباكنا، كان علي الإنتظار حتى إنهاء زوجة المالك عملها في المطبخ قبل أن أتمكن من استخدامه لتحضير وجباتنا. من ثم، كان علي أن أحمل كل الأطباق إلى الأعلى، إلى غرفتنا. وكنا حتى لا نستطيع الذهاب إلى المرحاض دون القلق فيما إذا كان ذلك يسبب إزعاجاً لعائلة المالك. فهذا النوع من الحياة، مختلف كثيراً عما كنت أعيشه، ولقد أحزنني وغالباً ما كان يدفعني للتمزق.

لكن زوجي ساي ايشي، كان طيباً معي، حقاً لقد أحبني بكل قلبه. وكان حبه، يبعث البهجة في ويمنحني القوة.

أيام الآحاد، كنا نجلس ونستمتع بأشعة الشمس في الصباح عندما تتسلل من خلال النافذة، ونتحدث بروية عن خططنا للمستقبل. وكان موضوع نفور والديَّ يشكل عبئاً ثقيلاً على عقولنا، لكن بالطبع لم نقم بأي شيء للإتصال بهم، ولم يكن هناك ما يشير إلى أنهما كانا يستعلمان عن مكان وجودنا، وكان أخي الأصغر، هيكوايشيرو، آخر من يهتم بي. لكن مع ذلك، كثيراً ما حاولت الإتصال به. وكنت على علم أن ذلك قد يسبب له المشاكل مع والدينا.

بالرغم من كوننا فقراء، كانت قلوبنا مملوءة بالسعادة التي لا تضاهى، والتي تأتي من الشخص الذي نحن معه والذي نحبه. عندما تذكرت البرودة

العقيمة وغير المحببة، والسائدة في العديد من الأُسَرِ، كان علي أن أسأل نفسي: «حقا ما هي السعادة؟» وماهي حقيقة أهمية الأشياء في الحياة؟ باستثناء نقص المال لديهم. جيراننا أيضاً كانوا يبدون قناعة ورضى وسعادة في حياتهم، وبكل معاني التواضع.

بعد حوالي عام ونصف من ارتحالنا إلى اقليم تيشو، وُلِدَ ولدنا الأول كويتو وقبل ولادة ولدنا الثاني هيدو، أصبحنا قادرين على استئجار بيت صغير في ساكورا غاوا، مع ذلك، فجارنا الجديد كان على بعد خمسماية متر تماماً أبعد إلى الشرق عبر نهر كيزو، وعشنا حينذاك في مقاطعة نانيوا.

مرة بعد أخرى، كنت أتوق إلى الإتصال بوالديَّ، خصوصاً والدتي لأقول «إن لديكما أحفاداً» لكن طبيعتي العنيدة لم تسمح بذلك، فإن كلمات والدايَّ القارصة المنطلقة الموبخة لا تزال تطن في أذني.

مع الزمن، ماتت جدتي لأمي في كيوتو، في زمن زواجنا، وهجر والدا ساي ايشي عملهما كناظرين لدى فيلا عائلتي في سوما، وغادرا إلى موطنهما الأصلي في هيروشيما بناء على طلب هاشاي ايشي، والدته أتت وبقيت معنا للمساعدة، عندما ولد كونيو، مع ذلك، فإننا لم نكن ننسجم إلا من وقت لآخر، ليس غير.

كانت عشرة السنوات التالية صعبة، لكنها كانت أيضاً سنوات مليئة بالحب، وحتى الآن وكأن هذه السنوات الجيدة والسعيدة قد جرت بغمض العين. وأضيف إلى كونيو وهيديو، ثالث تاكاو وابنة استوكو، جاعلين مني أماً لثلاثة صبيان وابنة واحدة. وكان ساي ايشي ذكياً وكدوداً في المصنع من حيث طبيعته: وكان محل احترام وأهل للثقة من قبل رؤسائه ومن زملائه في العمل وحتى من قبل مرؤوسيه سواء. في ذلك الوقت ترفع ليرأس قطاع الحساب وهكذا، على الرغم من أننا نملك طعاماً لتسعة أشهر، وأصبح لدينا المال أكثر من كافٍ للعيش بتواضع، حتى الحياة السهلة والتي يمكن اقتصاد القليل أيضاً.

الحياة هي هكذا، عمل حزين. شركة زوجي مثلها مثل الشركات

الأخرى، كانت تواجه صعوبات قوية بسبب القدم في آلاتها والكساد عالمي الإنتشار الذي تلا الإزدهار زمن الحرب العالمية الأولى.

وكان لساي ايشي إحساس قوي واستثائي، حيال مسؤوليته تجاهنا، وازدادت يوماً بعد يوم، فأصبح يعمل حتى وقت متأخر من الليل، ويذهب يتجول في أنحاء المدينة للحصول على قروض من أجل التغلب على صعوبات الشركة وحتى تتحسن الأعمال.

فأصيب بنزلة بردية، ربما بسبب الإجهاد والساعات الطويلة في العمل، وتطورت إلى ذات الرئة، فوهن جسمه، وأخذ يعاني المرض. وعندما أرسلناه للطبيب، كان الوقت متأخراً جداً. علاوة على ذلك، لم يكن في ذلك الوقت حتى عقار السلفا متطوراً، والمعالجة الوحيدة لذات الرئة كان الأسبرين بالنسبة للحمّى، ثم الراحة والطعام المغذي. ويمكن للطبيب فقط أن يحضر ويراقب فيما إذا كان السقم يتعذر ملاحقته ومعالجته والتخفيف من معاناة ساي ايشي. ولم تكن هناك من طريقة مطلقاً لإنقاذ زوجي المسكين.

وذهب زوجي إلى السماء بعد أن مات. ثم اجتمع شملنا في عالم الأرواح. واستمتعنا بوقت رائع حقاً من خلال رحمة الرب. وإن روحه قد انتهت في ذلك الحين إلى الإستعداد للإنتقال لعالم الأرواح، حيث منحت الإذن من الروح القدس، وصعدت إلى السماء، لكن روحه نزلت من السماء إلى عالم الأرواح من أجل اللقاء بي ثانية. إذ غير مسموح لأحد الدخول إلى السماء في حين لا يزال ينتسب إلى عالم الأرواح. لكن يمكن أن يسمح لأحد بالنزول من السماء إذ اعتقد بأن ذلك ضرورياً. وسوف أقول أكثر حول عالم الأرواح، لكن يتعين أن يتم ذلك عل نحو متأخر تماماً ،هكذا سأستأنف قصتي.

كنت أشعر دائماً أن ساي ايشي يفرض أن على الاخرين الإعتراف بحقوقه في الحياة. فبعد أن غادرنا بيوتنا السابقة وتزوجنا، كان يبدو على الدوام أنه يحمل عبئاً ثقيلاً من الإثم حول خرقنا للواجب البنيوي تجاه والِدَيَّ والحياة الصعبة التي حدثت لي.

عندما مات ساي ايشي، كان أتسوكو الأصغر من بين أربعة أطفال، بعمر

ستة أشهر فقط، وكان لا يزال يحتاج للرضاعة. وعمر الطفل الثاني تاكاوو أربع سنوات. إذ كان في عمر عسير، حيث لم يكن بإمكاني أن أبعده عن نظري حتى ولو للحظة، مقارنة مع أخويه الكبيرين في ذلك العمر. فكان صعب المراس، وَغْد صغير، في طرق عديدة.

عرفته فهو لا يريد العمل، ويستمر بالبكاء، وحزين لموت زوجي العزيز المفاجيء، لكن حين فكرت بمستقبل أطفالي، لم أتمكن من تمالك نفسي أمام اليأس. وتساءلت في سبيل مصلحة أطفالي العديد من المرات ما إذا كان علي أن أتخلى عن عنادي الشديد وأتوسل إلى والدتي ووالدي من أجل المساعدة. اعتقدت أن والديَّ قد يساعداني، فإنني ابنتهم الوحيدة التي تحملت كثيراً جداً من المشقة، وأصبحت الآن في مثل تلك الورطة الرهيبة. لكن لاتزال الذكرى مرة تجعلني أتحامل على إحساسي تجاههم. فأنا لا أستطيع ان أنسى. وهكذا، حدث ما جعلني بأنه لا يمكن أن أعود للبيت إليهم مطلقاً.

حياة أرملة:

بعد أن استسلمت للحقيقة، أنه لا يوجد أحد ما يساعدني، علي الإعتماد على نفسي وسحبت مدخراتي الهزيلة من البنك، وفتحت مخزناً صغيراً للحلويات، في بداية الأمر. كان ذلك عسيراً علي فلم أكن أعرف حتى كيف أحصل على المواد من بائعي الجملة، كل ما كنت أريده، أن أكون قادرة على إعطاء أطفالي، حظاً للنمو على نحو لائق. كانوا أطفالاً رائعين، وكان كل واحد منهم ذكياً وماهراً. وأصبح كل شيء أقوم به، منذ ذلك الوقت إكراماً لأطفالي. ومن الممكن بسبب أنهم عانوا الكثير من الحرمان الذي أواجهه، وكان الأبناء الكبار مطيعين، ومن ذوي السلوك الحسن، ويساعداني في الإشراف على الأثنين الأصغرين. في احدى المرات، عندما كان كوتيو، ابني الأكبر، في العام الثامن من عمره، وكان في الصف الثاني من المدرسة الإبتدائية الموحدة، قال لي: لا تقلقي يا أمي». إنني في طريقي لأصبح راشداً، ولأصبح رجلاً عظيماً في أحد الأيام. حركت كلماته مشاعري بعمق كبير، واحتضنته دون تفكير بين ذراعي، وذرفت الدموع. آه! في تلك اللحظة، عندما ذرف طفلي الدموع تعاطفاً معي. تذكرت صوته الصغير، وهو يتمشى بقلق «لا تقلقي، ولا تبكي يا أمي، من فضلك لاتبكي».

كان يعيش في الجوار أطفال صغار كثيرون، ونجح العمل في آخر الأمر في

دكاني للحلويات، وبالتالي تأمن المال لإطعام عائلتنا المؤلفة من خمسة أشخاص ومع ذلك، بقيت قلقة حول كيفية أن أصبح قادرة على تزويد أطفالي بثقافة مقبولة. لقد كنت راغبة أن أرى الصبيان، على الأقل وقد حصلوا على شهادة الدراسة المتوسطة ويحصلوا على بعض التدريب المهني، وبأن تنهي أتشوكو المدرسة الثانوية للبنات، وكل ذلك، عندما أصبحت طفلتي الصغرى أتشوكو كبيرة، لم يكن لدي الوقت الكثير لمراقبتها كثيراً. وشرعت في أخذ دروس في الحياكة في الوقت الإضافي القليل الآن» لأمثالي، ومهنة الحياكة التي تعلمتها كـ«أوجو –سان» خلال أيامي في مدرسة نانيوا الثانوية للبنات، كانت بدون فائدة بالنسبة لي، وأصبح علي الشروع انطلاقاً من الخربشة في ذلك العمل. رغم ذلك، صار الناس يأتون إلَيَّ بعد سنتين من أجل الحياكة، وأصبحت قادرة على كسب بعض المال من مهنتي.

ومع مرور الزمن، أصبحت الكثير من الطلبات تأتي إلي وأكثر مما كنت أتوقع، في تلك الأيام، إذ ليس بإمكان كل واحد القيام بعمليات الحياكة. وقد أعدت تركيب بعض الحلوى لعرضها في معالف الدواب، كما شرعت في بيع غزول أضفت إليها خصلة من الغزل الصوفي، المبطن، بالإضافة إلى بيع الحلويات. وأصبح ذلك نجاحاً آخر غير متوقع، وتضاعف دخلي، وأصبح الغزل يباع بشكل جيد مقارنة مع الحلويات التي كانت تباع بدون جهد لكنها وصلت، مع ذلك، إلى أعلى حد لدخلها المحتمل. فضلاً عن ذلك أصبح الناس الذين يشترون الغزل، يعودون ويسألونني مساعدتهم في تعلم كيفية الغزل. وكنت أعلمهم بصبر وبعبقرية بمقدار ما أستطيع، وهذا جلب إحساساً جديداً الإ[illegible] الملائم لخيالي، بالإضافة إلى ضمان مبيعات الغزل على نحو دائم وثابت. ولم يكن من غير العادي مطلقاً بالنسبة لي لأقف على رجلي للقيام بعملية الغزل حتى الساعة الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل، وأقوم بالعمل من أجل الناس الذين طلبوها مني.

لقد ثابرت على عملي، ولم أوفر أي جهد من أجل إكرام أطفالي– أطفالي الأعزاء الحلوين. وبعد لأي بدا أن الوقت قد حان لتكون جهودي مثمرة.

في عام (١٩٤١)، تجاوز كونيو، ولدي الأكبر سناً، الرابعة والعشرين، بعد

أن تخرج من جامعة نانيوا باختصاص التجارة، واصبح مجنداً في الجيش الإمبراطوري، وخضع لأعمال التدريب التي يخضع لها الضباط، وتلقى رتبة الملازم الثاني. أما هيدو، فأصبح له عشرين عاماً، عندما أصبح في سنته الثالثة والأخيرة في أكاديمية ستسو التمهيدية. أما تاكاأو، الذي بلغ السابعة عشر من العمر، فقد بدأ سنته الأولى في دراسة الطب في المدرسة العليا، فرع كلية الطب في أوكاياما. وأما أتسوكو، بلغت في ذلك الحين، السنة الثانية عشرة من عمرها. وابتدأت دراستها المتوسطة قبل أخويها، وكانت تحصل على درجات عالية دائماً، كما كانت تتفهم المصاعب التي كنت أواجهها وتساعدني قليلاً في أعمال البيت. وكم كنت سعيدة بأن أنعم ببنت بالإضافة إلى أولادي المرهفين، على الرغم من فقرنا النسبي، وبدت الأمور تسير نحو وَضْعٍ حسن ومناسب.

في هذه الأثناء، أخذت الأحداث المرعبة تعم اليابان مع تزايد حدة الحرب التي كانت تجري، وكان المغزى الحقيقي التي تجري فيه غير ملاحظ من قبل الناس العاديين أمثالي- حادث الـ(٢٦) من شباط، وحادث الحرب الصينية – اليابانية- لكن لم يكن لها تأثير كبير على حياة الناس. ثم أخذ القطن المخصص للثياب الداخلية يوزع بجراية، وأصبح المخزون من الصوف المخصص للنسيج المتاح شيئاً فشيئاً محدود التوزيع، مع ذلك، كان لا يوجد نقص خطير في هذه السلع.

مأساة الحرب:

بتاريخ الـ (٨) من كانون الأول، اندفعت اليابان، دون تردد، في كابوس حرب المحيط الهادي، وأتذكر ذلك بوضوح حتى الآن. وجاء في تقرير أخبار الراديو في الصباح الباكر: «هذا إعلان من القيادة العامة الإمبراطورية، اشتبك الجيش الإمبراطوري وقوات البحرية بمعركة مع قوات أمريكية وبريطانية في الجزء الغزبي من المحيط الهادي، باكراً من هذا الصباح!».

في البداية، كانت هذه الحرب موضع مآثر عسكرية جيدة عديدة لليابان، لكن الأمر بدأ يسير على نحو غير مناسب بفظاظة بعد أن دخلت عامها الثاني. بالطبع، كانت البيانات الصادرة عن القيادة العامة تعلن عن انتصارات ساحقة لجيشنا، لكن....

كـان كونيـو قـد أرسـل للعمـل في جبهـة القتـال، في البدايـة في سـنغافورة، وبعدها في بورما، ودخل هيديو كلية الإقتصاد في جامعة نانيوا بعد تخرجه من أكاديمية ستسو التمهدية. وجرى التعجيل في تخرجه على عجل خلال سنته الثالثة هناك كنتيجة لتعبئة الطلاب، وانخرط في القوات الجوية- البحرية، وأصبح يخضع الآن لدورة تدريب على الطيران في سرب تسو شيورا في القاعدة الجوية - البحرية في الشمال الشرقي لطوكيو.

غالباً مايرسل الإثنان الرسائل لي، التي كانت تبدأ بعبارة «أمي العزيزة». ثم يسألان كيف تسير أموري وحدي، ويدعواني لكي أعتني بنفسي، وتنتهي بكلمات قليلة إلى اتسوكو.

أصبحت الحرب رهيبة وعلى نحو متزايد. وقاد دوليتل بتاريخ (١٨) نيسان (١٩٤٢) سربه بغارة جوية أولى على طوكيو. ومن بعد أصبحت هناك غارات جوية أكثر، في البداية، على كيتا شيشيما، بعيداً إلى الشمال من جزر الوطن في آب (١٩٤٣)، من ثم على كيتاكيوشو في حزيران (١٩٤٤). وأرسل الأمريكيون في تشرين الثاني (١٩٤٤) طائرة من طراز جديد لمهاجمة طوكيو وناغويا، وهي قاذفة ثقيلة تدعى (ب-٢٩) القلعة الطائرة. وأصبحت جزر الوطن اليابانية بعد الآن أهدافاً لقنابل العدو المحرقة المرعبة.

توقفت الرسائل فجأة من ولديّ الإثنين البعيدين عني من أجل الحرب، وأصبحت أنا واتسوكو قلقتين أكثر فأكثر، يوماً بعد يوم يمر دون كلمة من أحد منهما. في هذه الأثناء، صار كاأو طالب طب، فأصبح له القدرة على تأجيل خدمته العسكرية، لكن على أن يتابع دراسته، وكان يسكن في بيت يقدم له الطعام والمنامة مقابل أجرة أسبوعية أو شهرية في أوكاياما، وهي على بعد بعض مسافة من منزلنا في أوساكا. وأصبح هذا الأمر مصدراً آخر للقلق بالنسبة لي. لكن، فقد ربح منحة دراسية بحرية على الأقل بهدف المساعدة في ميزانية العائلة بمقدار مايمكن، ولم يعد لدي سبب للقلق حول دفع نفقاته للكلية.

في هذا الوقت، أصبح الحصول على المواد السكرية من الأمور الصعبة وكذلك الحلويات، كما أصبح من المستحيل الحصول على كباكب الغزل. مع

ذلك. احتفظنا بالمخزن مفتوحاً لكن بدون عمل. غير أنني استعديت لهذا التطور مسبقاً وادخرت بعضاً من هذه الحاجيات بعيداً في مستودعي، وتاجرت بها سراً. وكان هذا المخزون القليل الباقي للحلويات وللغزل قد أمن بعض الوقت نفقات الأرز والسمك والخضار. كان هذا الأمر حظاً حسناً بالنسبة لي، وذلك لأنني كنت أدير مخزناً يتعامل بالحلويات ويغزل الصوف، وكانت هذه المواد الأكثر غلاءً في ذلك الوقت. لهذا كان لدي البصيرة لأحتفظ بمؤونة قليلة من هذه المواد كاحتياط. وفي تلك الأيام، من التنظيم الحكومي والتعبئة الوطنية، كان حصر بيع المواد أو التعامل بها سراً في مخبأ ما يعتبر جريمة وطنية، لكن كان مخزني صغيراً تماماً، لهذا فإنه لم يقع تحت التدقيق من قبل السلطات ليتم إغلاقه.

لكن، جاء يوم شعرت فيه بالخوف يجتاحني، وأنني لن أنسى أبداً ذلك اليوم الـ(٣٠) من تشرين الأول (١٩٤٤)، عندما شعرت أن هيديو قد وافته المنية، قتل في المعركة، وذلك بتحطيم طائرته على باخرة عدوة بمهمة انتحارية. كنت خائفة ضمنياً بأن أخباراً كهذه يمكن أن تأتي يوماً ما، وأفقد شجاعتي العالية، لكنني أتساءل إذا كنت أستطيع أن يحتل جموح هيديو زاوية صغيرة من قلبي وفي عمق حزني وبليتي في تلك اللحظة، وبدت لي الغرفة أنها قد اظلمت حولي. وكأنني أصبت بدوار تقريباً. تشابكت أيدينا أوتسوكا وأنا، وبكينا سوية طوال الليل.

ولم نعد نسمع مرة ثانية عن كونيو في بورما أيضاً مطلقاً، ودارت أخبار أن القتال كان يدور بصورة ضارية في بورما، وتسير الحرب على نحو خطير من جانبنا. وأصبحت قواتنا تكابد معركة كارثية خطيرة، وأخذت تتعرض في كل يوم لحصار قاس، فهذه الذكريات تجعلني أرتعد حتى الآن.

في هذه الأثناء، كانت طائرات الولايات المتحدة تحلق فوق مدننا أكثر فأكثر، وتهاجم داخل اليابان، وأصبح نصفها غير بعيد، وهكذا صار الوطن كله ساحة قتال. ويوماً بعد يوم، أخذ الناس يعملون سوية في بناء الملاجىء للوقاية من الغارات الجوية في الشوارع وفي الساحات وفي كل منطقة مجاورة مقابل البيوت أو في قطعات الأرض الشاغرة المحددة القليلة المتاحة. ووجب أن

يقوم بهذا العمل الثقيل النساء والأطفال وكبار السن من الرجال، منذ أن استدعي معظم الشباب من الناس للخدمة العسكرية وارسلوا للقتال في ميادين الحرب أو العمل في مؤسسات الذخيرة كذلك فإن الحفر التي كانت تنتج عن الغارات الجوية تؤدي خدمة كبيرة. وصدرت الأوامر بتطبيق حالة التعتيم. وفي الليل يجب أن يغطى كل ضوء كهربائي بكيس من قماش أسود، مع ترك دائرة صغيرة جداً للضوء تحته مباشرة، ويجب أن تعلق ستارة سوداء داخل كل باب وشباك. أصبحت ليالينا سوداء، كأنها مطلية بالزفت، مثل قلوب الناس، ودون أمل.

وأصبحت النساء يلبسن سراويل فضفاضة من القطن وسترة، ويضعن قلنسوات من القطن على شكل لباد، ولبسها عندما يخرجن من المنازل حتى ولو للحظة، فالأمور أخذت تلتزم بعادات جديدة، وأصبحت تعتبر المرأة غير وطنية إذا ترك شعرها متروكاً دون غطاء، ولم تعد ترى أبداً امرأة شابة تلبس تنورة بعد ذلك، أما الرجال فأصبح لهم جميعاً شعر قصير جداً، ويلبسون اللباس الخاكي وطماق للمدنيين، في حين جعلت جرايات الطعام غير الكافية كل واحد جائعاً باستمرار، مع ذلك، كانوا يعتقدون كون الإمبراطور، الله الحي، ويتحدث الناس بإيمان راسخ عن عدم قابلية اليابان للدمار، ويعرفون منذ زمن قديم، أنها أرض الآلهة». ولم يكن لديهم شك، أن اليابان كانت تحارب حرباً مقدسة، تلك كانت الحياة في الجبهة الوطنية. ويصبح كل واحد يطلق شكوكاً باستخفاف بهذه الإعتقادات الوطنية، بالكلمة وبالفعل، يُعْتَقَل على الفور، بعيداً، من قبل التوكو- أي من قبل أجهزة الأمن السرية، قسم الشرطة- أو من قبل الشرطة العسكرية، وهناك الخضوع لحبس شديد زمناً لا يعرف.

في عام (١٩٤٥) شرعت الـ(ب- ٢٩س) إلقاء القنابل على أوساكا، وكانت أجهزة إنذار الغارات الجوية تدوي تمهيدياً يومياً في البداية، وتأتي الطائرات بأعداد صغيرة، لكن في النهاية، هاجمت الـ(ب-٢٩س) في ليلة الـ(١٣) من آذار بشدة.

وهاجم تشكيل ضخم من الـ (ب-٢٩س)، كوب على نحو شديد قبل شهر بقليل. وبتاريخ الـ(٤) من شباط. علمت، بأن الأمر أصبح موضوع

وقت، حيث جرت غارة جوية على شكل هجوم على أوساكا. وليلة الـ(١٣) حذرنا الراديو من توقع غارة جوية في وقت ما من تلك الليلة، أو الليلة التي تليها. وكان الدمار غير بعيد عنا، حتى مع معرفة ذلك، وكل ما يلزم فعله هو التأكد من حقيقة وجود الإحتياط الخاص بالطوارىء فيما إذا كان جاهزاً بالقرب من الباب في الحالة التي علينا فيها الهرب من أجل حياتنا.

القصف الجوي لأوساكا:

سوف لن أنسى مطلقاً ذلك المساء عندما ألقيت بحبكتي جانباً لأخط درزات قليلة «ألف درزة في حزام» وقد بدأت ذلك بالمرور حول الجوار لتخاط قليلاً من قبل كل واحدة، وعندما ينتهي ذلك يتم إرسالها إلى أحد الرجال المجاورين من المقيمين في الجبهة كنوع من التعويذة على أمل أن صناعة هذه الخياطة تحمي من رصاصات العدو، على نحو شديد. وكنت أفكر على نحو غامض حول الماضي وحول طريقنا في المستقبل، كلما حركت أصابعي الإبرة والخيط.

لكن حلمي لم يدم طويلاً. على الفور، كان هناك إعلان بالراديو جاء فيه باهتياج، بلاغ من قيادة الدفاع المدني من القيادة الوسطى لليابان. أن تشكيلاً كبيراً من الـ(ب-٢٩س) هو في هذه اللحظة يجتاز قنال كيبي باتجاه الشمال. وبدأت صافرات الإنذار تنذر بالخطر.

سمع دوي الإنفجارات بعد دقائق قليلة باتجاه الجنوب الغربي، وكان من المستحيل التمييز بين الأصوات الناتجة عن القنابل المقذوفة من قبل طائرات العدو، وتلك من جانبنا، من المدافع المضادة للطائرات. وأصبح القصف مدوياً أكثر فأكثر تدريجياً، حتى بدا كأنه صدىً من خلال ظلام شديد السواد، ويجعل السماء ترعد بالكامل، رعوداً من صنع الإنسان. كانت تلك الغارة الجوية مختلفة بوضوح عن أية غارة أخرى خبرناها منذ زمن. دفعنا الطنين شديد الإهتياج الصادر عن الإنذار بالنار إلى الذعر الذي يحثنا للخروج من البيت، مختطفين أكياس المؤن، الخاص بالطوارىء، والذي كنت قد صررته قبل قليل، وركضت مع أتسوكا إلى الملجأ المجاور. وما أن دخلنا الملجأ تماماً، رفعت بصري فكانت السماء إلى الغرب حمراء غامقة . وكانت حزم أشعة الكشافات

المتصالبة في السماء بنشاط والمنظلقة من الأرض، لم تستطع أن تميز هذه الأنوار أية طائرة معادية وترتد شاحبة عن الغيوم، وفقط لتنضاف إلى الفوضى.

وأخذت القنابل الحارقة تتساقط مثل البرد منذ زمن طويل مع أصوات غريبة تشق طريقها على الأرض وفي السماء. وكان يتعذر تمييزها، وتنسد بكرات النار. وما أن تنهمر قنابل النار المرعبة، حتى يستمر أزير الإنذار يؤدي إلى فقدان العقل. ويشاهد رجال يحملون الدلاء وهو يتراكضون بطريقة عشوائية إلى وسط اللهيب، لكن لم يكن بالإمكان تحديد موضع خزانات المياه مع كل هذه الفوضى، كما ليس من مياه بادية للعيان في الصنابير وهكذا، أكدت كل التدريبات عن عدم الجدوى في مكافحة النيران.

أصدرت لأتسوكو أوامر صارمة بعدم الخروج، من ثم اندفعت خارج الملجأ الخاص بالحماية من قنابل الطيران وتوجهت نحو منزلنا البعيد بما يقرب خمسين متراً. وقد جرى حجزي من قبل حركة ناشئة عن قوة مفاجئة: إنني لم رغب أن أحاول أن أنقذ شيء ما من البيت، بل أردت فقط أن أشهد نهاية المنزل حيث شاطرت زوجي ساي ايشي سنوات عزيزة قليلة من السعادة

كانت كتلة من اللهيب الحارقة تبتلع المنزل والذي يطوق الجدران وبأثاث البيت، ومن السقوف، وحتى الشجيرات في الحديقة، فعندما ترتطم القنبلة الحارقة، تنفث النابالم، وتثير بالترشيش كتلاً رمادية لا تحصى، وتحيل كافة المنطقة غالباً إلى نار مشتعلة. عندما انهار السقف أمام عيني شبكت يداي سوية بطريقة غريزية في ايماءة من التضرع، وبقيت هكذا إلى أن حان الوقت لأسرع للملجأ. ولم أستطع البقاء مدة أطول هناك بسبب اللفح الحار كأنه الجحيم، الذي التف حولي وكنت أراوغ من بقعة لأخرى. وكان دثاري القطني وقلنسوتي وقميصي الفضفاض قد تلفت جميعها إلى درجة الهشاشة، وعلقت بها شرارات وخمدت عليها مع ذلك، كان الأسوأ، أن انطلقت ريح دُوّامية تحمل حرارة جهنمية اندلعت من النار الكثيرة، إذ بدأ اللهيب بالإنتشار خارج البيوت المحترقة إلى الجانب الآخر من الشارع.

ما أن عدت إلى الملجأ، جثمت ساكنة على الأرض مع أتسوكو، لحظة، لكن الحرارة بدأت تصل إلينا على الفور على الرغم من ذلك الملجأ. ومما

شاهدته في الخارج تماماً، عرفت أنه حتى هذا المكان لم يعد آمناً. كان معنا في الملجأ هناك سبعة أشخاص أو ثمانية، من الجوار، وعدد آخر لم أرهم من قبل. أنتظروا لحظة قلق، وكانت وجوههم تنضح بالرعب والقلق. وضحت باختصار الوضع في الخارج وحاولت اقناعهم بالخطر الذي نحن فيه. لم يبق أمامنا لحظة لكي نضيعها، فإذا لم نخرج من هنا ونلجأ إلى مكان آخر، فسنقتل جميعاً.

لكن، لا أحد منهم، أراد أن يستمع إلي، ومن الممكن أنهم أصيبوا بالشلل بسبب الخوف. إنهم بالغوا في تقدير الأمر الذي يمكن للملاجىء أن تقدمه.

لهذا السبب، فقد تعلموا ذلك خلال التدريب حول الغارات الجوية. لكن لم يكن لي ثقة مطلقاً بهذا النوع الرديء من الملاجىء كبديل مؤقت، وقد ثبت ذلك لكبار السن، قليلي التجربة، وحتى للنساء والأطفال، الذين قاموا، ببساطة بحفر ثقب في الأرض، وبدعم جدرانه بعوارض خشبية، ثم تزويده بسقف خشبي مسطح، من ثم تكديس التراب على هذا السقف. في الحقيقة، بدا لي أن مثل هذا الملجأ، هو المرجح بأن يصمد أمام القصف الشديد وبثقة وبأنه لن يتهدم فوقنا، وجدت هذا، أفضل من البقاء، لنخبز أحياء، حَثَثْتُ أتسوكو على الإستعداد والركض معها خارج الملجأ، وقبضت كل منا بشدة على كيس إمدادت الطوراىء.

ركضنا باتجاه الشمال، حيث بدت لنا النيران أقل شدة نسبياً. إذ أصبحت منطقة هوري بحراً من اللهيب. اجتزنا صهريج ماء على طول الطريق، وأعطيت أتسوكو رشة قوية بعد أن غطست القلنسوة القطنية في الماء، وسكبت بعضاً فوقي، ثم عدونا، لكن فكرة واحدة هي التي تسيطر علينا، هي أن نبقى أحياء.

رأينا الناس في البيوت التي مررنا بها وقد وقعوا في الشرك تحت الدعامات المنهارة، حيث كانوا يلتهبون معها باهتياج شديد، لكننا لم نكن في موقف يسمح لنا محاولة مساعدتهم. ركضنا من كتلة بناءً إلى أخرى من أجل!... آه، لا أدري... عدة مئات من الأمتار، لكن حقاً أخذت زمناً طويلاً، بسبب أنه كان علينا أن نركض أولاً إلى الشرق، ثم إلى الشمال، بصورة متعرجة، في أي طريق يبدو أقل ناراً، تخبيء في كل اللحظات الوميض الذي ينعكس علينا،

وبدأت الزوابع الغاضبة تتعقبنا. أخيراً وصلنا إلى طريق عام وتعرفت عليه إنه يبدو سوجي العريض، لكنه كان أيضاً بحراً كاملاً من اللهب. واستمرت قطع القنابل الحارقة تهب بالإنفجار بدون انقطاع، ولاتزال أسراب طائرات العدو تحدث الحرائق فوق بحر من اللهيب المخيف.

كانت السماء لاتزال مظلمة باتجاه أوميدا، منطقة الأعمال، ومشينا على أجسام الناس الجرحى وبعض الأجسام المفحمة، ركضنا بشكل مستقيم شمالاً، وكنا على حق، فلا تزال عاصفة النار ثائرة وراءنا.

وشرع المطر ينهمر، كانت الحرارة شديدة جداً، بحيث تحول المطر إلى بخار، بشكل عجيب، في اللحظة التي يمس بها ثيابنا. فكرت إذ كانت هناك جهنم، يجب بالتأكيد أن تكون هذه.

عبرنا فوق جسور بوتسو وهيغو، هائمتين فوق جانب من الناس سيئي الطالع ملتصقين فوق قوارب صغيرة محفوفة بالمخاطر، والمزدحمة بالناس، أو فوق أخشاب مشدودة بعضها عائمة في النهر في الأسفل، وكان صراعهم للنجاة واضحاً وجدير بالثقة وسط اللهيب المتوهج وشديد الشحوب. عندما وصلنا آخر الأمر إلى أوميدا، كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحاً. مع ذلك، في هذا الوقت، كانت تسمع انفجارات القنابل الحارقة على مسافة غير بعيدة وتندفع منها أعمدة لهيب مرعب. وحتى قطع الأثاث المحطم، التي كانت تُحمل عالياً بواسطة الزوابع الجبارة، وأخذت الآن تُدَوِّمُ حولنا.

وصل الباقون على قيد الحياة من تلك المذبحة إلى أُميدا، بدون أي شيء، بل بالثياب على ظهورهم متزهلة إلى الأرض، وهم مبهورون منهوكون، وجوههم وثيابهم سوداء ملطخة بالسخام، والتوت أقدام بعضهم بعنف. وآخرون يصرخون من الألم والبعض الأخر ، أخذ الحريق يَنُزُّ فوق وجوههم وأجسامهم.

بدأ الضوء الرمادي للفجر ينسل في الأفق قبل وقت قليل على ما بقي من أوساكا. والآن. التناقض الشديد، بين حرارة الحرائق في هذا الجحيم الليلي، والشعور بالبرد الجليدي في منتصف آذار، بدأ يفرض نفسه. وإلى الجنوب، لا شيء إلا الظلمة الحالكة، والخرائب المحترقة، على مدّ البصر.

أخذت بعضاً من قطع البسكوت القاسي من كيس الطوارىء وبعد مضغه من أتسوكو وأنا، فكرت مالعمل بعد ذلك.

ليس من حاجة للعودة والبحث عن بيتنا، فإن نظرتي الأخيرة لم تترك لي شك في ذهني بأنه قد احترق وتحول إلى رماد. وأمسكت بكيس الطوراىء بشدة طوال ذلك الليل الطويل. فهو يحتوي على دفتر الحساب المصرفي لصندوق المالية. وكمية صغيرة من الزاد كطعام للطوراىء أيضاً. مثل بسكوت البحر. وكانت أتسوكو تحمل كيسها للطوارىء أيضاً محتوياً على شهادتها المدرسية وسجل نفوسها وضرورات أخرى.

شعرت عندها أنه لا يوجد أي شيء يقتضي وجودنا في أوساكا. لم أكن لا مبالية حول سلامة والديَّ. لكن كانت والدة ساي ايشي ووالده في هيروشيما وكانوا يكتبون إلي مرة كل شهر، ويسألون عن مجريات أمورنا، ويطالبوننا على الدوام بأن نأتي إليهم إذا ساءت الأمور فيي أوساكا. ولما تشاورت مع أتسوكو بعد ذلك في الصباح البارد والفارغ والمطل على أرض قاحلة خامدة، على البقعة التي كانت منزلنا، بدا العرض أمام عقلي، أنه الأفضل وسيجعلني قريبة من أوكاياما، حيث يوجد تاكاأو.

وافقت أتسوكو على الخطة، وأسرعنا لنلحق بأول قطار من أوساكا إلى هيروشيما والذي لا يتبع الطرق داخل البلاد بل يذهب عن طريق الميناء البحري في كوره.

كان علينا أن نركب مقطورة الدرجة الثالثة، وهكذا لحقنا بالناس حيث لم يعد يوجد أية مقصورة للوقوف من النوع الممتاز، لكن القطار يصل إلى هيروشيما. طبقاً لجدول مواعيد محدد. وعندما مر القطار عبر محطة أوكاياما، تخيلت «أن تاكو هو هنا!» وأنني مدفوعة بموجة من الإهتياج لأقفز من القطار والذهاب إليه، لكنني قاومت هذا الإلحاح، معللة نفسي أن علينا أولاً أن نحصل على مقر لنا في منزل جديد.

سرنا على الأقدام إلى منزل والديَّ ساي ايشي بعد الوصول إلى محطة هيروشيما، مستخدمتين عنوان البريد العائد لأحد رسائلهما. كان الوقت

حينذاك مساءً، ووجدنا أخيراً طريقنا إلى بيتهم في مينا ميماشي. كان حماي يعمل في المكان الذي يتم فيه صناعة السفن وترميمها التابع لمتسوبيشي في كانوغاشي، ولم يكن في البيت بعد حينذاك، لكن حماتي كانت هناك. عندما فتحت الباب، كنت مسرورة لرؤيتها، وهي ذات مظهر حسن، علماً أنني لم أرها إلا مرتين، حيث جاءت مرة إلى أوساكا في ميلاد كوينو، والأخرى في جنازة ساي أيشي. في البداية لم يكن لديها أية فكرة عما نكون نحن، أو ماذا نريد، ونظرت إلينا بنوع من الريبة، وإلى حالنا المزرية، ووجوهنا المسودة بالسخام. لكن عندما تحققت مَنْ نكون وسمعت ما حدث، رحبت بنا من كل قلبها. عاد حماي إلى البيت من عمله بعد قليل، واستمع إلى روايتنا حول المحنة التي اجتزناها، واسانا وقال: «على الأقل خرجتن منها أحياء بدون أذى. وهذا مايهم».

بعد ذلك ذهبنا إلى الحمام العمومي بجوارهم، واغتسلنا أتسوكو وأنا من السخام والقذر، أخيراً بدأنا نشعر بأنفسنا من جديد. في تلك الأيام، أصبح الماء الساخن في أنابيب الحمامات العمومية قذراً بشكل ملفت للنظر، كما أصبح الماء فاتراً فقط بسبب قلة وجود حطب لتسخين الماء كما ينبغي، ولدى الناس قليل من الصابون- بالطبع كان الوضع نفسه في اوساكا وباقي اليابان.

من اجل العشاء، ملحنا سمكاً جافاً وأرزاً، حيث ادخره حماي من المناسبات الخاصة. كم كان رائعاً، وأنا أتذوقه! حتى الآن، أتذكر تلك الوجبة، وكيف فكرنا لنحصل على مثل ذلك. إذ لم نكن نتذوق مثل تلك الوجبة، الليلة الماضية، حيث أكلنا بسكويت البحر.

قال حماي بأنه سيذهب في الأيام القريبة القادمة ويرى كيفية الحصول على تسجيل أتسوكو في هيروشيما في مدرسة البنات الثانوية في ولاية آكي. وبالسرعة الممكنة، وهكذا وجدنا مكاناً جديداً للعيش تلك الليلة، ولم أتمكن من حبس دموعي، وبكيت طوال الليل.

في اليوم التالي، ومن عادتي، أنه لا يمكن أن أكون عالة على غيري لأبقى عاطلة عن العمل، ومنتظرة كضيفة، شرعت بالبحث عن عمل، ومن حسن الحظ وجدت عملاً في صناعة الثياب العسكرية في مستودع قريب. إذ أصبح

النقص في القوة البشرية كبيراً جداً، حتى لدرجة أنه مع تعبئة الطلاب، فإنه لم يعد بالإمكان توفر الطلب على اليد العاملة. وتقدمت بطلب إلى مكتب الحراسة للمساعدة كلاجئة من أوساكا التي قصفت بنار القنابل الحارقة، وكانت النتيجة الحصول على بعض من بطاقات التموين من الأرز. وجهزت إضبارة بالوثائق الضرورية من أجل نقل أتسوكو لمدرستها الجديدة وقمت بهذه النشاطات مما جعلني مشغولة تماماً. ولم أشعر إلا وقد مرت عليَّ ثلاثة أيام.

كذلك، كتبت إلى ابني الصغير، تاكاأو، في أوكاياما، والذي لا بد أنه قد قلق بشأننا بعد أن سمع عن قصف أوساكا بالقنابل. وعلى الفور تلقيت رسالة جوابية منه.

كان انطباعي حول الغارة الجوية على أوساكا أن كامل المنطقة بالقرب من خط الساحل الشمالي إلى مركز المدينة- التي تشتمل على دوائر، نانيوا، ونيشي، وميناتو، وميناامي، وتيشو، وهنغاشي، أخيراً، نيشناري- قد دمرت بالكامل غالباً. مع ذلك، كانت توجد في هيرشيما تقارير تتحدث ببساطة عن غارة جوية على أوساكا، وقيل إن الدمار كان في حدوده الدنيا. ومن جانبنا فقد جرى إسقاط سبع وسبعين طائرة من طائرات العدو التسعين. وقد ذهلت من هذه التقارير غير الصحيحة، الصادرة عن السلطات العسكرية التي كان اهتمامها ربما ليس قلق السكان. وفي الحقيقة لم يبد تاكاأو ولا والديَّ زوجي قلقاً جداً حول ما جرى في أوساكا نتيجة التقارير الرسمية عن الغارات الجوية، وعلى أية حال، فإنهم لم يفكروا إطلاقاً أنه من الممكن أن تصبح مدينة واسعة مثل أوساكا مدمرة بغارة جوية واحدة.

كان التخرج قد تسارع في مدرسة البنات الثانوية أيضاً خلال الحرب. ومنحت الطالبات شهادات بعد أربع سنوات فقط بدلاً من خمس سنوات، حسب العادة. وشرعت اتسوكو بالذهاب إلى مدرستها الجديدة بشهر نيسان، لكن نتيجة لسوء الوضع أثناء الحرب، أصبحت الصفوف النظامية خارج كل قاعدة وفرضت التعبئة العامة، وحالة الطوارىء، عندئذ، أصبحت تؤخذ البنات للعمل في خدمة مصانع الذخيرة، ويستبّدلن بذلك للعمل في منازلهن، وأحياناً تخصص صفوف كاملة من الطالبات للعيش في المصانع حيث يعملن.

وشرعت القوات الأمريكية في هذه الأثناء بالنزول في أوكيناوا وسط قتال ضار، وازداد عدد الغارات الجوية في أنحاء اليابان، حتى أخذت أجهزة الإنذار بالغارات الجوية التمهيدية تلعلع باستمرار. وصارت القاعدة البحرية في كوره، غير البعيدة عن هيروشيما، تحت هجمات متكررة من قبل المقاتلات من طراز غرومان. وتطير طائرات أخرى من حاملات الطائرات المعادية.التي كانت تطوف بعيداً عن الشواطىء.

برغم ذلك، كنا نقوم برحلة مرة كل أسبوعين أو هكذا للحصول على طعام من عند الأخ الأكبر لحماي، الذي كان يعيش في كاميغوروز في منطقة كامو عبر الجبال إلى الشمال- الشرقي. على الرغم من الجهد الكبير الذي نقوم به والمعقد للوصول إلى هناك، ومن ثم العودة- في أيام العطل- كنا محظوظين وشاكرين، كوننا قادرين على إضافة بعض من المواد على طعامنا الهزيل من الجراية التي لا تشكل سوى لقمة من الأرز وبعض البطاطا أو أنواع أخرى من الخضار. وتحت عناية والديَ زوجي المتوفي فإننا أتسوكو وأنا قدنا الحياة، من خلال هذه القسوة، لتنجز في طريقها الخاص.

مع ذلك، لتكون حياة فقيرة أيضاً.

فجأة، مساء الثالث من آب، تلقيت برقية من الأستاذ المسؤول عن صف تاكاأو في مدرسة الطب في أوكاياما: «تاكاأو في خطر- تعالوا على الفور».

لم أستطيع أن أتخيل ماذا يمكن أن يكون قد حدث له، وشعرت بساقي قد ضعفا، واعتقد أنني متجهة نحو الإنهيار، صرت كما لو أنني ألقيت في بئر بلا قرار. استجمعت كل مابقي لي من قوة، وأهملت كل شيء، وأسرعت إلى محطة قطار هيروشيما.

وصلت تماماً في الوقت الذي لحقت به القطار الليلي. وكانت كلمات «المتجه إلى \أوساكا» تلوح بقوة، بلون أبييض كانجي على أرضية زرقاء- على جانب القطار. وهنا، خيم علي انطباع شديد، شاعرة بعقلي المذهول بالضياع، مرَّ شريط حياتي بمخيلتي عن طفولتي، وحياتي مع ساي ايشي، والمذبحة الرهيبة التي قادتني خارج بيتي.

جاءت أتسوكو إلى المحطة معي لوداعي، كانت عيونها مملوءة بالدموع، مع ذلك، كانت تحاول أن تتصنع بسمة مرحة لدعم معنوياتي. ولوحت لي مودعة عندما خرج القطار من المحطة، قائلة اعتني بنفسك الآن! اعتني بنفسك!...

عزيزتي أتسوكو الشابة، يمكن أن تخضع لتجربة قاسية، الواحدة بعد الأخرى. ففي مثل هذا العمر الطري- نيران القنابل في أوساكا، حياتنا القاسية زمن الحرب، موت هيديو في المعركة والآن ظرف تاكاأو المقلق غير الواضح. لقد كان من الصعب علي رغم عذابي أن أتركها وحيدة مع جديها. مع ذلك، بعلم الله فقط، أنها كانت أخر مرة أراها فيها على قيد الحياة.

قضيت عدة ساعات في القطار في حالة من الصلاة الصامتة، وكنت أبكي في كل لحظة في قلبي «تاكاأو، لا يمكنك أن تموت، يجب عليك أن لا تموت، استمر بقوة» لقد فوجئت عندما توقف القطار في محطة أوكاياما في الوقت المناسب. لكن قبل ذلك، لم تكن الطائرات بعد تقصف القطارات في الليل.

حاول عقلي نفي الدلالة الحقيقة لكلمات البرقية المقلقلة. إذ كان الأستاذ مرسل البرقية في مدرسة الطب، دكتور في الطب، فإذا قال أن تاكاأو في وضع مقلق، عندئذ...لكن، لا، إن عقلي لا يقبل الوضوح، ورأسي يطن بالفكرة «ليس صحيحاً». لا يمكن أن يكون، لا يزال قلقاً، مغلفاً قلبي كعاصفة باردة في كل جانب بالسواد، ومنذراً بالشؤوم.

اندفعت إلى مستشفى مدرسة أوكاياما الطبية، ووجدت تاكاأو، في حالة مزرية، حتى لعين أم مغعمة بالأمل، كان خيال الموت واضحاً عل وجهه السقيم الشاحب ووضح لي الأستاذ الذي أرسل البرقية، بعطف ولطفٍ ما جرى: التهاب الزائدة الدودية أدى إلى تمزقها. والآن فقد تطور إلى التهاب الصفاق. والمدرسة الطبية التي حافظت منذ زمن طويل على صفوفها النظامية نسبياً غير متأثرة بالحرب. خضعت أخيراً إلى ضغط الظروف التي ازدادت سوءاً، وبالتالي شرعت في إرسال الطلاب للعمل في مصنع الطائرات في هيروشيما. وبجلاء، فقد تجاهل تاكاأو، في اليوم السابق، ألماً شديداً في البطن، واستمر بالعمل. وكان يقول دائماً إنه لن يموت، وفوق ذلك، كان يقوم بمساعدة زميل له، طالب بحري، الذي ربما غرس فيه شعور قوي بالواجب للمساعدة في المجهود

الحربي بمقدار مايمكن، واستمر بالعمل على الرغم من الألم، على أي حال، جرى نقله إلى مستشفى المدرسة الطبية من أجل جراحة عاجلة. لكن أصبح الوقت متأخراً جداً، فقد وجد الجراح، التجويف البطني مليء بالصديد، وأصبح في ظرف خطير. وأكثر من ذلك، فإن العقاقير اللازمة للمعالجة، كانت غير متوفرة، وأصبحت صحته عندئذ، مثل معظم اليابانيين، سقيمة، في البداية، نتيجة شهور طويلة من سوء التغذية. وبمثل لمح البصر تماماً، تفاقم وضعه الخطر إلى وضع حرج.

تكلم ابني تاكاأو بتاريخ الـ(١٥) من آب، كلماته الأخيرة، عندما جلست بجانبه.

أمي، سامحيني لموتي قبلك، اعتني بنفسك جيداً، وتمتعي بحياتك، وقولي وداعاً عني لأتسوكو...أمي....»

ثم قضى نحبه، وهكذا فقدت ولداً آخراً، ثمرة كل سنيني من الكفاح.

لقد كان يوم أحد، لكن، وعن طريق تدبير خاص، أصبحت قادرة على الحصول على الجثمان المحروق، قبضت على صندوق رماد الجثة المحروقة بإحكام، واستقليت القطار الليلي المتجه إلى هيروشيما، الذي مر بأوكاياما في الساعة الثالثة صباحاً، في السادس من آب. لم أتمكن من اللحاق، بالقطار المبكر حيث كان علي الذهاب إلى منزل تاكاأو بسبب أشياء وأفرغ غرفته في مكان إقامته السابقة في المثوى قبل أن يغادرني.

أعتقد أنه يمكنكم أن تتصوروا كم كنت أشعر باليأس عندما ركبت القطار، والألم يعصر قلبي خلال ليلة العودة إلى هيروشيما. حقاً، لقد عزمت على الإنتحار بجدية، هكذا، كنت مرهقة من سلسلة المآسي التي لا نهاية لها، على ما يبدو، والتي حطمت حياتي. لولا أتسوكو، فكم كان من السهل علي أ ن ألقي بنفسي من القطار.

وعندما بدأت السماء يغمرها الضياء، أخذ القطار بالمرور في البحر داخل البلاد، وكنت قادرة على مشاهدة سفينة حربية يابانية ضخمة وهي ترسو على الشاطئ، وجرى تمديد خط كهربائي بينها وبين اليابسة، حيث لم يعد يوجد

وقود لديها لتشغيل محركاتها، وكان سطح الباخرة مغطى بأشجار الصنوبر المحمرة، من المحتمل من أجل التمويه.

كان واضحاً، حتماً لي، كامرأة جاهلة بالأمور العسكرية، أن اليابان كانت تخوض حرباً خاسرة. وخيال الهزيمة يبدو كونه يضطرب على نحو عائم عبر قلوب وعقول اليابانيين. مع ذلك، فالناس لا يزالون يرددون آلياً هذه الجمل الخادعة عن الحرب- عدم قابلية اليابان للتدمير، أرض الآلهة، العمل واجب في حرب مقدسة، ومن أجل مصلحة الإمبراطور- وقلوبهم لانؤمن بها. والكلمات ماهي إلا تعابير جوفاء، وبدون معنى، كالمصلين الذين يدندنون [illegible] وعي فقط من أجل المظاهر لا غير.

من شباك القطار، كان بإمكاني رؤية قاعدة كورة البحرية وقد دُمرت [illegible] بالكامل نتيجة الغارات الجوية، كذلك الحوض البحري وأيضا مدينة كورة نفسها، وكانت شمس الصباح الباكر في منتصف الصيف تشع لامعة بلا رحمة، على الخرائب، كما لو أنها كانت تعرض النهاية المحزنة لدعوة اليابان للسيطرة على جنوب- شرقي آسيا.

خلال رحلتي الطويلة كان التفكير برؤية أتسوكو مرة أخرى في هيروشيما تماماً بعد ثلاثين دقيقة أخرى تقريباً يَمُدّني بقوة جديدة، حتى [illegible] جالسة قابضة على رماد ابني تاكاأو في حضني، وحيدة في قطار الليل [illegible] قضيتها في الدعاء من جديد، وبإستعادة ذكريات تاكاأو، أو صارحة [illegible] اعتقدت أنه لم يعد لي من دموع باقية بالتأكيد، حيث انسكبت حتى [illegible]

كان لقائي مع أتسوكو على الفور مرة أخرى، هو قوتي [illegible] وراحتي، لكن في الوقت نفسه، كان قلبي يتألم عندما أفكر بإعلامها [illegible] أخيها.

بعد الساعة السابعة بقليل، أطلقت المكابح الصرخات فجأة، وبدأ القطار بالتباطؤ. في تلك الأيام، كانت طائرات العدو تنطلق على نحو دائم من على حاملات الطائرات الراسية في المياه الشاطئية وتطلق نيرانها على القطارات. وهكذا اعتقدت للحظة أن تباطؤ القطار، كان إجراء للتخلص أو مراوغة ضد

ذلك الهجوم. لكن من ثم، سمعت عواءً مألوفاً لأجهزة الإنذار الخاص بالغارات الجوية التمهيدية. وعلى مسافة، فهمت لماذا توقف القطار، تلهفت للنجدة، ووداع تلك المرحلة الأخيرة من الحرب، حيث كانت تلعلع آلات الإنذار التمهيدية كل يوم.

إلقاء القنبلة النووية على هيروشيما:

في اللحظة التي تم بها الإعلان عن زوال الخطر، بدأ القطار بالتحرك ثانية، فجأة، كانت هناك حزمة ضوء لمعانها الشديد لم أشهده من قبل. أشد كثافة بكثير من ضوء الصباح الباكر الساطع من شمس منتصف الصيف. في اللحظة التالية، ارتطم القطار بانفجار مروع نتيجة موجة هواء وموجة صدمة، واندفعت من مقعدي إلى الممشى.

تلفت المسافرون الآخرون هنا وهناك مذهولين متعجبين عماذا حدث على الأرض. وأخذ بعضهم يئن من ألم الصدمات التي تلقوها كونهم يصطدمون كيفما شاء. نهضنا واحداً فواحداً، وقفزنا من القطار ،وتجمعنا في تجمعات صغيرة إلى جانب السكة الحديدية. عندما أدرت وجهي على نحو غريزي بالإتجاه الذي صدر منه الضوء، ياالهي، ما هذا المشهد، كانت هناك.غيمة عملاقة تتلاطم نحو السماء فوق المكان، حيث عرفت بأنه يجب أن يكون هيروشيما. ثم بدأت قمة عمود ترتفع وتتوسع أفقياً، وكانت تشبه الفطر تماماً. تبدلت الغيمة المتلاطمة بالتدريج، من ابيض إلى أصفر ثم إلى أرجواني، من ثم إلى ألسنة حمراء داخلاً من اللهب، ينطلق هنا وهناك- شعرت كما لو كنت أشاهد مناظر خاطفة من الجحيم نفسه.

اعتقدت أن القطار قد توقف بالقرب من فوشوشو، وقدرت أننا كنا على مسافة حوالي أربع كيلومترات من منزل والداي ساي ايشي، في مناميماشي، بالإستناد إلى ظهور جبل أو نحوت إلى اليسار، ونهر إنكو. بدأت أركض وحيدة، مُوَطِّدَةً العزم، جنباً إلى جنب مع سكة الحديد باتجاه هيروشيما. ممسكة الصندوق الذي يحتوي على رماد جثة تاكاأو بين ذراعي بشدة.

اجتزت جسر هيغاشي، ومررت عبر منطقة كيتا. لم أفهم ماذا حدث فعلاً

بالضبط، لكن تحققت أن هيروشيما قد دمرت على نحو كامل بنسبة تفوق تصور العقل، مع ذلك لم تكن لدي فكرة عن نوع السلاح الذي يمكنه أن يحدث مثل هذا الدمار الكثيف.

كان مركز المدينة قد دُمِّرَ تحت الغيوم المعكرة من الدخان والغبار، والنيران تثور في كل مكان. واعترض سبيل تقدمي داخل المدينة مجموعات من الناس، الواحدة بعد الأخرى، البعض كان يعمل في مجموعات في مدرسة البنات الثانوية يهرولون نحو الجنوب من اللهيب الرهيب وراءهم. وكانت ثياب معظمهم قد احترقت. كانوا في غالبيتهم عراة، البعض قد أصيب بحروق حمراء ملتهبة فوق أجسامهم بالكامل، مع قطع من جلودهم المحروقة تتدلى من وجناتهم أو أذرعهم. آخرون، كانت عيونهم جاحظة في وجوه من عظام مسلوخة الجلد. إذ ذابت بشراتهم بالكامل عن قمة رؤوسهم ووجناتهم. آخرون كانوا لا يزالون لم يصابوا بأي أذى في مقدمة أجسامهم، لكن فقط، توجد ثياب على قفاهم من الرأس حتى أسفل القدم– فقط، حمراء متلألئة، من اللحم المسلوخ، حيث يوجد جلد.

كان هؤلاء الفقراء البائسين يساعدون الواحد الآخر في إنهاضه ويدعم كل واحد الآخر بالمناكب وهم يلهثون تحت ذلك المجهود. وسقط بعض الناس في طريقهم أمام عيوني بالذات، وتمددوا بلا حراك، ودفعوا وراء حدود طاقتهم الجسمية والعاطفية الكثير منهم، مستجدين بصوت ضعيف، هل تعطوني قليلاً من الماء؟ ماء... من فضلكم... ماء.... لكن ليس لدي ما يمكن ان أستطيع عمله لمساعدتهم وعندما حاولت قليلاً من المرات مساعدة بعض الضحايا المتعثرة الذين ظهروا أنهم كانوا على حافة الإنهيار، انسلخت جلودهم المحترقة بِيَدَيَّ حينما حاولت مساعدتهم. لقد كان من الصعب بالنسبة لي أن أعد نفسي أن أقدم مباشرة لهؤلاء الناس المساكين مع مثل هذه الجروح المثيرة للاشمئزاز أية مساعدة. في الوقت نفسه، فزعت أن أجد أتسوكو بينهم– مع ذلك، كان عَلَيَّ أن أعثر عليها، وهكذا جهزت نفسي أن أحتفظ بعينيَّ مفتوحتين أقصى ما يمكن، عندما استمريت في فحص كل حطام مقرح لأي كائن بشري لأرى فيما إذا كان ابنتي.

كانت جميع البيوت في منطقة ميدوريماشي قد تسطحت بسبب تلك العصفة. وعندما تحققت أن ميناميماشي التي كانت تقع بالقرب من مركز المدينة، قد أصبحت في حالة مشابهة من الدمار، اعتصر قلبي ألماً موجعاً لكنني تابعت السير باتجاه الشمال عكس السيل الذي لانهاية له من الناس الهاربين.

كان المسؤلون عن الدفاع المدني يرشدون حشود الهاربين للتوجه إلى منطقة ديشيو-شو، حيث توجد محطة إسعاف طبي كانت قد أقيمت هناك. وحاول كل واحد التقيت به أن يوقفني من الذهاب للشمال، آمراً :«لا تذهبي في هذا الطريق إنه خطر». لكنني تجاهلت نصائحهم، وشققت طريقي باتجاه ميناميماشي.

كانت أبنية كل من كلية هيروشيما للنساء ومدرسة هيروشيما الثانوية قد أصبحتا ركاماً تحت نار داخنة من غير لهب، وكان كثير من الناس قد احتشدوا على الأرض في الميادين الرياضية القريبة.

أخيراً، عندما تقدمت إلى البيت في ميناميماشي، خارج مدى نظري، شاهدت تجمعاً ضخماً من الناس الهاربين عبر جسر مييوكي، لكن كان اهتمامي قد تركز على جثث والدا زوجي، اللتان كانتا ممدتان أمامي بين أنقاض البيت المنهار، معلقتين تحت عارضة خشبية ضخمة.

كانت مؤخرة رأسيهما قد تحطمت نتيجة سقوط العارضة السميكة الثقيلة، سالت الدماء تحت وجهيهما النحيلة فاقدي الحياة. وقد بدا أنهما ارتطما في اللحظة التي استدارا للشروع في الركض باتجاه الباب، لأن جسميهما كانا باتجاه الطريق.

كان حافزي الأول إخراج جثتيهما من تحت الأنقاض، لكن كيف يَتَيَسَّرَ لي ذلك. مع كل ثقل هذه الأخشاب الأخرى نتيجة إنهيار السقوف. فلم تتزحزح العارضة إنشاً واحداً عندما حاولت بكل قوتي الهزيلة تجاهها ولم تكن هناك من وسيلة أستطيع بها تحريك الأنقاض وحمل جثتيهما خارج الحطام. وحتى لو كان لدي القدرة على عمل ذلك، فإلى أين عَلَيَّ أخذهما؟.

كنت هائجة مع القلق حول ماحدث لأتسوكو. ونقبت في حطام البيت

وما حوله، لكنني لم أتمكن من العثور على جثمانها في أي مكان، وهكذا، فكرت أنها كانت في الأسبوع الماضي تخرج يومياً مع زميلاتها في الصف حسب أمر من قبل سلطات المدرسة لتقديم المساعدة في بناء حواجز النار حول الحي الذي توجد فيه المكاتب الحكومية، نتيجة البيوت المدمرة بالقنابل. وكنت أعرف أنه كان عليها أن تغادر المنزل باكراً ذلك اليوم من أجل العمل الذي يبدأ في الساعة السابعة كل صباح، حتى أيام الآحاد. وهذا يعني أن أتسوكو ربما لقيت المصير نفسه الذي لاقته البنات اللواتي رأيتهن يتهادين باكراً في مركز المدينة كاستعراض مروع في مسيرة الموت.

ابتعدت عن خرائب المنزل، واتجهت مرة ثانية إلى الشمال أركض كالفأر المذعور. بالطبع لم أكن أعرف بالضبط مركز مكان عملها، لكن كان علي أن أحاول أن أجدها بالسرعة القصوى، لأتحقق من ذلك على الفور وقد تمنعني حرارة النيران المتزايدة من الذهاب أبعد.

في هذه الأثناء، بدأ مطراً أسود غريب بالهطول، على شكل قطرات، كبيرة على نحو شاذ، وبحيث كان يبدو أنه لم يكن قطرات ماء. وصادفت أبعد إلى الشمال أجساماً متفحمة أكثر ، شاهدتها ممددة ومنتشرة على الأرض، باردة نتيجة الموت. وهي في أوضاعها النهائية، بعضهم كانت وجوههم باتجاه السماء، وآخرون قد التووا واستداروا على صدورهم من شدة معاناتهم في نزعهم. وكثير من الموتى سحبوا أنفسهم جماعات وتجمعوا حول حنفيات الماء في العراء، منساقين بالرغبة الملحة اليائسة من أجل الماء، لوجود الماء في المنطقة وقد تتحرك بين الفينة والأخرى إحدى الأجسام المحروقة قليلاً – كيف يمكن لمثل هذا المخلوق أن يبقى به نفس، حقاً، لقد دهشت– وهي تطلق أصواتاً ناعمة جداً وصغيرة كأزيز البعوضة، وهي ترجو «ماء....ماء.....» أناس آخرون تحولت وجوههم إلى عبوس مرعب، وأناس آخرون، مسرعون إلى أبعد حد ويدل مظهرهم على أنهم على وشك الموت، وهم، يجرون عربات تدفع باليد، حاملين فيها بعض الجرحى.

فكم من الموتى والجرحى ممن مررت بهم في ذلك اليوم السابق المأسوي؟ وليس لي شأن أو اهتمام، كم هي المسافة أو القسوة التي صادفتها. وكنت

أصرخ، أتسوكو أتسوكو، وكان الجواب، فقط، عويل الناس، ممن هم على حافة الموت، من سوء الحظ، كانت أتسوكو قد نقلت إلى مدرستها الجديدة منذ حوالي أربعة أشهر. وكنت لا أعرف شيئاً عن زميلاتها في الصف على نحو كاف وجيد من أجل التعرف عليهن الآن وسؤالهن عنها، ومن المحتمل أنهن لا يعرفنها على نحو كاف ليتذكرنها. وكنت أعرف أنه من غير المفيد أن أسأل البنات الجريحات اللاهثات من ذات العمر مثلها، هل تعرفن أتسوكو؟ أو هل رأيتن أتسوكو؟

عند التفكير بذلك، قلت لنفسي يمكن أنه قد سمح لها الدخول إلى المستشفى، وتوجهت إلى الأماكن المحيطة، بما في ذلك مستشفى الصليب الأحمر، ومستشفى جمعية المساعدة المشتركة، حتى المستشفى العسكري في هيساكا. بعد ذلك، فتشت في كل مكان يمكن أن أفكر به: مستودع أسلحة كاسومي-شو، المدارس الإبتدائية، أو أي نوع من المعسكرات أو مراكز الإسعاف، حيث يمكن أن تؤخذ إليها ضحايا الكارثة. لكن إذا احترقت اتسوكو حتى الموت مثل الكثيرين الآخرين، فإن وجهها سيصبح مقرحاً ومنتفخاً ويسود جلدها وتتحول ثيابها المهترئة إلى قشرة موحلة، تتحول إلى قطع كبيرة بمجرد لمسها ولو بلطف – فكيف يمكنني أن آمل أن أتعرف عليها، حتى لو كانت طفلتي الخاصة.

عندما تحولت إلى ظلمة بالكامل، وجدت زاوية فارغة في المدرسة الإبتدائية رقم (١) المكان الأخير الذي وصلت إليه بحثاً عن أتسوكو، وقضيت الليلة هناك مرهقة مصابة بدوار بسبب الرعب والمآسي التي شهدتها ذلك اليوم. على الرغم من ذلك، احتفظت برماد جثمان تاكاأو، فقد علقت الجرة الحافظة لرماده في صدري بقماش مربوط حول عنقي.

سمعت في اليوم التالي أنه يوجد عدة جرحى تَمَّ إجلاءهم إلى ميناء أوجينا، وهكذا، بدأت بالرحلة إليه على الفور. مع ذلك، فإنني لم أتناول أي طعام ،وشعرت بالإعياء لدرجة الإنهيار، وجمعت ما بقي لدي من قوة وتهاديت مرهقة،، لكن مصممة للوصول إلى هناك، أيضاً، لم أجد أتسوكو حيةً، أم ميتة.

من ثم، أعلمني أحدهم في أوجينا، أن العديد من الناس قد نقلوا بقارب إلى

نينوشيما، وتدبرت الأمر لأقفز على ظهر قارب متوجه إلى هناك- وكان قد شرع بمغادرة الميناء في تلك اللحظة. في نينوشيما، أيضاً، كان حقاً كالجحيم على الأرض، وهناك أيضاً، سأجد أخيراً جثمان أتسوكو، حيث أحضرت بواسطة شاحنة للجيش، من ثم بقارب مع ثلاث زميلات من المدرسة الثانوية للبنات. كان وجهها قد انتفخ، لكن ليس فيه أي أثر للمعاناة، وأن الموت قد زارها بسلام، فلا يزال اللون الأزرق النيلي المألوف والنمط الأبيض لثياب عملها الفضفاض والبلوزة، والشارة التي تحمل الإسم، معلقة على صدرها، جعلني أدرك حقيقة الأمر الخطير أن هذا الجثمان فاقد الحياة كان عزيزتي أتسوكو. طفلتي المسكينة إجلد ظهرها قد احترق من الرقبة حتى الخصر، وكان عمودها الفقري يرى بوضوح، مسلوخ الجلد، متلألئاً. وأعلمتني أم إحدى الفتيات الأخريات التي وجدت وأحضرت إلى نينوشيما، التي وصلت في الليلة السابقة، أن أتسوكو بقيت على قيد الحياة، بالكاد حتى ذلك الصباح، وكانت تئن بلا انقطاع، أمي أمي، ثم فجأة غنت مقطعاً مع آخر نفس، من أغنية قديمة ثم ماتت «يومض- يتوهج، يتألق- ومضة. وتغرب شمس المساء».

إن كلمات أتسوكو الأخيرة، كانت الشطر الأخير من أغنية سمعتها في بيت الحضانة، غالباً ماكنت أغنيها من أجل هدهدتها لتنام عندما كانت طفلة صغيرة، دفنت وجهي قبالة جثمانها وبكيت حتى اعتقدت أن قلبي قد انفطر.

لم أعد أتذكر أي شيء مما حدث لي في عالم الحياة بعد ذلك. إن موت أحد أطفالي الباقين فاق قدرتي على الإحتمال، فقدت عقلي على الفور.

قضيت عدة أيام أدمدم بشكل مشوش في مواجهة محطة هيروشيما، الذي تحول بناؤه إلى خراب.

وفي أحد الأيام، ركبت القطار المتجه إلى أوساكا. لم أكن أعرف لماذا. ربما أن عقلي المشوش جرفني إلى هناك بطريقة ما، عن طريق ذكريات الأيام السعيدة مع ساي ايشي وأطفالنا. أو ربما، هناك شيء عميق في عقلي المشوش، وكنت قلقة على والديَّ. وأردت الذهاب إليهم.

عندما وصل القطار إلى كيوتو، أعلم بعض الناس حولي ممن لا حظوا

ساوكي غير السوي، المدير، أخذت من القطار ونقلوني إلى مستشفى الأمراض العقلية في منطقة كيتاياما التابعة لكيوتو.

كنت هزيلة في جسمي وفي عقلي، وقد اصبت بمرض الإشعاع الشديد. الذي كان متوقعا، وافترضت، على ضوء الساعات العديدة التي قضيتها ماشية عبر الخرائب الملوثة بالإشعاعات في هيروشيما، والتجول بين العدد الذي لا يحصى من الجرحى والموتى، أن جرعات الإشعاعات أصبحت قاتلة لي.

وهكذا، توفيت بعد اسبوع في المستشفى.

وكان جثماني قد أحضر إلى هنا إلى مختبر التشريح، دون معرفة هويتي، على الرغم من كل الإرباك الفوري الذي أعقب الحرب، ووضعت تحت تصرف كلية الطب في راكوهوكو للدراسة التشريحية.

بعد سماع قصة الليلة الأولى:

تلاشت روح شيونو يوشيكو خامدة وأغلقت عيناها، ترنح رأسها على نحو حزين، كما لو أنه يتأمل أيام حياته مرة من جديد.

«قال يوشيو: حسن، بالتأكيد، كان نصيبك من المشاكل أكثر مما تستحقين» «فقد مات زوجك مبكراً، ومات أطفالك الأحبة قبلك. وفي قمة كل ذلك، عشت وسط قصف القنابل المرعب على أوساكا، وإلقاء القنبلة النووية على هيروشيما- تماماً ضربة وراء أخرى. إنك عانيت كل المحن التي لا يمكن تخيلها. إنني آسف كان عليك أن تجتازي كل ذلك».

لم يستطع يوشيو قول أي شيء أكثر. من أجل الحقيقة، ماهي كلمات العزاء التي يمكن أن تقال لشخص ما كانت حياته قد وصلت إلى هذه الدرجة من المآسي ومن الشقاء والقسوة، بحيث كانت اللغة الأساسية عاجزة عن ترجمتها . لقد شعر أن أية كلمات عزاء فارغة من كل معنى، وبدون جدوى على آذان روح شيونويوشيكو، «حسن، ماذا حدث لأبنك الأكبر كوينو؟ سأل يوشيو، بقلق ليعلم الواقع عن الابن المتمركز في بورما والذي توقفت رسائله فجأة عن الوصول.

عندما قتل هيديو خلال مهمة انتحارية، فإنني أعفيت نفسي من أرجحية أن

كوينو قد مات أيضاً في المعركة. بعد كل ذلك، كانت هناك إشاعة تقول إنه، على الأغلب، كل ياباني عسكري في بورما قد قتل. لكن ما أن دخلت عالم الأرواح. كان الأمر الأول الذي سألت عنه، هي أخبار كوينو. وعلمت أنه قد أسر من قبل القوات البريطانية، وسجن منذ ذلك الوقت في معسكر لأسرى الحرب في بورما، ثم جرى ترحيله مباشرة إلى اليابان. فلو كنت علمت ذلك وأنا لا أزال على قيد الحياة، فربما أملت على الأقل أن هناك ما ينتظرني - الأمل برؤية كوينو من جديد- وربما قد لا أكون فقدت عقلي.

«عليك أن تسامحني أنني تحدثت طويلاً عن مشاكلي المضجرة. كانت حياتي في الحقيقة مليئة بالإضطراب، عبارة عن سلسلة من الأحداث المحزنة ويمكن لأحد ما أن يُغرى ليقول ذلك، لكن أقول أيضاً بعد كل هذا، إن كل شعب يعيش حياته دون معرفة المستقبل. فهو شعب خاسر، هناك قول مأثور «انظر قبل أن تثب»، والحقيقة، من حسن الحظ أنه كان يوجد من لديهم قلوب مُعَدَّة من أجل ما هو غير متوقع، ويعزز إيمانهم بالله». وهؤلاء الذين يستطيعون التغلب على تجار الحياة، ليس مهماً ما يحدث للناس وإنما كيف يواجهون ذلك للتغلب على الأحداث.

«حسن، بما أن الوقت متأخر جداً، ولديك دروس عليك حضورها غداً، عليك الذهاب للبيت الآن. ولا تنسى أطلسك الروبر التشريحي» وابتسمت روح شيونويوشيكو بلطف ليوشيو. وتحولت روح الأستاذ يوهارا، التي كانت حتى الآن قد تأثرت بكلمات روح شيونويوشيكو، ولم تستطع إلا أن تؤمي برأسها بصمت وبانسجام، الآن إلى يوشيو، وقالت: «يوشيو، ستعلمك الأرواح الست الباقية خلال أكثر من ست ليال، قصص حياتها، أيضاً. كل ليلة، واحدة، من فضلك عد إلى هنا غداً، الساعة العاشرة ليلاً».

هيئات الأرواح، واضحة، من غير تمييز، كما لو أنها تحوم وسط هالة من الضوء، وبدأت بالذبول ببطء، ثم اختفت قبل أن تذهل عيون يوشيو.

أخذ يوشيو، أطلس الروبر من الرف، من تحت طاولة التشريح ومر بيده بحنان فوق غطائه، ثم وضعه تحت ذراعه، وغادر غرفة التشريح.

شعر يوشيو، بأنه متعب عقلياً وجسمياً، مع ذلك أحس كأن قوة عظمى قد ساعدته من خارج نفسه، وشعر بغرابة ذلك، ،ونظر إلى السماء في آخر ليلة، وعقله يفرض عليه صورة عالم الأرواح فوق هذا الإمتداد الفسيح الذي لا يحصى من النجوم المتلألئة، من ثم شرع بالتوجه للمنزل.

الفصـــل الثـــالث

الليلة الثانية

قصة الرجل الكوري الذي كان ضحية التمييز العنصري المستمر مدى الحياة

كان اسمي كيم هان سيك، في عالم الحياة. ولدت في مقاطعة هادوبغ، من ولاية لغسانغنام، في كوريا- مختارا لأسمها، بلدي كياباني، قبل هزيمتها في الحرب العالمية الثانية. انني الابن الثالث لمزارع فقير ،ولدت في الـ(٧) من كانون الثاني (١٩٠٠)، قبل عشرة سنوات من استعمار كوريا من قبل اليابان والحاقها بها. تبعاً لما أعلمني به والدي. ولم تكن الحياة في كوريا قبل الإستعمار مزدهرة، لكنها كانت مسالمة، ومتشربة بأربعمائة عام من تقاليد وثقافة مملكة ري. وكان الشعب ينعم بحياة هادئة خالية من الهم، في قرى زراعية، وتتمتع بالرعوية.

فجأة، سُلِبتْ منا نحن الفلاحين أرضنا من قبل اليابانيين – الأرض التي توارثناها عن أسلافنا أجيالاً، وأجبرنا على العمل كمزارعين مستأجرين، نفلح فقط قطعة صغيرة من الأرض. وهكذا، دفعنا إلى فقر مدقع لم نعرفه من قبل. وتحت حجة مسح الأراضي، جعل اليابانيون المزراعين الكوريين نتيجة التصريح الرسمي عن غاباتهم عمالاً زراعيين بعد أن تم الإستيلاء على أرضهم. ونتيجة الخوف من مصادرة أراضيهم وتفرض عليها الضرائب الباهظة، تجنب بعض المزارعين التقدير عمداً للمتلكات. وقدم آخرون، عن غير عمد تصريحات خاطئة، لأن قدرتهم على القراءة والكتابة سيئة، فقد أصبحت كل أرض غير مبنية حسب التصريح الرسمي مصادرة، وذلك بسبب سوء التقدير، وصارت مملوكة للحكومة اليابانية. ومن عمل بشرف وقدم تصريحاً دقيقاً، لم يعامل بشكل أفضل، لأن كل أرض فوق المقدار المحدد أصبحت مصادرة من قبل السلطة اليابانية. وهكذا، صارت الأرض المخصصة للكوريين هي الأرض البور الجرداء، كما أن كل مزارع كوري لم يعد يملك سوى قطعة أرض صغيرة.

إضافة إلى ذلك، بدأ المزارعون اليابانيون بالهجرة إلى كوريا، وكنا نحن

الكوريين حينئذ عاجزين عن فهم اللغة اليابانية بشكل كاف- في الحقيقة، لم يكن بإمكان البعض حتى قراءة الوثائق اليابانية- وباع كثيرون أرض أسلافهم وبيوتهم من أجل جزء من قيمتها. وكانت بعض المعاملات تجري بصورة سيئة جداً. وجرت مصادة الأراضي الجيدة. في النهاية تمت خسارة إرث أسلافنا بالكامل في كوريا، وأصبح العديدون من الكوريين مجبرين على مغادرة أرض أهلهم، وذهبوا لليابان ومنشوريا ليقتصدوا في حياتهم.

كوني الأبن الثالث، كان نصيبي الإبحار إلى اليابان بمساعدة شركة للعمل الطوعي. وهكذا أصبحت عائلتي أقل فرداً لاطعامه، وكان عمري ستة عشر عاماً حينذاك.

لقد كان من الصعب حقاً أن أترك عائلتي وأمي وأخوين أكبر مني، لكنني عزيت نفسي بهذه الفكرة، «سيكون كل شيء على مايرام في النهاية لأنني سأجمع مبلغاً من المال نتيجة العمل في اليابان، وسأعود إلى كوريا، من ثم سأعتني تماماً بوالدتي ووالدي، فالعائلة هي وحدة اجتماعية قوية، خصوصاً في كوريا، فأعضاء العائلة، مرتبط أحدهم بالآخر بروابط عاطفية عميقة وهكذا، كان مؤلماً جداً بالنسبة لي الإبتعاد عن عائلتي الحبيبة وعن حقول وجبال قريتي وموطني».

لقد ارتحلت إلى اليابان مع اثنى عشر كورياً آخرين تجمعوا سوية من قبل شركة تطويع للعمل في اليابان. غادرت كوريا وليس معي أي شيء، فقط عشرة ينات التي أُعطيتها لتغطية نفقاتي، حتى الحصول على أول أجر، والتي حافظت عليها وأخفيتها في جميع الأوقات، وحزمة ثياب من الغيارات القليلة التي أعدتها لي أمي.

كانت هناك كارثة مزعجة تنتظر الكوريين، على عكس الصورة التي رسمتها شركة التطويع للعمل لحياتنا القادمة. نحن الفقراء الذين استقلوا المعدية البحرية شيمونوسيكي- بوزان الى اليابان.

كان قلبي يتوق بحب الإستطلاع والآمال الكبيرة في المستقبل وأنا على ظهر تلك المعدية، ومؤخراً في اليابان عندما ركبت القطار للمرة الأولى. مع

كـل ذلـك، كنـت شابـاً مـن ستة عشـر عامـاً. قليـل الخـبرة. وسـرعان مـا تبـددت أحلامـي وآمـالي عندمـا توصلـت لمعرفـة الحيـاة القاسـية مباشـرة. والتوسـع الأقصـى بذلـك.

لقـد أعلمـت قصصـاً مغريـة حـول الأعمـال الجيـدة المتاحـة في أعمـال الخراطـة. ومصـانع الزجـاج، وصناعـة السـفن وترميمهـا، وسـك المعـادن، وهلـم جـرا، مـن الأعمـال الـتي تكسـبني المهـارة. لكـن كـانت كـل هـذه القصـص كاذبـة، مـن أولهـا لآخرهـا، حتـى لم أعـد قـادراً علـى التحـدث بلغـة البـلاد. حيـث أملـت أن أعمـل. فقـد تربيـت تربيـة كوريـة، وبحيـث لا تلائـم إلا القيـام بعمـل عضلـي بـأجر منخفـض. وكـانت نمـاذج العمـل الوحيـدة، المتاحـة لنـا، تلـك الـتي تتضمـن العمـل الشـاق وشـروط منطويـة علـى المجازفـة، الـتي يتجنبهـا العمـال النظـاميون اليابـانيون. كالأعمـال في منـاجم الفحـم، في بنـاء الطـرق والجسـور، في مـد السـكك الحديديـة. والتجهـيزات الخاصـة بصيانـة الأنهـار.

وهكـذا، كمـا تـرون، لم يعـد للعديـد مـن الكوريـين الذيـن خسـروا مصـادرهم في الدخـل والطعـام في بلادهـم الأصليـة، مـن خيـار. وكـان عليهـم الذهـاب إلى منشـوريا أو اليابـان في محاولـة لكسـب رزقهـم. كـان ذلـك يحـدث أكـثر فـأكثر لمـن يـأتون لليابـان مـن الكوريـين من أجـل مـلء الفـراغ النـاتج عـن النقـص في القـوى العاملـة اليابانيـة، وبـأجور أدنـى بكثـير عمـا يتقاضاهـا العمـال اليابـانيون.

لقـد كـان مـن الطبيعـي، بسـبب شـروط العمـل الإستثنائية والشـركات الخاصـة بـالتطويع للعمـل، والمجـردة مـن المبـادىء الخلقيـة، أن تقـوم الحكومـة الكوريـة بالإشـراف علـى تطويـع العمـال الكوريـين ومراقبـة مثـل هـذه الممارسـات الـتي كـانت تنفـذ عامـاً بعـد عـام منـذ مجيئـي لليابـان، مـع ذلـك لم تبـد أن مثـل هـذه التنظيمـات كـان لهـا تأثـير علـى تدفـق العمـال مـن كوريـا. وكـان الكوريـون المسـموح لهـم، بـالمرور، أو مـن ذوي الأعمـال غـير المفيـدة لليابـان، استنادا الى حاجـة اليابـان في كـل وقـت، لعمـال علـى سـبيل المثـال، عندمـا احتـاج اليابـان للعمـال عنـد الإنتعـاش الإقتصـادي بعـد الحـرب العالميـة الأولى مباشـرة، كـان يسـمح للعمـال الكوريـين بـالمرور دون قيـد، وعندمـا ضـرب الكسـاد البـلاد، وتسـبب في بطالـة واسـعة الإنتشـار، حتـى أمـام العمـال اليابـانين، سـنت الحكومـة

اليابانية تشريعات لوقف تدفق العمال الكوريين. وعندما كان يسمح لنا نحن العمال بالدخول لليابان للعمل، كان قراراً يابانياً. لكن كنا نذهب أساسياً ليس لأننا مطلوبين حقاً، بل بسبب أننا خسرنا أرضنا وأسباب العيش وسبله، بحيث لم يكن أمامنا من خيار.

في مناجم الفحم الحجري في شيكوهو

بعد الوصول إلى موجي على الجزيرة اليابانية كيوشو، المكان الأول، الذي أخِذت إليه، كان مناجم فحم شيكوهو، حيث كان يرسل العمال الكوريون عادة إلى هناك في تلك الأيام.

أثناء تبرعم الثورة الصناعية التي تلت الحرب الصينية- اليابانية. (١٨٩٤-١٨٩٥)، تفرعت ميتسوي وميتسوبيشي وسوميتومو، الثلاث من زيباتسو الضخمة، العائلة القوية التي تسيطر على مجموعة مالية برأس مال ضخم، إلى أعمال منجمية في شيكوهو، إلى الشمال من كيوشو، انتهى بي الأمر كعامل منجم فحمي في منجم مملوك من قبل تويوتا، شركة دخلت الصناعة المنجمية متأخرة جزئياً. بالطبع، فقدت حريتي منذ ذلك الحين، الحرية الحقيقية للإختيار في هذا المجال. فذهبت ببساطة فوراً للعمل حسبما تقرر شركة التطويع للعمل، وكان قلبي وعقلي مليئان بمزيج من القلق والأمل.

كان العديد من زملائي العمال الكوريين قد تزوجوا وأحضروا زوجاتهم معهم. وأنني أعتقد، أنني كنت الأصغر سناً هناك. وكان الرجال العازبين يسكنون سوية بصورة عامة في أكواخ مبنية بصورة فجة، تسمى(CHOSEN-NBYA) من قبل اليابانيين والتي كانت عشوائية، وهي أكواخ متداعية للسقوط، مع سقوف من تبن القش. كنا مجبرين على أن نعيش في هذه الأكواخ الحقيرة، وفي شروط حياة جديرة بالإزدراء، إذ تحشر عشرة رجال في غرفة، ليست أوسع من ست مماسح الأرجل، فقط.

أصبحت ثيابنا الكورية التقليدية من القطن الأبيض، على الفور، سوداء لامعة، بشكل دائم، بسبب عملنا في المنجم، لكن، مع قوتنا البدنية وجلدنا، نحن الكوريون، قمنا بأعمال قصيرة في أعمال ثقيلة، بحيث أن العمال اليابانين

يرفضون العمل بها، وكنا أقوياء كما كنا نعمل بأجور منخفضة تعادل أقل من نصف مايتقاضاه العمال اليابانيون. فالشركات اليابانية التي استأجرتنا. كان عليها أن تضحك بينها وبين نفسها، بسرور شديد، بسبب الإتفاق الذي حصلوا عليه معنا.

كانت ظروف عملنا صعبة التحمل إلى حد بعيد، إنها الحقيقة كان الأسوأ بالنسبة لي، هو التميز ضد الكوريين، وإنني لا أريد القول إن جميع مدراء المناجم اليابانيين، وجميع العمال اليابانين، كانوا سيئين، لكن ما هو مؤكد، كما يبدو، أنه في الأعماق، كانت الغالبية من بينهم ينظرون للكوريين نظرة إحتقار ويميزون بيننا وبين أنفسهم. في هذا الوقت، قام بعض اليابانيين يبذل جهد من أجل تأمين أمكنة للعمال اليابانيين للراحة والإستجمام، مثل النوادي والمدارس الليلية، ومنح أمامنا مجالاً آخر حيث كنت أعمل، دحرجت جسمي المنهك للذهاب للمدرسة الليلية بحيث أتمكن من تعلم اللغة اليابانية، وتعلمت اللغة بأسرع من العمال الكوريين الأخرين، شكراً لشبابي.

كانت الحصص الضئيلة، وذات النوعية الرديئة من الطعام التي كنا نتلقاها، شديدة الوطأة بالنسبة لي. فكان العمل الشاق يتطلب كمية كبيرة من الطاقة، كما كنت في سن النمو، وأحتاج إلى طعام أكثر للأكل من أجل سد هذه الحاجات، فإذا قدم قطعة صغيرة من السمك في رأس وعائنا من سمك الموجيميشي، مع الأرز المطبوخ والشعير، عندئذ نعتبر أنفسنا من المحظوظين. وكنا نرغب بوضع مرق فول الصويا على الموجيميشي، من ثم نغطس الخبصة بالماء الساخن محاولين خداع معداتنا الجائعة بواسطة زيادة كمية الطعام بمقدار ما نستطيع.

لقد كان مألوفاً بالنسبة للعمال الكوريين، أن يخصصوا للعمل في الأعمال الخطرة، بالنسبة للفحم، حصراً، وكان العديد منا ضحايا لحوادث العمل في المناجم، مثل الإنهيارات أو الإنفجارات في الغاز، أو السحق بين عربتي يد. وإذا أدى كوري أدنى إزدراء أو تمرد، يُعتبر عاصياً من قبل أصحاب المناجم اليابانيين، ثم يهاجمونه بالضرب بعنف، ،ويصل الأمر أحياناً إلى ضرب التعيس حتى الموت. فهؤلاء الذين كانوا مجانين عندما حاولوا الهرب، لاحقوهم،

وأعيدوا إلى المنجم، وكمثال للباقين، من بيننا يضرب بوحشية ويجري إبعاده، والله وحده هو الذي يعلم إلى أين ،لقد شاهدت ما حدث مرات عديدة، وإنني أهتم بذلك لأتذكر.

بالطبع، في البداية، تعرفت على كل شيء من كل شيء جديد. والعيش في أرض أجنبية، والعمل تحت سطح الأرض، منطوياً على ذاتي. ولم أكن أعلم ما كانت عليه حقيقة الوضع . مع ذلك، كان العمل مرهقاً، لكن، منحي على الأقل متعة كوني كنت قادراً على إرسال نقود إلى الوطن، إلى والدي. هذا ما جعلني أشعر أنني أصبحت ذو شأن، مع ذلك، أصبح التمييز العنصري ضدنا، بعد سنتين من مثل أصحاب المناجم اليابانيين، أكثر مما أستطيع تحمله. وأصبح العمل قاسياً، وصرنا نجبر على العمل ساعات أطول مما كان عليه الحال في عقد العمل، وأصبحنا نعطى من الطعام بالكاد يكفي للمحافظة على وجودنا أحياء، وتأكد لي أنه إذا استمريت بالعمل هنا، فإنني سأصبح عبداً وسأرهن نفسي طيلة حياتي، وبدون أمل في مستقبل أفضل. وإن استيائي من هذا التوقع الكئيب، يعتمد على هذا العمل المهلك، ويزيد من تعسفات اليابانيين.

في هذه الأثناء، أعلمني زميل في العمل، أنه قد سمع في الخارج بوجود طرق أسهل من أجل الكسب المشروع في سبيل حياة أفضل، إذا ذهب الواحد منا إلى أوساكا أو كيوتو في المنطقة الغربية من مقاطعة كيونغسا نغنام، وكان صديقاً لوالدي. وقد جاء إلى اليابان بعد استعمار كوريا مباشرة من قبل اليابان. أي أنه من الفوج الأول المهاجرين الكوريين لليابان ينجح في عمله- ولو أنه لم يكن وافراً- وفي الحياة العائلية من بين أغلب الكوريين الذين أتوا مؤخراً.

منذ اليوم التالي شرعت بالعمل كمعاون في مشاريع عمل عمومية مثل إقامة السدود على طول نهر كاتسورا، وفي بناء الطرق في أطراف مختلفة من المدينة، لكن العمل بتوقف بانهمار المطر، وأصبح بدون عمل، حتى يتحسن الطقس، وكنت أبقى في المنزل في تلك الأيام الماطرة، أقتل الوقت بأفضل ما يمكن، لكنني كنت أشعر بالإنزعاج لشعوري أن ذلك يسبب إزعاجاً لبارك وعائلته. فهو يعيش وزوجته وأطفاله الثلاثة في منزل صغير خرب، ويتألف من غرفتين صغيرتين فقط، لابل بالغة الصغر، ومطبخ ذو

سقف وسخ، ففي كل ليلة، عندما يحين وقت النوم، كان علي أن أفرش حَشِيَّةً على سقف المطبخ القذر لأنام عليها. كان كرم بارك وعائلته العظيم قيداً بالنسبة لي، ولكن الأكثر تعقيداً هو الإستمرار في قبول لطفهم وكرمهم. في أحد الأيام، بعد عام من وصولي إلى بيتهم بالضبط، فإنني استقرضت مبلغاً قليلاً من المال من بارك، واعداً إياه أن أعيده في يوم ما، وعلى الرغم من احتجاجات العائلة الشهمة، فإنني كنت محل ترحيب للبقاء معهم مهما طال الزمن الذي أريد، فإنني غادرت وتوجهت إلى طوكيو.

أعطاني بارك تعليمات بأن اتجه إلى الحي الكوري الشعبي في طوكيو على حافة نهر تاما في ضواحي المدينة. من سوء الحظ، كانت شروط الحياة أسوأ بكثير من مجاورة بارك في كيوتو.

كانت المنازل مجرد أكواخ، بحيث تبدوا كونها بنيت من الخشب الخرب ومن ألواح خشبية مكسرة. لقد كانت سيئة قذرة، تفوح منها على الدوام روائح كريهة، ناتجة عن النتانة، أو أشياء أخرى. وكان اليابانيون الذين يمرون من هناك يعتقدون أن الكوريين شعب قذر، ويزدروننا. لكننا كنا نتهم بالفقر والتمييز العنصري والعيش في أكواخ حتى بدون مرحاض وحيد مناسب.. وعلى ضفاف نهر تاما، لم نعرف مطلقاً متى يمكن أن تجرف منازلنا بعيداً نتيجة الفيضان. فكيف يمكننا أن نفترض إدخال تحسينات على الأرض وعلى بنية مثل تلك الحالة؟

في طوكيو، كما في كل مكان، ينظر اليابانيون باحتقار إلى الكوريين ويزدرونهم، فأطفال المدارس الإبتدائية اليابانية الذين يمرون بالقرب من أكواخنا في طريقهم للمدرسة يغنون بأصوات عالية، أغنية، اننا على يقين أنكم سمعتم بها.

اختير باكا، وليس سو، أو، أنا.

نيبون، اختير، تينو هايكا، أوناشي....

لاتهزأ بالكوريين.

لأننا نحن اليابانين والكوريين نبجل

الإمبراطور نفسه

كان اليابانيون يسخرون من الكوريين بسبب صعوبة لفظهم، لحرف

ال(ب) وال(هـ)، التي تلفظ مثل (P) والـ (J)، والتي تلفظ مثل (شي) في الكلمات اليابانية، وكانت كلمة (أختير) القاعدة اليابانية للاسم الكوري في تلك الأيام، لكنها تحمل دلالة ازدرائية. وكانت قساوتهم واستهزائهم السخيف اللاذع من اللهجة الكورية مثل الصفعة على الوجه، تجعلني احترق بالإذلال.

في طوكيو أيضاً، بقيت مع عائلة مؤلفة من خمسة أشخاص كيم وان سيوغ وزوجته وثلاثة أطفال، وكنت أعمل بصورة رئيسة في مشاريع أعمال عامة. لكن كان العمل قاسيا، وساعات العمل طويلة. وكانت الأجور أقل من نصف ماكان يتقاضاه العمال اليابانيون للعمل نفسه. وكان على مقياس للأجر بالنسبة للكوري أنذاك ستين سنتاً في اليوم، وبالطبع، كما في السابق، لا يوجد عمل بالنسبة لي، في الأيام الماطرة. وفيما بعد عام (١٩٢٠) عندما ضرب الكساد الإقتصادي العالم أجمع، وصار هناك العديد من اليابانين في حالة بطالة، أكثر فأكثر، وطبيعي أن يكون هناك فرص عمل، تبقى لنا نحن الكوريين.وهكذا غدت الأمور عندئذ.

يعود الفضل لكرم كيم وعائلته بوجود مكان ألوذ به ضد الريح والمطر والبرد. لكن لم يكن لعمال كوريين آخرين الحظ نفسه. فبعد عشرة ايام أو عشرين دون عمل، لم يعد لديهم ثمن زبدية ارز، وإذا تجاوزنا عن ذكر النقود لدفعها للحمام والبقاء ليلة، في فندق رخيص. وكلما مررت بأحدهم، اجده مغطى بقطعة راشحة بالوحل، يحتشدون على الأرض على جانب الطرق. وكان يؤلمني أن ارى رفيقاً ريفياً في مثل تلك الحالة المحزنة. مع ذلك، فإنني أجهل ما ستؤول إليه الأمور كيف أتدبر أمري لمواصلة العمل، ولم يكن هناك أي شيء أستطيع عمله لمساعدة هؤلاء.

كان التجار اليابانيون بحاجة لرجال من أجل دفع أو سحب عرباتهم المحملة بالبضائع للأسواق كل صباح، مع ذلك، كانت الأجور زهيدة جداً عشر أو عشرين سناً، ويشتد التنافس بين العاطلين عن العمل من الكوريين للحصول على هذا العمل ذو الأجر المتدني، ويشحدون التجار بقولهم «ومن فضلك دعني أجر عربتك» «استخدمني! ويدعونهم اليابانيون بمرارة (ثاشينو)، أي

المتسكعون في حالة بطالة مزرية. أما أنا، فقد طفت كل الطرق إلى طوكيو من كيوتو معتقداً بأنها قد تكون مكاناً أفضل. مع ذلك فقد تأكدت الآن أن الريف يقدم أملاً أكثر للكوريين من أجل حياة محتشمة أكثر من المدن الكبيرة. ولم يكن لدي الكثير، عندما كان القطار يستعد للإنطلاق، شعرت بنفسي أنني وقعت في شرك حياة لا يمكن التخلص منه للحصول على مورد رزق على مدى الحياة مع جميع الكوريين الآخرين في اليابان. مزدرين وتساء معاملتهم من قبل اليابانين كما لو كنا حيوانات تماماً وليس رفاقاً لهم ككائنات إنسانية.

في تلك الأثناء، بدأت المقاومة الشعبية في كوريا ضد سياسة الظلم الإستعماري الياباني، وما يتفرع عنها من وحشية، تأتي في المقدمة. فقد تطورت في الأول من آذار (١٩١٩) الحركات الإستقلالية. وأزعجت المظاهرة الضخمة التي سار فيها أكثر من مليون كوري في الشوارع، مطالبين باستقلال كوريا عن اليابان، السلطات اليابانية، وجعلتها أكثر عصبية. فردت عليهم بتشدد تمييزها العنصري وإرهابها ومن قوة كَبْتِها على البلاد المُسْتَعْمَرَةِ، بشكل أكثر. وهكذا جرت الأمور، وفي الوقت نفسه، ضرب طوكيو في عام (١٩٢٣) زلزال كانتو، وكان كارثة مرعبة خلفت قلقاً شديداً ومحنة للكوريين الذين كانوا يعيشون هناك.

زلزال كانتو الشديد عام (١٩٢٣)

في الأول من أيلول تساقط مطر غزير على طوكيو، ابتدأ قبل الفجر، وبدأت الشمس القوية حوالي الساعة العاشرة من ذلك الصباح، في نهاية الصيف، بالضعف، من خلال الغيوم. وبدا كما لو أن اليوم سيكون حاراً ورطباً. برغم ذلك، تحركت غيوم سوداء منخفضة في السماء الغربية، وَتُشْعِرُني بموجة من نذر الشر. كالعادة، كنت بلا عمل أقتل الوقت في البيت. وفي منتصف النهار شعرت بصدمة مروعة تضرب البيت، تساءلت «عما يحدث؟»- فالهزة أصبحت شديدة على نحو لا يصدق. لم أستطع معها الوقوف. فَجَثَمْتُ على الأرض الوسخة، على يدي وركبتي. في اللحظة التالية، أصبح الوضع شديد السوء، بحيث أن كلمة «هزة» بدت أنها لا تفي بالوصف. زحفت إلى الخارج وقد يكون الأمر مجرد وهم، ولكن تراءت لي حافة النهر

تتلوى تماماً للحظة نحو الأعلى والأسفل. وإلى الوراء وإلى الأمام، تماماً كالأفعى. وانفتحت في الأرض تصدعات ضخمة، هنا وهناك، وبدا النهر كما لو كان يجري عكسياً!

بدت كأنها استمرت زمناً طويلاً، لكنني أعتقد أن الهزة دامت حوالي عشرة دقائق. عندما رجعت لأنظر إلى المنطقة السكنية الكورية.

تكون غالباً جميع الهزات الضعيفة مدمرة جزئياً على الأقل، والعديد منها الآن تحولت بالكامل إلى خربة من الدبش، ولحسن الحظ، لم تندلع النيران في منطقتنا، بل باتجاه المدينة، اندلعت هنا وهناك، وامتدت بعيدة كما لاحظت وامتزج الدخان بالغبار المتصاعد بسبب الهزة وتعلق بالهواء. وهكذا ظهر مجمل السماء فوق طوكيو وكأنه ملطخ بالحبر الأسود. وانتشر الناس المذعورون وسط هذه الغيوم الملونة بلون السخام الخانق، نتيجة الكارثة المفاجئة يتراكضون في جميع الإتجاهات. وتجمعوا أينما تمكنوا، وحيث استطاعوا كأنهم ينفذون خطة هرباً من بيوتهم إلى مكان أكثر امناً، ويجهلون إلى أين يتوجهون بسبب ذعرهم، حيث افقدتهم الكارثة كل استعداد. فكانوا تائهين، يدفعون أو يسحبون عرباتهم المليئة بالأحمال، في كل اتجاه يبدو لهم خالياً من النار، لكن كانوا يجابهون من جديد بلهب ينطلق أمامهم. أخيراً تَأكَدَ لهم، ان ليس من مكان آمن، يمكنهم الوصول إليه، عن طريق الذهاب في هذا الإتجاه أم ذاك، ويتركون عرباتهم وكانت تلك العربات المهجورة وأمتعتهم تشكل عقبة أمام السير في الطرقات، إضافة إلى تلك الإرباكات والأخطار.

وعندما ضربت الهزة الأرضية، معظم الأسر، وكان فيها نوع من النار أضاءت الشيشرين، كمفتاح موقد الطبخ القابل للحمل، أو أي صنف يسبب إرباكاً للطبخ حينما يعدون غداءهم أو يأكلونه. وأصبحت العوارض الخشبية في البيوت، والأبواب الإنزلاقية، والحواجز المعدة، والأثاث، كل ذلك قد تبعثر على قمة هذه النيران المعدة للطبخ نتيجة الهزة العنيفة. وهكذا، لم يعد هناك ما يدهش، عندما توهجت البيوت تماماً كنار تضرم في الهواء الطلق- كأن شيئاً خيالياً لا يصدق. وفي وسط هذا الوضع، كانت هناك هزة عنيفة بحيث لا يمكن لأي شخص أن يبقى واقفاً، وما من أحد يمكن أن يفكر بإخراج النار المنتشرة،

حتى في حالة الوعي التام، إذ كان من المستحيل جسدياً استخراج الماء المطلوب للعمل.

تحقق للناس عى الفور، أنها لم تكن هزة عادية، ففي المناطق المجاورة لخليج طوكيو، ركض بعض الناس وهم يصرخون ويطلقون إشاعات زائفة، عن موجات من المد والجزر العملاقة كانسي، أو أبعد إلى الشرق من طوكيو في منطقة كانتو.

الهرب: عندما توصلت إلى قناعة، أنني لم أعد قادراً على الإحتمال، هربت في إحدى الليالي من المنجم. وقد شاهدت هاربين آخرين، أعيدوا وضربوا في جميع انحاء أجسامهم حتى الموت، وقد خططت لهربي بعناية شديدة، وبشكل مضمون، إلى هاكاتا. إن تمكني من اليابانية قد تحسن بعض الشيء آنذاك، وأصبحت أستطيع فهم ما كان يقال لي وأتحدث بسهولة كافية بالمسائل اليومية. لكن كل ياباني تكلمت معه، كان بإمكانه أن يعلم أنني من كوريا، منذ نطقي بأية كلمة، وأنهم يردون علي بغرابة. ولقد أرهقت وطأة رحلة الهرب الشديدة والمجهولة أعصابي حتى حدها الأعظمي. فلم يكن لدي فكرة عن الطريق المؤدي إلى كيوتو او أوساكا أو طوكيو، وما هي المسافة التي تبعدها هذه المدن. في قمة ذلك، كنت خائفاً أن ذلك الحشد من الأسئلة قد يعيق خطتي. لقد كانت الخطة في خيالي، لكنني أشعر وكأن عيونهم ترقبني في كل دقيقة من النهار والليل، كلما نظر إلي أحد عن قرب، أو بنوع من الريبة. وبالطبع، كنت أصاب بالرعب وأذوب في العتمة، وأبتعد عن الطريق، عندما ألاحظ نظرة من أحد رجال الشرطة. والأمر الأسوأ، أن النقود التي كانت معي هي فقط أجرة الشهر السابق، والذي لم أرسله لوالديَّ.

قادني الحظ للركوب في القطار المتجه إلى الشرق، عند نجاتي آخر الأمر من العواقب. وفي نهاية الرحلة، وجدت نفسي في محطة كيوتو. وكان والدي قد أعطاني عنوان كوري يعيش في كيوتو، قبل مغادرتي كوريا، وطلب مني أن أبحث عنه إذا ما ذهبت إلى هناك. والآن، تمسكت بالقصاصة البالية من الورق المدوّن عليها العنوان بإحكام بيدي، وشرعت بالسير باتجاه القسم الغربي من المدينة، حيث تقع المنطقة السكنية للكوريين. أخيراً، وصلت إلى كتلة من

البيوت المهدمة حيث يعيش فيها بارك أوت كيون وعائلته. وكانت تلك المنطقة مجاورة لقرية، تابعة «لوان التسونامي غاد!» وكانت صرخاتهم المسعورة تنشر لهيب الرعب في قلوب الشعب، وخرجت الأوضاع من السيطرة.

في هذه الأثناء، كانت هناك إشاعات أخرى موحشة بدأت بالإنتشار، بأن هذه النيران من عمل الكوريين- إحراق الممتلكات عمداً ! كذلك، قيل، إن الكوريين هم عصابة، وإنهم ثاروا ضدنا، يخلون بالأمن ويقومون بأعمال النهب! يستخدمون الزلزلة كحظ لهم للشروع بحركة للإستقلال» «لقد رأيت امرأة كورية تلقي بالسم في أحد آبار الماء، وبالتالي كان الجنود المسلحون ينتشرون في زوايا الشوارع، على الفور. ورجال الشرطة يتراكضون وهم يهزون سيوفهم دون هدف محدد، ولم أعلم سبب ذلك- كبح سلوكهم المشوش بشكل كبير، وما أن قيادات شرطة العاصمة جرى تدميرها بالنار، وأصبح زمام الأمور، في إدارة الشرطة في حالة فوضى، انتهت هذه الجهود المشوشة بخلق إرباك أكثر، بعيداً عن المساعدة لتهدئة الإحساس العام.

انتشرت إشاعات أنه يوجد جبل من الأجسام المقددة في مستودعات الألبسة العسكرية في هونجو، وآخر في آساكوسا، ونهر سوميدا كان مملوءاً بأجسام مجهولة الهوية. عندما نظرت حولي في هذه النيران، والناس الجرحى والأجسام المحروقة، كان بإمكاني أن أري بسهولة، كيف أن الخيال يمكن أن يُصبح حقيقة. وقد استمرت النار بعنف شديد من غير كبح، حتى الليل. وتوهجت سماء الليل على نحو رهيب من أعمدة اللهيب كموجات صاعدة من تحت الجحيم، جاعلة الناس أكثر إزعاجاً وقلقاً.

وكان الأسوأ تماماً، أن انتشرت إشاعات بين الناس، تقول إن الكوريين الذين يعيشون بقرب نهر تاما، كانوا المحرضين على النهب والإخلال بالنظام.

فعندما يهبط الليل، تشرع الإشاعات بالإنتشار، أن كذا وكذا، من مستودعات الطعام قد احترقت، وتدور الإشاعات وقت العشاء، هنا وهناك، ويبدأ الناس بالشعور بالجوع والعطش والقلق،حول وجبتهم القادمة. وعند ذلك الوقت، أخذ الجيش يفرض مراكز طوارىء لتوزيع الطعام، وشرع في تقديم طاسات من الأرز المغلي، حيث ستساعد الكمية القليلة من الطعام على

تهدئة وإعادة الطمأنينة للناس. لكن لم يكن يوجد لنا أرز نحن الكوريين، إذ أيقظت الإشاعات عن الإختلال بالأمن من قبل الكوريين الشعور العام ضدهم بين اليابانيين، وحظر علينا الإقتراب من مراكز توزيع الطعام. فكنا نقضي الليل بدون إغفاءة نوم أو قطرة ماء أو قضمة طعام.

عند فجر اليوم التالي من أيلول، اليوم التالي للهزة الأرضية، كنت أجلس على الأرض مع جماعة من الكوريين المرعوبين الآخرين، عندما أصبحنا فجأة مطوقين من قبل جماعة من الجنود والشرطة المدنية، وهم يصرخون بالشتائم علينا: «أنتم أيها الكوريون، لعنكم الله، المتمردون! اقتلوا أبناء العاهرات!».

دعونا نضرب أولاد الزنا إذا صدرت إشارة منهم!.

واستمروا في الصراخ، وقاموا بتفتيشنا للتأكد من أننا لن نسحب السكاكين عليهم. من ثم قالوا إنهم كانوا يريدون وضعنا «تحت حماية الشرطة» ثم بدؤوا بتطويقنا من كل جانب ليمنعونا من الهرب. ورأيت حاملي رماح من الخيزران وحاملي مناجل، في طريقنا عبر شوارع المدينة، وهم يستندون على جوانب البيوت، وقد نجوا من النار، كذلك .كانت تشاهد مجموعات من اللجان الأهلية وزمر من العسكريين، يحملون سيوفاً يابانية أو سيوفاً خشبية، وحتى كان بعضهم يحمل بنادق صيد. ويحدقون بنا على نحو يدل على الضغينة عندما نمر بهم، وينظرون إلينا كما لو كانوا على استعداد لمهاجمتنا في أية دقيقة، وسوف لن أنسى البغض الواضح في عيونهم.

فإذا أبدا أحد منا مقاومة، أو حتى أظهر ولو إيماءة معارضة خفيفة، فسيطلق معتقلينا علينا اسم مسببي الشغب الكوريين ويشرعون في ضربنا وشتمنا. وقال الناس بأن هناك أكثر من ألفين إلى خمسة آلاف كوري- قتلوا وماتوا تحت الضرب، أو دفعوا، ومن ثم قذفوا إلى النهر.

وكنا نسمع، بين حين وآخر، صوت طلقات مدفع في مكان ما، وليس من مسافة بعيدة، صرخات، يانزي! يانزي! أخذ أحد ضابط الشرطة يلاحقنا بغضب، ويقول أيها الكوريون القذرون، أحدكم يجب أن يقتل، وإذا لم تكونوا لطفاء، ستلقون المصير نفسه! من حسن الحظ بالنسبة لي، أن مجموعة الكوريين

التي كنت معها مشكلة في غالبيتها من النساء والأطفال. ومنذ أن اعتقد معتقلونا غالباً بأننا كنا مواطنين مقيمين قانونياً، وكانوا «يرافقوننا» إلى مخفرالشرطة. مجموعة كورية أخرى، ممن كانوا في الإعتقال والحجز، كانت أيديهم مكبلة بالحديد مما سبب لهم الآلام الشديدة في رسغهم.

كان الإعتقال والإحتجاز يتم بشكل جماعي حيث نساق إلى مخافر الشرطة، ثم نقاد إلى المعبد في سانغنيشايا، التي كانت أرضه تستخدم كسجن بديل مؤقت. ثم يجعلونا نجلس على الأرض ويقولون إنهم كانوا يقومون بذلك ليحولوا دون هربنا ثم يربطوننا جميعاً بصف من الحبال. هكذا قضينا ليلة من الرعب، مرعوبين فاقدي الصواب. وكان معتقلونا اليابانيون يريدون تحديد المكان الذي سينقلوننا إليه ومتى على سطح الأرض؟ ومن منا هو الكوري الخارج عن القانون، ومن هو الكوري الجيد؟ مع ذلك سمعنا إشاعات تقول إن زمرة من ألفي كوري كانوا قادمين لمهاجمة المعبد. ونحن بالطبع لا نعرف شيئاً محدداً لما يدورحولنا، ويمكن أن يكون فقط الإنتظار بقلق شديد حول ما يمكن أن يحدث فيما بعد.

كان معتقلونا اليابانيون لا يعطوننا أية معلومات مطلقاً عما يمكن أن يحدث لنا، وماذا كانوا يخططون للعمل معنا. وهكذا، فإن الواحد منا يدهش من تصرفاتهم، لكن يخاف محاولة الهرب. فهؤلاء الذين فعلوا ذلك فقد حوكموا وصدرت بحقهم أحكاماً تعسفية بإعتبارهم كوريين خارجين على القانون، ومثيرين للشغب، ويضربون حتى يفقدون الوعي أو يقتلون في الحال. وشاهدت في تلك الليلة، العديد من المرات- كوريين يجلبون إلى المعبد ووجوهم ملطخة بالدماء، يسحبون إلى هناك من قبل اليابانيين الذين كانوا يسمعونهم كل أنواع الشتائم، ويوجهون لهم الإهانات، بكل ما يمكن أن نفكر به، من ثم، عندما يصابون بالإرهاق على نحو كافٍ من قبل بعض رجال الشرطة، يستمرون في تعذيبهم، إذ يمددوهم على الأرض ثم يدوسون بأقدامهم، على تلك الأجسام التي فقدت المقاومة.

ويبقى الكوريون على اتصال مع سجن ناراشيتو ومع حلبة سباق بيغورو حيث كانوا يحجزون حتى الجزء الأخير من تشرين الثاني. أما في سانغانيشايا

فقد أطلق سراحنا فوراً نسبياً، برغم ذلك، بقي مغلقاً حتى نهاية أيلول. ويتحول في المساء وفي الصباح إلى مكان رهيب. وكنا نعطى، طيلة أيام احتجازنا زبدية أرز أو اثنتين فقط في اليوم للأكل، وهذا أدى بنا إلى ضعف كبير خاصة بالنسبة لهؤلاء البؤساء لدرجة ممن لم يعد لهم قوة للنهوض والذهاب إلى المرحاض.

وهناك أمور أخرى، بقيت سيئة بالنسبة للكوريين في طوكيو، حتى بعد أن أطلق سراحنا من السجن. وكنا محظوظين مع ذلك، حيث أصبح يوجد أمامنا عمل كثير من أجل ترحيل الأنقاض التي خلفتها الهزة الأرضية. لكن حتى في ذلك، كان التمييز العنصري الياباني واضحاً، وبقدر ما يمكن تخيله. إذ اصبحت الظروف في طوكيو بعد الهزة الأرضية، سيئة إلى حد كبير للشروع بتلك الأعمال. لكن، أظهرت عمليات التنظيف- عن أجسام هزيلة عجوزة تصدر عنها روائح كريهة، والعديد منها، عظامها ناتئة على نحو غريب ومن بشرات متفسخة- ولقد كان العمال الكوريون هم الذين يكلفون بالمهمات الرهيبة، وذلك كسحب الجثث خارج الأنقاض وحرقها.

إنني رجل غير مثقف، لكن كان لي الفرصة لدراسة اللغة اليابانية عندما كنت أعمل في منجم كيوشو، عندما كنت شاباً مما ساعدني لتعلم لغة أجنبية بسهولة، وبقي اللفظ غريباً، لكن على الرغم من ذلك، فإن ماكنت أفتقر إليه، القدرة في الحقول الأخرى، فإنني أعتقد أن لدي مقدرة خاصة للغة. ومهما يكن السبب، فالحقيقة أن يابانيتي تحسنت بسرعة، مع تعاقب الأيام. قد لا أتمكن من المساعدة، لكن كنت ألاحظ تقدمي السريع، والمبهج والمشجع بناء على تلك، الدراسة بكل حزم.

ما أن أصبحت يقظاً عملياً، وعملت بجد ونشاط، وأصححت الشروط الخاصة بلفظ المقاطع اللفظية ابتداءً من حرف (ب) من ثم، الجمل مثل (JU- GO- CHUSSCN) GO) – وهي صعبة جداً على الكوري ليلفظها على نحو صحيح، وكانت مصدراً دائماً للسخرية من قبل اليابانيين. ممارستي الكورية للألفاظ، أردت بها، من الطبيعي، (KOCHUSSEN) (CHU-KO)، تحسن وضعي وكافحت لألفظ هذه الحروف الساكنة العصيبة بالممارسة الكثيرة،

ولكنها كانت صعبة كثيراً. ورددت هذه الجمل، رغم الصعوبات تكراراً، عندما كنت أسير في الشارع، وحتى وأنا آكل أيضاً، وحتى عندما كنت أتمدد على كنبتي في الليل، منتظراً قدوم ساعة النوم. لقد مارست اللفظ كثيراً بين الفينة والفينة، والناس من حولي ينظرون إلى بنوع من الريبة أو يختلسون نظرات عجلى بارتباك على تحرك شفتي المستمر. وكنت أشعر أن أحد أسباب إزدراء اليابانيين للكوريين كان لفظنا اللغوي الغريب وغير الدقيق. وعملت بنشاط مع عناد، غالباً وبتصميم. في الوقت المحدّد، تمكنت، في آن واحد، أن أفهم وأتكلم اليابانية على نحو جيد، بحيث أصبحت أشعر بالثقة، بحيث لم يكن هناك من يعلمني اليابانية على الأقل بمقدار ما أتحدث به بمقدار ما يعينني.

عملت هنا وهناك لمدة حوالي نصف عام بعد الهزة الأرضية، أخيراً حطت رحالي للعيش في موقع كخادم، ولأداء ضروب مختلفة من العمل في منزل أحد اليابانين، المدعو تسوكاموتو، وهناك ذهبت تحت اسم ياباني، للمرة الأولى، وكتمت حقيقة كوني كورياً، وبقيت لغتي اليابانية تحمل لهجة خفيفة، لكن الناس الذين أعيش وأعمل عندهم، نادراً ما أخذوا ذلك كعلامة سوى أنني من منطقة أخرى من اليابان. وأنهم لم يعرفوا مطلقاً بأنني كنت كورياً. ومنذ أن أصبحت طوكيو عاصمة عظيمة، تجتذب الناس كالمغناطيس من جميع نواحي اليابان اخترت منطقة بعيدة عن مسقط رأسي وأعلمت كل واحد أنني من منطقة ايشيكاوا.

كانت الأمور تسير على نحو هادىء حتى يوم من الأيام، عندما توجه تسوكامونو نحوي وقال: «غداً، علمت أن بعض الأقارب قادمون من منطقة ايشيكاوا، وانني أرغب أن تلتقي بهم»إن كذبتي ستنكشف وذلك إذا التقيت وتكلمت مع أقربائه، إنها الخاتمة السابقة. كنت أعلم أنها حماقة أن أبقى هناك وقتاً أطول، وهكذا وبدون أية كلمة لأي أحد ما، غادرت. كان تسوكاموتو أول شخص يعاملني بتهذيب، كإنسان عادي، منذ وصولي إلى اليابان حتى ذلك اليوم، كنت أشعر أن عملي سيكون سيئاً إذا هربت بهذه الطريقة.

هوكيدو:

كانت لدي رغبة بزيارة جزيرة هوكيدو ورؤية ماذا يماثلها، وذلك منذ عدة سنوات. فقد سمعت أنه كان هناك فرق تماماً عن هونشو الجزيرة الرئيسية في اليابان، وغالباً ماتشبه البلاد الأخرى في طرقاتها الجميلة المزروعة على جوانبها بأشجار الحور، وذات السهول الرحبة والغابات الرائعة. كنت أتوق أن أكون على أرض مثل ذلك، منفتح العقل، بين شعب نشيط، عندما يحالفني الحظ لتحقيق قدري في الحياة.

وعندما فوجئت على حين غرة ببعض الملاحظات في لوحة الإعلانات المنصوبة، تصف شعار العمالة بكلمات لافتة للنظر «مطلوب عمال في هوكيدو»، وهكذا قررت على الفور، وفي لحظة ركبت القطار المتجه إلى الشمال- الشرقي، على خط توهوكو الرئيس.

كان المشهد الهادئ الريفي الذي كان يعبره القطار البلسم المهدئ لروحي، التي كانت لا تزال تتألم ألماً مبرحاً بسبب تجربتي القاسية في طوكيو. في الوقت الحالي فقد نفقت كميات ضخمة من دم وعرق العديد من الكوريين ممن تولوا بناء سكك الحديد الكثيرة التي كنت أسافر عليها، لكن لم يكن لدي وسيلة لمعرفة ذلك، في تلك الفترة.

انتقلت من أوموري بواسطة معدية بحرية إلى هاكودات، وعندما اجتزنا مضائق تسوغارو، فإنني دهشت بالجمال هنا وهناك حولي إلى درجة أن شعرت حقاً أنني خلفت ورائي مشاهد جهنمية نتيجة الهزة الأرضية العظيمة في كانتو بعيداً ورائي وحللت في الجنة.

مع ذلك، فإن هذه النشوة، لم تكن أكثر أو أقل لتعلم اللغة اليابانية، لكن ما نوع فرص العمل التي تنتظرني في هذه الأرض الجديدة وحدي كما كنت دون أقارب أو أصدقاء يقدموني للتعارف

أو يعطوني عملاً، في قمة ذلك، كانت مجمل البلاد لا تزال في أعماق الكساد الإقتصادي الذي حط بكلكله بعد عدة سنوات من نهاية الحرب العالمية الأولى، وكانت الأمور عسيرة جداً بشكل كبير بالنسبة للناس الذين هم

روابط، وتركوا أمثالي لوحدهم، يعانون من العذاب.

أقصى توقعاتي، إذا ما فكرت ملياً، فإنني سأتوصل إلى العودة للعمل في مناجم الفحم. فهناك كان الباب مفتوحاً على الدوام لاختيار عمال مناجم أمثالي، إذا كانوا يرغبون بالقبول بأجور منخفضة، وعمل شاق، وشروط عمل خطرة.

أخيراً، عندما أخذت طريقي إلى مكتب الإستخدام في منجم الفحم في ميهوور في ايشيكاري، وقفت أمام المشرف العام الياباني الذي لا يحب الكوريين كأغلبية ساحقة، ويتكلم اليابانية. كونه قد سُرَّ لفكرة استئجار كوري يمكنه فهم اليابانية بسهولة، مع ذلك.

أولاً، أُخذت إلى حَيّي الجديد للعيش فيه، والمزدحم بالناس عادة، ويشبه كوخ السجن، ومن ثم، فقد نزلت إلى الأسفل في حفرة لأنضم إلى عمال المناجم الكوريين. كنا ننهض في الساعة الرابعة صباحاً، ونشرع بالعمل في الساعة الخامسة والثلاثين دقيقة، ونتابع عملنا القاصم للظهر حتى السابعة ليلاً.

لقد كان عملاً شاقاً ومضنياً، لإستخراج الفحم بالحفر في أعمق الحفر، مع الخطر الدائم بوجود الكارثة، وعقولنا بالحفر مع القلق. تماماً مثل المناجم في كيوتو، فقد سحق بعض العمال تحت عربات اليد، وبعض بقي يعمل حتى هلك بسبب الإنهاك. وعلى الدوام ترى في وجوهنا الجروح والكدمات الجديدة، وفي أذرعنا وسيقاننا. الحوادث كثيرة، بما في ذلك الإنفجارات الصغيرة غالباً ما تنتج في كل وقت. ومن كان يقتل أو يتعرض لجروح خطيرة هو من العمال الكوريين، الذين كانوا يختارون للعمل على الدوام في المناطق الخطيرة. وعندما يتعرض الكوري للأذى، فإنه لا يتلقى عناية طبية ملائمة. بالتأكيد قد يؤخذ إلى مركز العناية الأولية، ولكن المعالجة الطبية لا تساوي شيئاً أكثر من عدة نقاط من المركوروكروم، وتدار هذه المراكز من قبل اليابانيين الذين يعنفون بطريقة قاسية جداً الرجل الجريح مع هزء مقذع: «أنتم الكوريون تتحركون بغباء وبلادة» و «أنتم أيضاً كسالى، ولا تتجنبون الأذى» أو أنكم، ربما، تعرضون أنفسكم حتى تجرحوا من أجل أن تتوقفوا عن العمل فترة من الزمن.

حقاً، لم يكن لدينا عادة أي يوم راحة، فبعد العمل كالكلاب خلال اليوم، قد نأكل الشيء البسيط الثابت، وجبة رديئة تقدم من قبل الشركة، ومن ثم، على الفور، ننزل أجسامنا المنهكة ونسقط عديمي الفعالية. والقليل من بيننا، ممن له بعض القوة القليلة، ويرغب في التسلية، يمكنه أن يلعب اللعبة اليابانية مثل: «هانا فودا وشوغي» وغالباً بشيء من الرهان على نحو ودّي. أحياناً، كنت أدعى إلى الجانب الآخر حيث الأحياء التي يعيش فيها العمال الكوريون المتزوجون، لأجد بعض الراحة من عذابي وغضبي وبالتنفيس عن أحزاني بسبب العمل، وإساءة اليابانيين معاملتنا. لكن الشيء السيء حول هذه الزيارات، كان، عندما، يتم لنا إمكانية الحديث حول العودة لوطننا الكوري، يزداد بي الشوق للعودة للوطن والأسرة، وقبل أن أعترف أنه كانت صرخة أمي وأبي، تندفع الدموع الساخنة وتملأ عيني.

ومع زيادة أصناف العمال الكوريين غير المتزوجين شيئاً فشيئاً، إزدادت بيوت الدعارة– أو نوادي السلوى، أو كما كانوا يسمونها بتعبير لطيف– مع نساء كوريات تجمعن حول المناجم. وسواء أكان ذلك من عمل شركة المناجم أو أن ذلك جاء تلقائياً، فإنني لم أعلم، لكن يصعب تصديقه، لكن يظهر أن الحكومة اليابانية في موضوع سياسة العمال، لم تتغاض تماماً عن تأسيس مثل هذه التسهيلات، بل أخذت تشجعها فيما بعد كهدف لحفظ العمال الكوريين هادئين وسهلي الإنقياد.

كان عمري خمسة وعشرين عاماً في ذلك الوقت، ولم يكن لي اهتمام في جنس الأنثى، مع ذلك، لم أكن أتمكن من التفكير بزميلاتي الفقيرات بنات بلدي، اللواتي كنت أعلم، أنهن أكرهن كثيراً أم قليلاً، على المجيء لليابان، والعمل في هذه المواخير، ببواعث الرغبات الجنسية.

بدلاً من ذلك، أصبحت على صداقة مع واحدة من النساء اليابانيات اللواتي يعملن في مطبخ المنجم، وهي أخت لأحد مراقبي المنجم الياباني، عندما لاحظت ميلها نحوي، بدأت بإحساسات حسنة نحوها وتعلقي بها على الرغم من رؤسائي اليابانين، ومع هذه الكابه، التي شوهت نظرة تلك النسوة اليابانيات المضطربات بعمق في قلبي. وأقمت مع بعضهن علاقات جنسية، وقد

أبدت غالبيتهن رغباتهن بالزواج مني وكن يقلن، إلى جهنم مع أهلهن على الرغم من الإعتراضات. «سأذهب معك إلى كوريا، إذا رغبت، خذني معك» وكل واحدة منهن رجتني وارتكبت معهن خطأ كبيراً، مستخدماً إياهن بفؤاد قاس.

لقد استمرت حياتي في الكرب والقسوة في المنجم في ميهورو، خمسة عشر عاما، اندفعت اليابان في أزمات عسكرية عديدة خلال تلك السنين، ضد الصين، مبتدئة بحادث منشوريا عام (١٩٣١) والذي كان يعرف في اليابان بالخمسة عشر عاماً من الحرب مع الصين، حيث دام من عام (١٩٣١) حتى (١٩٤٥). وعلى العكس من الدعاية الرسمية المنشورة من قبل الحكومة اليابانية، أخذت الورطة اليابانية في تلك الحرب، تتصاعد باستمرار، وأصبح النقص في المواد الضرورية المنزلية، خطيراً، وعلى نحو متزايد. وأصبحت الحاجيات اليومية مثل الألبسة والمواد الغذائية تخضع للتوزيع بالبطاقات. وأخذ الناس يشعرون بالنقص تدريجياً، وبشدة الحياة، في جميع نواحيها اليومية. بالطبع، فإن الذين تعرضوا أولاً لهذه الصعوبات نتيجة هذه الحرمانات كانوا الكوريين الذين يحتلون أدنى درجات الترتيب الطبقي في السلم الإجتماعي.

في هذه الأثناء، تبنت الحكومة اليابانية، سياسة المصالحة تجاه الكوريين بشكل عام، سواء مع هؤلاء المتواجدين في اليابان سابقاً أم أولئك الذين لا يزالون في كوريا. فحتى ذلك الوقت كان اليابانيون، يطلقون علينا اسم (شوزنجن)، التي تعني حرفياً «مواطنو شبه الجزيرة»، لكن الآن اصبحوا يقولون أن كوريا أصبحت متحدة مع اليابان واصبحنا ندعى باليابانيين تماماً كما لو كنا مواطنين نظاميين لليابان تحت حجة ما يسمي، توسيع تابعي الإمبراطورية، التي أصبحت في الوقت الراهن كبرنامج لغسل الدماغ بارع. فكنا نجبر كل صباح على ترديد قسم رعايا الإمبراطورية بانسجام. يضاف إلى ذلك، إنه علينا أن ننطلق ظهراً بإتجاه القصر الإمبراطوري في طوكيو ونقيم صلاة صامتة من أجل النصر الياباني في الحرب. وكنا نجبر في بداياة كل شهر على التبجيل. بالقرب من ضريح القديس شنتو، يكرس للحارس الإلهي لليابان والصلاة من أجل انتصار اليابان.

في عام (١٩٣٨)، أصبح قانون التعبئة الوطنية مسنوناً، وأصبحت الجزر اليابانية منظمة من أجل الحرب، وصارت الشروط الداخلية، مقيدة بتوسيع إجباري ليس في مجال التقييدات الصعبة في مجال البضائع المادية، بشكل لا يمكن تصوره بل أيضاً في إخضاعها للمراقبة الفكرية.

في كوريا، كانت الحكومة اليابانية العامة قد تكفلت أن تمد اليابان بالقوة البشرية الكورية بإكراههم على التجمع وترحيلهم بالبواخر إلى اليابان بحيث يصبحوا مشتتين عندئذ في جميع اليابان ويستخدمون غالبا كعمال عبيد لتلبية طلبات العمل التي تتطلب قدرات جسدية مثل العمل في المناجم وأعمال تسهيلات الموانئ ومهابط الطائرات.

وأكثر فأكثر، من هذه الأعمال الكورية الإجبارية في المناجم في ميهورو، حيث كنت أعمل. فإن وضعنا الدوني السابق وأحياء النوم المزدحمة، لا يمكن أن تُحقق الأمل وتتلاءم مع تدفق العمال الجدد، مع ذلك كنا نحشد جميعاً سوية هناك، وتغرق شروط حياتنا في مستوى جديد من القذارة المروعة.

في تلك الأثناء، وبسبب عمري وخبرتي العملية، وقدرتي المتفوقة في تكلم اليابانية، رفعت إلى مرتبة كبير العمال، وكلفت بمهمة دور الوسيط بين أصحاب المناجم اليابانيين، وكبار العمال والمراقبين والعمال الكوريين، خصوصاً القادمون الجدد، وقد جرني هذا الموقع الجديد بدلاً من العمل الشاق في حفر وجرف الفحم الحجري في أعماق المناجم طوال اليوم. لكي أصبح الآن في ورطة أصارع كرب عقلي، بسبب الوضع الجديد والمرعب.

فالقادمون الجدد، لا يستطيعون فهم اليابانية. وهذا الإستمرار، كان يثير غضب وضغينة اليابانيين ويثير ضغينتهم وحقدهم، ويزيد من تذمرهم، ويرددون «إنهم بطيئي الإستجابة هؤلاء الكوريون الملاعين، يجب إتخاذ مواقف حازمة حيالهم». وكان اليابانيون سريعي الإنفعال ويقومون بضرب القادمين الجدد الذين لايفهمون اليابانية. وكان معظم هؤلاء الكوريين لا يفهمون حتى إشارات الإنذار بالخطر، كما كانوا بطيئين في الإضطلاع بأي شيء، وهكذا، كانوا بعض الأحيان ضحايا حوادث متنوعة على نحو ضروري. وكانت مراقبة وإرشاد القادمين الجدد تسبب لي المشاكل وأعمالاً مجهدة. وكان من القسوة أن

تكون صارماً مع الكوريين الزملاء، مع ذلك، فقد تثير كثرة الشفقة واللين من جانبي أحقاد اليابانين، كما قد يتسبب ذلك في إلحاق الأذى بهم. وهكذا، كان علي أن أتكلم بحدة في بعض الأحيان معهم، كما يفعل المشرفون اليابانيون على العمل. لكن، لم يفهم الكوريون القادمون الجدد مآزقي. وكان بعضهم يحملق بي بغضب وبشكل يؤنبوني. ويقول بعضهم: «لماذا تنبح كالكلب علينا؟ فأنت كوري مثلنا!»

لكن المحزن والأكثر إزعاجاً من كل ذلك، كان عندما كنت مجبراً على إعطاء الأمر بإنزال عقوبة بدنية لكوري، لم يكن قادراً على تحمل العمل الشاق طويلاً في المنجم. ويحاول الهرب من ثم يلقى عليه القبض ويعاد، ويبرر المراقبون اليابانيون: «سوف نخلق أكبر انطباع عندهم بأخطائهم إذا قام احدنا بمعاقبتهم بدلاً من اليابانيين. وهكذا ففي كل مرة كان يلقى بها القبض على هارب، كان علي أن أنزل به عقوبة بسوطه بالخيزران أو بقضيب خشبي أو بضربه بنبوت. وقليل من المرات التي كنت أكبح بها قوة ضرباتي، ومحاولة مواصلة الضرب بسهولة على ذلك التعيس المسكين. لكن، المراقبين اليابانين ورؤساء العمل، يبدون دائماً معرفتهم بذلك ومما أقوم به. وقد يتحمس أحدهم، ويتناول مني قضيب الخيزران قائلاً! هاي، هذه ليست الطريقة التي يجب القيام بها، يجب عليك أن توجه ضرباتك، هكذا، ! ومن ثم، يضرب الضحية سيء الطالع، بلا رحمة، حتى يفقد الوعي ولمواجهة مثل هذا الخيار، فإنني أقرر أنه من الأفضل القيام بالضرب بنفسي. وهكذا، فإنني كنت، أضرب الهاربين بشدة أحياناً، وعلى نحو كافٍ لإرضاء الرؤساء اليابانيين، حتى أصمت أمام رجاء ضحاياي: «سامحني، اصمت، فإنني أستطيع توقع فهم الكرب الذي أعانيه من قبل زملائي الكوريين حيال قدرتي على ضربهم. بالنسبة لهم، كنت خسيساً تماماً ولئيماً، والتابع الخانع لليابانيين. وهكذا وقعت في الشرك. وحدث أن واجهت صراعاً عنيفاً، بين أن أفوز برضى الرؤساء اليابانيين أم إرضاء هؤلاء الريفيين أمثالي، لقد كانت جهنم.

في آخر الأمر، طورت اليابان هجومها المفاجيء المشهور على بيرل هارير، واندفعت بتهور في حرب المحيط الهادي. وأصبحنا نحن الكورريين، ومع

المواطنين اليابانيين قاطبة، منقادين إلى عمليات إفقار شديد، وأجبرنا على تحمل أكبر حرمان. ويبرر كل حرمان بعبارات الوطنية، مثل «من أجل المجهود الحربي، أو من أجل المصلحة الوطنية» ومنذ ذلك الوقت، انهمك الجيش الإمبراطوري الياباني مباشرة في انتاج الفحم الحجري. وأصبح عملنا ذو فائدة. وكانت أوامر الضباط زيادة إنتاج الفحم وبفعالية وبأي ثمن.

وأصبح الكوريون من عام (١٩٣٩) تحت ضغط كبير من قبل حكومة اليابان للتخلي عن أسمائهم الكورية والذهاب بأسماء يابانية. وهكذا، بدلت اسمي رسمياً إلى كانيدا موتوهارو خضوعاً إلى تبدل الأسماء بالإكراه.

خلال هذه الفترة، أصبحنا نحن العمال الكوريين، شعبياً، ينسب إلينا كـ «مقاتلين صناعيين»، وكانت لهم صفة جميلة، لكن حقيقة كان وضعنا، المعاناة غير المحدودة.

أصبحت نوعية الطعام الذي نتلقاه – في ذلك الحين أدنى من قبل على نحو مروع– برغم ذلك، استمرت بالنقصان– فلم يعد يوجد أي أرز أو شعير في الوجبات العادية التي تقدم لنا: فقط فول الصويا، يعطى لنا، وتسبب لنا الإسهال. وحساء مائي كريه مع قليل من البطاطا. وفي المناسبات قليل من زلابية الطحين الأبيض تطوف بالماء.

من خلال منصبي كأحد الرؤساء، فقد عرفت أن شركات المناجم كانت تتلقى جرايات خاصة من السلع بصورة منتظمة، وكانت هذه محرمة على العائلات اليابانية العادية – الأرز، الشعير، السكر، حتى السلع النادرة كالساكي. وكان الموظفون من ذوي المراتب العالية في مكتب الشركة، يؤكدون مع ذلك، أن الجرايات الخاصة تنتهي إلى بطونهم الخاصة، أو تباع لحسابهم في الأسواق السوداء لتنتهي إلى جيوبهم الخاصة.

تضاعفت مأساة مجموعتنا، في عام (١٩٤٤) بحدوث أكبر انفجار مُدَوٍّن في منجمنا، وقُتل أكثر من مائة عامل، ثمانون منهم من الكوريين.

خلال تلك السنوات الرهيبة، بدت لي الأمور، كما لو قدر لي أنني سأموت في المنجم بطريقة أم بأخرى، سواء نتيجة سوء التغذية المزمن أو بحادث

ما. والأسوأ حتى الآن، شعرت بضرورة التحرر من البؤس الذي لا يحتمل الذي يحط من حياتي، بدلاً من الموت. من ثم، عندما بدأت أشعر أنني وصلت إلى نهاية المكان في طاقتي، قبل امبراطور اليابان إعلان بوتسدام. وأعلنت اليابان في (١٥) آب الإستسلام للحلفاء بدون شروط.

هزيمة اليابان وتحرير الشعب الكوري:

نعم، جاء ذلك اليوم، الذي لن ننساه، نحن الكوريون مطلقاً، يوم التحرير الموعود، والحرية، والإستقلال. مع ذلك، فبعد أن أعلن الإمبراطور بنفسه الإستسلام عن طريق الراديو، معترفاً بوضوح تام أن اليابان قد خسرت الحرب، عندها، اصبح من الصعب علينا نحن العمال الكوريين أن نصدق ذلك، وبقينا في شك حتى تلك الليلة، بأن ينعكس تحقيق ذلك علينا، ونصبح أحراراً على الأقل. وعندما تم ذلك، أصيب العديد من العمال الكوريين في المنجم، حيث كنت أعمل، بالجنون تقريباً من الفرح، وأخذوا يلوحون بأيديهم في الهواء بوحشية، وهم يرقصون حول غرفهم، ويرفعون صراخهم طرباً، وبكلام غامض. وكان آخرون، يصرخون: لا نريد أن نجبر على العمل في المناجم بعد الآن! نريد أن نتحرر!.

نعم، نحن أحرار، نريد العودة لبلادنا حالاً!.

قامت مجموعة من الكوريين بهجوم عاصف على مستودعات بعيدة نسبياً، ونفذوا هجوماً على مخازن الأرز المحصنة والسكر النادر والساكي، نتيجة الحرقة الطبيعية من الحرمانات الصارمة في الأشهر الماضية القريبة.

في هذه الأثناء، أصبحت وجوه اليابانيين الذين كانوا حتى ذلك اليوم متغطرسين متعجرفين ومتكبرين، وينظرون إلى هؤلاء العمال نظرة شك وريبة، شاحبة كشحوب الموتى المتحجرة والخالية من كل تعبير عن المشاعر، بصمت وبانبهار. فهؤلاء العمال مهتاجون بعد حصولهم على حريتهم، وبدوؤا باتخاذ إجراءات مسبقة لقيامهم بثورة بفعالية. وتجمع عمال المناجم الكوريون. وخاف اليابانيون في بعض المناجم أن يقوم العمال الكوريون باهتياجات وثورات، ما أن يحصلوا على حريتهم، وهكذا، اتخذوا الإحتياطات لردع مثل هذه

الهيجانات بفعالية، وقاموا بتجميع الكوريين وتطويقهم وحجزهم. لكن، في المنجم حيث كنت أعمل، بدا أن اليابانيين، فكروا أنه لا يوجد أي شيء يمكن أن يؤدي إلى وقف بهجة واهتياج الكوريين، وقد فكروا عندما روؤا الكوريين سلوكهم الجامح، وقد عصبوا رؤوسهم، أن ذلك هو رد طبيعي على حصولهم على حريتهم وتحررهم واستقلالهم، بعد العديد من السنين من السخط والإمتعاض وبكلمة مختصرة، اعتبروا ذلك، أمراً لا يمكن تجنبه. لكن بقي هناك، بعض الزملاء الريفيين يسيرون تجرفهم العاطفة في إشهار ذلك، حقاً، لقد شعرت أنهم سيذهبون أبعد من ذلك كثيراً.

وسمعت بعد قليل، صيحات من نوع آخر، يمكن أن تسمع بوضوح اقتلوا الرؤساء»! دعونا نتخلص من مراقب المهجع، نعم ذلك ابن الزانية المومس في مكتب التأجير!» ولم يمض وقت طويل حتى سمعت أحدهم يصرخ أسيلوا الدماء، دماء الخونة على نحو حاسم، وكان يتجنب أن يذكرني بالإسم: «دعونا نقبض على ذلك الكلب الكوري الذي ضرب أبناء بلده من أجل إرضاء اليابانيين»!

أصبح الأمر رهيباً، فلم أعد أشعر بالأمان للبقاء هناك. وتسللت على نحو سريع هارباً من الحي الذي يعيش فيه الكوريون، وتوجهت إلى مكتب الشركة. لكن، منذ تصاعد الحرب في ذلك الحين، وزيادة العمال الكوريين كنتيجة لذلك، حيث كانوا يجلبون قَسْرياً للعمل في المناجم، بدأت شركة المنجم بسياسة الحفاظ على أجور الكوريين منخفضة، كما كانت تصادر هويات الكوريين وتحفظ في المكتب في سبيل منعهم من الهرب. طالبت رئيس المكتب أن يعيد لي أوراقي ومُدَّخراتي، مع ما عليهم من التزامات تجاهي. كان جوابه على الفور ضربة ساحقة.

قال: هذا مستحيل في هذا الوقت، في الواقع، فهل تريد أن تحصل على دفعة بأية طريقة كانت، وتريد أن تترك الشركة حسب رغبتك الخاصة. فلماذا لا تنتظر فترة قبل أن تغادر؟ . وأجبت، لكن على الأقل أعطني أوراق هويتي.

اعتقدت حقاً أنني سأقتل إذا بقيت هناك في هذه الحالة. مع ذلك فإنني لم أكن أرغب مطلقاً أن أصبح رئيس ورشة عمال لزملائي الكوريين، في المقام

الأول. كنت أعرف أنه من غير الممكن تجنب أن يقوم العمال الكوريون بازدرائي ويرفضون الشكوى والتذمر مني، بسبب موقعي في الشركة. وفوق كل ذلك، الحقيقة أني نفذت عقوبات بدنية على أبناء بلدي، وكانني ليس غير...حسن... لا يمكن أن أنكر ذلك إذاً أصبحت تحت أقدامهم، أنني لم أرغب بالبكاء من أجل الدم والإنتقام مني، وبصوت عال كأي واحد منهم:

هكذا، شعرت بأنني خسرت كل شيء في حياتي في خدمة اليابان، ولينتهي بي الأمر لأصبح محل شتيمة كخائن من قبل أهل بلدي وكان الأسى الذي شعرت به والإحباط، أن لا يكون هناك أحد قد لامني بسبب مآزقي، ويطعنني ليعيدني إلى تُقى روحي. لقد أصبحت، رجلاً محطماً، وجمعت ممتلكاتي القليلة. وشعرت أن الإحساس بالمنجم سيكون كالإحساس بالجريمة لذا هربت.

لم يكن لدي اتجاه معين في عقلي عندما مررت بين اليابانيين في الشوارع. كان العديد منهم يترنح بالقرب مني، كأنما أصابهم الوهن من الجوع، ويرتعشون بسبب الصدمة نتيجة هزيمة اليابان في الحرب. رجعت بخطوتي من حيث أتيت إلى هاكودات- من أجل أن أستقل العبارة التي تعبر فوق الجزيرة الرئيسة في هوتشو، وبعد الوصول إلى أوموري، تابعت طريقي إلى أوميناتو، حيث كانت الفوضى والإرتباك في كل مكان.

العودة للوطن

أبحر في الـ (٢٢) من آب، عدة آلاف من العمال الإجباريين الكوريين وعائلاتهم إلى كوريا على ظهر الباخرة (كيميشيما مارو)، التي كانت من قبل مركباً لمهمات بحرية خاصة، نجحت في الإبحار على ظهرها بين هؤلاء الكوريين. وكان ركوب الباخرة مقصوراً على هؤلاء الذين جرى جمع شملهم ممن جلبوا لليابان للعمل بالأعمال الصعبة في أوميناتوا في المحطة البحرية أو في المطارات ومد خطوط السكك الحديدية، لكن عندما وضحت أنني كنت كورياً وذلك بعرض وثائقي. سمح لي اليابانيون الرسميون المكلفون بذلك، بالإبحار بدون أية أسئلة عادية، وكما توقعت ككوري .يعيش في اليابان.

أبحرت كيمشيما مارو عندما هبط المساء، على نحو مهيب، خارج ميناء

أوميناتو وهي تحمل أكثر من (٣٧٠٠) كوري، سكارى بالابتهاج لعودتهم لبلادهم وبالحرية والاستقلال المعادتين مجددا.

كانت بواخر الركاب خلال الحرب قد جرى تجديدها وزودت بثلاث مدافع لزيادة قوتها القتالية، ودفعت إلى الخدمة البحرية كمراكب للمهمات الخاصة. والآن، باعتبارها رمزاً لقدرة اليابان، فقد رفعت المدافع بسرعة، وأنزلت هذه البواخر للبحر ضمن شروط عملها الأصلية في سبيل تنفيذ مهمات جديدة ـ نقل آلاف الكوريين إلى بلادهم ثانية على نحو خاص وكانت تساء معاملتهم ـ كتكفير عن جرائم اليابانيين ضد هذا الشعب.

كان طاقم الباخرة من الضباط البحريين السابقين ومن بحارتها ولا يزالون يحملون شارات رتبهم السابقة على قبات ثيابهم، لكن، كان يبدو لي أنهم يظهرون الانضباط بمنطق الكلمات اللاذعة، التي كانت مطلوبة في البحرية الإمبراطورية فيما مضى. لقد كان واضحاً، أنهم كانوا يعتبرون هذه الرحلة غير هامة مع ذلك، ولم يكن بالإمكان إلغاؤها بسبب خسارة اليابان للحرب.

كانت حمولة الباخرة تفوق كثيراً طاقتها في حمل هذا العدد من الركاب. وكانت الحرارة فيها شديدة، ولا تتسع لذلك العدد. وهكذا، صعد العديد من الركاب إلى ظهر تلك الباخرة ليتبردوا ويتنفسوا الهواء العليل. وكان كل واحد متشوقاً لينام بأية طريقة. حدقنا إلى الوراء باتجاه الأرض التي غادرناها، وكان باستطاعتي أن أرى الأثر الذي كانت تخلفه إضطرابات السفينة، حيث كان اللون الأبيض يبرز بطريقة غريبة مقابل السواد الشديد في ليل البحر.

بدأت الذكريات تطوف في عقلي، صوراً من أيام شبابي في كوريا، والتي لا تمحى بسهولة، وكذلك السنوات الطوال من الحرمان والعمل قاصم الظهر في كيوشو وكيوتو وطوكيو وهوكيدو. لكنني تذكرت على الفور أنني عائد إلي وطني الحبيب، إلى أمي وأبي. وعندما تطلعت إلى المستقبل، اندفع عقلي إلى أحلام اليقظة المفرحة عن الأيام الجميلة القادمة.

تلقيت رسالة من الوطن، خلال الأشهر الأخيرة من الحرب، تعلمني أن أخوي الاثنين، الأكبر سناً مني، قد أحضرا بالقوة للعمل في اليابان. وكم

سيكون الأمر رائعاً، أيضاً إذا دبرا أمرهما للعودة للوطن سالمين وصحيحين، وأن تجتمع عائلتنا مع بعضها من جديد! فمع أخويَّ، قد أساعد على بناء أمة جديدة بعد الدمار الذي خلفه اليابانيون، وقد أتمكن أخيراً وللمرة الأولى في حياتي، أن تكون لي حياة تستحق أن تعاش. تدفقت هذه الأفكار خلال رأسي واجتاحت قلبي موجة اهتياج وتوقعات.

فجأة، مع، ذلك، شعرت أن الأرض قد سحبت من تحت قدمي، أذ تجمعت مجموعة من العمال الكوريين على ظهر السفينة، هنا وهناك، جلسوا على شكل حلقات، يتحدثون ويشربون الساكي، وحصلوا على معلومات يعلم الله وحده من أين. فقد طرق مسامعي صدفة، نِتَفاً من الحديث الصادر عن المجموعة القريبة مني. وما سمعته قد حرك الدم في عروقي وحوله إلى ثلج، وقذفه بعنف قطرات، محطماً كل آمالي وخططي في الحياة الجديدة في كوريا.

«ما حصلنا عليه، قد سلب منا من قبل القوات اليابانية في العمل الإجباري. حسن، وليس هنالك من إمكانية نستطيع بها القيام بأي شيء حيال ذلك. حيث همهم أحد الرجال. «لكن لا يمكننا أن ندع هؤلاء الكوريين، أولاد الزنا، ينجون من العقاب فأحدهم، كان يعاملنا بخشونة ـ من أهل بلدي ـ ويتجسس علينا ويضربنا، مثله مثل اليابانيين، تماماً كضابط، أو صف ضابط. أولاد الزنا! فقد عدنا إلى كوريا، وعلينا أن نتصيد هؤلاء الكلاب، ونعطيهم ما يستحقون ـ الموت.

«قبل مجيئي إلى أوميناتو» أضاف، رجل آخر، كنت أعمل في منجم فحم، حيث كان يوجد فيه بعض الكوريين الذين رُوِّضوا وضلوا طريقهم في العمل، ليصلوا إلى مرتبة كبار العمال. وقد ضربونا مقابل حصولهم على نصيب من الغطرسة والغرور، لكن، بعد ذلك، سيأتي دورهم للمعاناة. لقد هلكت، ويجب أن يتوقف هؤلاء الجواسيس عن الحكم علي بالعقوبة السرمدية، ولندعهم يلقونها هم الآن».

من حسن الحظ، لم يكن هناك كوري واحد ممن عملوا في مناجم ميهورو على ظهر السفينة. وهكذا، لم أكن في خطر مباشر. لكن ماذا سيكون عليه حالي عندما يعود أكثر من عشرة آلاف عامل كوري ممن يعملون في ميهورو إلى وطنهم كوريا؟.

فهل سأجد مكاناً أعيش فيه بسلام في بلدي الخاص بالنسبة لما بقي من حياتي؟ وهل سأقضيه هارباً وأعيش بخوف دائم أتسلل خلسة من مكان لآخر.أختبئ من شعبي الخاص؟

كانت كيميشيما مارو تتابع رحلتها ببطء غرباً عبر بحر اليابان. وقفت ساكناً بلا حراك على ظهر السفينة، ونسيم الليل يداعب خدي بلطف. لكن كان القلق في قلبي بازدياد لدرجة أصبح من الصعب تحمله. وإذا لم ألازم بسرعة درابزين ظهر الباخرة، فإنني قد انهار في الحال، أو ربما أدع نفسي للانسحاب من ذلك الجانب وألقي بنفسي في زبد الباخرة في البحر المضطرب. لكن سيطر على عقلي قلق آخر وافتاسني. فمنذ حوالي ستة أشهر مضت، أصبت بقلق بسبب انتفاخ في ساقي، وامتقاع خطر في اللون، وألم في الصدر، عندما أتحرك ولو قليلاً – كان ذلك، دون شك، ناتج عن السنوات الطويلة من العمل الشاق، والتغذية غير الكافية. لقد تأكدت أنني لن أعيش طويلاً.

مساء الـ (٢٤) من آب، كانت الحرارة شديدة في منتصف الصيف، وهي تنطلق لتخفف من ذلك ببطء عندما لحقت السفينة الشمس اللاهبة باتجاه الغرب وتضع حداً للنهار. عندها اتفق أن نظرت إلى الميناء صدفة في الجانب الأخر، وأصبت بالذهول عندما شاهدت الجبال الجميلة الخضراء، التي تسير مع خط الشاطئ. لقد أصبح واضحاً أن السفينة كانت تقترب من مكان ما على شاطئ هونشو. لكن حسب معرفتي، لم يكن ذلك موجودا في خطة الرحلة. إذ كان من المفترض أن تبحر السفينة مباشرة من أوميناتو إلى الميناء الكوري في بوزان.

كنت عطشاً إلى أقصى درجة، وفكرت أن علي أن أذهب للأسفل لكي أشرب الماء، في الوقت نفسه أسأل أحد أفراد طاقم الباخرة، من اليابانيين، إلى أين نحن ذاهبون. توجهت إلى المطبخ في الأسفل الذي كان بالقرب من سجن السفينة». وكانت لوحة ملصقة على مدخل المطبخ كتب عليها « فقط لطاقم السفينة». لكن لم يكن هناك أحد في المطبخ ليخبرني أن علي أن أبتعد عن المطبخ. ومن حيث الشكل، فكرت أن الأمر سيكون عادياً إذا حصلت على شيء من الماء.وهكذا تسللت بهدوء إلى داخل الغرفة. وتناولت أقرب قدح، وكنت تماماً على وشك إدارة صنبور الماء، عندما سمعت وقع أقدام قادمة من الممر.

جثمت وراء إحدى طاولات المطبخ الضخمة، بطريقة غريزية، وأوقفت تنفسي. لم أكن بحاجة إلى زمن طويل لأكون خائفاً بشكل أعمى من اليابانيين، عندما حدث لي مرة من المرات، حيث كنت ضحية لهم دون رحمة ولمدة طويلة، إذ عرفت أن مخ عظامي سيعرف ماذا يمكن أن يحدث لي إذا دخلت إلى مكان مقصور دخوله على بعض الأشخاص. وقد تجلت هذه المعرفة بنفسها بطريقة انعكاسية في هذا النوع من السلوك الماكر.

أخذت اختلس النظر حول حواف الطاولة. فرأيت اثنان من طاقم السفينة قد دخلا المطبخ. واستطعت أن اعلم من الشارات المميزة على قبات قمصانهم أن واحد منهم كان الضابط المعاون لرئيس الباخرة، أما الآخر فهو بحار.

لم يلاحظاني، وتابعا حديثهما. ولسبب أم لآخر، كانا يتحدثان لهجات هادئة وبوضوح، وقد جاءا إلى المطبخ بحثاً عن مكان منعزل يتمكنا فيه من الحديث.

«تعني أن الباخرة ستذهب إلى حوض السفن في ميسوري؟»

هذا صحيح يا سيدي، رد البحار على سؤال الضابط المعاون. وقال ضابط الخدمة، هكذا، ليس من شك حول ذلك».

يمكن أن تكون هذه فرصتنا تماماً أرسلت من السماء، وإذا فقدناها فيمكن أن يمر زمن طويل قبل أن نرى اليابان مرة أخرى. وقال الضابط المعاون:« هناك إشاعة تقول إن كل ياباني يذهب إلى كوريا سوف يلقى عليه القبض كأسير حرب وستحجز سفينتنا. وإن ذلك. ليس كل شيء. فقد يجلدنا الكوريون مرة أو مرتين، دون شك، لينالوا منا بمقدار ما عوملوا من قسوة من قبل اليابانيين، والله يعلم متي سنصبح قادرين على العودة للوطن؟»».

«نعم قد يعاملنا الكوريون بسوء هنا، أليس كذلك؟ يمكن أن يكون دورهم الآن بأعمال ثأرية وانتقامية. لكن الحرب قد انتهت الآن، وإنني لا أستطيع هضم الفكرة أن نسلم أنفسنا لنتلقى العقاب. إلى جانب ذلك، فإن والدي وأخويَّ الكبيرين قتلا في الحرب، وإن أمي وحدها تنتظرني للعودة للوطن، وعندما أفكر بها، يا سيدي، فإنه يصعب عَلَيَّ أن أبتعد عن الوطن دقيقة واحدة.

«حسن ، حالما تدخل السفينة الميناء، سنزل أحد الزوارق ونهرب من هذا الجحيم. فالبحرية الإمبراطورية في حالة خراب كلها الآن. عل أي حال، يجب أن لا نقلق، إذ قد نحال إلى محكمة عرفية.»

لقد كان ذلك لا يصدق، في جزء من المعلومات التي سمعتها مصادفة. وما هو أكثر، فقد كان أمراً عجيباً بالنسبة لي عما كنت سمعته من قبل من عمال المناجم الكوريين في ميهورو ومن الكوريين على الباخرة كيمشيما مارو. إنني على يقين إنني سأقتل إذا رجعت إلى كوريا. وأصبحت فاقد الأمل من الفرار من الباخرة. ورسمت خطة في الحال، فحالما غادر البحاران المطبخ تبعتهما خلسة.

ذهب الاثنان إلى قمرتهما، ثم خرجا على الفور. كان كل واحد يحمل حزمة تحت ذراعه. لقد قررا الذهاب حقاً، انهما ينفذان خطتهما. لقد شعرت بذلك. صعد البحاران على ظهر السفينة، وتصرفا بطريقة لا مبالية كأنهما يقومان بشق طريقهما عبر أعضاء الطاقم الآخرين، من الذين كانوا مشغولين بإعداد السفينة وتوجيهها، من ثم إلقاء المراسي، وتوجها إلى الجانب الآخر من السفينة، ودخلت السفينة خليج ميزوري ببطء. وتقع إلى الأمام في الخليج جزيرة، يقسمها إلى قسمين. توقفت الباخرة ببطء إلى اليسار من الجزيرة.

انطلق البحاران نحو الزورق البخاري الأبعد في مؤخرة السفينة، في اللحظة التي أتت فيها على التوقف التام، وشرعا بالعمل على إنزاله.

لحقت بهما، ووجهت لهما إنذاري دون تفكير. من فضلكما خذاني معكما، وإذا لم تفعلا ذلك، فإنني سأصرخ بأنكما تريدان الهرب، إنني اعلم كل شيء عن خطتكما.

هل أنت كوري؟ سأل الواحد الأقرب مني، وهو البحار، ووجهه المشدود انعطف نحوي، وبعبوس نتيجة المفاجأة. أنت ليس لديك من سبب لتغادر السفينة.

إن لدي أسبابي.!

تجاه اليأس الواضح، أذعنا، وأومآ إلي عن قرب، هكذا، مشيرين إلي بموافقتهما.

هل يمكنك السباحة؟

أجبت، كلا، إنني لم أسبح مطلقاً في حياتي.

لا بأس، من ثم، قاما بفك رباط الزورق، ثم قفزا إليه. فككت الحزام في أحد الجوانب، وقفزت إلى داخل الزورق، وعندما فك الضابط الحزام في الجانب الآخر، انطلق الزورق من جسم السفينة ونزل إلى سطح الماء. عادة يستخدم الحبل لخفض الزورق قليلاً قليلاً، لكننا كنا على عجلة من امرنا، وكنا في موقف صعب من الانتظار طويلاً. ما أن لمس الزورق الماء، قفز البحار من جانب السفينة وسبح بسرعة إلى الزورق.

كانت أيدي البحارة الآخرون مشغولة بإنزال مراسي السفينة، ولم يبد عليهم انهم لاحظوا أعمالنا. كان الكوريون في لهفة للعودة للوطن، وأصبحوا في حيرة لماذا توقفت السفينة في ميناء ياباني، ولم يتوقف الأمر أن اخذ بعضهم يثرثر على نحو صاخب على ظهر السفينة، بل أن العديد منهم لاحظنا نهرب في الزورق، ولم يكن لديهم القدرة لاستيعاب ما تعنيه مغادرتنا، بل فقد أشاروا بأصابعهم إلينا بدهشة.

تحطيم سفينة كيميشيما مارو

لقد حصلت على تدريبي البحري في ميزوري، لهذا فإنني اعرف امتداد الأرض في هذه الأجزاء، كمعرفتي لظهر يدي. قال الضابط نائب القبطان. إننا نتجه مباشرة إلى الأمام. وهذا سيؤدي بنا إلى تيموساهاغا.

أدرنا مقدم النزورق باتجاه قطاع خط الساحل، وأشير إلي باستخدام المجذاف اليدوي، وبالتالي التوجه مباشرة إلى الشاطئ. وأظهر رفيقاي مهارتهما كبحارين حقيقيين، وناوروا بالزورق على نحو بارع. وبوقت قصير جداً، أصبحنا عل بعد حوالي ثلاثمائة متر عن الباخرة كيميشيما ماري. اعتقدنا أننا أصبحنا على مسافة نصف الطريق بين الباخرة والشاطئ، عندما حدث فجأة ما لا يصدق.

بم، بم.!

روعتنا فجأة أصوات الانفجارات. استدرت هنا وهناك لأنظر باتجاه

السفينة. لكنها كانت بالكامل قد احتجبت عن النظر، سوى كتلة من الدخان الأسود.

مع ذلك، فإننا لم نعد نرى السفينة ذاتها، وأخذت أشكال الناس الذين كانوا قد قذفوا من على سطح الباخرة في البحر، تظهر وتغيب عن النظر بين الأمواج، وأصداء الصراخ والعويل من اجل المساعدة تتردد فوق سطح الماء.

عندما شاهد البحاران الذين معي ما حدث، أدارا الزورق غريزياً وببطء إلى الاتجاه الذي أتينا منه تماماً، وتوجهنا باهتياج باتجاه مسرح الانفجار بسرعة عظيمة. وبشكل أسرع عما كان عليه الحال عند هربنا من السفينة.

ربما ارتطمت السفينة بلغم أمريكي لا يزال عائماً في هذه المياه. هذا ما فكر به الضابط المعاون.

كان المشهد مروعاً، عندما اقتربنا من مكان تحطم السفينة بمختصر الكلام. وكنت أتحمل بصعوبة النظر إلى هؤلاء الذين كانوا في حالة نزع والذين لا يحصون، وينتشرون على مدّ النظر، ويعومون حولي ـ مئات الرجال والنسوة والأطفال. العديد منهم، تتدفق الدماء من جراحهم في رؤوسهم، ووجوههم، يتقلبون بين الأمواج، ويتحركون بعنف بين الأجسام الطافية الأخرى الساكنة. وكان الأموات اكثر من الأحياء. كان العديد من الباقين على قيد الحياة يكافحون للحفاظ على أنفسهم بعدم الغوص إلى الأعماق، يتشبثون بأي شيء فاقدي الأمل وهم يحاولون التمسك ببعض قطع الخشب الصغيرة والكبيرة التي قذف بها الانفجار من الباخرة إلى البحر.

سحبنا، البحاران وأنا، العديد من الناس، بمقدار ما يمكن، من ذلك الجحيم المائي إلى الزورق. وشرعنا بالتجذيف من جديد باتجاه الشاطئ. كان علينا أن نخلي العديد من أبناء بلدي الذين كانوا يكافحون للبقاء عائمين، وهم يصرخون بطلب النجدة، لكن لم يكن الزورق كبيراً على نحو كاف لإنقاذهم جميعاً ولم تكن توجد طريقة يمكننا بها إنقاذ الجميع. إلى جانب ذلك كان بعض الناس على الشاطئ يراقبون الكارثة، وشاهدنا بعض زوارق الصيد تهب لإنقاذ الأحياء. وقدمنا كل ما نستطيع وهكذا توجهنا إلى البر.

كان الزورق الذي حاولنا الهرب فيه نحن الثلاثة من الباخرة، بطريقة ساخرة، الأول في مسرح مساعدة الضحايا والأول في حملهم إلى الشاطئ. وتحول قرويو شيموساهاغا جميعهم إلى انتظار زورقنا على الشاطئ بقلق.

كان في الزورق بعض الناس الذين أنقذناهم من الغرق دون حراك، فاقدي الوعي، وكان آخرون يئنون من ألم جروحهم، ومات آخرون في الطريق. ثم قمنا بإنهاض القرويين من الزورق، ونقلناهم على حصر من القش على الشاطئ، الأموات بجانب الأحياء.

عندما اصبح الزورق فارغاً، اندفع البحاران على الفور وشرعا بالتجذيف باتجاه السفينة المحطمة لالتقاط أحياء اكثر، ولم يكن لي حظ لأسأل عن اسميهما، أو تقديم الشكر لهما لأخذي معهما.

_«قالا لي، حظ سعيد، عندما قاما بالتجذيف مبتعدين عني. تسللت بعيداً عن زحمة القرويين وشرعت بالمسير على طول الشاطئ لوحدي، عائداً إلى الوطن. وصلت إلى مدرسة تير الابتدائية، هنا أيضاً، تجمعت مجموعة صغيرة من الناس عندما علموا بالكارثة في الخليج، سألوني عما حدث، وقدما لي شايا ساخناً، وزبدية من الأرز وبعضاً من السمك المجفف لآكله. وبعد استراحة قصيرة هناك، سرت عبر مكان يسمى ناكاتا. كان في الماضي معبداً سنغنجي. أخيراً وصلت إلى هيغاشي – ميزوري.

في هذه الأثناء خيم الظلام.

اتجهت إلى محطة هيغاشي ـ ميزوري، وشعرت انه لا يوجد أي شيء يمكنني عمله، سوى الذهاب إلى كيوتو واستغثت ببارك وبعائلته لتقديم المساعدة. مع ذلك، كنت خائفاً قليلاً أنه مع تحرير كوريا بعد هزيمة اليابان، ربما يكونون قد عادوا إلى كوريا أو حتى انهم يستعدون للمغادرة. من سوء الحظ لم يكن هنا قطار تلك الليلة إلى كيوتو، وكنت قادراً على اللحاق بآخر قطار يتجه بعيداً إلى آياب، مدينة على طريق كيوتو إلى الشمال.

كانت أوراقي الشخصية تشير بوضوح انني كوريا، لكن الآن، بعد هزيمة اليابان في الحرب، فكونك كوريا ، تصبح عرضة لاستجواب وتحقيقات لمسؤوليات قانونية. وقد علمتني خبرتي الجديدة منذ مغادرة ميهورو انه الآن أصبح الوقت مفيداً لأجعلها معروفة بأنني كنت كورياً، وأنني عملت واستحوذت على تعلم اللغة اليابانية، حتى لدرجة المبالغة في لهجتي الكورية عند تكلم اليابانية.

عندما غادرت القطار في آياب، كان تفكيري الأول، أن أجد مكاناً اقضي فيه الليلة، لكنني لم اكن املك نقوداً، ولا يمكن أن أجد مكاناً مناسباً هنا.

أجبرت قدماي المرهقتين لحملي خارج المحطة. وتوجهت مباشرة إلى الأمام قليلاً، ثم استدرت إلى اليسار، عند انتهاء الشارع إلى رابية، ثم مشيت مجهداً، واجتزت جسراً فوق نهر كبير، وراء الجسر، كانت البيوت متناثرة. بعد لحظة، رأيت مظلة أسود من الليل، على بناء ضخم يلوح من بعيد أمامي في الظلام. انه يشبه نوع ما المصنع، مصفاة آياب للساكي،على لوحة إعلان في مقدمة المدخل.

كما توقعت، كان الباب مقفلاً، لكن كان لدي حدس انه ما من أحد كان يعيش هناك. تجولت حول البناء إلى الخلف، ووجدت مدخلاً خلفياً مقفلاً بقفل صغير، عالجته قسرياً وفتحته دون عناء كبير. دخلت البناء، وكان مغلفاً برائحة لاذعة شعرت بها على الفور ـ قسم المزج ، وقسم الساكي.

كنت ارتدي ألبسة بالية رثة، وأردت أن أجد مكاناً أتمدد فوقه. وكان بنطالي وقميصي مبللين منذ أن كنت في الزورق على الشاطئ في شيموشاهاغا، لكنها أصبحت جافة نسبياً الآن بفعل حرارة نسيم الليل الصيفي. لكنني شعرت بالبرد وبالندى مع العرق.

كان الطابق الأول للبناء مملوءاً بصفوف من براميل الساكي مكدسة فوق بعضها البعض، إلى الأعلى حتى السقف. كان السقف من الاسمنت، ولم يكن بإمكاني أن أجد مكاناً مريحاً أمد رأسي.

تسلقت سلماً ضيقاً عالياً مخفياً في الظلام، الذي يؤدي إلى غرفة تستخدم لتركيز الخميرة. وجدت في الزاوية عدة حصر من القش ملفوفة ومربوطة في حزمة. فردت الحصيرة وارتميت عليها مثل دمية محطمة.

ارتحلت عيناي في أطراف الغرفة ذات النافذة الوحيدة، وظهرت جميع الأجزاء وكأنها قد تحطمت، والناتج دون شك عن النقص في الزجاج زمن الحرب، استبدل بقطع رقائق من الخشب، لكن أشعة قمر الليل الشاحب، تلمع من خلال الأجزاء الباقية من الزجاج.

لم يعد لي من الطاقة لترتيب الحصيرة، منهك اكثر مما ينبغي، عاجز عن الحركة، بحيث أستطيع التمدد على نحو مريح اكثر. برغم ذلك،كنت يقظاً إلى درجة قصوى. وكانت أفكاري مشوشة، تحوم هنا وهناك في رأسي.

لمعت مشاهد من الماضي من خلال عقلي: المزارع وحقول الارز الكورية ، عندما كنت يافعاً، والعمل الجسماني الذي يحطم الظهر في كيوشو، حياتي في كيوتو وفي طوكيو، خصوصاً، مجزرة الكوريين المرعبة، والتمييز العنصري أثناء الفوضى نتيجة الهزة الأرضية الكبرى في كانتو، والعديد من الشدة التي قاسيتها من المحن السوداء في منجم فحم ميهورو. أخيراً، جال عقلي من خلال تلك الليلة المظلمة التي سببت تشنجاً لروحي في حلم أو في رؤيا منها حميت عاملاً كورياً هارباً كان على وشك التعرض للضرب ـ فقد حضنته بذراعي إلى درجة تقطعت أنفاسه من الضرب الذي انهال على ظهري بدلاً عنه.

قريباً من الفجر، بدا النعاس يغلبني، عندما أصبت فجأة بألم يضغط على صدري بشكل رهيب. كانت جبهتي قد طفحت ولمعت بعرق بارد. عندما رفعت ذراعي للأعلى تماماً إلى أقصى درجات تحمل الألم، كما لو كنت أتمسك بالسماء، توقف قلبي عن النبض، وتنفست آخر نفس لي، وغبت عن الوعي مع دفعة لطيفة كتنهيدة. كان ذلك آخر لحظة من لحظات حياتي.

بعد قليل من الساعة التاسعة من ذلك الصباح، وجد عمال معمل التقطير جثماني هناك مذهولين، وانطلقوا بسرعة لرفع تقرير عما حدث للشرطة.

راقبتهم وهم يقومون بذلك. بالنسبة لروحي فإنها غادرت جسمي للتو، وصعدت إلى عالم الأرواح حالاً.

في وقت متأخر من ذلك اليوم، تبين لهم كوني كورياً متشرداً، هو من الأمور التافهة، فما من أحد مات في الشوارع، ولا يجد أحداً يعلن عن مطالبته بجثمانه، عندها قامت السلطات بنقل جثماني إلى غرفة التشريح في كلية الطب فيها.

حسن هذه هي قصة حياتي، لقد كانت حياة حرمان بعد آخر، مع قليل من أوقات السعادة الحقيقية العزيزة البهيجة. ووقفت بحضرة الروح القدس بعد أن مت وصعدت إلى عالم الأرواح. لقد عزيت وبوركت اكثر من ألف مرة مما عانيت من الألم والأسى خلال حياتي. وهكذا فأنا الآن اعبر عن الشكر لهذه الحرمانات الأرضية.

إنني خائف، إنني لست جيداً مع الكلمات، شكراً لكم لسماع قصتي، لا هكذا، بصبر.

بعد سماع قصة ليلة اليوم الثاني

بعد سماع قصة حياة روح كيم الرهيبة، كانت روح يوشيو والأرواح الست الأخرى، هكذا، مسحوقة، بسبب ضخامة الألم والبؤس الذي عاناه الذين بقوا صامتين للحظة. أخيراً تحسر يوشيو بعمق وبدا يتكلم بعمق.

«شكراً لك لإعلامنا حول حياتك .ومن الضروري إنها كانت حقاً مروعة بالنسبة لك، ولا شيء فيها سوى العمل الشاق، والحزن والأذى، والتعصب والفقر، ومتكلماً كياباني، إنني خجل بعمق وآسف للطريقة التي عاملك بها زملائي ومواطني الكوريين الآخرين.

وقد جعلني سماعي لتجاربك أرى بوضوح، وقوة للمرة الأولى، الأيام التي ارتكبتها السياسة الاستعمارية الإمبراطورية اليابانية.

«إنني لم أتعصب عمداً مطلقاً ضد أحد أو أزدري الكوريين. لكنني أتذكر عندما كنت في المدرسة الابتدائية والمتوسطة، عندما كنت أسمع البالغين

يستخدمون هذه العبارات التي تحط من قدر الكوريين أو ازدرائهم مثل «شوزن» و«شوزنجن»، ويقولون أموراً، مثل «هل هو ذلك الأضحوكة (شوزن)؟ و«شوزن» دائماً...» والآن، كما أتذكر تلك الأوقات، بعد سماع قصتك، على أنني اسمع، أنني سمعت ورأيت هذه الشواهد عن الإجحافات ضد الكوريين، مع ذلك، فليس هنالك من إدراكات خاصة عن الكلام، عديمة الإحساس تجاه المشكلة التي كانت في الطريق، والشكل لذلك الإجحاف الميل المرعب للذهاب حول أعمالنا اليومية بدون حتى ملاحظة انه حتى نحن مذنبون في هذه الآثام التي حققناها بشدة في الآخرين.

«إن حرمانك وضيقك ككوري كانا مرعبين. ففي حين لازلت مراهقاً، فقد انفصلت عن عائلتك مكرهاً بسبب الضائقة الاقتصادية لتغادر وطنك وتأتي لليابان مجبراً أن تقوم بذلك والقيام بأعمال جسدية مضنية في منجم الفحم، والأسوأ من كل ذلك، أن تصبح عرضة لمحنة رهيبة بسبب الهزة الأرضية في كانتو وآثارها العنيفة.

-«إنها جَلِيَّةٌ من سردك لهذه الحوادث، وتلك المذبحة الحمقاء لآلاف الكوريين التي لا يمكن أن تكون موضحة ببساطة، كنتيجة بسيطة عن رعب الناس الذين رُوِّعوا نتيجة الهزة الأرضية العنيفة. بالتأكيد، فإن مثل هذا العنف الأثيم الذي ازداد نتيجة الإجحاف المتأصل، وكذلك البغض الشديد. إنني أشعر بالخجل الشديد والأسف والسخط المعنوي لمثل هذه الوحشية التي ارتكبت من قبل مواطني الخاصين.

-«يجب أن يكون العمل في مناجم الفحم مرة ثانية مرعباً لك، بعد الذهاب إلى هوكيدو، خصوصاً بعد أن وضعت في مثل هذا الموقع المسبب للعذاب بين المشرفين اليابانيين و الكوريين زملائك. ومما سبب الألم لي أكثر، أنني أستطيع القول هو ملازمة المشاكل لحياتك حتى بعد أن انهزمت اليابان في الحرب وعدت إلى كوريا في آخر الأمر.

والجدير بالفخر الممزوج بفرح شديد أن تعود لجمع الشمل مع عائلتك ومع كل الأمل من أجل البداية الجديدة في الحياة، مساهمة في تجديد كوريا

الحرة، فقط ليكون لك هذه الآمال وان تحلم بالتحطم من قبل روح مآثرك الماضية عندما تعلمت أين عليك أن تخبئ هويتك وأن تهرب من زملائك الكوريين لباقي حياتك.

وفي قمة كل ذلك، كنت هناك عندما انفجرت كيميشيما مارو وغرقت، وشاهدت الآلاف من زملائك الكوريين وهم يهلكون خلال لحظات. ويبدو لي أنني تذكرت أنني قرأت شيئاً ما حول الحادث في الصحف، لكن ليست لدي فكرة أنها كانت كارثة كبيرة أدت إلى وضع حد لحياة الكثيرين.

«قالت المقالات أن الباخرة ارتطمت بلغم عائم، بالرغم من إبحار باخرتين أخريين بسلام عبر المياه نفسها.

باختصار، يبدو أن الباخرة كيميشيما مارو سيئة الحظ فقط، بطريقة استثنائية. وهناك فكرة أخرى تناقلتها الصحف، تقول أن الضباط البحريين اليابانيين السابقين والبحارة الذين كانوا يشكلون طاقمها، لم تكن بهم رغبة للذهاب إلى بوزان، وبالتالي قاموا بتخريب السفينة.

«كانت خسارة كيميشيما مارو جزءاً من الثمن الذي كان على اليابان أن يدفعه نتيجة آثامه في الحرب. لكن لم كانت الفاجعة شديدة الوطأة التي تحملها الكوريون الضحايا الذين كانوا يبحرون على ظهر تلك السفينة، والمآسي التي نتجت وهم في طريقهم إلى كوريا.!

«ويتردد أيضاً عن إحتشاء عضلتك القلبية التي سببت لك الموت في معمل تقطير الساكي في آياب، مما لا شك فيه أن هذا نتيجة مباشرة لسنواتك الطويلة من الانفعالات الشديدة جسدياً وعاطفياً والتعسفات.

قلت إنه بعد دخولك عالم الأرواح، فقد منحت تعويضاً وعزاءً في اعظم درجة عما عانيت من المشاكل التي عشتها خلال حياتك، وأنني مسرور انك وجدت السعادة في نهاية الأمر.

«شكراً لك لإعلامي بهذه الأمور الليلة».

عندما انتهى يوشيو من الحديث، شعر براحة كبيرة طافت على وجه روح

كيم الذي كان لطيفاً جداً وهادئاً، بحيث كان من الصعب أن يبدو ممكناً أن يستطيع العيش من خلال حياة مع ذلك الألم والبؤس

«نعم إنها حقيقة: إن الذي يعاني اعظم الآلام على الأرض، هو الذي يتلقى العزاء الأعظم في عالم الأرواح وفي السماء». قالت روح الأستاذ يوهارا في النتيجة، وقد سار يوشيو نحو باب غرفة التشريح. «يوشيو، إن الوقت متأخر، قل ليلة سعيدة،سنراك مرة أخرى غداً ليلاً في غرفة التشريح».

شعر يوشيو ببسمات الأرواح الأخرى وراءه عندما غادر الغرفة متجهاً إلى المنزل.

لكن بقيت أفكار عديدة من الأحزان والمآسي الجائرة في حياة كيم معه كوطأة ثقيلة على عقله.

الفصل الرابع

قصة المرأة من أبوين يابانيين مهاجرين للولايات المتحدة، وتلقت العلم فيها، التي أجبرت على الانتحار.

هجرة والدي إلى الولايات المتحدة

كان اسمي في عالم الأحياء نانسي ماساكو ايتو، ولدت في لوس انجيلوس من والدين يابانيين هاجرا إلى هناك من اليابان.

وسأتحدث لاحقاً عن قصتي من اجل أن تفهموا بعض الأمور. ويجب علي أن أخبركم أولاً قليلاً حول والدي ايتو نوبيو الذي ولد في اليابان وذهب للولايات المتحدة في عام (١٩٠٦) وكان في الثامنة عشرة من عمره. وهو الابن الثالث لرئيس كهنة لمعبد بوذي صغير في فوكوشيما ـ شو من ولاية هيروشيما. وكانت الملكية تنتقل من الأب للابن عبر أجيال عديدة. ونشأ في مدينة بلاد مسالمة، محاطة بجبال محرجة على نحو كثيف بالصنوبر الأحمر الياباني. لم ينعم والدي بالامتياز نفسه عندما ولد له الابن الأول، لكونه الابن الثالث، الذي سيخلف في يوم من الأيام والده في منصب رئيس الكهنة. وكان عليه أن يشق طريقه الخاص في العالم بنفسه. غَير والدي مجرى حياته بعد تخرجه من المدرسة المتوسطة في سانجو مع درجة امتياز في السجل الأكاديمي. وقد حلم أن يحقق نجاحاً بنفسه في العالم الجديد لكونه قد سمع قصصاً حول الحياة في الولايات المتحدة، وبدلاً من أن يتابع المرحلة التالية من تعليمه في اليابان، بدأ يتطلع إلى فرحة الذهاب إلى أمريكا.

كان عدد قليل جداً من اليابانيين من ولاية هيروشيما يذهبون للولايات المتحدة في هذه الأثناء، أناس من جميع المراتب الاجتماعية في الحياة. بعد أن يئسوا من تحقيق حياة افضل لأنفسهم في اليابان، أو انهم أخفقوا في الاعمال، او انهم حُفّزوا بروح المغامرة، والانجذاب إلى بريق انتشر من جديد في بلاد أجنبية. وتاق البعض أن يختبر طريقاً جديداً وغريبًا جداً في الحياة، وذهب آخرون بحثاً عن الحرية والمساواة، أو للتهرب من الخدمة العسكرية.

كان لوالدي رغبة قوية للتعلم، وكانت لديه آمال عالية في الحصول على

ثقافة جيدة في أمريكا، وانطلق في دراسة مستوى المدرسة المتوسطة، وانتقل إلى المدرسة الثانوية ثم عبرها للجامعة. عندما علم انه من الممكن لأي كان أن يلتحق بالجامعة في أمريكا إذا كان له قدرة للقيام بذلك، وعمل فترة وجمع بعض المال، كان من الصعب على والدي الانتظار وَحَدَّثَ والديه ليسمحوا له بالذهاب.

كانت عمتي قد تزوجت كاهن المعبد البوذي في أوراديراماشي من مقاطعة كيوتو. وأرسل ولدها الأول الصبي إلى لوس انجيلوس قبل سنتين من ترأسه معبد نيشيهو نغانجي التابع لطائفة جودو ــ شنشو البوذية، في سبيل إكمال تدريبه الديني، في الوقت نفسه، انهمك في العمل التبشيري في المعبد، هكذا، توجه والدي إلى أمريكا، معتمداً على مساعدة ابن العم الأول بعد وصوله إلى لوس انجيلوس. يمكنكم أن تفهموا الآن عما كان يرغبه المهاجرون اليابانيون للولايات المتحدة في تلك الأيام. سأخبركم بعضاً من الأمور التي أعلمني بها والدي حول عائلتنا، عندما نكون على طاولة العشاء، أثناء أيامه المبكرة في أمريكا.

من الممكن انه تحدث إلينا هكذا، بسبب الآلام والأوقات الصعبة في تلك الأيام التي عاناها، خصوصاً الصعوبات في مواجهة الحياة في أمريكا، بسبب كونه يابانياً. فكانت تؤلمه بعمق في قلبه بحيث أنه لم يستطع مطلقاً أن يتحرر من ذلك الحزن والذكريات المريرة. وربما انه أرادنا، أطفاله، أن نولد في أمريكا، وقرر العيش هنا.. ولأجل معرفة الحقيقة حول كفاح الأجيال وتسليمها لأجيال المستقبل مع ذلك، ومهما تكن أسبابه، فقد اخبرنا القصص نفسها تكراراً أيضاً، حتى اليوم، أتذكر كل تفصيل.

أبحر والدي من يوكوهاما على ظهر الباخرة كوراما مارو، ووصل إلى سيتل بعد سبعة عشر يوماً. كانت الباخرة إحدى افضل البواخر العاملة من حيث وسائل الترف والجمال في اليابان في تلك الأيام في حد ذاتها. وكان التمييز فيها بارزاً بين المسافرين، مثل الرسميين الحكوميين من ذوي المراتب العالية والأشخاص عظيمي الشان من عالم رجال الأعمال والمال. عندما أبحرت الباخرة من يوكوهاما كان حشد من الناس على ظهر السفينة لوداع هؤلاء

المسافرين البارزين. وهم يلوحون ويصرخون لوداعهم، جعجعة شديدة. وعلى النقيض من ذلك، ليس من شخص جاء لوداع والدي.

وهكذا كانت مغادرته حزينة غالباً، ومن غير رفيق. والأكثر من ذلك، كان قلقاً حول مستقبله بشكل عميق في أمريكا، إلى درجة أن استولت عليه بواعث ليقفز من السفينة ويبقى في اليابان برغم كل شيء، عندما شرعت السفينة الضخمة بمغادرة الرصيف.

يجب عليك أن تعتني بنفسك بشكل جيد الآن. برغم ذلك، إننا نعرف، إنه يمكن أن تكون المرة الأخيرة التي يرى فيها أحدنا الآخر. قالا له أمه وأبوه عندما غادر بيتهم للشروع في رحلة طويلة، كانت كلماتهم أصداء بقيت تطن في عقله عندما تحركت السفينة ببطء لتخرج من المرفأ، لترحل به بعيداً عن عائلته ووطنه وبلاده. وكان آخر وداع لهم، له ولوالديه، حيث لم يلتقوا مطلقاً في هذا العالم.

لقد تعرض والدي للإزعاج بسبب ارتحاله في المكان المخصص بالتعرفة الأرخص، وبسبب جلبة السفينة المتواصلة الصادرة عن محركاتها بشكل قوي جداً، وبسبب الاهتزازات التي كانت ترتد كأصداء على الجدران والسقوف. لم يكن قادراً على التركيز لدراسة كتاب مدرسي باللغة الإنجليزية جلبه معه وخطط لدراسته خلال الرحلة، والأسوأ، كان لا يزال يصاب بدوار البحر كثيراً معظم الوقت. وكان مصدر سروره الوحيد أثناء الرحلة استحمامه في المياه الدافئة،

بقي باستطاعة والدي مشاهدة ساحل وطنه على مدى النظر، بعد مغادرة السفينة يوكوهاما، من حين لآخر. لكن عندما اجتازت ساحل سنداي وأبحرت عبر جزر الوتيان، بدأت الأمواج تعلو بقوة لتدخل في النفس الرهبة الجامحة في ذلك المحيط المفتوح. شعر والدي أولاً أن قلبه اخذ يستشعر وخزاً خفيفاً وإثارة عندما تحقق له انه قد ترك وطنه بعيداً وراءه، وأنه حقاً في طريقه إلى ارض غريبة.

عندما وصل أخيراً إلى سيتل، لم يكن لها بعد أية خصائص غريبة مثل

ناطحات السحاب التي سمع عنها كثيراً في الروايات عن أمريكا. بل كانت سيتل تتميز بالصخب والنشاط وتعج شوارعها بالمستوطنين والعمال من جميع أنحاء العالم، وكانت المدينة تنبض بالحياة والنشاط.

ارتحل والدي جنوباً إلى لوس انجيلوس باستخدام سكة حديد المحيط الشمالي التي استكملت حديثاً. وكان الشيء الممكن أن يفعله هو شراء بطاقته، فهو لم يكن يعرف حتى كيف يحصل على جدول مواعيد انطلاق القطارات. فلم تكن لديه فكرة عن الأماكن التي يمر بها القطار، أو متى يمكن أن يصل إلى لوس انجيلوس. وكان عليه أن يفكر إذا كان بإمكانه أن يأخذ القطار من ذلك النوع على الأقل، والمعلومات الأساسية من أشخاص سكة الحديد، لكن لم يكن لديه ثقة في إنجليزيته الضعيفة، على نحو كاف ليسأل أصحاب الأجسام الضخمة، والأمر ممنوع لحد ما على السائق الذي كان يمر على عربات القطار أو تحتها من حين لآخر. ومع كل ما هو غريب وغير أكيد في هذا المحيط الجديد. أصبح عصبي المزاج تماماً وكانت رحلته قلقة. مع ذلك، فقد تدبر الأمر بعد الوصول إلى لوس انجيلوس، بطريقة ما، وقرر الاستقرار في البعثة البوذية، حيث كان ابن عمه أوواكي يوسينوبو يعيش هناك، أخيراً بدأ بالتنفس بشكل أسهل.

لكن مصاعبه قد بدأت للتو فقط. كانت خطة والدي الأصلية أن يذهب للمدرسة في حين يقوم بعمل ما أو آخر ليدعم نفسه، لكن لم تجر الأمور بالطريقة التي رسمها. فوجد فقط أن العمل الوحيد المتاح للناس الذين لا يستطيعون تكلم الإنجليزية، ولا يعرفون العادات المحلية، هو، الأعمال الوضيعة، مثل غسل الأطباق. في قمة ذلك، كانت ساعات العمل المتاحة له، تتعارض مع ساعات المدرسة. وهكذا، طلب المساعدة من ابن عمه، بقلب مثقل، من أجل أن يدبر لوالدي عملاً في مزرعة خارج فرسنو، المدينة البعيدة تماماً عن لوس انجيلوس. وكان عدد من اليابانيين يعيشون من قبل في فرسنو، من ثم، فإن معظم تلك العائلات، شرعت بأعمال بسيطة في العمل على زراعة الخضراوات والفواكه، أو في تربية الدواجن، وبالمعيشة البسيطة، وبالعمل الشاق، فإنهم تدبروا أمورهم بجعل ما يكسبونه ينمو شيئاً فشيئاً.

كانت خطة والدي الجديدة، العمل هناك لعام واحد، أو هكذا، وتوفير مبلغ من المال، بمقدار ما يستطيع، من ثم الشروع بالدراسة في أمريكا.

لقد انتهى به الأمر أن يقوم بعمل جزئي في مزارع عديدة متنوعة مملوكة لليابانيين. فكان يعمل بجهد ولعدة ساعات وبمقدار ما يمكن، من الصباح الباكر، حتى وقت متأخر من الليل، بقصد كسب ما يمكن من المال.

ولقد تقاسم المواقف الأسروية مع الزملاء من الريفيين من المزارعين اليابانيين الذين يستخدمونه، وانسجم بشكل جيد معهم، وأصبح سعيداً في عمله، كانوا أيضاً من المهاجرين اليابانيين الذين قد عملوا بأصابعهم حتى العظم كعمال موسميين في المزارع المملوكة من قبل أجناس العرق الأبيض، قبل سنوات قليلة. فقد اقتصدوا من أجورهم المتواضعة حتى الدرجة القصوى إلى أن صاروا قادرين على شراء بعض الأراضي لحسابهم وشرعوا في العمل لأنفسهم.

عندما شرع والدي في تفهم الطريقة التي يتم فيها العمل في أمريكا، شيئاً فشيئاً، ونجح في ذلك، كم كانت الأمور صعبة بالنسبة للناس اليابانيين للعيش في هذا العالم الجديد، خصوصاً في ولاية كاليفورنيا.

الحركة المعادية لليابانيين في الغرب من الولايات المتحدة

إن ما أريد أن أخبرك به الآن هو بعض الأمور الأخرى التي تحدث عنها والدي غالباً. من فضلك تحمل معي قليلاً أم كثيراً من قصته من خلال ذلك.

قبل شروع اليابانيين بالمجيء إلى أمريكا، كان يوجد تدفق كبير من الصينيين إلى كاليفورنيا، ابتدأ من عام (١٨٥٠)، وازداد على نحو ثابت عاماً بعد عام. ووجد البيض من الأمريكيين في البداية، هؤلاء المهاجرين، مفيدين، لأنهم كانوا يعملون بأجور منخفضة في أعمال شاقة في بناء السكك الحديدية، وفي المزارع وفي بساتين الفاكهة وفي المناجم. لكن، وصل الأمر إلى ارتفاع الأعداد، وكانت لهم عائلات كبيرة. وعندما دخلت البلاد في مرحلة الكساد الكبير بعد الحروب الأهلية، بدأ العدد الوافر من العمال الصينيين الرخيصة يألفون الأعمال الزائدة الملائمة للناس البيض. وبدأ الرأي العام يفضل التخلص من الصينيين. وفي عام (١٨٨٢) ذهب التشريع في الولايات المتحدة بعيداً ليجتاز القانون الذي يحرم

استخدام المهاجرين الصينيين. وناشد الحاكم ستانفورد، في حملته للمكتب السياسي، والذي سميت جامعة ستانفورد باسمه، قائلاً في خطابه الافتتاحي إن الصينيين اصبحوا «غير مرغوب فيهم».

مع تجديد السلطة الإمبراطورية في اليابان والشروع في الحظر على المواطنين اليابانيين الراغبين بالسفر إلى البلاد الأجنبية قد رفع في عهد المايجي، بدأت الحكومة اليابانية رسمياً في إصدار جوازات السفر. وتزامن الشروع في الهجرة على نطاق واسع للشعب الياباني إلى أمريكا، مع ولادة حركة اجتماعية سياسية ضد جمهور المهاجرين للولايات المتحدة من قبل جماعة أخرى شرقية، من الصينيين، مما يؤسف له، باستثناء فقط العديد من أعضاء جماعة إيزو الإقطاعية ممن فروا من اليابان لأسباب سياسية وجاءوا للولايات المتحدة.

وكان المتحكم الرئيس في هذه البلاد الجديدة الشابة، أن جميع الناس المستقلين روحياً الباحثين عن الحرية والمساواة والعدل، يمكن أن ينجزوا أمورا عظيمة طبقاً لقدراتهم الذاتية وجهودهم. كانت أمريكا معروفة كبلد فيه الأبواب مفتوحة دائما أمام الشعب الذي يمثل الطليعة الروحية، وأصبحوا جاهزين ويرغبون بمساعدة البلد الشاب على التطور والنمو. نعم، حسن، هذه الكلمات المسبار المرهف والعواطف النبيلة، هو ما تعلمه والدي جيداً جداً، لكن بشكل متأخر جداً، وكانت تعني أن هذا ينطبق فقط على الناس البيض، ولم ينطبق على اليابانيين والشرقيين الآخرين.

وأضيف إلى القانون الصادر عام (١٨٧٣)، مادة عليه تشترط أن كل أمريكي اسود، هو كل هؤلاء من ولدوا في إفريقيا وهؤلاء الذين هم من محتد إفريقي، يمكنه أن يصبح ممنوحاً حقوق المواطن في الولايات المتحدة. هكذا، أصبح واضحاً على نحو متزايد أن الشرقيين، الشعب من عرق منغولي، وبسبب وقوعه في فئة، لا هو أبيض ولا هو أسود.

قد استثنوا من كونهم مؤهلين للحصول على جنسية الولايات المتحدة.

وكان هناك سؤال، ولا ريب، حول العرق، وليس تماماً لون البشرة، حتى البنات اليابانيات ذوات البشرة البيضاء كالثلج لا يمكنهن أن يصبحن مواطنات يمنحن الجنسية الأمريكية .

و كانت إحدى الأمور المحزنة لوالدي بشكل أكثر تلك التي حدثت في السنة الأولى بالذات من وصوله لأمريكا عام (١٩٠٦): حيث صدر قرار من مجلس تعليم فرانسيسكو، يحرم على الشرقيين العيش في المدن من الملازمين للمدارس العامة. وأصبح هذا الحدث مشكلة سياسية بين الولايات المتحدة واليابان وأدت إلى اتفاقية جنتلمان في عام(١٩٠٨). وصارت مشكلة حضور المدارس العمومية للشرقيين محلولة بتعيين اليابانيين كغرباء مؤهلين لمنحهم الجنسية وحق الانتقال حسب قانون الحصة النسبية «الكوتا» الخاصة بالهجرة التي تستهدف كبح تدفق المهاجرين اليابانيين للولايات المتحدة. لكن، كان ذلك مثالاً تماماً ـ رأي والدي بعينه وجرب مباشرة العديد من الشواهد على الإجحاف والتمييز التي جرت ضد اليابانيين كرد على ما يمكن للأمريكيين البيض أن يعوه كتهديد من قبل «الخطر الأصفر».

بعد الإصلاح الخاص بالمايجي وإلغاء سياسة العزل الوطني الياباني الذي يحرم على الأجانب دخول البلاد، عززت في اليابان سياسة قوية مصممة لتمكين البلاد من اللحاق بالشعوب الأوروبية اقتصادياً وتكنولوجياً و في المجال العسكري. فاليابان، ربحت حربها مع الصين، عام(١٨٩٥)، وبعد عشرة سنوات تماماً، أي في عام (١٩٠٥)، وقبل عام من وصول والدي للولايات المتحدة، ربحت اليابان الحرب الروسية – اليابانية، ومن المحتمل انك تعرف أنها بدأت أيضاً في غزو كوريا، ومنشوريا وجزر الكوريل. وأصبحت اليابان تشكل شيئاً فشيئاً تهديداً للولايات المتحدة، وأخذ بعض القادة الأمريكيين العسكريين والسياسيين ينظرون لليابان كقوة معادية، ويؤكدون أن القوات اليابانية ستقوم في يوم من الأيام بالنزول على شواطئ المحيط الهادي الأمريكي.

لم يكن كل ياباني قدم للبر الرئيس في الولايات المتحدة قد جاء مباشرة من اليابان، بل العديد منهم استقر أولاً في هاواي، ثم توجه أخيراً إلى كاليفورنيا. آخرون جاءوا للولايات المتحدة عن طريق كندا أو المكسيك. لكن، مهما يكن الطريق الذي كانوا يسلكونه، فان أعدادهم استمرت في الزيادة السريعة.

الشعب الياباني جاد ومتقن لعمله بطبيعته، ويبذل الجهد في سبيله. وهكذا، وبرغم أن المهاجرين اليابانيين استهلوا عملهم كعمال عاديين في المزارع أو في

المناجم، فإنهم انطلقوا في مشاريع أخرى في مناطق مختلفة كمزارعين مستأجرين لقاء حصة من المحصول أو في زراعة الأزهار وبيعها. وكان ذلك عاملاً من عوامل نبذهم من قبل الأمريكيين من العرق الأبيض. فالهيئة الجسمية المختلفة وطراز حياة الياباني، ربما كانتا، من أسباب كراهية معظم الأمريكيين لهم، وبرغم أن اليابانيين لم يجعلوا شعرهم على شكل ذنب الحصان مثل الصينيين خلال الأسابيع الأولى من وصولهم للولايات المتحدة، فقد كان يتوجب عليهم الظهور غالباً بمظهر غير مألوف في لباسهم الكيمونو الطويل.

في اليابان، إنه عادي تماماً رؤية الأشخاص اليابانيين يجثمون على جانب الطرق للاستراحة قليلاً، لكن من وجهة نظر الشخص الأبيض فإن هذا عيب كبير. يضاف إلى ذلك، تبدو عادات العديد من اليابانيين فجة وهمجية: رجال يبولون علانية أمام الرأي العام إلى جانب الطريق أو على الجدران، كما أنهم يتحدثون بأصوات عالية، وعندما يأكلون، يحدثون أصواتاً ويتلمظون بشفاههم بضوضاء. علاوة على ذلك، فإن معظم الأمريكيين البيض ينظرون لليابانيين، على نحو رئيس أنهم لا يؤمنون با لله، بل وثنيين، ولا يخشون ا لله، وقد يرون في تدفق الشعب الياباني غير المحدود كما يبدو إلى كاليفورنيا والنسب العالية في الولادات تهديداً لطريقتهم الأمريكية في الحياة. أخيراً هنا سبب ضمني لخوف الأمريكيين البيض وكرههم للمهاجرين اليابانيين، وهو كراهية عرقية، وبالنسبة للوضع الاجتماعي مثل كل السياسيين أو قادة اتحادات العمال، فكان عليهم للنجاح في الانتخابات أن يرفعوا أصواتهم بالصراخ «انقلعوا أيها اليابانيون».

أخيراً، أقرت الجمعية التشريعية لولاية كاليفورنيا قانوناً، كان في الواقع، قانوناً معادياً للغرباء في الفترة (١٩٢٠ - ١٩٤٠)، حيث ألغى السماح بإعطاء الحق للغرباء في ملكيتهم للأرض في ولاية كاليفورنيا، وكما قدرت، على الأغلب، كان هدف هذا التشريع، موجه للمقيمين اليابانيين في كاليفورنيا، والذين كانوا لا يزالون غير مؤهلين ليمنحوا حق المواطنة في الولايات المتحدة. وكان غرض ذلك وضع الصعاب أمام اليابانيين لتعاطي أعمال الزراعة، وهذا يؤدي لإبتعادهم عن الولاية.

في سبيل كبح توسيع العدوان الياباني في آسيا، انعقد مؤتمر نزع السلاح في

واشنطن بنـــاء علـى طلـب الولايــات المتحـدة. ووضـع ممثلـو الولايـات المتحـدة والمملكــة المتحـدة واليابـان نسـبة الرسـم الطـني علـى السـفن الحربيــة بخمســـة دولارات للولايـات المتحـدة، خمســة للمملكــة المتحـدة، وثلاثــة لليابـان. عــلاوة علـى ذلـك، تمت الموافقـة بـأن يلغـي التحـالف الإنجلـيزي – اليابـاني في نهايـة عـام (١٩٢٢). وَقَوَّضَتْ هـذه الإجـراءات، وأخـرى، مكانــة اليابـان الدوليـة، الواحـدة بعد الأخرى. في الوقـت نفسـه، كـان المواطنـون الكـاليفورنيون وفي ولايــات غربيــة أخــرى قــد وضعــوا خططــاً وســنوا قوانــين جديــدة أرادوا بهــا طـرد المهــاجرين اليابـانيين خـارج ولايــاتهم إذا أمكــن، أو علـى الأقـل لمنـع أي واحـد جديـد مـن القـدوم.

في عــام (١٩٢٤)، توصلــت الموجــة مــن الهجمــات المعاديـة لليابـانيين بإلغـــاء اتفاقيـة الجنتلمـان ووضـع قـانون كوتـا جديـد بـدلاً منـه. مـع ذلـك، أثبتـت اتفاقيـة الجنتلمــان عــدم جدواهــا في منــع المهــاجرين اليابـانيين مــن الدخــول، إلى درجـــة اعتبرت كافيــة مـن قبـل الأمريكيـين البيـض، بصـورة رئيسـية، ضروريـة.

وسمح لأكـثر مـن (١٢٠٠٠٠) يابــاني بـالدخول للولايـات المتحـدة في الفـترة (١٩٠٨ – ١٩٢٣)، لكــن كــان هنــاك أكــثر مـــن (١١٠٠٠٠) يابـــاني تركـــوا البــلاد، بســبب ذلـك، وأصبحــت الزيـادة الفعليـة للسـكان في تلــك الفــترة في أمريكـا لا تتجـاوز الـ (٥٠٠) كـل عـام في الحقيقـة.

كمـا قلـت مـن قبـل، تكلـم والـدي غالبـاً حـول هـذه الأمـور بتفصيـل كبـير أثنـاء تنـاول وجباتنـا المسـائية. وهكـذا، فإنكم تعرفـون الآن مـا هـي الأشـياء الـتي كـانت ملائمــة بالنسـبة لليابـــانيين في تلـــك الســنين في الولايـــات الغربيـــة الأمريكيـــة، خصوصـاً كاليفورنيـا.

تخلـى والـدي في نهايـة الأمـر عـن حلمـه، وهـو حصولـه علـى ثقافـة في إحـدى الكليـات الجامعيـة. فقـد حصـل علـى عمـل في مزرعـة في فرسـنو، حيـث كـان يعمـل كـالكلب، ويدخـر بعضـاً ممـا يتقاضـاه. وعندمــا وفـر بعــض المـال في آخـر الأمـر، افتتـح مخزنـاً صغـيراً للبقالـة في منطقــة لــوس انجيلـوس المعروفـة باســم طوكيـــو الصغـيرة. وكـان يبيـع في مخزنـه الخضـراوات الطازجـة، الفريـز، البرتقـال وفواكـا أخرى، ومـواد غذائيـة يابانيـة، مثـل التوفــو. وأصبحـت حياتـه أهـدأ بعـد توطيـا

مخزنه، وأكثر استقراراً. و كانت الخطوة التالية بالنسبة له ، الشروع في البحث عن تكوين عائلة خاصة به. في تلك الأيام كانت الغالبية من العزاب اليابانيين الذين هاجروا للولايات المتحدة، تواجه مشاكل صعبة جداً لإيجاد العروس، ولكونه جاء لأمريكا، بلا شيء، سوى الثياب التي على ظهره، لهذا كان ينقصه المال لتحمل نفقات الزوجة وتأسيس أسرة في الحال. وهكذا اتجه إلى تأجيل موعد الزواج كغيره من اليابانيين. حيث لم يكن والدي استثناءً. أخيراً، قدم السيد أو واكيو في كيوتو في عام (١٩١٩)، المساعدة في ترتيب الزواج لوالدي من الابنة الثانية للسيد ناكامورا، الذي كان رئيس كهنة معبد جودو ـ شنشو للطائفة البوذية بالقرب من جامعة أوثاني في كاميغيو من دائرة كيوتو. لقد كان ذلك حسب عادة الزواج عن طريق الصورة الذي يتبادل فيه الطرفان الصور، ويقرر الزواج على هذا الأساس، وهكذا، لم يلتق والدي مع والدتي أحدهما مع الآخر مطلقاً قبل الموافقة على الزواج. لكن كان الزواج حسب الصورة في تلك الأيام، خصوصاً في الحقبة (١٩١٠ - ١٩٢٠) أمراً شائعاً.

كانت عادة الزواج بالصورة تجري بعكس تيار الرأي العام الأمريكي الهادف للتقليل من عدد المهاجرين اليابانيين للولايات المتحدة. فضلاً عن ذلك، كان الأمريكيون يشجبون هذه العادة بشدة ويعتبرونها عادة همجية، بحيث يتم فيها تجاهل حقوق الإنسان بشكل وقح. وهكذا، حلت الحكومة اليابانية المشكلة في عام (١٩٢١) عن طريق وقف إصدار جوازات سفر للنساء اللواتي اخترن الهجرة للولايات المتحدة بغرض الزواج المعد. وهكذا، استبعد الزواج بالصورة منذ زواج والدي الذي جرى عام (١٩١٩) في اللحظة الأخيرة تماماً، وقبل سنتين من وقف هذا القانون.

بلوغ سن الرشد كَنَيزْي

ولدت أختي الكبرى ديبورا كيوكو بعد سنة من زواج والديَّ، وولدت أنا في السنة الثالثة في عام (١٩٢١).

كانت أختي ضعيفة منذ الولادة جسدياً، وكسولة في كل شيء، هادئة وتحب الابتعاد عن الأضواء. وكنت نقيضها تماماً، حيوية مفعمة بالحياة، متلهفة للأمور المعقدة، واهتم بكل ما هو مفعم بالحماس.

كنت في المدرسة الابتدائية، أُوبّخُ بطريقة ساخرة بين الفينة والفينة ويُسخر من اسمي الياباني، لكنني لم أكن أعتبر مثل هذه المضايقات بأنها مؤلمة، ولم أفكر مطلقاً بأنها كتمييز عنصري حقيقي. وبرغم كل شيء، لم اكن الطفلة اليابانية الوحيدة في مدرسة البيض، هكذا لم اشعر بأنني الوحيدة الفريدة، في تلك المعاملة على نحو بارز: عديد من النيزي الآخرين، ممن ولدوا في أمريكا، كأطفال من آباء مهاجرين يابانيين يذهبون لمدرستي. فوق ذلك كنت ممتازة في عملي المدرسي بشكل عام، وهذا جعلني اشعر بالراحة النفسية وساعدني على أن لا أبالي بالتسميات الصبيانية التي كانت تطلق بين حين وآخر من قبل بعض زملاء الصف.

كانت سنوات مدرستي الثانوية ممتعة وملائمة أيضاً. في الأسبوع الأول أو هكذا، وبّخني بعض الأولاد بطريقة ساخرة لكوني يابانية، ولي هيئة مختلفة، بعضهم دفع بزاوية عينه على نحو مائل بأصابعه وبعض آخر رمى كرات من الورق علي ـ لكنني تجاهلتهم على الفور تماماً حتى تعبوا من أعمالهم. في الوقت الراهن، أصبحت بعيدة عن كوني أعامل بتمييز عنصري ضدي، فقد كونت صداقات بسهولة معي شخصياً بدون تحفظ وعلى نحو طبيعي، وكان لي قليل جداً من التجارب البغيضة في المدرسة الثانوية. وكنت اصطدم مع بعض الأشخاص البيض في شوارع المدينة بين حين وآخر، وكانوا يدمدمون بكلمة (ياب) بنغمة مفعمة بالكره، عندما أسير واجتاز كل واحد، لكن ما من مرة جابهت فيها أي نوع من العدوان والأذى أو السلوك العنيف، من الممكن بسبب كوني بنتاً.

كانت لدي رغبة للعمل بشكل حسن مثل معظم أطفال النيزاي، في المدرسة، مع ذلك، ليس من المتواضع جداً أن أقول هكذا، فقد كنت على الدوام، الطالبة في القمة في صفي.

تعلمت في المدرسة أهمية الحرية ودراسة التاريخ الأمريكي، وغرست في إحساساً قوياً بالكبرياء في أمريكا، والحب لمسقط رأسي. الغالبة العظمى من المهاجرين اليابانيين الذين أتوا إلى الولايات المتحدة، جاؤوا بالقليل من التعليم، وهم يرغبون الآن أن يحصل أولادهم على التعليم الثانوي، وهم يعتقدون أن

الثقافة الجيدة هي افضل هدية يمكن إعطاءها لأولادهم لأجيال المستقبل كمعان لحفظ الذات ضد التعصب العرقي والتمييز العنصري الذي قد يواجهونه. ولهذه الغاية، ضحى العديد من الآباء بحياة الترف والمسرات، بدلاً من ذلك عانوا، الضيق الاقتصادي الشديد، لإرسال أطفالهم إلى الجامعات بعد الدراسة الثانوية.

كان هؤلاء المهاجرون اليابانيون الذين تربوا تحت تأثير التاريخ الياباني والثقافة العائدة لليابان، يكرهون تحطيم روابطهم مع ارض وطنهم السابق عبر البحار. فضلاً عن ذلك، كانوا قلقين إلى حد ما، بسبب موقع اليابانيين في الولايات المتحدة المحفوف بالمخاطر في ذلك الوقت، فإن أطفالهم قد يصبحون معاقين عندما لا يعرفون اللغة اليابانية، إذا ما أجبروا في المستقبل في وقت ما هم وعائلاتهم على العودة إلى اليابان للعيش هناك. بناء على ذلك نظم الآباء واعدوا مدارس خصوصية لتعليم اللغة اليابانية لأطفالهم وأصبحت هذه الصفوف تتم يوم السبت بعد الظهر عادة.

وكان لمعظم المعابد البوذية والكنائس المسيحية اليابانية بالنسبة للجماعات المقيمة في الولايات المتحدة، وأيضاً أماكن اجتماعات الجمعيات اليابانية، مدارسها الخاصة باللغة اليابانية. وعلى رغم الروابط القوية مع البوذية في عائلتي، فإنني لازمت مدرسة اللغة اليابانية التابعة للكنيسة المسيحية، بسبب كونها قريبة من بيتنا، ببساطة.

وكما قلت مرات عديدة، الإسامي جيل أبي وأمي من المهاجرين اليابانيين إلى أمريكا ـ كان عليهم أن يبقوا، دون انقطاع، شديدي التعصب ضد كل إجحاف بحق اليابانيين، كذلك ضد التمييز العنصري في المناطق الغربية من الولايات المتحدة، خصوصاً في كاليفورنيا. وأصبح الإيساميون مصنفون كغرباء غير مؤهلين لان يصبحوا مواطنين، وحرموا من امتلاك الأرض، في الولايات المتحدة، بسبب تشريع القانون الخاص بمعاداة الغرباء. لكنهم تدبروا أمورهم، على الرغم من كل ذلك من أجل توطيد بعض الإجراءات المتعلقة بالأمن الاقتصادي عن طريق شراء أراضي بأسماء أطفالهم النيزاي، الذين منحوا آلياً حق الاستيطان كأمريكيين بسبب ولادتهم على الأرض الأمريكية، وبهذه

الطريقة، عهد آباؤناوامهاتنا من الإيساي بأحلامهم إلى المستقبل الأكثر بهجة لنا، ولأطفالهم من النيزاي.

وتخلى العديد من الإيساي عن كل أمل في الحصول على حياة لائقة في أمريكا، وعادوا إلى اليابان، كمواجهة للحركة المعادية لليابانيين التي كانت تقوم بكل شيء، وباستخدام كل قوتها لتقود المهاجرين اليابانيين لطردهم خارج الولايات المتحدة. لكن كان آخرون مصممين على الإقامة على نحو دائم في موطنهم المختار، وعملوا بمشقة ليثبتوا أقدامهم وجذورهم بين المجتمعات الأمريكية، فبعد أن عاشوا في الولايات المتحدة، عشرة أو عشرين أو ثلاثين سنة، بدأت محبتهم لأرض ولادتهم تتلاشى بالتدريج من عقولهم، وتتراجع ابعد فابعد وتصبح في أطياف الذكريات، حتى في الوقت الذي أصبحت فيها لهم صوراً من الصور الزيتية، أكثر من حقيقة. باختصار، فقد شرعوا بالشعور انهم قد ابتعدوا عن اليابان، وأخيراً جاءوا ليعانقوا أمريكا كوطنهم الحقيقي. لهذا كله، وبعد كل ذلك، فالبلاد العزيزة على قلوبهم، هي الأرض التي عاشوا فيها وعملوا معظم حياتهم فيها وربوا أطفالهم.

وكان من الطبيعي أن تنظر الغالبية العظمى منا نحن النيزاي للولايات المتحدة كوطننا الحقيقي الوحيد. برغم ذلك، لا يمكن إلا للقليل من النيزاي ــ حفنة فقط ــ اخذ الجو العام للازدراء والاحتقار الذي تولد عن بعض إجحافات الأمريكيين البيض وكان بعض النيزاي عاجزاً عن الحصول على عمل جيد، حتى على الرغم من حصولهم على دراسة جامعية ــ لمجرد سبب التمييز العنصري ــ وهذا سبب لهم إحباطاً شديداً جداً. مما أدى ببعض النيزاي ليشعروا عاجلاً أم آجلاً بسبب نسبهم العرقي ولغتهم ودمهم الياباني، بالإحباط.

في الحقبة التي غادر بها والدي اليابان، كانت المدارس المتوسطة في اليابان منظمة حسب نظام الخمس سنوات، والأكاديمية تحتوي على صفوف أصبحت مطلوبة فكرياً. وأصبح والدي من بين النخبة الفكرية بين الإيساي بسبب حصوله على الشهادة من المدرسة المتوسطة مع التسجيل في أكاديمية ممتازة. وكان واضحاً أن تطوير أفكار حول المهاجرين اليابانيين بشكل جيد وكذلك أطفالهم سيؤدي بحياتهم في أمريكا إلى نوع من رؤيا المستقبل للكفاح كنوع من الحماية لأنفسهم.

أرادنا والدي كنيزاي، أن نربى وننظر لأمريكا كوطن لنا، لكن في الوقت نفسه، فإنه كان يعتقد انه علينا أن نكافح على قدم المساواة بشكل يجنبنا وقوع مشاكل اجتماعية متعددة في أمريكا بسبب نسبنا الياباني. وكان يشعر على نحو إنه من الضروري بالنسبة للأطفال من الايساي أن تكون لهم «هوية ايساي» وان يقدروا ويعترفوا بثقافتهم اليابانية وتراثهم. وأرادني أن اقضي بعض الوقت في اليابان من أجل ان أرى بلاد أسلافي بعيوني الخاصة، وأختبر طراز الحياة والتقاليد اليابانية، وأحصل على بعض التربية اليابانية.

كان يعتقد أن الخبرة التي يمكن أن أحصل عليها في اليابان ستعزز من إعجابي بعرقي وهويتي الثقافية وتمكنني من ممارسة حياة أفضل كمواطنة أمريكية في المستقبل.

إذ أصبح من الممكن حقاً، إذا أردت الدخول إلى جامعة (UCLA) بعد تخرجي من المدرسة الثانوية في الحال. بل أيضاً أردت أن ألبي رغبة والدي لأقضي بعض الوقت في اليابان، لأنني أحترمه وأحترم وجهات نظره. وشعرت أن رؤية وطن والديّ قد تكون تجربة ذات معنى لي وتؤدي خدمة لتوضيح جذوري الروحية كنيزاي، لكني كنت أظن أن العامل الحاسم كان حقاً شخصيتي الراحلة. لقد كنت محبة للاستطلاع بطبيعتي، وكنت أهتم بكل الأشياء، وقد يقول البعض، إنها من الممكن، أنني كنت سريعة الاهتياج ومتهورة. قررت الذهاب لليابان بفكرة البقاء فيها، أليست هذه الفكرة، هي أفضل من البقاء سنتين أو ثلاث فقط.

في ربيع عام(١٩٣٩) تقدم والدي بطلب لإدارة الولاية للحصول على جواز سفر لي. وكان يوجد في تلك الأثناء ركام من المشاكل السياسية الخطيرة بين اليابان والولايات المتحدة لدرجة عالية، حتى تحدث بعض الناس عن إمكانية الحرب. وكنتيجة لم يكن من السهل بالنسبة لي الحصول على جواز سفر، وقد أحتاج إلى شهرين، أي ضعف الزمن العادي، لكن حصلت عليه في نهاية الأمر.

كان هناك آخرون من النيزاي ممن أرادوا زيارة اليابان في تلك الأثناء، كذلك، كان بعض منهم عاجزاً عن الحصول على إذن بسفرهم بشهادة صادرة عن مكتب الهجرة فقط.

مع ذلك، أصبح أطفال النيزاي مواطنين أمريكيين آلياً، فالايساي يسجل الآباء عادة أسماء أطفالهم في القنصلية اليابانية للحصول على الجنسية اليابانية لهم أيضاً. وهذا أعطى بالطبع الأطفال جنسية مزدوجة. وهذا التقدم في العمل كان بوضوح أُوصي به من قبل القنصلية.

وعندما يعتبر الأمر مشكوك به بالنسبة لموقع اليابانيين سياسياً، ممن يعيشون في أمريكا في ذلك الوقت ـ غير عارفين فيما إذا كانوا سيطردون خارج البلاد ـ فإنهم يصبحون عاجزين عن تخطيط مستقبلهم مع اليقين والأمان ـ ولا يمكن حقاً توجيه اللوم إلى الايساي عند استعداهم للأسوأ وحصولهم على المواطنية اليابانية لأطفالهم.

فالمجتمع الأبيض في أمريكا، كان موضوع المواطنة المزدوجة معادلاً إلى إيجاد موقف ملتبس كصون الجنسية، وكما كان، فإن ذلك أعطاهم عذراً آخر ليوجهوا النقد لليابانيين الذين حصلوا عليها.

وكرد على ذلك، كان العديد من الإيساي الذين أرادوا أن يندمجوا في المجتمع الأمريكي، بقدر ما يمكن، وكان لهم أسماءهم في سجلات القنصلية اليابانية، أن تحول رسمياً، وتخلوا عن مواطنتهم اليابانية في سبيل تجنب مثل هذا النقد. وكنت واحدة منهم. وقد حدث أن رحلت لليابان بعد أن تخليت عن جنسيتي اليابانية، وكان ذلك كمواطنة أمريكية، بحيث أعلنت مجيئي لليابان.

اشترى والديّ العديد من أفخاذ الخنازير الأمريكية ومن الأطعمة المعلبة والملابس لي لأخذها معي، لاستخدامي الخاص وكهدايا لعائلة أوواكي، على حد سواء، بحيث سأنزل عندهم عند وصولي. على أن آخذ معي أكثر من عشرة قطع أمتعة عندما أبحرت إلى اليابان على ظهر السفينة آرابيامارو.

حتى الآن، أتذكر بقوة كيف شعرت عندما غادرت السفينة ميناء سان بدرو في لوس أنجيلوس بعد أسبوع من عطلة يوم عيد الاستقلال بتاريخ (٤) تموز.

اليابان أرض والديّ الوطنية

عندما وقفت على ظهر السفينة أرابيا مارو، شرعت تلك السفينة الضخمة بالانسحاب ببطء من الرصيف، وبدت الأعلام الورقية متعددة الألوان الخفاقة التي كانت تلوح بها أيدينا وأيد كانت تقف على الشاطئ تتماوج، لترمز إلى روابط الحب التي تربط بين قلوبنا وقلوبهم ، وشعرت بغصة حزن عندما راقبت الأعلام الخفاقة الهشة وهي تتساقط وتتحطم بلطف على سطح الماء وكأن ذلك آخر روابطي بعائلتي، هكذا بسهولة. وشاهدت من خلال الدموع التي انهمرت من عيني، الصورة غير الواضحة لأمي وأبي وأختي الكبرى ديبورا كيوكو، عندما أخذت بالتضاؤل أكثر فأكثر واختفت أخيراً عن نظري.

أبحرت السفينة نحو الشمال على طول خط ساحل كاليفورنيا، ومن ثم اتجهت نحو الغرب. وانبعثت خلال فترة قصيرة موسيقى الجاز المحببة صادرة عن محطة إذاعة أمريكا، عبر ممرات السفينة، لكن أخذت الموسيقى تضعف كلما تقدمنا باتجاه الغرب، عند ذاك شعرت بوخز وألم يمتزجان بشيء من الإثارة والقلق أنني غادرت الآن حقاً أمريكا.

أبحرت السفينة على طول جزر ألوثيان، تنشر وراءها زبدها الأبيض. ووصلنا إلى يوكاهاما في اليوم السابع عشر من الرحلة.

كان انطباعي الأول عن اليابان، الأرض الوطنية لوالديّ، ثلاثياً، أولاً، بلاد شديدة الحرارة، ورطبة بشكل لا يحتمل، ثانيا، الهواء كان ساكناً، وثالثاً، كانت الرائحة المنتنة الصادرة عن مياه المجارير وأقذارها منتشرة في كل مكان. فلم تكن المراحيض التي تسيل مياهها قد استخدمت على نطاق واسع. وهكذا كان من المستحيل اجتناب النتن المنتشر لكن قضيت وقتاً صعباً للتمكن من التعود على استخدام المراحيض ذات الطراز الياباني، التي عليك أن تقعي فوقها بدلاً من الجلوس عليها. وكانت هذه المراحيض شنيعة وغير مريحة في البداية بالنسبة لي.

قطع السيد أوزاكي كل هذه المسافة من كيوتو للقائي عندما وصلت الباخرة. فبعد جمع حاجياتي، ذهبنا إلى محطة طوكيو. لقد ذهلت عند رؤية التقدم وقطارات الكهرباء من الناحية التكنولوجية التي كانت تجري من قبل

شركات خاصة أو وطنية، وطول الأبنية التي كانت تمتد على طول الشوارع حول المحطة. ركبنا القطار السريع الخاص بخط توكيدو، ووصلنا إلى كيوتو حوالي الساعة الثامنة تماماً في الوقت المحدد. لقد كنت أتوقع أن تكون القطارات في اليابان دقيقة، لكن كانت درجة الدقة مذهلة حقاً. قطارنا كان ينزلق بنعومة على رصيف محطة كيوتو. في الوقت المحدد تماماً.

كانت محطة قطار كيوتو واسعة تماماً أيضاً، وكان في واجهتها يقف مكتب البريد المركزي. وإلى الشمال منطقة مخزن على الطراز الغربي سمي بـ «بوسانكان». وأبعد قليلاً تقع المنطقة الواسعة لمعبد هيغاشيهونغانجي، ووراء كل ذلك، منخفض منازل ذات سقوف قرميد رمادي، مقارناً مع اللون المضيء اللامع في المدن الأمريكية التي جذبتني أكثر من المدن اليابانية بلونها الأحمر المائل إلى اللون الرمادي.

كان هنالك عالم مختلف عما كنت اسمعه ورأيته. إذ كان اليابان الذي وجدته مختلف جذرياً عن الصورة التي كنت أحملها عنه في عقلي منذ الطفولة، وكنت على الأغلب مشوشة ومنذهلة في البداية.

يخلع المرء نعليه عند المدخل، من ثم يتقدم إلى البيت النظيف، ثم يجلس على التاتامي، وهي حصيرة أرضية، باعتباري أنثى، على أن أجلس بطريقة صحيحة، مع ثني ساقي تحتي بطريقة محتشمة ليس إلى الخارج أو إلى جانب ــ في الغالب، كانت كل طريقة ملائمة مختلفة في العادات اليابانية عن تلك التي كنت استخدمها في أمريكا . وفي بعض الحالات متناقضة تماماً. كان لدي العديد من الصعوبات في اتباع العادات اليومية في اليابان. وفي قمة كل ذلك، كان كل شيء - حتى البيض ــ يبدو لي أن له رائحة السمك.

كانت يابانيتي بعيدة عن كونها وافية بالمراد، لكن لسوء الحظ، هيأ لي السيد أوواكي أخذ دروس في اللغة على عجل مع زوجة الأستاذ أريتو من شعبة الأدب الياباني في جامعة دوشان. وقام الأستاذ وعائلته بكل ما يمكن لمساعدتي والتآلف مع الحياة الجديدة، بسبب إقامتنا بعض الوقت في نيويورك مع برنامج الدراسة الخارجية في جامعة كولومبيا. وكانا قد تآلفا تماماً مع طراز الحياة الأمريكية وفهما الثقافة التي خبرتها.

تسجلت ضمن أسماء كلية دوشان للنساء في دائرة الأدب الإنجليزي منذ شهر نيسان التالي عام (١٩٤٠)، جزئياً بسبب علاقتي مع عائلة آريتو.

كانت الكلية قد أنشئت من قبل البعثة المسيحية، وكان لها قصة طويلة وجو من الحرية، بشكل لا يماثل القواعد تماماً مع الكليات اليابانية. وكانت اليابان في تلك الأثناء قد دخلت الحرب بالتوسع في الصين كما وقعت معاهدة مع المحور الثلاثي ألمانيا ـ إيطاليا، وبتلك المعاهدة أصبحت هذه البلدان الثلاثة مقيدة، بدعم الواحدة الأخرى في حالة حدوث دخول الولايات المتحدة الحرب في أوربا. كنتيجة لهذه التطورات أصبحت بعض مناطق حرم الكليات مقيدة غالباً، وتعسكرت. و كانت جامعتنا على النقيض في أغلب الأحيان منفتحة ومريحة.

كانت حياة الطالب هناك بالنسبة لي، سارة جداً، فكان الحرم الجامعي الفسيح المخضر مزوداً بأبنية مدرسية جديدة على الطراز الإنجليزي. من الآجر، وفي الخارج ، تشبه المدرسة الحرم الجامعي الأمريكي تماماً.

كان ينظر للزوار الأمريكيين لليابان، وكأنهم غرباء من أي نوع. لكني لم اشعر، ولا مرة بذلك النوع من التمييز في دوشان. على العكس. كان الطلاب ودودون وحذرين تجاهي، وكانت قلوبهم وعقولهم متأثرة بكلام الكتاب المقدس التي كانوا يسمعونها أثناء خدمة الكنيسة الصغيرة في الصباح، وعلمتهم أن يكونوا لطفاء وكرماء مع المسافرين وأن يحبوا جيرانهم كما يحبون أنفسهم.

كان الناس خارج أبواب الحرم الجامعي، مختلفين تماماً، وكان مظهرهم مفعم بالكدر بسبب ضحايا الحرب والحرمان، وبسبب الكآبة. وأصبحت الضرورات اليومية مثل الملابس في ذلك الحين تخضع لنظام الحصص. وأصبحت الألبسة التي تصنع من الصوف أو القطن، منذ زمن غير بعيد متاحة، لكن من نوعيات رديئة، وتصنع من المواد الصنعية مثل الفيبر.

كانت عبارة «التبذير هو العدو» على شفتي كل واحد. وأصبح الناس يشجعون على ارتداء اللباس الموحد الوطني للمدنيين. فالنساء يلبسن وشاحات على الكتفين مطبوعة بالكانجي الذي كان يجري تعليمه للنساء في «جمعيات

الدفاع الوطني» التي كانت تقام في زوايا الشوارع، وكانت العضوات يناشدن المارة الانضمام إلى المجهود الحربي، وذلك بخياطة قليل من الدرزات في واحدة من العديد من «أحزمة ذات آلاف الدرزات»، لارسال البعض منها إلى الجنود اليابانيين في جبهات القتال في شمالي الصين. إذ كان الناس يعتقدون أن هذه الأحزمة المدروزة بكثافة تعمل كتعويذة كحظ حسن لحماية الجنود من رصاصات العدو.

ويلبس الصبيان في المدارس المتوسطة ممن يتابعون دراستهم، لباساً موحداً من الكاكي مع الطماق. وإذا سمعت أي نوع من الموسيقى في الشوارع، فهي بشكل ثابت أغان حرب مثيرة مثل «راحلون إلى الجبهة» و«والضباط والجنود» و«المارش الوطني»و«مارش شرقي آسيا العظيمة» و«مارش السفينة الحربية».

وكان ممنوعاً على طلاب وطالبات المدارس المتوسطة، وعلى نحو صارم المشي في الأسواق وأماكن التسلية او الدخول إلى المسارح وأماكن اللهو أو المقاهي. وكانوا يراقبون من قبل دوريات من المدرسين للتأكد بأنهم لا يقومون بمثل ذلك. من ناحية أخرى، يبقى لطلاب الجامعات والكليات التمتع بنوع من الحرية .

كنت أستمتع بالوقوف أمام أحد المقاهي في شارع سانجو أوشيجو مع بعض الأصدقاء. وكنا نستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية التي تعزف هناك، ونحن في طريقنا إلى بيوتنا بعد انتهاء الدروس.

وكان يتم حتى ذلك الحين تقديم القشدة بالصودا والقشدة المثلجة، كما كانت تعرض أفلام أمريكية وأوروبية في دور السينما في منطقة كيوتو.

وهكذا، كنت قادرة على الحصول على بعض الأوقات الممتازة مع بعض أصدقائي من الكلية، حتى عندما كانت اليابان في حالة حرب ــ ولزمن قصير، اعني.

اصبح القتال في أوروبا شديداً، الذي بدأ في عام (١٩٣٩)، وعلى نحو متزايد، وانتشر بفضل عدوان الجيش الألماني الضاري تحت قيادة هتلر.

وأصبحت اليابان أيضاً توسع مجال احتلالها لبلدان آسيوية أخرى، تحت ذريعة إقامة محور رفاه مشترك لجنوب شرقي آسيا العظيم، وشرعت حينذاك احتلالها لبلدان المستعمرة الفرنسية في الهند الصينية.

في صيف (١٩٤١)، تطورت العلاقات بين الولايات المتحدة واليابان من حالة متوترة إلى حالة خطرة. فقد شعرت اليابان بنفسها مطوقة ومهددة بواسطة قوات" A.B.C.O» وجعلت الصحافة اليابانية على هذا المختصر في متناول الجمهور، والذي يرمز إلى امريكا، بريطانيا، الصين، والهند الشرقية، الهولندية. وَحَرَّمْت الولايات المتحدة تصدير النفط لليابان. وكان ذلك هو يوم بالنسبة للرأي العام أن اليابان أصبحت مستعدة في سبيل الدفاع عن نفسها.

متمشياً مع الوضع، أصبحت شديدة الشوق لقراءة الصحف والاستماع إلى تقارير الأخبار من الإذاعة، حول البعثة الخاصة كوروسو، كونها أرسلت للولايات المتحدة، لقد تشبث برجاء تجنب الحرب بين الولايات المتحدة واليابان، لكن كنت فاقدة الأمل في النهاية. بطريقة أو بأخرى.

برغم ذلك فإنني كنت اعرف، انه إذا ذهبت أمريكا واليابان للحرب ابتداء من تلك اللحظة، سأصبح عاجزة عن العودة للوطن، إلى والديَّ، في وقت قريب. وانتابني القلق، عند التفكير بذلك، وأصبحت متلهفة لمغادرة اليابان الذي أرسلت منه رسالة إلى والديّ في لوس انجيلوس أعلمهم فيها أنني أود العودة لأمريكا. وإنني لم اكتب حول خوفي بأن الحرب تبدو وشيكة، منذ أن سمعت إشاعة باحتمال توقف البريد، بين الولايات المتحدة واليابان. لكن ببساطة دفنت ذكر رغبتي بالعودة إلى أمريكا بشكل عام. راجياً أن يقرأ والديّ بين السطور عن هذه الرغبة. وأجابوا بردهم على رسالتي في منتصف تشرين الثاني يطالبونني بالعودة للوطن بسرعة وبمقدار ما يمكن. وفيما إذا كنت املك المال لرحلة عودتي. وهكذا، وبدون تاخير، اتصلت بشركة ملاحة بحرية وسجلت اسمي في رحلة على الباخرة تاتسوتا مارو، والتي كانت تضع في جدول رحلتها أنها ستبحر من يوكاهاما في الثاني من كانون الأول.

وأصبحت مغادرتي إلى أمريكا مستعجلة ومفاجئة منذ ذلك، ولم يعد أمامي الوقت الكافي لوداع زملائي في الكلية. علاوة على ذلك لم تكن الحرب قد

اندلعت تماماً بعد. وتطلعت إلى الرحلة بقلب مضيء، معتقدة أن عودتي للولايات المتحدة قد تكون مؤقتة، ولا تحتاج إلا إعلام مكتب معلومات الكلية بأنني سأتغيب عن الصف لمدة قصيرة. واصبح علي أن استعد للرحلة خلال وقت قصير، فإنني على عجلة من أمري. وحزمت فقط ما استطعت أن انجح في حمله بنفسي، وقدمت الشكر لعائلة أوواكي من اجل الود الكثير الذي عوملت به خلال العام الذي بقيت فيه معهم، وشعرت بالحزن الشديد، لأنه كان علي مغادرتهم، وتوجهت بالقطار إلى يوكوهاما، من أجل الإبحار على الباخرة تاتسوتامارو.

وتأكدت وأنا على ظهر السفينة وللمرة الأولى أن التوترات بين اليابان و الولايات المتحدة قد وصلت مرحلة ميئوس منها. وعلمت أيضاً أن الحكومة الأمريكية قد ردت على الاقتراح الياباني النهائي وبه عبرت وسائل الإعلام اليابانية بأنه "المذكرة العطاء "، وهو إنذار من قبل وزير الخارجية كوردل هول.

حملت السفينة العديد من المسافرين بمقدار استيعابها. وتحرك العديد منهم خوفاً. وعبر بعض الأمريكيين على ظهر الباخرة عن شَكِّهِمْ أن تصل الباخرة إلى الولايات المتحدة بأمان، وتنبأ بعض آخر، انه من المحتمل أن تكون آخر سفينة تغادر اليابان لأمريكا.

من سوء الحظ، تحققت مخاوفهم وتنبؤاتهم تماماً. وأصبح الخيط الرفيع الذي يربط العلاقات الأمريكية - اليابانية، معاً على وشك الانقطاع في الحقيقة. أو بالأحرى، فإنه قد انقطع قبل الآن. مع هذا فإننا لا نملك نحن المتواجدون على ظهر السفينة من وسيلة لمعرفة ذلك، فقد أبحرت قوات يابانية بحرية قبلاً من خليج هيتوكابو في شمال جزر الكوريل، وأصبحت حينذاك في طريقها للهجوم على بيرل هاربور.

الحرب تندلع بين اليابان و الولايات المتحدة

بتاريخ الـ(٨) من كانون الأول عندما وصل إعلان الحرب إلى نظام السفينة، سقط الخبر وانتشر واوقع الكآبة في النفوس، وكذلك القلق المثير

للاشمئزاز بين المسافرين على السفينة وطاقمها. لقد كان إعلاناً تاريخياً صادراً عن القيادة العامة للإمبراطورية: "في وقت مبكر من فجر هذا الصباح، الـ (٨) من كانون الأول، دخلت اليابان الحرب ضد القوات الأمريكية والبريطانية كنتيجة للعداء في الجزء الغربي من المحيط الهادي.".

أصبحت وجوه المسافرين اليابانيين، ومعظمهم كان يبحر للولايات المتحدة لأعمال عاجلة، وبعضاً منهم لمهمات خاصة تجلب الانتباه، مُبْيَضّةً من الخوف، وكان أولئك المسافرون من بيننا ممن هم من النيساي تحت اكبر صدمة، كونهم يمزقون بين وطننا الولايات المتحدة واليابان.

وذعر بعض المسافرين الأمريكيين البيض وحاولوا إقناع قبطان الباخرة للمحافظة عليها وهي في طريقها للولايات المتحدة، لكنه كان قد تلقى أمراً من الحكومة اليابانية بالعودة بتاتسوتامارا إلى يوكوهاما.

بعد أن عدنا لليابان، أصبحت إجراءات الهجرة التي كانت سهلة جداً من قبل عندما غادرنا يوكاهاما، الآن معقدة جداً وصعبة عما كانت عليه قبل أقل من أسبوع فقط. فقد عومل النيساي مع المواطنية اليابانية، حتى ذلك الوقت بسهولة اكثر مما عومل المسافرون الأمريكيون. فقد أصبحنا بنظر الرسميين اليابانيين في الهجرة أعداء لليابان الذين كانوا يهتمون بنا، وأصبحنا أعداء لليابان في الدقيقة التي جرت فيها إعلان الحرب. وظهرت نظرات الرسميين في دوائر الهجرة لي مختلفة عما كانت عليه من قبل، ويمكن أن يكون ذلك خيالياً. فكانت الشرطة النظامية وحتى الشرطة العسكرية على وشك الظهور للمحافظة على مراقبتنا عن قرب، واحداً فواحداً عندما توجهنا إلى الشاطئ.

لقد سمح لي بالدخول لليابان من جديد، شريطة العودة إلى العنوان الذي كنت قد أقمت فيه قبل مغادرة البلاد، وهكذا رجعت إلى عائلة أوواكي في كيوتو. وقالوا إنهم قرؤوا في الصحافة أن الباخرة تاتسومارو قد عادت لليابان. لكن لم تكن لديهم فكرة متى أو إذا كان من الممكن أن أعود إلى بيتهم. وكانوا غالباً قلقين علي.

بدأت حياتي من جديد في كيوتو. لكن أصبحت اليابان الآن متورطة في

حـرب في شـرقي آسـيا العظمـى، وتحـارب الولايـات المتحـدة أيضـاً، وأصبحـت البـلاد في حالـة حـرب إلى أعلـى درجـة، وكنـت أعيـش هنـاك كحاملـة لجـواز سـفر أمريكي - بعبـارة أخـرى كـأحد الأعـداء.

في اليـوم الثـاني، جـاء ضـابط مـن الشـرطة السـرية قسـم الشـؤون الأجنبيـة مـن إدارة شـرطة كيوتـو حيـث لم يُضيّعـوا أي وقـت لقدومهـم إلى المعبـد حيـث تعيـش عائلـة أوواكـي وأنـا. سـألوني بتفصيـل كبـير حـول حيـاتي في أمريكـا، وغرضـي مـن مجيئـي لليابـان، وقوميـتي. واخـذوا ملاحظـاتي المدونـة وغـادروا.

أقنعـني هـذا الاسـتجواب المزعـج، وعائلـة أوواكـي بخطـورة موقفـي كمواطنـة لشعب عـدو خـلال وقـت الحـرب.

انتظـرت بـدء السـنة الدراسـية في كليـة البنـات في دوشـان، حيـث كـان زملائـي يعـاملونني كالسـابق، بـدون أيـة إشـارة مـن حقـد أو عـداء أو تحفـظ. في الواقـع، كانوا يبـدون اهتمامـاً بسـماعهم حـول إبحـاري علـى ظهـر السـفينة تاتسـوتامارو.

مهمـا وصلـت مـن البراعـة في اليابـان، وأعتـدت علـى طـراز الحيـاة اليابانيـة فـإن رغبـتي الوحيـدة كـانت الذهـاب لرؤيـة الأفـلام الأمريكيـة والأوروبيـة الـتي كـانت تعـرض مـن فيلمـين إلى ثلاثـة في الأسـبوع في منطقـة كوغوكوبـا بـالقرب مـن منطقـة اورادرماشـي. حتـى تلـك الأيـام، بـدا لي غريبـاً أن تسـتمر الأفـلام الأمريكيـة في العرض بعد أشهر قليلـة مـن بـدء الحـرب بـين اليابـان و الولايـات المتحـدة

إنـي أتذكـر أنـي شـاهدت فيلمـاً مـرة في اليابـان يصـور فريـد اسـتير وجيـا نجرروجـرز يرقصـان معـاً. وشـاهدت فيلمـي الملـون الأول هنـاك، حيـث بـدأت مـارلين دوتريتـش عملهـا السـينمائي بطريقـة مدهشـة علـى نحـو كـاف، حتـى أن إحـدى دور السـينما عرضـت فيلمـاً حـول قاذفـة القنـابل الأمريكيـة العملاقـة، المسـماة " القلعـة الطـائرة" الـتي يزدهـي الجيـش الأمريكـي بقوتهـا. وكـان بإمكـانك أحيانـاً أن تمـر عـبر هـذا النـوع مـن المراقبـة المضحكـة، حتـى وسـط الانضبـاط الشـديد والمراقبـة بـان الحكومـة كـانت تهيمـن علـى كـل مظـاهر الحيـاة في اليابـان خـلال زمـن الحـرب، ربمـا لأنهـا أنجـزت انتصـارات عسـكرية عظيمـة مبكـرة في الحـرب في ذلـك الحـين.

من ناحية ثانية، بعد بضعة أشهر من بدء الحرب اندفع العدوان، إلى الدرجة القصوى، وجرى ترسيخه في البلاد. واصبح استخدام اللغة الإنجليزية ممنوعاً، وأصبحت العبارات التي تحقر العدو مثل «Kichiku – Beiei»: التي تعني «أمريكي وبريطاني شيطان ومتوحش»، من الاستعمالات الشعبية.

عندما اشتد القتال، أصبحت الحالة النفسية في اليابان أشد صعوبة على نحو متزايد ومربكة، وأصبح لها أثرها على التدريس في الكلية في آخر الأمر. وجرى تقسيمنا إلى مجوعات خدمة، ترسل غالباً لتقديم المساعدة في المناطق المجاورة، أو للعمل في إحدى ورشات العمل، أو أمور أخرى .وهكذا، لم تعد تتم الدروس بصورة منتظمة في الصفوف النظامية. وأصبحت مثل تلك الزخرفات الطائشة الشخصية، كطراز من الشعر، ممنوعة. وأصبحنا نذهب للمدرسة ونحن نلبس ملابس نسائية موحدة في تلك الأيام، لباس العمل وقميص مع دثار ثقيل من القطن يربط فوق الرأس. أغلقت المقاهي إجبارياً وكذلك المطاعم، بعد أن كان الناس يؤمونها قبل الحرب للراحة في أية لحظة للهرب من وطأة الحياة اليومية. واعتبر ذلك كواجب كحاجة للعمل، أو تبقى مفتوحة دون زبائن غالباً اشمئزازاً. وهكذا، أصبحت الحرب محسوسة في كل مكان.

وعلى سبيل المثال، من اجل السماح للحصول على عمل، وجب على مالك المطعم في شارع كارا واياشي الذي كان يسمى ديليكيس قبل الحرب، أن يستبدل طريقة كتابة اسمه باستخدام أحرف الكاتاكانا البسيطة، إلى الكانجي التي لها اللفظ نفسه لكن تتطلب صورة عسكرية ذات صوت جهوري على نحو ملائم، ويعني حرفياً «غادر مسقط رأسك لتقاتل في المعركة الحاسمة»هذا هو نوع القمع والعسكرة، كل تعميم للعسكرة للشعب الياباني وأن تعيش هكذا خلال سنوات الحرب.

فمنذ أن أصبحت مواطنة أمريكية، كانت الشرطة السرية من قسم توكو للخدمة السرية الخاصة في إدارة الشرطة، غالباً ما يأتون ليسألوني في معبد أوواكي. وفي بعض المناسبات، كانوا يستدعونني غالباً إلى خارج صفوف الكلية ويصطحبونني إلى مركز الشرطة ظاهرياً، ليسألوني، وعملياً لإزعاجي ومضايقتي. فكان الطلب نفسه في كل

مرة، إنهم يريدونني أن أتخلى عن جنسيتي الأمريكية، لاصبح مواطنة يابانية.

في إحدى المرات، جاءني أحد أفراد الشرطة السرية من توكو إلى المعبد عندما كنت في الكلية، صعد إلى غرفتي، وفتش جميع دروج مقعدي ومكتبي. ولقد صدم السيد أوواكي وعائلته بسبب هذا الخرق لقانون الحق الشخصي. وعندما غادر ذلك الشرطي حذر السيد أوواكي، أن عليه التخلص من هذه الكتب باللغة الإنجليزية، وعندما حاول السيد اوواكي أن يجادله، موضحاً، بأنني طالبة في الكلية وأنني كنت الأولى في الأدب الإنجليزي. لكنه رد على السيد أوواكي انه حتى قراءة هذه الكتب المكتوبة بالإنجليزية يمكنها أن تقود وتؤدي إلى خدمة مصالح العدو.

عندما تحدثت عن ذلك الحادث بعد أيام قلائل إلى شاب من الجيران، وكان طالباً في مدرسة يوشيدايالما الثانوية، فقد حاول تطميني وذلك بإعلامي بتجربة منافية للعقل، لكنها حقيقة جرت معه. فقد كان يتمدد على العشب في حديقة عامة بالقرب من القصر الإمبراطوري في كيوتو ويقرأ كتاباً فلسفياً وَحَدَثَ ان كان له جلدة حمراء عندما جاء إليه ضابط التوكو وصادر الكتاب، ودعاه بالأحمر.

لقد قرر العديد من النيساي من حاملي الجنسية المضاعفة الذين اجبروا على البقاء في اليابان، التخلي عن جنسياتهم الأمريكية والاحتفاظ بالجنسية اليابانية فقط. وكل ذَكَرٍ من النيساي قام بذلك وكان مسناً على نحو كاف بالنسبة للخدمة العسكرية، جرى سحبه عندئذ للخدمة في القوات المسلحة اليابانية.

وعلى الرغم من المضايقات المستمرة بأنواع مختلفة ومتكررة التي كانت تقوم بها السلطات اليابانية، و كانت متواصلة على نحو مثير للاشمئزاز، لم يكن في نيتي التخلي عن جنسيتي الأمريكية، ومهما يكن سواء أكنت أحب اليابان أم أكرهه. فلا شيء أعمله مع هذا القرار. وقدمت المبرر مع العديد من التفكير، ونظرت للمشكلة من جميع زواياها والتي يمكن تصورها، ولم أجد شيئاً يدعوني للتخلي ويمكن أن أتصوره، فقلبي يعترف بحقيقة واحدة لوطن واحد الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت زميلاتي في كلية بنات دوشان وعائلة أوواكي والجيران، جميعاً، كرماء وودودون، ومن ذوي القلوب الكبيرة، وناس حسنو النية. وكان ما يسحق القلب أن تراهم مجبرين على القيام بتضحيات الواحدة بعد الأخرى ــ جميعهم في سبيل مصلحة المجهود الحربي.

عندما دخلت الحرب السنة الثانية، استمرت القيادات الإمبراطورية بالإعلان عن انتصارات بعد الانتصارات، على الرغم من أن اليابان في الواقع لم تربح أية معركة كما كان عليه الحال في المراحل المبكرة من الحرب، مع ذلك، وعلى الرغم من الإطناب بالتفاؤل خاصة من قبل تقارير الصحافة الرسمية عن هذه الأحداث، فقد خسرت اليابان عدة حاملات طائرات في المحيط الهادي خلال معركة الميدواي في حزيران (١٩٤٢)، وعكست وزارة الحرب موقفها الذي تبنته فجأة حول أهمية الاستيلاء على غواد الكانال في الـ (٣١) من كانون الأول، شيء بعيداً عن الحقيقة. لقد كان من المؤكد، بأنه لم يكن دقيقاً ما يقال، مما أدى بالناس للشك بان الوضع الحربي كان غير صحيح مطلقاً حسبما تعلنه القيادات الإمبراطورية.

في هذه الأثناء، توطدت صداقتي مع إحدى زميلاتي في الصف، تاكيناكا ماري، ابنة أحد الأطباء. جمعتنا الظروف سوية. حيث كنا نسير إلى منازلنا باتباع الطريق نفسه من الكلية منذ أصبحت عيادة والدها الطبية الباطنة في شارع تيراماشي جنوب شارع شيجوغاما. وكنا أيضاً في مجموعة الخدمة العملية نفسها. وقد درس والد ماري في شبابه في الخارج في ألمانيا، وصار في يوم ما مساعد أستاذ للطب الداخلي في جامعة سايتو، وهكذا، كانت متفهمة عملياً لوضعي ولطيفة، فكانت تدعوني غالباً لمنزل والدها وكنت أعامل في كل مرة بتقديم بعض الكعك أو الحلوى، على الرغم من ندرة الحلويات، وكان من الصعب جداً الحصول عليها في تلك الأيام. كان شقيق ماري الأكبر، يوتاكا، طالب طب في جامعة ساتيو، أحياناً التقي به صدفة في بيتهم، وأتحدث معه قليلاً. كانت ماري وسيمة، وكان أخوها رقيق الفؤاد وأنيقاً ومهذباً. ولما كنت وحيدة، وأشعر بسرعة التأثر في مناسبات عديدة، لكوني بعيدة عن العائلة. لكن مع ذلك، كنت أعيش مع أقارب، لكن من الطبيعي أن اعجب بذلك

الرجل الشاب الرقيق مثل يوتاكا.

كنت أشعر كما لو أنني مُتَبَرْعِمَة لبعض الجمال، زهرة قرمزية اللون، انطلقت من قلبي، نضجت وتكاثرت حتى النضج في طرفة عين . من ثم، ولمرة واحدة، تفجرت إلى زهرة يانعة.

مع ذلك، فإن صلتي مع يوتاكا كانت على الدوام تتضمن ماري، و كانت اتصالاتنا محدودة، وتقتصر على أحاديث صغيرة مع المزاح. ولم يكن لدينا الفرصة للتحدث سوية على نحو حميمي، وادعى لوحدي لأقوم بأي شيء يثير العاطفة، مثل القبض على الأيدي، وقد يكون السبب أن البلاد كانت في حالة حرب، والناس تدور عيونهم على مراقبة الشباب إذا ساروا سوية في الشوارع، وكان ذلك الأمر يعتبر نوعاً من الأنانية وشعوراً بالذنب ونقص في الوطنية.

نعم، كان يجب أن أقع في الحب، والآن، خلال الصفوف في الكلية أصبح بإمكاني أن أفكر فقط بيوتاكا. وأحياناً كنت أفكر بأن زملائي في الصف حولي قادرين دون ريب على رؤية البهجة الكبيرة على وجهي التي تنبعث من قلبي، وكنت أرغب أن يحمر وجهي خجلاً، إنني أتعلق حتى الآن بذكرى بعض الليالي، عندما حضرت غفي إحدى الأمسيات حفلة موسيقية لجماعة الآلات الوترية من قبل بعض الموسيقيين رفيعي المستوى من المركز الثقافي في كانزي، حيث كان يذهب يوتاكا غالباً، لأنه يتكلم الألمانية بطلاقة. وتضمن البرنامج مختارات من أعمال موزارت وبيتهوفن، وعندما عدت بأفكاري إلى الماضي، إلى الساعات القليلة، فإنني أعجب بأننا قد منحنا الفرصة لنستمتع بمثل ذلك الوقت سوية في وسط هذه الحرب المتوحشة والدموية.

إنها ماري هي التي دعتني إلى الحفل الموسيقي، لكنني عندما أَخَذَ كل منا مقعده، كان في المقعد التالي لي أخوها الأكبر يوتاكا. كنت أجلس أثناء الحفل الموسيقي كما لو كنت في حلم، تغمرني الألحان الموسيقية الجميلة، وكنت أعي، وعلى نحو رائع وجود يوتاكا قريباً مني.

كانت روحي المحلقة قد أرجعت إلى الحقيقة الباردة عن الحرب. مع ذلك، كانت نظرتي المحدقة تسقط كل الوقت على الستائر السوداء التي تغطي كل

باب مفرداً أو شباك استعداداً لحالة الإنذار بوجود غارة جوية، والحالة هذه، مع صورة ضخمة لهتلر تسطع على نحو شديد أمام المشاهدين من مكانها على الحائط.

بعد الحفلة الموسيقية ، تمشينا خارج المركز الثقافي الياباني ـــ الألماني الواقع بالقرب من تقاطع شارع هيغاشياما العريض مع شارع كونيو، وجعلنا طريقنا إلى البيت عبر الظلام بسبب إطفاء الأنوار في كيوتو، نستمتع بأصداء ما تخلف من الموسيقى الرائعة في قلوبنا.

هذه الليلة كان العزف لموسيقى موزارت «الصياد» وبيتهوفن «الوتر الثالث» جيداً بشكل استثنائي. كان الأداء من قبل إيواموتو مدهشاً. وقال يوتاكا، وهو يتقد حماساً، كان صوته مملوءاً بالإعجاب.

ساعدتنا الحفلة الموسيقية تلك الليلة على النسيان لساعات قليلة لرعب وبلية الحرب التي غمرت حياتنا. لكن الحقائق المزعجة في الحياة أثناء زمن الحرب في اليابان علينا بقيت باستمرار مزعجة في الأيام القادمة. وكان صعب علي تحمل ذلك وكان الضغط المستمر لقبول الجنسية اليابانية، وأخذت الشرطة السرية في توكو تتحدث معي بهذا الشأن مرة كل اسبوعين، تماماً كساعة منتظمة. لقد كان ذلك أمراً شديد السوء، إذا بقيت الشخص الوحيد المشمول بهذا الأمر. لكنني كنت أعرف ان هذه الزيارات كانت تزعج عائلة أوواكي، وهم بدورهم، كانوا قلقين حول إزعاجهم للجيران. وشعرت بالتعاسة من أجل ذلك.

كانت هناك امراة أمريكية في السبيعينات من عمرها، هي الآنسة دافيس، كانت تعلم اللغة الإنجليزية كمبشرة في كلية دوشان للنساء منذ قبل الحرب، مع ذلك أصبحت أيضاً إحدى العدوات مع اندلاع الحرب مع الولايات المتحدة، على الرغم من وجهات نظرها المؤيدة والواضحة لليابان منذ زمن بعيد، فمن المحتمل ان السلطات تفكر أن امرأة أجنبية عجوزاً تشكل تهديداً قليلاً على الجبهة الوطنية. لكن سمح لها بالنتيجة الاستمرار بالعيش في مكان إقامتها في الحرم الجامعي وراء قاعة غلوريا. وعرضت علي في أحد الأيام كلمات لطيفة قليلة كدعم ونصيحة لي بالنظر إلى وضعي، خاصة في موضوع جنسيتي الأمريكية.

قالت تشجعني على الإصرار على رأيي: «إذا رغبت البقاء على مواطنيتك الأمريكية، فلا حاجة بك أن تستبدليها بالمواطنية اليابانية ضد رغبتك».

بالنسبة لي كان يوجد وطن واحد فقط لي: أمريكا، حيث ولدت ونشأت، بلد الحرية والديمقراطية، البلد الذي يمجد المساواة والكرامة الإنسانية، مع ذلك، فالأذى والتميز العنصري موجودان في أمريكا لدرجة ما ـ فكان الأمريكيون، برغم كل شيء، إنسانيون بعيدون ـ عن الكمال ـ مع ذلك، فإنني اعتقد بهذه المشاكل التي قد تنتصر في يوم من الأيام. ومعظم هذه الأمور، فإنني كنت أعرف أن أمريكا هي موطني الحقيقي. وإن قلبي قد تفطر بالكبرياء عندما أحدق بالنجوم والخطوط في علم مدرستي الابتدائية والمتوسطة في الولايات المتحدة، في حين أن العلم الياباني الذي يمثل طلوع الشمس مفعم بالحياة لا عاطفة فيه مهما يكن. بإيجاز، لم يكن الأمر يتعلق بما يجب القيام به. بل أصبح أمراً من أمور القلب، وهكذا، يعني انه أصبح خارجاً عن نطاق سيطرتي.

في أغلب المرات، كان ضابط من التوكو، ثم الشرطة العسكرية فيما بعد يأتون للضغط علي لقبول الجنسية اليابانية، وصرخت في قلبي بصلابة أكثر، إنني أمريكية واستمريت بالرفض.

وكان السهم الأخير في جعبتهم، أن هددوني بوقف بطاقة جرايتي في ذلك الوقت الذي كان فيه الطعام في حالة نقص رهيب للتزود به، ويمكن أن يؤدي قطع جرايتي إلى الحكم علي بالموت جوعاً. لكن، لم ينفذوا تهديدهم مطلقاً على الرغم من إرهابهم وتهديدهم ووعيدهم وتهويلهم.

تخرجت من كلية دوشان للنساء في آذار (١٩٤٤). ولم تكن عائلتي العزيزة العاجزة عن أن تكون معي لمقاسمتي تلك اللحظة من الفخار والفرح، بل لم يكن لدي من وسيلة حتى لإعلامهم بالأنباء الجيدة.

في هذه الأثناء جرى تعبئة النساء غير المتزوجات ودون الخامسة والعشرين من العمر في فرق خدمات العمل، وجرى تمركزهن في أماكن تخطيط وتصنيع الذخيرة أو بعض أمكنة العمل المماثلة من أجل تجنب ذلك العمل بحيث أغلب

المتخرجات من زميلاتي وجدن عملاً يخصهن، حيث أصبح بإمكانهن اختيار طراز العمل الذي يردن القيام به.

وجرى سحب شباب متقدمين في السن بشكل كافٍ ليصبحوا مستخدمين في الخدمة العسكرية. واصبح في ربيع (١٩٤٤) غير صعب بالنسبة للنساء إيجاد عمل. فمنذ أن بدئ باستخدامهن، خاصة في الخدمة العسكرية بدئ في تشجيع الطلاب الجامعيين على الانتساب للفنون الجميلة التي كانت قد ألغيت من قبل في تشرين أول (١٩٤٣). وكان معظم هؤلاء الطلاب قد أرسلوا للمعارك في كانون أول من العام نفسه. لكن كانت الأمور مختلفة بالنسبة لحالتي، فلم يكن لدي ارتباط باليابان، بل إنني مواطنة لشعب عدو، مع ذلك، فإنني قد تخرجت بأعلى درجة في الأدب الإنجليزي. ولم يكن يوجد عمل حيث يمكن أن أضع خبرتي في الإنجليزية لممارستها عملياً. ولم يكن عندي أي أمل في أن أجد عملاً.

كان يوتاكا، شقيق صديقتي الكبير، على علاقات طيبة مع رجلين من المركز الثقافي الياباني ـ الألماني، وهما السيد أريكارت والسيد إيفرسَميِّر. وقدم ماري لهما. وذَهَبْتُ للعمل كسكرتيرة هناك، لكنها لم تدع للعمل في الخدمة.

من حسن الحظ، كان يوتاكا يفكر في إيجاد عمل، ليس لأخته تماماً، بل من اجلي أيضاً. وقدمني إلى ياغي كونيهيد الذي كان قد التقى به في جامعة سايتو. إذ تطوع في الجيش الإمبراطوري بعد تخرجه من دائرة القانون، وأنهى تدريبه حديثاً كضابط، وتلقى مهمته كملازم ثان، وأصبح الآن معيناً في منصب في القيادة العامة الدفاعية المركزية المتمركزة في حصن أوساكا في مركزها.

العمل في مركز القيادة الدفاعية

رافقني يوتاكا بالقطار إلى وسط قلعة أوساكا في منتصف شهر نيسان، حوالي الشهر بعد تخرجي من الكلية، على الرغم من كونه كان مشغلاً على نحو فظيع بدراسته الطبية في الجامعة. وكان الوقت القصير الذي أمضيناه سوية في القطار من محطة خط سانجو كايهان إلى محطة أوساكا النهائية في تيماباشي أسعد الأوقات في حياتي.

كان الانضباط العسكري الشديد والإجراءات الشكلية المعقدة من اجل الحصول على إذن بالدخول للقيادات العامة المركزي للدفاع في حصن أوساكا شديداً. وعند وصولنا إلى الباب الرئيس الواسع في الحائط الضخم من الحجر، حيث يقف الحرس مع بنادقهم على أتم استعداد، أعلنا عن الهدف من زيارتنا، وسمح لنا بالدخول. وجدنا داخل البوابة مجموعة من عشر إلى خمسة عشر جندياً، ثم سؤلنا من جديد عن التصريح بمهمتنا وان نوقع في مكتب الحرس. من ثم، انتظرنا لحظات الملازم ياغي.

عندما ظهر أعطي الأمر بالاستعداد بنبرة جادة، ووقف جميع العسكريين في حالة استعداد. وجدت كل ذلك تهويلاً إلى حد ما.

قادنا الملازم ياغي إلى داخل الحصن، إلى غرفة تشبه السينما الصغيرة. فكانت الغرفة مظلمة لحد ما، وكان أحد الجدران مغطى بخريطة ضخمة للمنطقة المصممة من قبل الحكومة اليابانية كمنطقة عظمى للازدهار المشترك في شرقي آسيا، مع الجزر اليابانية في الوسط، محاطة بالقارة الآسيوية من الغرب، والمحيط الهادي إلى الشرق. وأضواء حمراء وخضراء تومض على الخارطة هنا وهناك.

في مقابل الخريطة الضخمة تماماً حيث جرت المقابلة، كانت الغرفة المخصصة كقاعة للسينما، يجلس فيها بعض القادة العسكريون اليابانيون من ذوي الرتب العالية بصورة متقطعة ليلقوا نظرات عجلى على كامل الخريطة الضخمة الخاصة بالمقاطعات اليابانية ويصدرون الأوامر.

كنت حقاً مندهشة تماماً أن أجد مثل هذه التسهيلات في اليابان للتخطيط العسكري المتقن. لكن ما هو اكثر استغراباً، أن يكون لمثل هذا الملازم الثاني ياغي السلطة لإحضار مدنيين أمثالي إلى هنا. واستنتجت منذ أن قام بذلك بجلاء انه على الرغم من رتبته المتواضعة كضابط، فإنه كان مع ذلك شخصية لها بعض الأهمية في القيادة المركزية للدفاع.

لقد تخرج من جامعة ساتيو المشهورة ولهذا من الممكن أن الضباط العسكريين العاملين، يقدرونه تماماً.

أعلمت بالموافقة على العمل رسمياً في اليوم التالي لذلك اللقاء وتسلمت

بطاقة العمل. وما أن أصبحت البطاقة جاهزة، يأمر من الملازم الثاني ياغي، تقرر استخدامي حالما اتصل به يوتاكا لإعطائي العمل.

هكذا، على الرغم من كوني حاملة لجواز سفر أمريكي، مواطنة لشعب عدو. انتهيت بالعمل، في مكان كان يعتبر في ذلك الوقت أحد المراكز الأكثر أهمية في اليابان كمركز المخابرات العسكرية.

عدنا يوتاكا وأنا إلى كيوتو بالقطار سوية، وانضممت إليه، بناء على دعوته لتناول فنجان من القهوة «على رغم مما جرى من نقص في القهوة» في مقهى يدعى نافذة الليل بالقرب من تقاطع شارع كارا ماشي العريض مع شارع روكاكو. وسمعت موسيقى تذكرتها تماماً، كانت تنطلق من مسجل خاص، إنها سمفونية بيتهوفن الخامسة بقيادة غورتوا نغلر، تبعها كونشرتو لماندلسون عزفت من قبل يهودي مينوهيم.

عندما ودعنا بعضنا، بعد وقت قصير، خارج المقهى، قال يوتاكا انني اعتقد أنك ستكونين مشغولة إلى حد ما منذ الآن، بعد أن تشرعين بالعمل غداً، أليس كذلك؟ اعتني بنفسك تماماً، وكوني حذرة، هكذا حذرني، وعدت بالقطار إلى أوساكا.

شكرته لمساعدته بالحصول على عمل وكذلك من اجل ذهابه إلى أوساكا معي. رد علي: «لقد كان ذلك مصدر سروري، لقد سررت حقاً بالوقت الذي قضيناه معاً هذا اليوم».

غرد قلبي سروراً بسماعي تلك الكلمات القليلة، وشعرت أن كل مصاعبي في الماضي والحاضر وكل قلقي حول المستقبل قدّ مُحِيَتْ.

لكن كما قالت أرواح زملائي من قبل، إننا لن نعرف مطلقاً ماذا يمكن أن يحدث من دقيقة لأخرى، أليس كذلك؟ كنت سعيدة ذلك اليوم. وكان ذلك آخر وقت أتطلع فيه إلى يوتاكا بعد ذلك.

عندما شرعت بالعمل في اليوم التالي، كنت أقوم برحلات يومية إلى القيادة العامة للدفاع المركزي في حصن أوساكا. وكان يوتاكا مشغولاً على الدوام على نحو شديد، ويحمل مالا يطيق حمله عندما كان يخضع لدروس إضافية في

الجامعة، بسبب الحرب. وتخرج طلاب صفه، حيث عجلوا بذلك، وكان في سنته الدراسية النهائية. فبالإضافة إلى دروسه، كان عليه أيضاً العمل بعضاً من الساعات كل أسبوع في مصنع اختاره. وفي هذه المرحلة من الحرب، أصبح حتى طلاب الطب يدعون للخدمة العامة. فلا أحد منا لديه الوقت الحر في الحقيقة للإجتماع سوية.

كان عملي في مركز القيادة المركزية للدفاع الترجمة إلى اليابانية لجميع أنواع الوثائق باللغة الإنجليزية التي كانت تلتقط والصادرة عن القوات الأمريكية، ثم نقلها إلى القيادات الإمبراطورية. كما كنت أستقبل رسائل الراديو التي كانت،تنقل من قبل القوات الأمريكية في الجبهة التي كانت تقترب أكثر فأكثر من جزر الوطن الياباني.

على أية حال، كان هناك عمل رهيب، حيث كان علي الاضطلاع بالاطلاع على الأسرار، ومنهكة بالتقارير حول تقدم الحرب، كل دقيقة معلومات لا يمكن ليابانيين آخرين من المدنيين إمكانية الاطلاع عليها.

حافظت الحكومة اليابانية على إرغام الناس «ربحنا هذه المعركة، وهذه وتلك، وهلم جراً ... لكنني كنت أعلم الحقيقة. ففي المعركة البحرية من أجل جزيرة ميدواي، سحقت قوات المهمات الرئيسية بالكامل، وتبع هذه الهزيمة المنكرة سلسلة من الخسارات ـ هزيمة غوادالكانال وإبادة الحاميات العسكرية في جزر ماكن وتاراوا واستسلام سيان. لقد أصبح الوضع ميئوساً منه، فازدادت الهزائم المتتالية باستمرار. ظلال مظلمة فوق مستقبل اليابان وتوقعات النصر.

في اللحظات الباقية خلال اليوم، كنت أستمع إلى محطة الإذاعة الموجهة للدعاية الصادرة عن طوكيو، وكانت تتضمن أخباراً وبرامج موسيقية موجهة إلى القوات الأمريكية في جزر المحيط الهادي. فالمذيعون في الراديو باللغة الإنجليزية قدرت أنهم ربما من النيساي، حيث كان من الصعب على ياباني وطني أن يكون قادراً على مثل ذلك. فكان التنظيم ومحتويات البرامج، على الطراز الحديث أيضاً ومن النوع المحترف. وكان عليهم أن يستخدموا عسكريين أمريكيين أسروا في الحرب، مع خبرة في مجالات البث الإذاعي.

وكانت هناك مذيعات يأخذن دورهن ويكلفن بمهمات إذاعية. لكن البرامج كانت مخصصة على الدوام لجعل الجنود الأمريكيين يستمعون في جبهات القتال لها ويتشوقون للعودة إلى الوطن والأسرة.

وكنيساي، تربت في أمريكا، فإنني دهشت، فإنه بدلاً من جعلهم مرضى من الحرب، فقد تجعلهم هذه البرمجة يرغبون بربح الحرب أكثر بكثير تماماً بسرعة ليستطيعوا العودة للوطن بالسرعة.

أصبحت الحياة خلال زمن الحرب، وبدون انقطاع، عسيرة جداً إذ جرى تعيين طلاب المدارس الثانوية، من ثم حتى طلاب المدارس المتوسطة للعمل في مصانع الذخيرة. وبديء في صيف(١٩٤٤) في إجلاء طلاب المدارس، وجرى إرسالهم بعيداً عن منازلهم إلى مدن يعيشون فيها مع عائلات في مناطق الريف المجاورة، حيث كان يأمل آباؤهم أن يكونوا سالمين من الغارات الجوية الرهيبة.

كان كل واحد يتوقع أن المعركة الحاسمة في الحرب ستكون في القتال على الجزر الوطنية، آجلاً أم عاجلاً. وهكذا حتى النساء، أخذن يتدربن ويستعدن للقتال لمقاتلة العدو الغازي وذلك برماح من الخيزران.

على الرغم من اليأس الواضح من الوضع الحربي، فإن المعدل الحقيقي الياباني القابل للتصديق بشأن احتمال النصر لليابان أصبح معروفاً في كل مكان من تاريخ اليابان على انه «أرض الآلهة» وكنت اعرف الحقيقة، كما كان اليابان وعلى نحو سيئ تقترب من الهزيمة، وقد ملأ قلبي الشفقة والحزن وأنا أرى المدنيين الذين كانوا يموتون خارج المدن ببطء جوعاً، وكذلك أسس الشروط الكئيبة في جبهة البلاد ـ فكانت جميع المصادر تتعرض للقصف الجوي ـ بالتأكيد، كانت توجد بعض الشكوك حول مصادر الحرب، مع ذلك، فإنه لم تصدر إشارة عن شكهم، بدلاً من ذلك، أعدوا أنفسهم للقتال حتى الموت ـ حتى آخر رجل وامرأة وطفل ـ بدلاً من أن يسلموا بلادهم المحبوبة للعدو.

على الرغم من أنني كنت أعتبر بالنسبة لليابانيين أحد الأعداء عملياً، فالدم الياباني نفسه الذي يجري في عروقهم فاله يجري في عروقي عندما خسرت اليابان حقاً مكانتها، كنت مصابة بآفة هذه الحرب نفسها كما كانوا هم أيضاً.

فالنتيجة،كان شعوري حول الحرب وحصيلتها المحتملة كانت جميعها مختلطة مع بعضها.

في صباح الـ (١٤) من تموز (١٩٤٤)، ارتديت ملابسي الفضفاضة وقميصي الذي خاطته لي عمة أوواكي اللطيفة على نحو كافٍ، وذلك نظراً لعدم وجود أم لي في اليابان. بالطبع للقيام بمثل هذه الأشياء، رغبة في الظهور في أوساكا، كنت بالضبط قد خرجت من الباب عندما هتفت صديقتي ماري، وأعلمتني أن تخرج يوتاكا قد قُدِّمَ ليكون أبكر، وكان ذلك من أجل الدخول في مدرسة التدريب الطبي البحري في مقاطعة كاناغاوا كضابط في مرحلة التدريب ليصبح ضابطاً جراحاً بحرياً وقد يغادر إلى طوكيو في الليلة نفسها.

هكذا، فكرت بنفسي، الآن حتى طلاب الطب، الذين كانوا المجموعة الأخيرة من طلاب الجامعة المسموح لهم تأجيل الخدمة العسكرية في سبيل إنهاء تعليمهم. اصبحوا مجبرين على التخرج بدون أن يكونوا قادرين على إكمال دراستهم. لقد كان هذا التحول للأحداث، كعلامة بارزة للهبوط الياباني إلى النهاية في مرحلة اليأس من هذه الحرب.

كان موعد انطلاق قطار ـ يوتاكا من محطة كيوتو في الساعة التاسعة تلك الليلة، وفكرت أنه يجب أن يكون لدي الوقت الكافي للعودة من أوساكا بعد العمل لرؤيته قبل رحيله. وهكذا ذهبت للعمل في مركز القيادة الدفاعية في حصن أوساكا كالعادة. كل ذلك خلال النهار، ترجمت وثائق عن العدو وشعرت بدموع حارة تنهمر من عيني في كل مرة فكرت بمغادرة عزيزي يوتاكا إلى الحرب.

عندما ركبت القطار شعرت بغصة للمرة الأولى بفقدان شخص في اليابان قبل استحقاقه والذي وثقت به، والشخص الذي اعتبره الأعز.

في الساعة الخامسة، زمن المغادرة المعتاد للقيادة المركزية للدفاع، أسرعت للخروج من حصن أوساكا، وشرعت في الهرولة، مسرعة باتجاه محطة خطوط قطارات تيماباشي المتجه إلى كيهان. شعرت أنني بالتأكيد لن ألقى صعوبة للوصول إلى محطة كيوتو في الوقت اللازم لوداع يوتاكا في الساعة التاسعة .

لكن، هل يمكنك أن تعرف ماذا يحدث؟ جاءني اثنان من الشرطة العسكرية

من ورائـي، وطلبـا مـني التوقـف. في البداية فكـرت أنهمـا يريـدان الشـجار معي مـن جديـد حـول جنسـيتي الأمريكيـة، لكـن كـانت الأمـور مختلفـة عـن بقيـة الأيـام، فقـد طلبا مـني الذهـاب معهـم إلى مقـر قيـادة الشـرطة العسـكرية لتوجيـه أسـئلة لي.

وضحـت لهـم أنـني في طريقـي لرؤيـة أحـد مـا بانتظـاري في محطـة كيوتـو وإنـني علـى عجلـة مـن أمـري.لكنهمـا واصـلا القـول بأنهمـا سـيرافقاني إلى مقـر قيـادة الشـرطة العسـكرية قسـرياً. وكـان لا يوجـد أي مـبرر لتصرفهمـا بـالضبط. فلـم يهتمـا بوجـود سـبب هـام جـداً علـي أن أقـوم بـه أولاً. فخـلال اسـتجوابي، لم يدونـا أية ملاحظـة عـن هويـتي في العمـل. وسـألاني عـن نـوع العمـل الـذي أقـوم بـه وفيمـا إذا كنـت مواطنـة مـن بلـد عـدو، ومـا نـوع العمـل المكلفـة بـه في مركـز المخـابرات العسـكرية، وكيـف استطعت الحصـول علـى مثـل ذلـك العمـل. يضـاف إلى ذلـك، جعلاني أعطـي أسمـاء كـل واحـد لي صلـة بـه وسـألاني مـراراً أيضـاً الأسـئلة المضجـرة نفسـها، والأجوبـة الـتي قدمـت لهـم. دون شـك فهـم يعرفـون كـل شـيء عـني وعـن عملـي. أخـيراً، أمرانـي، أن لا أبـوح بأيـة كلمـة لأي كـان حـول الأمـور غايـة السـرية الـتي كنـت متهمـة بـالإطلاع عليهـا، وأنذرانـي إذا قمـت بمثـل ذلـك، فـإنني ساعاقب بشدة أكثر ممـا لـو كنـت مواطنـة يابانيـة ـ كجاسوسـة للعـدو.!

مـن ثـم عـادا للموضـوع القديـم نفسـه «لمـاذا لا تبدلـين جنسـيتك وتصبحـين مواطنـة يابانيـة، وهكـذا تـبرهنين عـن إخلاصـك بوضـوح لليابـان؟»‏.

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة عندما سمحا لي بالانصراف آخر الأمر، وخرجـت من مقر قيادة الشرطة العسكرية، وتمنيت أن أكون بطريقـة مـا في الوقـت المناسـب مـع يوتاكا قبل مغادرته. لكن عندما وصلت إلى مدخل محطة كيوتو، كانت الساعة تشير إلى التاسعة في ذلك الحين. ركضت كالمجنونة في المحطة، لكن عندما وصلت رصيـف القطـار المتجه لطوكيو، كان يختفي في هاوية الظلام.

صرخـت بإحبـاط «تـأخرت كثـيراً»«وداعـاً يوتاكـا وحظـاً سـعيداً».

وقفـت وحيـدة للحظـة، ثـم جـاءت مجموعـة مـن النـاس ممـن جـاؤوا لرؤيـة أصدقـائهم وأحبتهـم كـانوا قـادمين مـن آخـر الرصيـف، وكـانت مـاري بينهـم. اندفعـت نحـوي وضمتـني بشـدة.

قالت: «يبدو أن أخي كان ينتظرك لتأتي، تماماً حتى اللحظة الأخيرة، تعرفين أن يوتاكا وأنا يكن أحدنا للآخر حباً كبيراً». ذهبت للعمل في حصن أوساكا كالعادة في صباح اليوم التالي، محطمة القلب.

الأيام الأخيرة للحرب

أخيراً، التقطنا معلومات صادرة عن العدو تشير إلى أن القوات الأمريكية قد نزلت في غوام. ثم علمنا في مطلع تشرين أول، أن قوات أمريكية قد هاجمت أوكيناوا. ونزلت قوات أمريكية في جزيرة لايتي وربحت معركة بحرية حاسمة في خليج لايتي.

صار الوضع العسكري يزداد سوءاً كل يوم، والبرهان على ذلك القاذفات الأمريكية من طراز (ب ـ ٢٩) التي كانت تقوم بضربات جوية ضد طوكيو منذ تاريخ (٢٤) تشرين أول من سلسلة غارات عديدة قادمة.

في الـ(٩) من آذار التالي (١٩٤٥) انقضت طائرات الـ (ب ـ ٢٩) على طوكيو بهجوم كثيف. وحدثت غارة جوية أولى رئيسة على أوساكا خلال ليلة الـ (١٣) من آذار واستمرت حتى الساعات المبكرة. ومنذ ذلك الحين، وصفت روح شيونو يوشيكو المذابح المرعبة بالتفصيل، وأنني سأتجاوزها الآن. مع ذلك، سأتحدث عن الرعب الذي شهدته خلال الغارات الجوية الأخيرة على أوساكا. فلدي الكثير لأعلمكم به، يوشيو، يمكن أن تظهر على أنها مضجرة وحافلة بالتكرار. لكن من الضروري أن تصبحوا قادرين على الاطلاع على الحقيقة المرعبة حول المأساة الحقيقة للحرب للأجيال المقبلة.

لقد حدثت الغارة الجوية للحرب الأولى على أوساكا في الليل، وكنت في كيوتو، من ثم، بالطبع، أخذت صافرات الإنذار بالغارات الجوية تلعلع طوال الليل بالكامل. في صباح اليوم التالي، عندما غادرت العمل باتجاه أوساكا، كانت السماء باتجاه الغرب سوداء بالدخان.

شعرت بالتوتر والرعب وأنا في القطار، نتيجة المشاهد التي تخيلتها بأنها تنتظرني في أوساكا. في الوقت نفسه، كأنه أصابني الجنون مع فضول رهيب

لرؤية الآثار المرعبة للقصف الجوي. عندما ترجلت من القطار في كيهان في محطة تيماباشي، شعرت بصدمة عندما وجدت المنطقة بالكامل وقد تحولت إلى مدى واسع من النيران المشتعلة والخرائب السوداء، وكانت النيران لا تزال تلتهم بعنف المنطقة هنا وهناك. وكنت أشاهد في البعد منطقة ناميا ـ جميع الأبنية والمنازل التي كانت تقف في اليوم السابق، أصبحت الآن من الماضي تماماً، حيث زالت من الوجود! من حسن الحظ، فإن حصن أوساكا لم يمس، لكن العسكريين القائمين بواجباتهم قد أنهكوا جميعاً حتى درجة الانهيار.

دخلت القوة العسكرية اليابانية مرحلة الانحدار غير المتوقع تماماً كحجر هبط إلى منحدر عميق، بعد الضربة الجوية الأولى على اوساكا. وعلى الرغم من متابعة انقضاضات الغارات الجوية المعادية، لم تعد تظهر طائرات مقاتلة يابانية مطاردة، ولم نعد نسمع، منذ زمن طويل أصوات المدفعية المضادة للطائرات. فكانت مصادر اليابان الثأرية قد استهلكت واقتربت من الاستنزاف. وأصبحنا بدون دفاع جوي وتحت رحمة العدو.

تصاعدت وتيرة الضربات الجوية على المدن اليابانية بشكل أكثر كثافة وأكثر شيوعاً. من طائرات الـ (ب ـ ٢٩) العملاقة بقنابلها الحارقة التي تطلق سيلاً من الجحيم، إلى القنابل المدمرة على السكان المدنيين الذين لا حول لهم ولا قوة.

أصبحت قطارات خط كيهان تمر غالباً بعد المواعيد المحددة، ونتج ذلك عن الخسارات في الطاقة. فالتأخير كان نتيجة الإنذارات المتكررة بالغارات الجوية. بالنتيجة أصبح القيام بالرحلة اليومية إلى أوساكا والعودة غير دقيقة كما كانت من قبل. فكان القطار يتوقف في المحطات من حين لآخر، بسبب الغارات الجوية، وكان على المسافرين وأنا من بينهم القفز من القطار إلى خط السكة الحديد والاختباء في أقرب الملاجئ المخصصة للحماية من الغارات الجوية. إذ أصبحت الترسانة العسكرية التي كان اليابان يتباهى بها كونها الأضخم في الشرق، متمركزة بالقرب من حصن أوساكا تماماً. وعلى الرغم من تعرضها للغارات الجوية، فإنها لم تصب بأذى حتى الآن، لكن جعلت المنطقة

القريبة منها حيث أعمل خطرة جداً. لهذا لم يعد يعلن متى قد يقصف الأمريكيون المنطقة من جديد في محاولة لتدمير الترسانة.

كانت تحذيرات الغارات الجوية تأتي على نحو متكرر، وغالباً ما كان عَلَيَّ أن أعدو بحثاً عن ملجأ للحماية من الغارات الجوية في أول لعلعة لإشارات الإنذار، حتى عندما أكون ماشية المسافة القصيرة نسبياً بين حصن أوساكا ومحطة قطار كيهان تيماباشي.

في مطلع شهر نيسان، نزلت قوات أمريكية في أوكيناوا، وقد جمعت عن طريق التقاط أخبار إذاعة الجيش الأمريكي، أن الدارعتان الضخمتان (ياماتو وموساشي)، من رموز القوة البحرية اليابانية العظمى قد أغرقتا. وأصبح الوضع مأساوياً لليابان.

دارت داخل عقلي أفكار مثيرة للقلق وبسرعة تكراراً أيضاً: إذا ربحت أمريكا الحرب، فإنني عندئذ سأكون إحدى المنتصرات باعتباري مواطنة أمريكية، لكن كيف يمكن أن ينظر إليها الحلفاء، وعملي في قيادة الدفاع المركزي، مركز المعلومات اليابانية المركزية خلال الحرب؟ هذه الأفكار غزت عقلي مع شك مفزع حول ما يمكن أن يحدث لي عندما تضع الحرب أوزارها، وَحَطَّت كآبة بلا نهاية على عقلي أيضاً .

في أحد الأيام، بينما كنت أشعر بالتوتر والاكتئاب على نحو بارز وأجهزة الإنذار الخاصة بالغارات الجوية تفقد الانسان الوعي، وبينما كنت أتمشى نحو محطة تيماباشي بعد العمل، اندفعت نحو ملجأ الحماية من الغارات الجوية القريب من كلية طب الأسنان نانيناوا غير البعيد عن المحطة. وقد عبر الشارع العديد من طلاب طب الأسنان والمرضى وشخصيات من المستشفى، ولجؤوا إلى ذلك الملجأ. وكان الملجأ قد حشر فيه أعداداً كبيرة، وصدرت صيحات غاضبة من الداخل.

«لا تدخلوا لم يعد هناك مكان لأحد».!

لكنني تجاهلت ذلك واندفعت في طريقي إلى الداخل، حاشرة نفسي بين

الأجسام المتراصة إلى حد بعيد ـ أو بالأحرى فقد دفعت إلى الداخل من قبل الناس المندفعين ورائي، والذين كانوا أيضاً يتسمون بالتهور بسبب الناس الراغبين بالدخول.

حالما أصبحت في الداخل بأمان، فوجئت عندما ألقيت نظرة خاطفة ورائي مباشرة على لباس عسكري، وعندما استدرت لأرى ذلك الرجل، تحقق لي أنه كان أحد رجال الشرطة العسكرية الذين أخذاني إلى قيادة الشرطة العسكرية في اليوم الذي رحل فيه يوتاكا عن طوكيو. لاحظت أنه كان يلبس شارة رقيب أول على ياقته. هو أيضاً قد فوجئ بالغارة الجوية وهو في طريقه إلى مكان ما، كما هو واضح، وصادف أن عليه أن يلجأ إلى ذلك الملجأ مثلي.

لقد صمت أذناي قعقعة القنابل المتفجرة كالرعود على مسافة قريبة والدوي الذي يصم الآذان الصادر عن انفجارات قريبة، والإرتجافات المزلزلة ترج الملجأ. وكلما انفجرت قنبلة قريباً من الملجأ، يهتز الضوء الوحيد المعلق في السقف بعنف. وهكذا، يدور المخروط الضيق للضوء خصوصاً ما يشكل الجزء الزجاجي للمصباح الكهربائي إلى الأمام والوراء، ملقياً قدراً من الظلال فوق الأشكال الجاثمة من الناس تحته.

كان الناس من حولي يضعون أيديهم فوق آذانهم أو على رؤوسهم ويحاولون وضع اتجاه وجوههم باتجاه الأرض، لكن كان ذلك مستحيلاً. فكان هناك أناس كثيرون جداً حشروا في الملجأ هكذا، وكنا جميعاً نحتشد جالسين سوياً بانتظار أن تنتهي المحنة. وبقي بعض من هؤلاء وقوفاً بالقرب من المدخل ويحدقون في السماء في الخارج من فوق الرؤوس ليروا ماذا يحدث.

لقد عرفت أنه لن تكون هناك غارة جوية على نطاق واسع منذ أن صارت القيادة المركزية للدفاع غير قادرة على تحديد تشكيل واسع من الطائرات تطير ذلك اليوم إلى الشمال. ربما كانت هجمات متقطعة من قبل عدد قليل من الطائرات تنطلق من حاملة طائرات تابعة لقوات العدو وترسو بعيداً في البحر. وكان علينا أن لا نغادر الملجأ حتى صدور الإشارة بذلك، وفيما بعد،

بدت أصوات الطائرات المعادية وكأنها تتقهقر بعيداً. وبدأ كل شخص في الملجأ يتنفس الصعداء، لكن ما من أحد قام بحركة للمغادرة.

لقد كنت أنا عندئذ، أول من لاحظ الرقيب الأول في الشرطة العسكرية، التالي لي تماماً، قد دنا مني جداً، من أجل حمايتي من أي حطام سقف. وكان تصرفه يعني عزمه على تخفيف الخطر عني بمقدار ما يمكن، وقدمت الشكر لذلك، ابتسمت له بتحفظ لشكره من أجل تصرفه اللطيف. ثم ابتسم بدوره. وبدون أية كلمة، سحبني قريباً منه. لقد أصبت بصدمة وصرخت احتجاجاً، لكن الكلمات وقفت في حلقي بسبب الخجل جزئياً.

لم أقترب جسدياً إلى هذا الحد مع أي رجل من قبل مطلقاً، خصوصاً في اليابان، إذ لم تكن الاظهارات الجسدية بين الرجال والنساء عاطفياً أمام الملأ من الأمور التي يتم التغاضي عنها في تلك الأيام، باستثناء بعض الحالات الخاصة. فالنساء الشابات لا تصافح مطلقاً أو تقبل رجلاً، ويجب أن تبقى عذراء بالطبع. لكن عندما شعرت بنَهْدَيَّ يضغطان على صدره ذو العضلات القوية للمرة الأولى في الملجأ المعد للحماية، من الغارات الجوية المكتظ بالناس، والآن أيضاً عندما وضع ذراعه حولي، جرت في عروقي حرارة لم أختبرها قط من قبل وشملت جميع أنحاء جسمي، وغمرني إحساس مُرْضٍ لا يوصف من قمة رأسي حتى أخمص قدمي.

تدفق الدم في وجهي حاراً، وأصبحت يداي رطبة بالعرق وصار تنفسي سريعاً وثقيلاً. لقد كانت رغبتي قوية بأن يكبت جواب جسدي عليه ماديا ببساطة .

في هذه الأثناء، صدرت إشارة زوال الخطر، وبدأ الناس بمغادرة الملجأ، ولم ينبس أحد ببنت شفة. لكن بالتأكيد فكر جميعهم بأن هذا الأمر المرعب يجب أن تدور حوله الأحاديث بسبب اللجوء للملجأ في كل وقت أثناء الغارات الجوية، وعما هي الجهنم القادمة لهذا البلد؟

مع ذلك، لم يتجرؤوا التنفس بكلمة، لأنها قد تعتبر تذمراً غير وطني علناً.

هـذا، كتمـوا مشـاعرهم الحقيقـة مكبوتـة في داخلهـم وبـأن لا يقولـوا أي شـيء مطلقـاً.

لا يـزال جسـمي حـاراً مـن الإثـارة. وأنـا أيضـاً نهضـت وغـادرت الملجـأ، كـان الهواء في الخـارج بـارداً ومنعشـاً. وبعـد تنفسـات عميقـة قليـلاً شعرت فجـأة بـأن مـا حـدث في الملجـأ مخزيـاً ومقرفـاً. واتجهـت نحـو المحطـة علـى عجـل دون أن أتلفـت للـوراء لأرى مـاذا جـرى مـع ذلـك الرجـل الـذي أحـدث مثـل تلـك الاحساسـات المزعجـة في.

في هـذه الأثنـاء، صـار الظـلام مخيمـاً تمامـاً. وجـرى رفـع التحذيـر بالغـارة الجويـة، واسـتمرت أجهـزة الإنـذار التمهيديـة تـدوي. ولم يكـن يوجـد أي ضـوء في أي مكـان، وكـانت المنطقـة غارقـة في ظـلام دامـس، في آخـر الأمـر، وجـدت طريقـي إلى محطـة تيماباشـي في كيهـان بفضـل ضـوء بـاهت جـداً، ومنخفضـاً ينـير مدخـل المحطة ويشـير إلى قطـار كيوتـو.

لسـبب مـا، شـعرت بشـيء مـن الراحـة، عندمـا بـدأ القطـار بـالتحرك، ومـع الزمـن وصـل إلى كيوتـو. أخـيراً، اسـتعدت رباطـة جأشـي وشـعرت بـالتحرر مـن دناءة الحادث في الملجـأ الواقـي مـن الغـارات الجويـة .

حـاولت أن أسلك سـلوكاً عاديـاً، ثـم أصبحـت عصبيـة وغـير مرتاحـة بسـبب علاقـاتي مـع أعضـاء أسـرة بيـت أوواكـي تلـك الليلـة، لأنـني شـعرت أنهـم يمكـن أن يكونوا قادرين على رؤيـة شـيء مـا ممـا حـدث.

في اليـوم الثـاني، ذهبـت للعمـل كالعـادة، وكمـا كـان سـلوكي، فقـد نسـيت نفسـي في عملـي في ترجمـة مـا بثـه الراديـو. وأثنـاء مغـادرتي، تركـت حصـن أوسـاكا واتجهت نحـو المـنزل.

هـل تريـدون أن تصدقونـي، إذ شـرعت صفـارات الإنـذار بالغـارات الجويـة تلعلـع عندمـا اتجهـت لوحـدي لأسير في الطريـق نفسـه تمامـاً، في الوقـت نفسـه، كمـا في الليلـة الماضيـة.

كمـا لـو كنـت أُوجـه بنـوع مـن القـوة خارجـة عـن إرادتـي، اندفعـت إلى داخـل

الملجأ نفسه للحماية من الغارة الجوية كما قبل الليلة السابقة، وبشكل متهور. وبنوع من المصادفة، التي يمكن تصديقها، كان الرقيب الأول في الشرطة العسكرية نفسه، هناك من جديد، وبجانبي.

لم أنطق بكلمة عندما انتزع توتري، وشد جسمي إليه، بدون أي تردد، كما لو أن الأمر كان طبيعياً كما يتم غالباً في العالم.

كنت خجولة من أن أسمح بذلك، لكن ولسبب ما، ربما هي غريزتي الأنثوية كانت تأمل أن يقوم بذلك تماماً. مع ذلك، فلم يقم إلا بضمي تماماً بين ذراعيه، ثم مجرد إحساس ثديي تضغط تجاه عضلات صدره ترسل موجات حارة جداً بالرغبة التي تصطخب في أنحاء جسمي وجعلت فمي جافاً مع هياج.

عندما صَوَّتتْ إشارة زوال الخطر، غادرت الملجأ وتوجهت باتجاه محطة تيماباشي، ورافقني الرقيب الأول في هذه الأثناء، وبدون إلقاء أية نظرة خاطفة في وجهه، أو ترديد كلمة شكر له للسير معي حتى المحطة. أسرعت الخطى، وكان قطار كيوتو بالانتظار وجاهزاً للانطلاق تماماً.

عندما اشتدت الغارات الجوية، وأصبحت أكثر تردداً، وازداد عملي في قيادة الدفاع المركزي، تقدمت القوات الأمريكية حينذاك واقتربت من جزر ماريانا، وزادت في عدد طائرات الـ (ب - ٢٩س) المرسلة لقصف اليابان بـ (٢٠٠) طائرة، ثم (٣٠٠) طائرة، وبتزايد مستمر. وكانت أيضاً قد بدأت بإرسال مقاتلات من طراز . (٥١ _ p) واصبح عملي الرئيس الآن، التقاط اتصالات هذه الطائرات اللاسلكية وتحديد حركات واتجاهات القوات الأمريكية.

إنني أتذكر بكل وضوح، حتى ذلك الحين، أسماء بعض أسراب الطائرات رقم (٧٣) المتمركزة في مطار أسليتو في سيبان، والسرب رقم (٣١٢) في مطار تينيان الشمالي والسرب (٣١٤) في مطار غوام الشمالية.

بعد الغارة الجوية الرئيسية الأولى على أوساكا، أصبحت طائرات الـ (ب - ٢٩س) تطير فوق أوساكا، خلال شهر نيسان وأيار. وتقذف قنابلها، وتسبب

الحرائق. وكانت صفارات الإنذار تسمع باستمرار. صارت الضربات تتبعثر، ولم تكن هجمات على نطاق واسع. بل أصبحت تلك الأشهر فترة هدوء نسبياً بالنسبة لأوساكا، لكن لم يكن الأمر نفسه بالنسبة للمدن الأخرى. إذ صارت أشيبا ونيشينوميا تقصف بكثافة تقريباً، وكذلك طوكيو ويوكاهاما وناغويا، حيث دمرت فعلاً. إضافة إلى ذلك. أخذت الطائرات المقاتلة التابعة للولايات المتحدة بإلقاء ألغام عائمة في المياه الإقليمية وخليج أوساكا.

سقطت برلين بتاريخ الـ (٢) من أيار، واستسلمت ألمانيا بلا شروط بعد ستة أشهر. ومنذ ذلك الحين أصبحت اليابان بلا أصدقاء واستمرت بعناد وحيدة في حربها الميئوس منها ضد باقي العالم لوحدها.

وعرف المواطنون المدنيون، أن المعركة الحاسمة في القتال غدت قريبة، ستكون على الجزر اليابانية الوطنية. وغدت قريبة.

جرت الغارة الجوية الثانية الرئيسة على أوساكا في الأول من حزيران من الساعة (٩,٣٠) صباحاً، حتى قبل الظهر تماماً. ومنذ ذلك أصبح الهجوم نهارياً، القنابل توجه بدقة أكبر عما كانت عليه خلال الغارات الرئيسة السابقة والتي كانت تجري في الليل .وكان هناك أكثر من (٥٠٠) طائرة من طراز(ب – ٢٩) القاذفة و (٥١ – p) المقاتلة، تفجر معظم قنابلها في الجو، وتنزل على أوساكا، المدينة دون دفاع جوي، بمقدار ما تستطيع أن تتخيل. اصبح الدمار ساحقاً. وكانت أهداف هجماتها المناطق التي نجت للآن من الدمار في الغارات السابقة.

وجاءت الضربة الجوية الرئيسية الثالثة بتاريخ الـ (٧) من حزيران، وتشكلت قوة الهجوم من طائرات (ب – ٢٩س) غالباً أكثر من (٥٠٠) قاذفة، وكان هدفها الترسانة، الواقعة في الزاوية الشمالية – الغربية من مجمع حصن أوساكا.

فهذه الترسانة، ذات أهمية كبرى، ولم تصب بدمار كبير في ذلك الحين أيضاً. فان عدم دقة القصف المعادي انصب بشكل مرعب على المناطق السكنية

سيئة الطالع في المناطق المجاورة بدلاً من أن ينصب على تلك الترسانة، فقد علمت أن منتزه جوهوكو قد اصبح جهنمياً خراباً على الأرض تماماً. فكانت قنابل القاذفات (ب – ٢٩س) ورشاشات المطاردات (٥١ _ p) تصيب مئات الناس ممن كانوا يلجؤون إلى هناك. في اليوم التالي، أعلنت قيادة الدفاع المركزي أنه قد قتل (٢٣٠) شخص دفعة واحدة في منتزه جوكوهو. كذلك صدرت تصريحات عديدة وعلى نحو مشابه بوجود إصابات ودمار وأنبئ بحدوثها على طول شواطئ نهر يودو، أيضاً في منطقة هيغاشي ـ يودو غاوا خلف جسر ناغارا.

وأضحى معظم ما بقي من المعامل خرائب مسودة بما في ذلك معمل سبك المعادن سوميتو في الغارة الجوية الرابعة والخامسة الرئيسة على أوسكا في الفترة الـ (١٥) والـ (٢٦) من حزيران بالتتالي. وبقيت الترسانة لوحدها مع خراب خفيف.

مع ذلك، حدثت غارة جوية بينما كنت في العمل وتوجهت بالطبع إلى ملجأ تحت سطح الأرض في القيادة المركزية للدفاع في حصن أوساكا. لكن عندما كنت أسير المسافة القصيرة بين حصن أوساكا ومحطة تيماناشي عندما شرعت صفارات الإنذار باللعلعة، كما كان يحدث دائماً، فركضت إلى الملجأ على نحو ثابت، وكان أن التقيت بالرقيب الأول. حَسَنْ، من الممكن أن أكون مشمئزة من ذلك الرجل الذي كان أحد أفراد الشرطة العسكرية، الذي ينظر إلي وعاملني منذ زمن طويل كأحد الأعداء، من ثم قام بكل ما يمكن ليجبرني على تبديل قوميتي إلى اليابانية، وداوم على مراقبتي عند قدومي ومغادرتي لقيادة الدفاع المركزية، كما لو كنت جاسوسة. برغم ذلك، ووسط هذه الحرب المرعبة، شعرت بنفسي أنني تحت قوى فوق سيطرتي، وفي الأعماق، فمع هزيمة اليابان، على ما يظهر، احتفظت بنقطة سوداء في قلبي، لأحس بجسمه يلمس جسمي هناك في ملجأ الدفاع الجوي. إنني أردته، مع ذلك، جعلتني رغبتي اشعر بالكره والاشمئزاز من نفسي.

خصوصاً عندما تذكرت مشهد الأجسام المنشورة من الأبرياء، من الصبايا اليافعات من بنات المدارس وهن قتيلات نتيجة القصف. فكان شعوري بالإثم أكثر مما يمكن أن أتحمله غالباً.

أه، لماذا نحن البشر عرضة للآثام هكذا؟. غادرت حصن أوساكا وأخذت طريقي باتجاه بيتي في إحدى الليالي، عندما كانت صفارات الإنذار التمهيدية تلعلع. اقترب مني الرقيب الأول في الشرطة العسكرية في الشارع، واقترح علي الذهاب معه. ذهبت معه، على الرغم من خجلي وشكي. قادني إلى داخل ملجأ للغارات الجوية مهجوراً يقع بالقرب من لقاءاتنا السابقة. بالطبع، كان علي أن أرفض الذهاب معه، وكان علي الهرب منه، ولكن، وكأن قوة شيطانية دفعتني لتلبية تلك الدعوة.

في تلك الأيام الأخيرة المرعبة من الحرب، ورؤية الناس يقتتلون بالقنابل يميناً وشمالاً، وجهلي إذا كنت سأعيش من دقيقة لأخرى لأرى الغد، وافقت على ما يفعله مع غمامة سوداء في عقلي. فكانت عزلتي المرتقبة، علاوة على ذلك، تجمعت مع مأزقي الشخصي كوني ممزقة بين جانبين متحاربين. فمن جهة كنت مواطنة أمريكية، وإذا ربحت الولايات المتحدة الحرب، قد اصبح واحدة من المنتصرين، لكن في الوقت نفسه، ففي حين أبقى يحدوني الأمل بانتصار بلادي الحقيقة، أمريكا، كنت أعيش هناك في اليابان بين شعب فيه الدم، نفسه كما في عروقي، دم أسلافي. وكلانا عانى حرمانات وعوز ورعب الحرب سوية. لقد كان زمن اليأس والقنوط. ووقعت بين هذه الانفعالات والأحاسيس المتضاربة، أصبحت عديمة القيمة وطائشة، شاعرة بنفسي واهنة في وجه الجنون والدمار، ألقيت بالحذر مع الريح وذهبت مع الرقيب الأول في الشرطة العسكرية، إنني حقاً لم أعد أهتم بأي شيء يمكن أن يحدث لي بعد الآن.

عندما تمددت تحته على الأرض الباردة القذرة في ملجأ الغارات الجوية المهجورة، لمع فجأة مشهد من أيام طفولتي بخيالي لقد بدا كشيء حدث منذ سنين ولت، في عمر آخر. عندما كنت شابة أخذاني والداي إلى الألعاب

الأولومبية التي جرت في لوس انجيلوس، وقد رفرفنا بأعلام يابانية صغيرة وابتهجنا للرياضيين اليابانيين، لكنني مع ذلك، لم اكن أكثر من طفلة ، شعرت بالتشوش والعجب، ما الجانب الذي يجب أن ابتهج له ـــ الأمريكيون أم اليابانيون؟.

عندما انتهينا من العملية الجنسية أعلمني باسمه كان يدعى ماتسوي إيزومي. إنني أعرف يجب أن يكون صوتاً لا يصدق، لكن حتى تلك اللحظة، فإنني لم أكن أعرف اسمه. حتى أنني لم أسأله ليخبرني. إنني حقاً لم أهتم فيما بعد. غادرت الملجأ واتجهت نحو محطة القطار، وأنا أشعر بدوخة.

لم أشعر بجاذبية شخصية أو أي اهتمام بذلك الرجل ولم يترك أي نوع من العواطف كالحب الرومانسي أو غيره، حتى أنني لم أشعر أنني أميل إليه على نحو ملائم. على العكس تماماً، كمجرد كونه من الشرطة العسكرية كعنصر أساسي. فإنني أعتبره خسيساً ولئيماً وجديراً بالازدراء، شخص متعصب وعسكري عدواني، مع ضيق أفق على نحو خطير. شعرت بالشهوانية تغمرني، نتيجة الحصول على هذا النوع من العلاقة الجنسية غير المحبوبة. وتعذبت بسبب الاشمئزاز الذاتي الشديد. حاولت إرضاء ضميري وأن أقنع ذاتي أن ما جرى بعد اغتصابي، لكن في أعمق أعماق روحي فإنني كنت أعرف أن غياب المقاومة المطلقة لعروضه كانت تعني القبول.

في طريقي للمنزل تلك الليلة، جلست ساكنة في قطار كيهان، وكانت عيوني غير المركزة موجهة للأهداف في الظلمة الحالكة وراء زجاج النافذة. ولمعت أمام ناظري صورة عزيزي يوتاكا مرة بعد مرة. مع ذلك حاولت أن لا أفكر به. وتوصلت إلى نتيجة مؤلمة، بأن لطخت نفسي تلك الليلة بنومي مع رجل لم أعرف حتى اسمه. ولم يعد لي بعد الآن حق في حبه. إنني حقيرة ونادمة ووطدت العزم أن لا أرى يوشوكا مرة أخرى مطلقاً.

منذ منتصف حزيران، أصبح وضع الطعام أمام السكان المدنيين مؤلماً بازدياد. واصبح نظام النقل في حالة شلل ناتج عن الغارات الجوية والقصف

بالقنابل يومياً. وصار هناك نقص شديد في القوة البشرية، منذ أن أصبح على كل ذكر قادر جسمياً أن يلتحق بالقوات المسلحة، واحتفظ بما بقي من قليل من الطعام والإمدادات، إذ ترك جانباً من اجل الاستخدام العسكري. وأخذ الناس يصنعون الزلابية بخلط جراياتهم الهزيلة من دقيق الحنطة مع بعض الأشياء، مثل النشارة وحثالة الشاي وجوز البلوط ولحاء البرسيمون، حتى مخلفات وسيقان النباتات عسيرة الهضم كالبطاطا الحلوة. وكانت الكرمة تستهلك أيضاً. حتى اشتملت توزيعات الحكومة المباشرة كيفية طبخ يرقات دودة القز، والجندب وحتى الجرذان والأفاعي، وكانت هذه تؤكل جميعها كمصدر من مصادر البروتين.

لكوني، احتفظت بمخزون قليل من البيض المسحوق والعسل الذي أرسله لي والدي معي عندما أتيت لليابان، فإنني كنت قادرة على إضافة قليل مما بقي من هذه المؤونة إلى حميتي. يضاف إلى ذلك، أصبحت أتلقى جريايات إضافية من بسكويت البحر منذ أن أصبحت مستخدمة مدنية في قيادة الدفاع المركزية في حصن أوساكا، تماماً مثل أية شخصية عسكرية متمركزة هناك. مع ذلك، كنت على الدوام جائعة لأنني كنت أحصل على القليل الضروري من المواد المغذية، ولازلت في ظرف صحي جيد مقارنة مع غالبية الناس الذين كانت وجوههم تنم عن سوء التغذية، كانوا شاحبي الوجوه المتجعدة والمنتفخة وحلقات سوداء حول عيونهم.

لكن من السهل على الروح الإنسانية أن تهجع ضعيفة، أليس كذلك؟ فصرت كئيبة على نحو رهيب،بعد لقائي الجنسي مع الرقيب الأول ماتسوي. عندما تعمق تفكيري، حتى فقدت شهيتي للطعام، وأصبحت مدمرة نفسياً على نحو واضح نتيجة تلك التجربة.

كانت هناك تقارير عن إبادة القوات اليابانية في جزيرة أوكيناوا وعن مدى الجرحى بين المدنيين، حيث كان يتم تلقيها من قبل قيادة الدفاع المركزي في كل ساعة.

في الضربة الجوية الرئيسية الخامسة على أوساكا بتاريخ (٢٦) حزيران استهدفت بالدرجة الأولى قصف مقاطعة كونوهانا، حيث كانت بؤرة الهجوم. مرة أخرى أيضاً.. نجت مستودعات الأسلحة العسكرية القريبة من حصن أوساكا من الدمار، مع أنه قد محيت أهداف عسكرية في نيغويا وفي أمكنة أخرى عن وجه الأرض، بسبب الضربات الجوية المماثلة في ذلك الوقت. وبتاريخ (١٠) حزيران، كانت هناك غارة جوية رئيسية تقريباً على مدينة ساكاي، إلى الجنوب من أوساكا تماماً. وقيل أيضاً وأشيع أن تشكيل الهجوم في الغارة الجوية السابقة الرئيسة على أوساكا بتاريخ الـ (٢٤) من حزيران قد وصل عدد الطائرات فيه لا اقل من ألفي طائرة معادية مقاتلة .

يضاف إلى ذلك، كانت طائرات من المقاتلات الصغيرة مثل الكورسير والغرومان والهلكات التابعة للقوات الأمريكية، تنطلق من حاملات الطائرات المتواجدة في مياه توساوكيثو، وكان من الممكن رؤيتها يومياً غالباً، وهي تحلق في السماء فوق أوساكا، كما لو كانت ملكاً لها، كأنها تسخر من اليابان.

أخيراً، أصبح سقوط اليابان الإمبراطورية وشيكاً بالكامل، بعد إلقاء القنبلة النووية على هيروشيما بتاريخ (٦) آب ودخول روسيا الحرب إلى جانب الحلفاء بتاريخ (٨) آب، وإلقاء القنبلة النووية الثانية على نازاكي بتاريخ الـ (٩) من آب.

صارت تجمع المعلومات من جميع أنحاء اليابان حول أحوال الدمار في المدن الصغيرة والمتوسطة والمدن الكبيرة خلال هذه الفترة، من قبل قيادة الدفاع المركزي. وكان لها القدرة على الإمساك الوثيق والمناسب بالوضع. ومن التقاط اتصالات أجهزة اللاسلكي بين المقاتلات العدوة وسفنه الحربية المعادية التي كانت تبحر في المياه الإقليمية، وتوقعنا أن عمليات الإنزال قد تبدأ قريباً .

بعد تدمير هيروشيما، أصبح الناس يعلمون أن المدينة قد مسحت بطراز جديد من القنابل، لكن كان لدي الرسميين من قيادة الدفاع المركزي شك قوي أن تكون القنبلة المستخدمة هي ذات طاقة نووية. مع ذلك، لم تكن مفاجئة،

لأنهم كانوا يعلمون أن القنبلة النووية قد جربت. وكان اليابان يتوقع أن تستخدم آجلاً أم عاجلاً. من جهة أخرى، فان السكان المدنيين الذين تعودوا، كثيراً أم قليلاً على غارات القصف الجوي اليومي قد أصبحوا يتجاهلونها، إذ كانت الـ (ب ــ ٢٩س) وحدها التي أخذت تطير بين الفينة والأخرى فوق مدنهم. وتأكدوا بأنها الوحيدة التي أسقطت الطراز الجديد من القنابل عليها فازداد ذعرهم.

في النهاية، لم يكن هناك أحد يمكن أن يقوم بأي شيء، إذ خرج الوضع عن سيطرة القيادة، نتيجة هذه الأحداث التي تلت التفجير النووي وبداية للاضطراب والفوضى والارتباك في القيادات العسكرية في أطراف البلاد وفي بعض وحدات الجيش.

وأصبح لديَّ الإمكانية بالاستنتاج أنه ستلقى قنبلة نووية على هيروشيما بتاريخ الـ (٦) من آب وأن روسيا ستدخل الحرب ضد اليابان بتاريخ الـ (٨) من آب، نتيجة المعلومات المختلفة الملتقطة من الإذاعات. وهذا ما جعل مجلس الحرب الياباني الأعلى ان يوافق على شروط تصريح يوتسدام.

بتاريخ الـ (١٠) من آب، أرسلت مذكرة سراً إلى جميع رؤساء شرطة أوساكا، تعلمهم فيها أن الاستسلام أصبح أمراً ممكناً، وينصحهم بالاستعداد للتعاون مع الإهتياجات العظيمة الشعبية تلك الليلة التي تلي مثل ذلك الإعلان.

وصدر بتاريخ الـ (١٢) من آب، أخبار عن إذاعة أمريكية، بناء على تصريح لوزير خارجية الولايات المتحدة (بيرنس) لباقي العالم معلناً أن اليابان أصبحت راغبة بقبول تصريح يوتسدام، إذا ووفق على بعض الشروط.

وشعرت كمواطنة أمريكية، وعلى مدى الصورة الواضحة لي، بعد هذه الأنباء، أنني أيضاً قد أكون موضع شك، وَعَليَّ التفكير الجدي، على وجه التحديد، بوضعي كمواطنة أمريكية، ومنذ أن تعاونت مع العدو لحد ما، وذلك بالعمل في مركز المخابرات اليابانية العسكرية، وإنني على معرفة تامة بأن يوتاكا

قد عرفني بالملازم الثاني ياغي دون غاية، بل بنية حسنة، لكن الحقيقة تبقى أن عملي في قيادة الدفاع المركزي في الترجمة الملعونة لوجهات نظر جيش الولايات المتحدة. تعني تعاوني مع العدو.

وبتاريخ الـ (١٤) من آب، يقرر مجلس الحرب الأعلى، بحضور الإمبراطور، وعلى نحو رسمي، قبول تصريح بوتسدام. وعلى نحو يستحق السخرية، أنه بعد ظهر ذلك اليوم نفسه، أصبحت مستودعات الأسلحة العسكرية في أوساكا، غير القابلة للتدمير، مدمرة، فيما يبدو، في آخر غارة جوية رئيسة من الحرب.

وكانت هذه المستودعات للأسلحة والذخيرة، تعتبر وعلى نطاق واسع، على أنها الأعظم في الشرق ولم تَتَعَرَّضْ خلال الغارات الجوية في وضح النهار، سوى لقليل من الدمار أو لا شيء، فقط كونها دمرت على آخرها في اليوم الأخير من الحرب. مع ذلك، فإن نصيب مستودعات الأسلحة والذخائر، عاملاً ذو شأن خطير مع نتيجة الحرب، ولم تكن داعية للأسف من قبل المستخدمين للعمل هناك والذين لا يحصون ـــ خصوصاً من الطلاب الشباب الذين عُبِّئوا للعمل في المعامل ـ الذين خسروا واجباتهم في فجر عصر جديد من السلام والديمقراطية، والذي كان بعيداً عنهم! بالنسبة لي، لخصت لي هذه الكارثة وحشية وحماقة الحرب .

في طريق عودتي للبيت ذلك اليوم، شاهدت أن محطة قطار خطوط كيوباشي قد تعرضت للقصف في الغارة الجوية الأخيرة، وكانت الأجسام المشوهة لا حصر لها من بنات المدارس ممددة نصف مطمورة وسط أنقاض عربات القطارات المدمرة والسكك الحديدية. وكانت شمس الصيف لا تزال تنير بلمعانها سماء المساء،وتضيء كل شيء بوضوح مشهداً سوف لن أنساه مدى الحياة!! أصبحت المستودعات المشهورة ركاماً من أنقاض تحترق وتدخن من غير لهيب ودبش عديم الجدوى، في حين كانت سابقاً محجوبة عن الرؤية وراء جدران من الحجر الصلد.

هزيمة اليابان واحتلالها من قبل العدو

كان اليوم الهام جداً، الـ (١٥) من آب عندما كان صوت الإمبراطور يعلن من الإذاعة، وسمع من قبل الملايين من الشعب الياباني للمرة الأول: انتهت الحرب التي دامت ثلاثة أعوام وثمانية اشهر في المحيط الهادي، بالهزيمة.

لقد قاتل اليابانيون بإخلاص ودون زعزعة في وطنهم المقدس غير القابل للدمار. عند النهاية، وملؤهم العزم والتصميم، قد تعذر عليهم، تجنب نزول القوات العدوة على شواطئ اليابان، وشرعوا في حمل رماح الخيزران التي كانت مستعدة للقتال حتى آخر رجل وامرأة وطفل. لكن كانوا جميعاً غير مستعدين لتلقي إعلان الإمبراطور أن اليابان خسرت الحرب وبأنها استسلمت، وتركت الصدمة الكثير من الصدمات والذهول.

قاوم بعض العسكريين بعناد غضباً، لأن الشعب أبدى مقاومة وقرر: قاتل أو مُت، بدلاً من الاستسلام. ومن حين لآخر، كان بعض الطيارين يهبطون من بعض الطائرات اليابانية المقاتلة الباقية، ويستحثون كل ياباني لكي يثور،**وأن** يستمر في القتال. ودهشنا من أين يمكن أن يكونوا قد أتوا، حيث لم نعد نرى طائرة يابانية منذ زمن بعيد. إنني على يقين أننا جميعاً تتذكر هنا أحداث تلك الأيام على نحو ممتاز.

عندما مرت الصدمة الأولية، أصبحت المشكلة التالية التي واجهها اليابانيون، تقاسم السياسة والتعاون مع قوات الاحتلال التي أصبحت متمركزة في اليابان. وكان هناك جدل من الناحية العملية حول كيفية الاحتفاظ بالنساء اليابانيات لكي لا يغتصبن.

مع ذلك، صارت الحرب منتهية، وإنني لم أكن قد تحررت من واجباتي في العمل. فعلى الرغم من إحساسي المختلط، فانني استمريت في الذهاب إلى العمل كل يوم في قيادة الدفاع المركزية من أجل ترتيب بعض الأعمال التي لم تنجز، كالجزء الرئيس من الوثائق التي أحرقت الواحدة بعد الأخرى، من أوراق وتقارير مختومة سري للغاية، ألقيت للنيران. ولاحظت تناقضاً متضارباً بين التقارير والتعابير الحربية المستخدمة في مواجهة السكان المدنيين ـــ الذين

كـانوا مسـرورين مـن غـير شـك لأن الحـرب قـد انتهـت، حتى في وسـط بؤسـهم ـــ والوجـوه الشـاحبة المتوتـرة للضبـاط مـن ذوي الرتـب العاليـة.

أعلمـني الملازم الثـاني يـاغي، بعـد حـوالي أسبوع مـن نهايـة الحـرب، أنـني لم أعـد بحاجـة بعـد الآن لرفـع تقـارير للعمـل، لأنـني أصبحـت مواطنـة أمريكيـة، ونصحـني أيضـاً، أنـه مـن الأفضـل أن لا أقـول شيئاً حـول عملـي في قيـادة الدفـاع المركـزي، إذا استطعت ذلـك، مـن أجـل مصلحـتي في المسـتقبل. وطلـب مـني أن لا أفشـي سراً لغريـب، عـن أي شـيء كنـت قـد سمعتـه أو رأيتـه هنـاك. لقـد تَمّتْ طريقتـه في ذلك عـن مزيـج غريـب مـن الشـعور الحقيقـي كشـخص عملـت معـه جنبـاً إلى جنب لزمن طويل ومراعـاة لي كأمريكيـة، واحـدة مـن المحتلـين لبـلاده .

تلقيـت راتـبي مثـل كـل المسـتخدمين المدنيـين اليابـانيين، وبطانيـة وجرايـة مـن البسـكويت القاسـي، ثـم عـدت إلى كيوتـو. كـان الإنهـاك العقلـي والجسـمي في زمـن الحـرب يلاحقـني في كـل مكـان. وأصبحـت في حالـة قلـق مرعـب حـول المستقبل. ويوميـاً هجمـات مـن الغثيـان والإقيـاء يتركـاني ضعيفـة، بحيـث ،أنهـض بصعوبـة. وأنـني أصـرف معظـم سـاعات اليـوم في مـنزل أوواكـي.

بـدأ جيـش الاحتـلال الأمريكـي في احتـلال اليابـان في نهايـة أيلـول. وكـانت قيـادة كيوتـو قـد اسْتَقَرّت في بنـاء ديكـين في زاويـة شـارع شـيجو مـع شـارع كاراسـوما العريـض. وصـودرت أبنيـة متحـف الفـن وقاعـة المعـارض الصناعيـة في سـاحة أوكـازاكي وفنـدق ميكـايو، وفنـدق كيوتـو، والمقـر الفـاخر، علـى الطـراز الغربـي المملـوك مـن قبـل إدارة مخـزن ديمـارو، وجميـع المنـازل الكبـيرة في كيوتـو كمقـرات سـكن لضبـاط جيـش الاحتـلال. ودارت إشـاعة بمصـادرة مدرسـة كـانت قـد بنيـت علـى أرض حدائـق النباتـات مـن أجـل العسـكريين المـتزوجين وعـائلاتهم من التابعيـة للولايـات المتحـدة.

في أحد الأيام من تشرين الأول، كبحت سيارة جيب مكابحها فجأة، وتوقفت خارج بوابة معبد أوواكي، ونزل منها عسكريان من جيش الاحتلال بوجوه يابانية ـ بوضوح من النيساي ـ واتجها نحو المنزل وكانت عائلة أوواكي بالكامل قد ذهلت عند وصولهما، وما من أحد قام بحركة ما للذهاب للخـارج. بـل بعيـداً عـن ذلـك، عـادا مسـرعين إلى القاعة الرئيسية للمعبد وأغلقا الباب وراءهما.

«أنتم، جميعاً، يجب ألا تخرجوا من هنا. إنه خطر على صبية شابة مثلك» هذا ما قاله السيد أوواكي، محاولاً دعوتي للإنضمام إليه، لكنني خرجت بحذر لملاقاة العسكريين. وشعرت على يقين، أن كل شيء سيسير على خير ما يرام، حالما يعرفان أنني مواطنة من الولايات المتحدة.

جاء العسكريان من جيش الاحتلال من باب الواجهة، وعند رؤية وجهي صرخ أحدهما، نانسي!

للحظة، لم أَتَعَرَّفْ عليه، كان يبدو بالغاً راشداً جداً، مع نظرة عاقدة العزم في وجهه ولباس عسكري. لكن، من ثم، تأكدت أنه كان روبرت تاكاجي، زميل صف في الدراسة الثانوية في لوس انجيلوس، قد يمكنكم تخيل مدى الفرح والسرور الذي ملأ قلبي عند رؤية وجه مألوف في حياتي السابقة في أمريكا.

لقد جلبت لك رسالة من والدك، وأحضرت لك أيضاً بعض الجرايات العسكرية من أجلك لتأكلي. قال بوب. وجودك هنا خلال الحرب، يجب أن يكون صعباً عل نحو مرعب عليك. نانسي!

كان بوب يتكلم الإنكليزية بالطبع، وإنني فعلت الشيء نفسه، وشعرت بعجب أن استخدم لغتي القومية من جديد مرة أخرى على الرغم من بقائي الطويل في اليابان، فإنني لازلت أفكر بالإنجليزية ، وكانت الإنجليزية طريقتي الطبيعية للتعبير.

«إنني آسف أن أعلمك بهذا يا نانسي، لكن... أمك قد توفيت وحتى منذ الهجوم الياباني على بيرل هاربور، فالشعب الياباني الذي يعيش في الولايات المتحدة، كان عليه أن يتحمل شدة أخرى قاسية. فقد جمدت جميع مدخراتهم وأصبحوا مجبرين على العيش في معسكرات اعتقال خارجاً في الصحراء، بعيدة عن شاطئ المحيط الهادي. وكانت هذه المعسكرات أمكنة مرعبة. على سبيل المثال فإنهم أعادوا بناء إسطبل للخيول في أريزونا ليجعلوه بيوتاً لبعض المعتقلين بعجلة وبتهور. ولم تكن والدتك بصحة جيدة للشروع بمثل هذه الحياة، وهكذا، فلم يكن عجيباً أن يداهمها المرض بسبب عيشها في مثل هذه الشروط دون المستوى المطلوب في النهاية، فإن قلبها وكليتيها أصيبا بالإجهاد

تماماً، ولفظت أنفاسها الأخيرة، وكانت قلقة عليك، كونك أجبرت على البقاء في اليابان خلال الحرب، وإنها أسفت لإرسالك إلى هنا.

لكن، يكفي الحديث المحزن اليوم. ومن الآن وصاعداً، فلم يعد لديك أي شيء تقلقين عليه ومن أجله. أولاً فإنني سأحاول العمل لإيجاد طريقة لترحيلك إلى أمريكا في الحال. وإذا كان لديك أية مشاكل في هذه الأثناء، عليك أن تأتي لعندي وساعتني بك لحلها فأني معين في قسم المخابرات في القيادة العامة.

قال بوب كل ذلك بوضوح ودفعة واحدة، عندما أعلمني عما كان يهتم به في الغالب وكيف أن والدتي ووالدي كانا قلقين علي وعلى كل شيء يتعلق بي، وأن موت والدتك قد سبب حزناً شديداً لوالدك، إلى درجة أنني قمت بإسناده خوفاً من سقوطه على الأرض.

في هذه الأثناء، غامرت عائلة أوواكي في آخر الأمر وخرجت لرؤية عما كان يجري، وأدخلت بوب وصديقه الذي كان يدعى بول فوكادا لعندهم. أصيبت عائلة اوواكي بصدمة وحزن عندما علموا بموت والدتي. ومن المعتقد أن وجهي قد اصفر من أثر الصدمة، وعند رؤية كربي، قال بوب وبول إنهما جاءا ذلك اليوم قبل كل شيء من اجل أن يتحققا من مكاني، من ثم استأذنا وغادرا.

عند عودتي لغرفتي. فتحت رسالة والدي وقرأت:

«عزيزتي نانسي، إنني خائف أنني سببت لك المعاناة والحرمان بإرسالك لليابان. إنني آسف جداً». بدأت الرسالة ثم بإعطاء تفاصيل عن موت أمي. إذ كتب والدي، انه اعتقد أنه من الصعب العمل على عودتي إلى كاليفورنيا، لأنه خسر كل شيء بسبب الحرب. وهكذا، ذهب لشيكاغو من أجل الوقت للبدء هناك وكان يعيش في شقة في شارع كلارك، مخططاً بفتح مخزن للبقالة مرة أخرى في المستقبل بين فينة وأخرى.

في اليوم التالي، واليوم الذي بعده، عاد بوب بعد انتهائه من عمله في القيادة العامة في بناء ديكن. وقد احضر لي قطعاً من الشوكولاته، والعلكة، وأشياء لذيذة المذاق، والتي لم أذقها منذ زمن بعيد جداً، بالإضافة إلى بعض الحاجيات

الضرورية، مثل الصابون وما شابه. شكرته، وكانت زيارته حوالي الخامسة أو السادسة. عندما استدار نحوي، على نحو مفاجئ مع تعبير خطير على وجهه وقال: «فقد عشت هنا في اليابان كأمريكية. وهذا الأمر صعب عليك. إنني أعلم لقد أخبرتك أنني قمت بأفضل ما يمكن لأعيدك إلى أمريكا حالاً، لكنني اصطدمت بعقبة غير متوقعة. يقول قسم المخابرات إن هنالك مشكلة، في حالتك، لأن اسمك على قائمة خاصة. فإذا أصبحت مواطنة يابانية خلال الحرب مثل أغلب النيساي الآخرين في اليابان، فالمشكلة ممكن حلها في الوقت المناسب، حتى إذا عملت في الحرب بجهد كمواطنة يابانية، على سبيل المثال لكونك في الجيش الإمبراطوري، لكن عملك في مثل ذلك المكان ــ قيادة عسكرية إقليمية ــ مع أنك بقيت مواطنة للولايات المتحدة... حسن عندها ينظر للأمر بشكل سيئ، وأنني لا أعتقد بأنهم سوف لن يذهبوا بعيداً ليحملوك الخيانة العظمى، لكن سينظر إليك كما كان صعباً عليك الحصول على الأذن بالعودة للولايات المتحدة الأمريكية.

أصبحت بالأحرى مأخوذة على حين غرة، لأكتشف أن جيش الاحتلال يعرف الآن أنني استخدمت للعمل في قيادة الدفاع المركزية، لكن شرحت لبوب ما حدث فعلاً. إذ أعلمته بأني قبلت بذلك العمل لضرورة مطلقة، لأنه كان الوحيد الذي أمكنني الحصول عليه خلال الحرب. وبأنني لم أتورط بأية نشاطات معادية لأمريكا صراحة، وبأن المهمة الرئيسة كانت ترجمة الوثائق باللغة الإنجليزية والتقاط رسائل الراديو باليابانية والضرب على الآلة الكاتبة.

كما أعلمته أيضاً كيف تمسكت بجنسية الولايات المتحدة على الرغم من الضغط الشديد الذي تعرضت له وتحملت الشدائد في معاملتي من قبل التوكو والشرطة العسكرية، ببساطة لأنني رفضت التخلي عن كبريائي كوني أمريكية. ووصفت له صعوبة تحملي ذلك، في حين أنني أعيش في المجتمع الياباني خلال الحرب. حتى عندما كنت أتكلم فإنني أعلم أنه ما من أحد يستطيع أن يفهم المدى الكامل للشدة والمضايقات التي واجهتها هنا في اليابان خلال هذه السنوات المرعبة.

«رد بوب، أعرف، بأنك كنت في وضع محنة مرعبة. وأنني معجب بك

لأنك تمسكت بجنسيتك الولايات المتحدة ، إنني على يقين بأن ذلك يحتاج للشجاعة والعزيمة ، لكن الآن، انتهت الحرب، فإن عملك موضع تدقيق، على ضوء مختلف، والني أعلمتك تماماً أنه بقدر ما أن جيش الاحتلال معني بالأمر، فلا بد أن يكون موضع شك... حسن موضع شك.

«طبقاً للدستور، توجد أربع طرق، يمكن للشخص فيها فقدان حقه في مواطنية الولايات المتحدة : التطوع في قوات مسلحة في بلد أجنبي، التصويت في انتخابات بلد أجنبي، العمل في أعمال في بلد أجنبي مخصصة للمواطنين من ذلك البلد أو أنه مواطن ممنوح حق المواطنة في بلد أجنبي. وأن التفويض لأي شخص بمثل ذلك، يكفي لتجريد هذا الفرد من جنسيته الولايات المتحدة وفي حقه في المواطنة. وأنه من الواضح أنه يشتبه بأنك ارتكبت ما جاء في الأولى والثالثة.

عندما جاء الجنرال مال آرثر إلى أتسوغي، جاءت معه مجموعة من الصحافيين وأول شيء نشروه كان يتعلق بشخصية تدعى «وردة طوكيو»، فقد اتخذت الولاية خطأ متشدداً في هذا الأمر، وأنهم يعترفون أن يركزوا كل اهتمامهم علنا على بعض الأفراد الخاصين ويرفعون من مسؤولياتهم . وهم لا يهتمون فيما إذا القوا القبض على أحد ما ونادراً ما قرأ مستندات دعائية كتبت من قبل مذيعين عديدين. وأنهم لم يهتموا أن برامجهم يمكن ان تكون مذاعة من أي مكان في الفلبين، وأنهم لا يبالون باتهام شخص ما. فوردة طوكيو، كان لها تأثير على القوات الأمريكية في خطوط الجبهة. والآن، شخص ما عليه أن يدفع.

ولهذا، فهذه المرأة المدعوة إيفا توغري، من الشائع، إنها كانت ملزمة بالصمت كما أوصيت أثناء الاستجواب. ومن المحتمل أنهم قرروا جعلها كبش الفداء. مثلك، فقد جاءت لليابان قبل اندلاع الحرب ورفضت التخلي عن حقها في مواطنية الولايات المتحدة .وبسبب ذلك، فإنها الآن قدمت للمحاكمة بتهمة الخيانة.

«نانسي، انني قلق عليك، لأن حالتك فيها بعض النقاط المشتركة معها. وإنني لا أعتقد بأننا بحاجة لنكون قلقين حول حقيقة كونك كنت تترجمين وثائق

من اللغة الإنجليزية إلى اليابانية، لكن كون إيفا غوري كانت متحدثة من قبل راديو طوكيو، وأنت عملت في قيادة عسكرية إقليمية، هكذا، تنظر سلطات الاحتلال كون ذلك العمل له روابط أقوى من العسكريين».

علمت بأن بوب لم يكن يصدر حكماً علي، تماماً. وكان باستطاعتي تقدير ذلك، وبأنه كان يخبرني، بسبب قلقه علي حقيقة، مع ذلك اسودت الدنيا في عيني لعدة لحظات عندما تحدث، وشوش عقلي وأرهقني فترنحت، على شفير الهلع.

أنني لم أقم بالعمل إلا في سبيل التخلص من أن أكون مُعَبّأة في عمل الخدمة وأرسل للعمل في المصانع، مثل غالبية النساء الشابات الأخريات في اليابان خلال الحرب. مع ذلك، كان عن طريق الصدفة فقط أن ينتهي بي الأمر للعمل في مركز قيادة الدفاع المركزية في حصن اوساكا، ولم أكن أعني أن أتسبب في إضرار الولايات المتحدة بعملي هناك، وواجهت حينذاك مالا يصدق، لكن لكل شيء أيضاً إمكانية حقيقية كوني حاولت، ولن أخون وطني الحبيب. بالطبع، إنني أثق بنظام القضاء في حكومة الولايات المتحدة، وليس لدي من شك في مواقفه العادلة في الموضوع. لكن كان الأمر صدمة مرعبة بالنسبة لي بأن جاءت الأمور بمثل ذلك الماضي.

بعد يوم من حديثنا، اصبح بوب يأتي في كل وقت لرؤيتي، وكان يحمل لي نسخة من جريدة القوات المسلحة للولايات المتحدة «STARS AND STRIPES» من هي وردة طوكيو، كان الراديو يلفق كصوت إغراء لجعل العسكريين يتوقون شوقاً للعودة للوطن، والأسرة من الأدغال ومن البحر؟. إن «ايفا توغوري هي من النيساي، ولدت في كاليفورنيا، وتخرجت من جامعة كاليفورنيا في القانون، وجرى توقيفها وستقدم للمحاكمة».

شعرت بأنه منذ أن أصبح اسمي من بين اللائحة الخاصة في مكان ما اصبح الأمر موضوع وقت قبل أن يأتي الاحتلال ليطلبني أيضاً.

فعلى الرغم من أنني كنت أرغب برؤية أمي قبل موتها لو كان ممكناً، فهي أيضاً قد ماتت في معسكرات اعتقال، ومازلت أَتَشَوّقُ لرؤية والدي العزيز

وأختي ديبوراه كيوتو، وأصدقائي المقربين في أمريكا، لكن الآن، فهل يمكنني حتى العودة؟

ساءت حالتي الصحية منذ نهاية الحرب، وأخذت أميل للبقاء في البيت، وفي سبيل أن أبتهج قليلاً، كان بوب يأتي لعندي بسيارته الجيب، في كل مناسبة يمكنه ذلك، ويأخذني للقيام بجولة في كيوتو بسيارته. وأحيطت أبنية متحف الفنون وقاعة المعرض الصناعي وبنى الاجتماعات العامة المدنية في منتزه أوزاكي من قبل جيش الاحتلال بسياجات الأسلاك، حتى أن جيش الاحتلال بنى كنيسة صغيرة بيضاء داخل السياج. وشعرت مرة وكأنني كنت أتجول في حي سكن أمريكي عند رؤية البيوت على الطراز الأمريكي بين الأشجار في حدائق النباتات.

وفجأة اكتشفت أني لم أشاهد الكثير في كيوتو. عندما أتيت في البداية للعيش مع عائلة أوواكي، فقد عملت اكثر قليلاً للقيام برحلة إلى الكلية ومنها. وفيما بعد، ماذا مع عملي في أوساكا والحرب مستعمرة، وكان لدي الوقت بصعوبة من أجل الأماكن التي تستحق المشاهدة. مع ذلك، ففي سيارة بوب الجيب، كنا قادرين على القيام بجولات خاطفة للمعالم الرئيسة في المدينة خلال نصف نهار تماماً. وكان يقودني لكل مكان.

وجرت مصادرة أجمل فندقين بالمدينة المبنيين على الطراز الغربي وهما مياكو وكيوتو، من اجل استخدام جيش الاحتلال حصراً. وكان بوب يأخذني للأكل في مطاعم هذه الفنادق التي لا يستطيع الناس اليابانيون العاديون حتى الاقتراب منها.. وإني أعرف أنه كان يحاول أن يدخل بعضاً من السرور في حياتي قبل أن يقوم جيش الاحتلال بخداعي واعتقالي.

كان بوب كريماً معي، ويزداد شعوري بالحزن والقنوط أثناء تناول كأس من الشاي معه أو خلال وجبة من الطعام. وكنت ارغب أحياناً أن أنفرد بنفسي وأحدق في الفراغ ضائعة وفي حالة عذاب من آلام جسدية ونفسية لأسباب شخصية وما يمكن أن يحدث لي.

ثم جاءت الضربة الأخيرة التي ختمت قدري، لقد كانت دورات الطمث

لـدي منتظمـة دائمـاً، قبـل الحـرب وأثناءهـا، ومـن الممكــن بسـبب كونـي محظوظـة على نحو كافٍ بـالحصول علـى كميـة مـن الطعـام أكـثر إلى حـد مـا والمغـذي مما كـان يحصـل عليـه معظـم الشـعب اليابـاني خـلال الحـرب. وتوقـف الطمـث فجـأة منـذ عهـد قريـب. ولم أقلـق في البدايـة حـول ذلـك كثـيراً. جزئيـاً بسـبب أنـي كنـت أعـرف أن العديـد مـن البنـات اليابانيـات الأخريـات وكذلـك النسـوة، تتوقـف دورات الطمـث لديهـن أو تصبـح غـير منتظمـة خـلال سـنوات الحـرب، نتيجـة سـوء التغذيـة والعمـل المرهـق. لكـن عندمـا أصبـح ثديـايَ متضخمـين واسـودت حلمة الثـدي إلى حـد مـا والشـعور بالغثيـان صباحـاً. وفجـأة اتضحـت حقيقـة حملـي.

لكـن بالتـأكيد ذلـك مسـتحيل، حـاولت إقنـاع نفسـي، بـأنني لا يمكــن أن أكـون حـاملاً نتيجـة علاقـة جنسـية في لقـاء لمـرة واحـدة مـع ذلـك الرقيـب الأول في الشرطة العسـكرية .

في ذلـك الوقـت، كنـت أعـرف قليـلاً جـداً عـن الأمـور الجنسـية وشـؤون المخـاض، وجعلـني النقـص في هـذه المعرفـة قلقـة أكـثر بكثـير حـول كونـي حـاملاً، وكـان علـي أن أكتشـف ذلـك للتـأكد. فاسـتجمعت شـجاعتي وتوجهـت إلى مستشـفى القبالـة وأمـراض النسـاء بـالقرب مـن تقـاطع شـارع شنماشـي مـع شـارع إيماديغـاوا العريـض.

أعلمـني الطبيـب، بعـد فحصـي أنـي حـامل منـذ أربعـة اشـهر. ودار العـالم بـي، عندمـا سمعـت ذلـك، وشـعرت بالسـقوط في دوامـة سـوداء لم أجـد مهربـاً منهـا. وأصبحت علـى يقـين، أنكـم تسـتطيعون تخيـل محنـتي.

مـع ذلـك، فـإنني أعـرف والـد جنيـني، لكـن المعلومـات الوحيـدة الـتي كنـت أعرفهـا عنـه هـي اسمـه، الرقيـب الأول ماتسـوي إيزومـي. وليـس لـدي مفتـاح لحـل لغـز مـا حـدث لـه منـذ انتهـاء الحـرب. لكـن وبسـبب أنـه كـان في الشـرطة العسـكرية، فكـرت أنـه ربمـا قـد أخفـى هويتـه، وبحـث عـن مخبـأ في مكـان مـا. عـلاوة علـى ذلـك، حتـى إذا كنـت قـادرة علـى أن أجـده، فـإنني لـن أتمكـن مـن إقنـاع نفسي بالذهـاب إليـه وإعلامـه أن علاقتنـا الجنسـية غـير المحببـة ومـن غـير توقـع وسـط الفوضى قبل سـقوط اليابـان تمامـاً، نتـج عنهـا مشـروع حيـاة جديـدة لجنـين بداخلـي.

كان داخل قلبي يسكن وَطَنان، أحدهما عاني من هزيمة مدمرة، والأخر ...! أمي العزيزة قد ماتت خلال غيابي. والآن لم يكن فقط من المستحيل أن أتمكن من العودة لواحد منهما ليكون وطني الحقيقي. لكن في العودة من أجل المثابرة وبذل الجهود للمحافظة على جنسيتي الأمريكية، لكن يمكن أن يجري توقيفي بتهمة الخيانة في أي يوم من الأيام.

في قمة ذلك، كنت أواجه الحقيقة المخزية، كوني حاملاً منذ أربعة أشهر بجنين من رجل لا أعرفه حقاً، وما من أحد يهنئني على مثل تلك الولادة. ولا يمكن أن أتوقع من أي أحد أن يفهم وضعي.

لقد بدا لي أن السبيل الوحيد الباقي لي هو حياتي الخاصة، وناضلت من أجل هذا القرار، وأعفيت عقلي من بعض المتاعب .

في النهاية ومع هذه الصعوبات لم أجد أية طريقة أخرى لي. من يهب لإنقاذي في حل مشكلتي، ويريني السبيل الصحيح الذي يجب اتباعه ؟ يوتوكا الذي رحل ليصبح جراحاً في البحرية الإمبراطورية، كان الشخص الذي يستطيع مساعدتي لإيجاد الحل الأسلم. لكن لا أستطيع الذهاب إليه مع هذه المشكلة وبسببها .

ومن أجل حياتي، وإنني لن أستطيع مطلقاً إعلامه بأنني حامل. فوق ذلك، بعد أن استلم يوتوكا منصبه قبل نهاية الحرب بوقت قصير، ذهب بمهمة هامة على ظهر إحدى الغواصات من الدرجة الأولى القليلة الباقية. ولم يعد يسمع عنه أي شيء بعد ذلك. ومع مرور الأيام دون كلمة منه، فإنني أعرف قلبي أيضاً، أنه لن يعود، وهنا انطفأت أخر ومضة أمل لي. أعتقد أن العامل الحاسم في قراري لإنهاء حياتي، كان حقاً في نهاية المطاف شعوري بأنني أصبحت قريبة من حبل المشنقة. فماذا بقي عندي من مبهج مُشْرِق روحاني، في حياة نانسي التي كانت قبل سنوات قليلة في أمريكا ـ شعرت بها بأكثر من أي وقت مضى ـ وبلغت روحي المصابة بالكرب الهدامة، مع ذلك كانت بعض الحلول لهذا المأزق ثقيلة الوطأة، المأزق الذي ألقيت نفسي به، لكن أي طريق اتبعه لم أجد أمامي سوى الظلام، باختصار فقدت القدرة على التفكير بوضوح.

في نهاية تشرين الأول، ابتلعت حبات بوتاسيوم السيانيد من التي وزعتها قيادة الدفاع المركزي إلى عمالها المدنيين، خصوصاً، النساء، تماماً قبل نهاية الحرب في حالة نزول القوات الأمريكية بالقرب من أوساكا.

لقد واجهت العذاب والإثم باتخاذي القرار بقتل الجنين بداخلي معي، وهذا يعني إنكار حق جنيني في الحياة. وكتبت رسالة إلى والدي في أمريكا مبتدئة بطلب المغفرة منه، ورسالة إلى عائلة اوواكي شاكرة إياهم، ومعتذرة، للمشاكل التي سببتها لهم. وملاحظة صغيرة، تقول إنني أريد أن أتبرع بجسمي للاستخدام في تدريب طلاب الطب لمساعدتهم متابعة خُطى عزيزي يوتاكا، الشخص الوحيد الذي أحببته واحترمه من كل قلبي.

بعد سماع حكاية الليلة الثالثة

تنهد يوشيو بعمق، عندما انتهت روح نانسي ماساكواينو من الكلام. بالطبع بعد أن كان أحد الشهود على الحديث المضجر حتى وصل إلى نهايته بعد انتظار طويل. ولقد تأثر يوشيو بصدق وبعمق بحكاية الروح حول الحياة التي واجهت المصاعب بعنف وواجهت رياح النجاح المعاكسة.

كان يوشيو يستمع إلى حكايتها مع حدس يقارب الخوف، خاصة عند روايتها زوبعة الأحداث والتطورات غير المتوقعة كلياً، مندهشاً مما حدث تالياً، وغالباً مع الأمل بالحصول على قليل من السلام والسعادة لتخفيف لذع المحنة التي كانت تعذب حياتها.

تنهدت الأرواح الأخرى أيضاً كالأولى، تحت ثقل الانفعال الذي أثرت فيها قصتها التي أثارت الشفقة. وشعر يوشيو إلى حد ما بالمفاجأة بأن هذه الأرواح من الدنيا الأخرى ولا تزال تحتفظ بقدرة على الرد كالكائنات الحية كما ترغب. والبعض قد تأثر بعمق شديد وسكبت دموع التعاطف.

استدار يوشيو نحو الروح، عندما كان يستعد للكلام. وقال «القصة التي أعلمتني بها روح نانسي ايتو صحيحة، وقد مست شغاف قلبي بعمق، إنها لا تصدق، أليس كذلك، كم من القسوة والرعب مارسه هؤلاء القادرين على ذلك! إن مشكلة التمييز الذي مارسه اليابانيون ضد الكوريين، وردت في آخر

الليلة. وسمعنا الآن حول ما كان شبهها، عندما كان على اليابانيين وأطفالهم أن يتحملوا تميزاً عنصرياً رهيباً وظالماً على أيدي الأمريكيين البيض».

ثم تابع كلامه متوجهاً نحو روح نانسي ايتو قائلاً :«شكراً لك لإعلامي أشياء لم أكن أعرفها وذكرتني بما درسته في إحدى المرات في صف التاريخ، لكنني نسيته. لقد تعلمت أموراً حقاً هامة من قصتك هذه الليلة.

كانت الحرب قد انتهت قبل أقل من عام مضى، تذكرت جيداً تماماً كم كانت حرباً خالية من الإحساس لا ترحم. وكنت أيضاً في كيوتو خلال زمن الغارات الجوية على مشارف أوساكا. وهكذا، أعرف كل شيء تماماً، وكم كانت المآسي مرعبة التي عصفت بالناس هناك.

«وقد تراكم الحرمان والمعاناة نتيجة هذه الحرب، ولم تكن قد انتهت بعد. انظر إلى حالة الطعام، فلم تكن هناك علامة واحدة على التحسن منذ أن انتهت الحرب، وأصبح التزود بالطعام أسوأ الآن مما كان عليه خلال الحرب».

«المسيحية علمتنا أنه من الإثم أن نقضي على حياة ما، أن ندمر هذا الجسم،، الذي كان قد خلق من قبل الله ووهبه الحياة. لكن توجد هناك بعض الاحتمالات، عندما يساق أحد منا لمواجهة ظروف من المحن حتى أقصى الحدود، في حين تكون مريحة للآخرين. ويقول «الانتحار إثم ضد الرب». لكنني أستطيع أن أفهم كيف يظهر الموت لشخص مهدد بهلاك قريب وظهره إلى الحائط، فإنه الخيار الوحيد».

«قالت روح نانسي ايتو، لم يكن هناك أحد يريها السبيل الذي يمكن أن تسلكه ليقودها بسلام، وبحكمته خلال ورطتها المرعبة. من سوء الحظ أن ذلك صحيح، إذ لم توجد واحدة يمكنها العمل بجد ونشاط. وكما ذكرت من قبل، فالناس قد فقدوا قدرتهم على التفكير بأشياء حتى النهاية بوضوح عندما كانوا يساقون إلى مواقف نفسية صعبة. وربما كانت في حالة ضيق شديد.

في هذه النقطة، قالت روح الأستاذ يوهارا، كانت حياة نانسي ايتو مليئة بالحسرة والمعاناة، في الحقيقة. موت والدتها الحبيبة وتوقع تهمتها بالخيانة العظمى بسبب مشكلتها الخاصة الجنسية الأمريكية أم اليابانية لكن ذنبها أن

كان لها علاقة جنسية مع غريب. وعملياً تضاعف عارها عندما وجدت نفسها حاملاً. وتأكد لها فيما بعد من موت الرجل الذي أحبته حقاً، فجميع هذه المشاكل تجمعت على نانسي في وقت واحد، وكنتيجة فإنها انساقت وراء الحد الذي يمكن لإنسان أن لا يتمكن من حمله.

«بالطبع إنني لا أنوي الدفاع عن الانتحار، لكن ما من أحد يمكن أن ينظر إلى هذه الأحداث المأساوية التي مرت بنانسي والتي شوهت حياتها إلا أن يقول بصدق: لو كنت مكانها فلن يكون أمامي طريقة أخرى تمكنني من التغلب على هذه المشاكل والاستمرارية في الحياة».

«ماذا يمكن أن نأمل أن نتعلم من تجاربها غير الدرس الذي يتضمن ما قاله يسوع المسيح في إنجيل متى «١١: ٢٨ - ٣٠» إذ قال: «جميعكم مثقلون وقلقون وسأعطيكم الراحة. احملوا نيرى على ظهوركم، وتعلموا مني، لأنني كريم ومتواضع القلب وستجدون الراحة لأرواحكم. فمن أجل نيرى هين وحملي خفيف».

«إن كلمات المسيح حقيقية يوشيو ـ مع تعليمات المسيح خلال حياته على الأرض، ولم يقم شيونو يوشيكو بذلك ولا كين هان شيك.

«لكن الآن في عالم الأرواح، مغلفة بحب يسوع المسيح الذي هو نفسه الإله، فكل الأرواح التي تقف هنا قد تجد السلام الحقيقي والسلام الحق.

«إن يوشيو سيجعلك حرة من كل ألم ومعاناة من هذا العالم سريع الزوال».

«الموت ليس نهاية كل شيء. إنه البداية، يرفع فيه الناس إلى عالم الأرواح بعد الموت، وتبدأ حياة جديدة. ويبارك هؤلاء الذين منحوا الإيمان ليصدقوا ذلك خلال حياتهم على الأرض.

في عالم الحياة، بعض الناس يسمع البشارة حول نجاة الجنس البشري».

«في سبيل ذلك، قد يسمع كل الناس الأخبار الجيدة لخلاص الجنس البشري، حيث أمر الإله في رسالة الحواري وكل المؤمنين من خلال الأجيال، العمل باتجاه التبشير بالبشارة».

وسط الأخطار، أدركهم العمل الموحش في إفريقيا والتوغل في آسيا، وفي

الأوساط المبتلية بالجذام وبين الفقراء والمضطهدين، يتبرأ مؤلفو الأناجيل الأربعة هؤلاء والمبشرون من كل شهوة دنيوية وطموح، ويرحلون إلى كل زوايا العالم لنشر الإنجيل.

سأل يوشيو بتردد إلى حد ما: ماذا يحدث للجنين في حالة كهذه؟ أعني منذ أن ماتت نانسي والجنين في رحمها، فهل يسمح بأن يدخل الجنين الحياة أيضاً والأبدية وفي حب وسلام الرب؟».

كان يوشيو يصف في ذهنه تطور عمليه تَكوُّن الجنين في الرحم منذ عملية الإخصاب حتى الشهر الرابع، والتطور الذي كان تماماً موضحاً حديثه بالاستناد إلى علم الأجنة والذي سمعها، عارفاً أن جنين نانسي ايتو قد يأخذ شكل الإنسان في الشهر الرابع، وتعجب يوشيو لما حدث، وإذا كان ذلك الجنين قد مات عملياً، وإذا مات كنتيجة لانتحار والدته.

وعرف يوشيو أيضاً أنه كان بالإمكان القيام بعمليات الإجهاض خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل، وهذا ما كان ينجز للعديد. ماذا يحدث لهذه الأجنة عندما تكون حياتهم القصيرة قد انتهت؟.

أضاف يوشيو:«أرغب أن أتخيل، مثل هذه الأجنة تستمر في النمو في عالم الأرواح أو في السماء، ليصبحوا الشعب الذي ينشأ ليكون إذا سمح له العيش خارج حياتهم على الأرض».

بعد ذلك، فلا يوجد شيء لا يمكن للإله أن يقوم به» ردت روح الأستاذ يوهارا: «كما قلت بالضبط، فهذا ممكن، لكن كقاعدة عامة فالأجنة تدخل عالم الأرواح في رحم أمهاتها. وليس هناك من شك مما تعلمته، ولا يكون دماغ الجنين قد نما تماماً، لهذا، فلا يوجد في الغالب نشاط عقلي في الأشهر الأولى القليلة من النمو.

«ففي حالة نانسي ايتو، على سبيل المثال، يمكنكم أن تتخيلوا، حسبما هو محتمل أن تحمل الجنين خلال فترة الحمل بالكامل، تحمل طفلها إلى عالم الأرواح، ومن ثم، تضم روح الطفل إلى صدرها، لكن كل ذلك لا شيء أكثر من حدودكم، حمل ما حدث دنيوياً، ولكونه إنساناً وعاجز عن تخيل الأشياء في

أية فترة غير ذلك من وجودكم الدنيوي. ونأمل أن تكون هكذا، ونتخيل أنها ستكون هكذا، أولاً وأخيراً، يجب أن تتحققوا بأن هذه الأمور حقائق أبدية في عالمكم - أجل، مثل «أربعة اشهر» أو ستة اشهر، فلا معنى له.

شكراً لشفقة وبركة الرب، فأرواح الأجنة التي تموت قبل أن تتمكن من الولادة، فإنها يسمح لها أن تبقى في سلام أبدي وسرور. هكذا، أقول لكم، في الحياة، صلوا من أجل هذه الأنفس، بالغة الصغر. بالطبع، مع ذلك صلواتكم قبل التكلم معه. لكن فعل الصلاة هو جزء هام من الإيمان والله يسمع ويستحسن الصلوات المقدمة له.

«آه، آه، لقد انتهينا إلى جلسة أخرى من التعلم الشفهي، أليس كذلك؟ يجب الذهاب إلى المنزل الآن، يوشيو، يبدو عليك التعب الشديد، إنني خائف من هذه اللقاءات الأخيرة، معنا ثلاث ليال في الشجار، فقد أنهكناك. ومن المحتمل أن لا يتعارض الوقت الضائع معنا مع دراستك. أيضاً، دعنا ندعوها ليلة».

«شكراً لكم لسماعي بصبر هكذا لقصتي الطويلة نسبياً، هذا ما قالته روح نانسي إلى يوشيو: اذهب واسترح قليلاً الآن، وكن حذراً في طريقك إلى المنزل».

ترك يوشيو غرفة التشريح بهدوء.

خيم الظلام على أشجار الصنوبر الشاهقة المحاذية إلى قصر كيوتو الإمبراطوري على طول شارع تيراماشي وهي تبرز على نحو أسود مقابل ظلام سماء الليل. وكان باستطاعة يوشيو أن يرى نجوماً عديدة من خلال قمم الأغصان، متناثرة بكثافة عبر كامل القبة الزرقاء السماوية، وهي تتلألأ منذ الأزل، ترحل بعيدة عن الأحداث التافهة ـــ والابتهاج والحزن، وحتى الحرب والسلم، تضربه على الأرض.

الفصـل الخـامس

الليلة الرابعة

قصة الطفل المعجزة الذي أُحْبِطَ وعده العظيم بالرغبة الجسدية الشهوانية والإدمان على المسكرات

طفولتي:

اسمي، عندما كنت على قيد الحياة، سوميتا شوغو، ولدت في مدينة فوكو شيياما، في ريف آمادا، مقاطعة كيوتو.

مقارنة مع الحياة العاصفة التي عاشتها الأرواح الثلاث اللواتي سبقتني فإنني عشت حياة غير مُلْفِتَةً للنظر غالباً، وأنني سأخبركم بقصة حياتي بتفاصيلها بمقدار ما يمكن، طبقاً لمطلب روح الأستاذ يوهارا في الليلة الأخيرة.

ولدت عام (١٩٠٧) في فوكوسييما، المدينة التي نشأت فيها، وهي كالقلعة، توسعت حول قلعة فوكوسياما، حيث كان يعيش فيها أكيشي ميتسوهيد في يوم ما من أيام الإقطاع. ولم تكن هناك أية صناعة للحديث عنها. لكن كما تعلمون ربما، كانت مركزاً هاماً للصناعة الزراعية لعدد من القرى الزراعية في المنطقة التي تعتني بتربية دودة القز، وهي تساوي منطقة كيوتو من حيث الأهمية وميسوري وآياب. وكان فوج من الجيش يتمركز هناك منذ عدة عقود، وهذا بالطبع، لا يمكن مقارنته مع فرق البحرية الضخمة في ميزورو، التي أعطت للمدينة طابعاً عسكرياً قوياً. كانت فوكو شيياما أيضاً معروفة بسبب أغانيها ورقصها التقليديين. وعندما كنت شاباً صغيراً، غمر نهر يورا شرق المدينة بشواطئه حيث هطلت أمطار غزيرة.

اصبح البيت الذي ولدت فيه صغيرا وضيقاً، يقع خلف الشارع في منطقة ناغاماسي في مركز فوكيو شيياما.

مات والدي قبل التحاقي بالمدرسة الابتدائية، وهكذا، فإنني أتذكره على نحو مبهم، على الأقل. وكان تاجراً بارعاً في عمله. وبقيت صورته بذهني واضحة، وهو يجلس في الشرفة في الصيف مع الأبواب المنزلقة المفتوحة، وهو يلبس فقط سروالاً تحتياً طويلاً ويشرب الساكي.

كان جيداً في تجارته ويجمع مالاً كافياً من أجل إعالتنا، لكنه كان سكيراً

وينفق مبلغاً كبيراً من المال على الساكي. وهكذا، كان على عائلتنا العيش مقتصدة على الدوام، وعانت والدتي بعد موت والدي، حياة قاسية وأوقاتاً عصيبة. منذ أن أصبح عليها أن تعيل أسرة من أربعة أشخاص من غير مساعدة: أمي وأنا، وأختيَّ الصغيرتين. وكانت والدتي تعمل في مخزن غوفوكوماشي أثناء النهار، الذي يملكه السيد توكودا. وهو تاجر جملة يتعامل بالسكر والحلويات. فكان المخزن يتعامل بتجارة واسعة. يمد المخازن في كل مكان من فوكوسياما وحتى بعضاً من المخازن الأبعد في آياب. وكانت أمي تتلقى مبلغاً بسيطاً من المال مقابل التنظيف وإعداد الوجبات للعمال الآخرين، أو أي عمل روتيني آخر يحتاج إليه البعض. فكانت نوعاً من الخادمة لكل أنواع العمل. يضاف إلى ذلك، كانت تقوم بخياطة الكيمونات ليلاً في المنزل. وهكذا، تدير العمل وتقتصد في الإنفاق.

عندما بلغت سن المدرسة، شرعت بالذهاب إلى المدرسة الابتدائية في فوكوشيياما التي كانت بالقرب من محطة القطار. مع ذلك، كنت اشعر بنوع من الارتباك قائلاً لنفسي، الحقيقة هي الفعالية الأكاديمية أن تكون ممتازة، وبكل وضوح، تفوقي على زملائي في الصف كذلك. فكنت عملياً ممتازاً في علم الحساب ــ مبرزاً في الحقيقة، بحيث أن أستاذي كان مذهولاً أمام قدراتي وبراعتي. وكنت أيضاً أفضل من الأطفال الآخرين في الرياضة. والأول في صفي في الركض والقفز ورمي الطابة.

بالنتيجة، نشرت كلمة عن قدراتي الاستثنائية بين الجوار، وكنت أعتبر طفلاً عبقرياً. من الممكن أنني شعرت بكل هذا الاهتمام، لهذا توصلت لأكون مدركاً لحد ما ذلك. وأتذكر زملاء صفي الأغبياء والبارعين المدهشين بنفسي «فهل كنت أتعلم حتى الأشياء البسيطة مثل ذلك؟».

في تلك الأثناء،يمكن للصبي، بعد التخرج من المدرسة الابتدائية، ان يلتحق بإحدى دورتين، قد يساعدا في أعمال المنزل، ويتعلم تجارة والده، من ثم يضطلع بأعمال العائلة في المستقبل. أو يرسل للعيش والعمل مع عائلة أخرى في حين يتعلم التجارة، ومؤخراً يعمل لذاته. فمن العائلات بمختلف طبقاتها أي طفل يظهر بعضاً من درجة الامكانية للدراسة، كان يرسل للمدرسة المتوسطة

لكن كانت نسبتهم لا تتجاوز ثلث متوسط المتخرجين من الصفوف الابتدائية.

ففي كانون الثاني من العام الذي تخرجت فيه من المدرسة الابتدائية، استدعى المعلم الرئيس المكلف بصفي، والدتي للقائها ونصحها بأن تجد وسيلة بطريقة أو بأخرى، للاستمرار في تعليمي الأساسي. وكانت أمي أكثر من راغبة في متابعة تعليمي، لكنها رفضت حججه المتكررة. على أرضية أن ليس لديها، ببساطة، المال لتدفعه لذلك. وقد ذهبوا ابعد من ذلك، ليقولوا إنه من المرعب ضياع طالب منح موهبة ويبقى مقبوراً في الظلام، وهذا يعني خسارة للمجتمع، لكن لا ترضى أمي أن اصبح محل شفقة من قبل الجميع. وقد حدث أن مالك المخزن الذي كانت تعمل فيه أمي. توكودا جيوزائمون، أصبح معروفاً بأنه دافع الضريبة الأكبر في المدينة، وهكذا، ذهب المدير نفسه وتوسل إليه لدفع نفقاتي المدرسية، على الأقل من اجل خمسة سنوات اللازمة للتخرج من المدرسة المتوسطة.

كان توكودا هذا، الابن الثاني لعائلة عريقة وثرية في تنواشي، وكان من الطبيعي أن تؤول جميع مصادر عائلته إلى الصبي الأول. وهكذا انطلق من لا شيء تقريباً. وقد عانى الكثير من الضيق، لكن في آخر الأمر حقق نجاحاً في عمله، وأصبح المال الشيء الوحيد الذي يعيش من أجله. ومع ذلك، كان له اهتمام بسيط وأثير في أي نوع من عمل خير وخدمة المجتمع، كعصامي وَثَقّفَ نفسه بنفسه، فكان يساهم في الإنفاق من اجل التربية والتعليم وتحسن قدرات شخص موارده شحيحة. والبعض قال إنه كان قاسياً، ولا يستمع إلى أي شخص لا يحقق له فائدة ملائمة ونتائج سريعة.

كان المدير مدركاً جميع هذه الأمور حقاً، وقام بإقناع عضو مجلس المدينة ليقوم بمهمة التوسط في طلبه لدى السيد توكودا. ربما بسبب الطلب الهام والمتواضع الذي جاء من المدير نفسه، الذي كان شخصاً بارزاً في المدينة وناجحاً، فإن السيد توكودا وافق على استعداده الغير متوقع لدفع نفقات المدرسة.

وأقنع مدير المدرسة السيد توكودا أيضاً بأنني سوف لن أكون تحت أي تعهد أو التزام يرد الأموال في المستقبل، وعلى أن أكون حراً في المستقبل دون تأثير من جانبه.

هكذا، تحققت التوقعات العظيمة لمعلميَّ بالنسبة لمستقبلي الأكاديمي. فبعد الانتهاء من المدرسة الابتدائية، أصبحت قادراً على الالتحاق بمدرسة أمادا المتوسطة ذات الأهمية في تانيا.

حصلت على علامات عالية في المدرسة المتوسطة أيضاً، وكنت الأول في الصف دائماً، مع ذلك، فهذا لا يعني أنني كنت أقضي وقتي كله في الدراسة.

بل على العكس، كنت اقضي ساعات بعد الظهر مع زملائي في الصف في لعب البيسبول بسعادة، الرياضة التي كانت معروفة على نطاق واسع في اليابان حتى في الريف

لم يكن لدينا جميع أدوات البيسبول الفاخرة، مثل القفازات للمتلقي، وقفازات اللاعب الذي يقذف الكرة ويردها، والمضارب. وهلم جرا، لكننا كنا نتدبر الأمر لكي نلعب البيسبول بما يتفق مع القواعد المقررة على أرض المدرسة. وكنت على الدوام أقوم بدور الرامي في اللعبة، ولم أكن أستطيع رمي طابة نظامية الانحناء بل واحدة من تلك التي تسقط تماماً قبل أن تصل اللوحة. لكن كان على ضارب الكرة بذل الجهد الكبير في محاولته ليبلغ الطابة السريعة الموجهة بشكل جيد من قبلي. فكانت الطابات التي اقذفها صعبة بالنسبة لطالب المدرسة المتوسطة العادي أن يصطدم بها ويلتقطها، وكنت اضحك في العديد من المرات بيني وبين نفسي مع سرور شديد عندما أندفع بقوة ونشاط ضد ثلاثة ضاربي كرة، في رمية واحدة: ربما، بسبب أنني كنت رياضياً بطبيعتي، كنت ضارب كرة قوي، وكان باستطاعتي أن أصيب رجلاً يركض عندما يقذف الكرة أحد زملاء صفي. وهكذا كان معدلي افضل من الآخرين، منذ أن أصبحت تأديتي بارزة في كل من الدراسة والرياضة، اعترف لي المدرسون في المدرسة المتوسطة أيضاً بتفردي وتفوقي في ذكائي المتوقد وقابليتي الطبيعية، قائلين إن مثل هذا الطالب الاستثنائي يظهر مرة في كل عشر سنوات إذا وجد.

حسن، عندما انقضت خمس سنوات في المدرسة المتوسطة، جاء مدير المدرسة الابتدائية والسيد توكودا لتقديم المساعدة لي ثانية من جديد، ومع توجيه مدير المدرسة نفسها. ورتبا لي درج اسمي في قائمة علوم الأحياء استعداداً لدراسة الطب في مدرسة كانتو العليا وأن أعيش كـ «شوزاي

(SHOSEI)، أعمل من أجل الغرفة و الطعام في بيت فوجياما كاتسومي، خريج كلية أماندا الابن من المدرسة العليا، ومارس المحاماة في طوكيو.

الدراسة في طوكيو

يمكنك أن تجد في تلك الأيام العديد من «الشوزاي» ممن يعيشون في بيوت المحامين. فخلال النهار، يساعدون المحسنين إليهم ويتعلمون القانون، وذلك بالانتباه لما يقومون به في العمل. وفي الليل يحضرون صفوف المساء في جامعة خاصة. ويحلمون في كل الفترة بأن يخضعوا لفحص مهنة المحاماة في يوم ما، ليصبحوا محامين، لكن في حالتي. فمنذ أن بدأت بأخذ دورات نظامية في إدارة علوم الأحياء في المدرسة العليا الحكومية وأحضر الدراسة خلال النهار. فإنني كنت أقوم بالعمل بجهد كأي عمل متوقع عادة لشوزاي. في الحقيقة، كنت أعمل أكثر قليلاً مما أنام في الغرفة المخصصة لي وأقوم على خدمة الصفوف في المدرسة. لقد كان هذا التدبير مناسباً لي. وكان ممكناً وحده وناتج عن هبة السيد فوجيياما.

كان السيد فوجيياما محامياً بارزاً ذو سمعة حسنة على نطاق واسع، وكان لديه العديد من الزبائن، هكذا، بالإضافة إلى العبء المالي في ميزانية البيت فإن دعم واحداً أو اثنين من (الشوزاي) هو مجرد قطرة في دلو، وهي لا تشكل عبئاً عليه. وبدنياً، كان رجلاً ضخماً، مهذباً، وظهور جليل مهيب، وطريقة هادئة تذكر بالمفكرين الصينيين العظام من العصور الماضية.

على الرغم من كرم السيد فوجيياما، فإنني اغتظت نتيجة العبء الجسدي بسبب اعتمادي عليه. فبعد العودة من المدرسة الثانوية فإنني لم أقصر في قضاء بعض الوقت في كنس المدخل وتنظيف أو ترتيب مكتبه، وهو جهد من اجل التخفيف من شعوري والتزامي له بمقدار ما أستطيع.

بانتظار المدرسة الثانوية في تلك الأيام، يعني عادة العيش بعيداً عن المنزل في مهجع مدرسي، وكان ذلك يعتبر امتيازاً. وغالباً ما كان للطلاب حفلات سمر هناك، ويمكنه المشاركة بحرية في لعب خشن صاخب، مما يعطيهم حظاً في العربدة في شبابهم، ويقوي أيضاً من روابط الصداقة. ويلبس معظم الطلاب في

المدرسة الثانوية، بشكل عام، لباساً مدرسياً موحداً من الأسمال البالية، وقلنسوة بشعة مشوهة وطماقاً مع رداء خارجي بلا كمين، يطرح على الكتفين، وكاب قصير في الشتاء، فكان هذا الملبس مخصصاً لمجرد زرع روح الصرامة والرجولة فيهم. ولهذا كان ينظر إليهم باعتداد بالنفس، لكن دون تأثير كبير. كنت أقيم في مدرسة كانتو الثانوية، التي تقع وسط مدينة كبيرة، طوكيو، وكان لها ميزة وحيدة. أعني عدداً هاماً من الطلاب يقومون برحلات إلى المدرسة كل يوم من منازلهم، أو من بيوت الطلاب الجانبية. وهكذا، كان عدد قليل يعيش في مهجع المدرسة. علاوة على ذلك، كان ما يثير الانتباه، مظهر الطلاب الشخصي الكامل تماماً، من رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم، ملابس مدنية مبهرجة. فكان لهم مظهر جنتلماني تماماً. وبالطبع كانوا يلبسون أحذية بدون طماق. وعلى النقيض من متوسط طلاب المدارس الثانوية الأخرى، ممن لا يبالون بمظهرهم الشخصي. في حين كان الطلاب في مدرستي يفاخرون بأنفسهم وبمظهرهم الرشيق.

كان السيد فوجيياما في باكورة الخمسين من عمره، وله طاقة استثنائية.فهو يضطلع بكل حالة جديدة ويؤديها بكل حزم، وبهذا كنت اقدر أن له دخل ضخم، لكن، يجب القول حقاً: «الرجال العظام عرضة للجذب النسوي» فكان له سمعة مغازلة النساء، ومع ذلك، فإنني لم أكن ألاحظ أي شيء غير عادي، عندما بدأت العيش في البداية في منزله، وتحققت بعدئذ، أن شيئاً ما مثيراً للاشمئزاز حقاً، كان يجري.

كانت تعيش معه، زوجته الشرعية سوزويو، واختها الصغرى شيو، وكان للسيد فوجوياما علاقات جنسية، مع الاثنتين. في البداية، لم أكن أصدق ذلك ـــ أن تنام أختان مع الرجل نفسه تحت السقف نفسه ـ لكن هذا ما كان يجري، تماماً أمام عيني. فقد كنت لا أزال مجرد غر في هذا العالم، وساذجاً تماماً حقاً. مع ذلك، أصبحت مُطّلِعاً على هذا الوضع، غير المألوف بعد فترة، في منزل فوجيياما.

إن الذي حيرني غالباً، مع ذلك، شعور الغيرة أو الضغينة بين الأخت الكبرى سوزو يو والصغرى شيو، ليس ظاهراً على الأقل. مع ذلك، فإنني لم

أستطع بالطبع أن أتحزر على تفكيرهن الخاص وشعورهن، فكلتاهن تظهر الانسجام التام مع المحامي.

فلم تبذل المرأتان ولا السيد فوجوياما أي جهود خاصة له بإخفاء علاقاتهن غير العادية. الحقيقة، ربما، أن هؤلاء لم يستطيعوا إخفاء تلك العلاقة عنا نحن (السوزاي). والمطبخ يساعد على كشف ذلك حتى إذا لم يريدوا ذلك. لكن كانوا على الدوام صريحين ومنفتحين تجاه خدم أصحاب البيت. فكان لدينا جميعاً تعليمات بإطاعة توجيهات كل من الزوجة وأختها الصغرى كما هو الحال بالنسبة للسيد فوجوياما.

عندما يقوم السيد فوجوياما بإحدى رحلاته إلى كيوتو، مسقط رأسه أو جزء آخر من البلاد، فالمرأتان بدورهن يرافقنه.

وعندما يكون هو وإحدى النسوة بعيداً، من الممكن أن يكون لنا خيالنا بأن نَتَوَهَّمْ بأن باستطاعتنا أن نكتشف شيئاً من الإثارة في الأخرى التي يتركها وراءه، لكن كان غريباً أن لا تشعر بالغيرة مطلقاً. عندما كانت سوزويو في الخامسة والأربعين من العمل، كانت شيو في الثامنة والثلاثين. وكانتا جميلتين، بطريقتين مختلفتين، لكن العمر يقرر في هذه الحالة. وكان جمال الأخت الكبرى ملون تلويناً خفيفاً، بتأثير العمر. في حين أن وجه الأخت الصغرى وشكلها، يعطيان الانطباع، وكأنها متخرجة من المدرسة الثانوية للبنات النظامية في ياموتو. وشيو، متخرجة من المدرسة الثانوية للنساء في بيداباشي النظامية. وقامت كل واحدة منهن بأعمال التدريس خلال فترة ما. وكانت الأختان مثقفتان على نحو رفيع. وثقافة النساء في تلك الحقبة أمراً مهماً. لكن بقيت جذورهن الاجتماعية المتميزة ومآثرهن مبهمة بالنسبة لي ، لكن لماذا تريد مثل هذه النسوة الذكية الاستمرار في العيش في مثل هذا الوضع الفريد الممكن افتراضه من الوسط المحيط. وقد خمنت أنه كان أحد أسرار العلاقات بين الغريزة الجنسية. ولم أتمكن من تمالك نفسي من التفكير: أنه كان من غير الطبيعي، أن لا هذه ولا تلك من المرأتين أن تلد طفلاً. لكن يبدو أنهن لم يحملن على نحو أكيد بأطفال، ومن الممكن أن بذلك العمل قد دلتا على طريقة بارعة للاستمرار في علاقة ثلاثية مع السيد فوجوياما.

لقد كان ذلك الحدث خلال العطلة الصيفية من سنتي الثالثة في المدرسة الثانوية، والذي غير من مقدرتي على بشكل غريب. لقد كنت شوساي بالنسبة لمالكي بيت فوجييام منذ سنتين ونصف تقريباً.

وحتى خلال الانقطاع عن المدرسة، فإنني لا أعود لمنزلي، بل كنت ــ كرد لجميل فوجييام ــ اعمل بالقيام بتجديد نشاط وتنظيف الأمكنة التي كانت أيضاً محل عمل وقتاً طويلاً خلال السنة الدراسية، وإعادة ترتيب وثائق المكتب، وأحياناً القيام بنسخ أوراق قضائية سابقة له. ومن الطبيعي فإنني كنت أقوم بالترحيب بالزبائن، وتقديمهم إلى مكتب السيد فوجييام وتقديم الشاي لهم أثناء استشاراتهم.

لقد كان تبدلاً في نسبة التقدم بالنسبة لي، فقد استمتعت في أيام الصيف ذلك، قبل أيام قليلة من العطلة بتاريخ الـ (١٠) من آب كما اذكر، عندما ذهب السيد فوجييام إلى كيوتو لمدة أسبوع تقريباً من اجل استجواب شاهد في حالة ذات علاقة بالقدم. وقد رافقته زوجته سوزويو كسكرتيرة له ومستخدمة لتؤدي مختلف المهام الشخصية.

إغراءات جنسية:

تلك الليلة، كنت قد انتهيت من واجباتي المنزلية الروتينية بالنسبة لذلك اليوم، وما كدت أهدأ على طاولة القراءة في غرفتي لأقرأ إعلاناً لطبعة لأدب ألماني، حيث تدخل فجأة شيو غرفتي .

«سوميتا، لقد أعددت لك فنجاناً من الشاي. وأحضرت بعضاً من حلوى الصويا، تلقيناها من أحد الزبائن».

كان يوجد في منزل السيد فوجييام خط واضح المعالم دائماً للحدود بين أعضاء العائلة والمساعدين بالأجرة، وكان المنزل محدد بمثل هذه الطريقة من أجل حفظ كل شخص في مكانه المخصص. حتى تلك اللحظة، كنت لا شيء، بل طالب فقير من البلاد، يعمل هنا وهناك في البيت مقابل إقامتي كـ (شوسي)، متواضع لا يستحق أن يعامل بمساواة مع أفراد عائلة محام في طوكيو مشهور. أقول ذلك، لدخول شيو غير المسبق إلى غرفتي والذي أذهلني، ولن اذكر نصف ما حدث.

لأكون متأكداً ،لم تبد شيو مطلقاً برودة أو طريقة ما تشعرني بالتفوق تجاهي علناً. لكن في الوقت نفسه، يمكن أن يقال عن أختها الكبرى، سوزويو. في مواقفهن نحوي، وكذلك مع اثنين من الشوزي، من المساعدين لأصحاب المنزل، كانوا على الدوام من أجل حاجتهم لوقت أفضل، يعاملوننا عملياً المعاملة نفسها لكل منا.

لماذا.... أوه... شكراً... إنني أتلعثم.

فقدت رباطة جأشي بالكامل، وبدأت القيام بعمل كالمجنون من تلقاء نفسي: إنني صدمت، وحالتي العصبية قادتني إلى صدم المقعد بمرفقي عدة مرات، عندما وقع قلمي الحبر، وعندما انحنيت لألتقطه، صدمت رأسي بقوة في زاوية المقعد. لقد شعرت بالخزي وشعرت بوجهي يتوهج كالشوندر الأحمر .وما أغاظني أكثر، وسبب لوجنتي احتراقاً أكثر بدوره واحمراراً ، يجب أن يكون إيماءة ما.

ماي، ماي، أنني أبدو بأنني أجفلتك، ماذا كنت تقرأ؟ ووصلت شيو إلى ورائي لتناول الكتاب من على الطاولة، وعندما قامت بذلك تماماً، فان صدرها مر قبالة وجهي للحظة سريعة. واستطعت أن أشم رائحة عطرها النسائي، هكذا، من خلال القطن الرقيق الذي يلف كيمونها بعد الحمام، على نحو مهمل، وعلى نحو عاطفي.

«إنه، إنه محنة وورثر الشاب للكاتب غوته» انعقد لساني في حلقي في آخر الأمر، عند محاولة الرد. واصبح قلبي يدق كالمطرقة مع ذهولي من حضورها إلى غرفتي واثر عطرها علي. قد لا تصدقوا ما قامت به فيما بعد.

تناولت وجهي بين يديها دون تحذير ووضعت شفتيها على شفتي. انتقلت رؤوس أصابعها برقة إلى وسط جسمي..

ووصلت فوق.. وبيد أخرى، أطفأت النور من على المقعد، وتشقلبنا على أرض الغرفة....تكفلت بكل شيء من البداية حتى النهاية.

لم اكن أحلم مطلقاً أن افقد عذريتي هكذا، بهذه السهولة وبهذه السرعة من الإنجاز.

«يا للصبي الحلو» تمتمت، ليس لي، لكن لنفسها، عندما فتحت عينيها

الكبيرتين الواسعتين، حدقت بي على نحو مركز، ووصلت شفتيها بغير إتقان وبلطف وسقطت على شفتي مع بسمة إغراء متوجة بالجمال، ولاحظت أسنان بيضاء كالثلج من ثم وضعت سبابتها اليمنى على نحو عابث على شفتيها، وهي تومئ، شي، شي، شي، .. ونهضت وزلقت الباب المفتوح، وعادت بهدوء اكثر مما دخلت.

حتى تلك الليلة. كانت لا شيء بالنسبة لي، سيدة من سيدات البيت، أحد ما، بمستوى اجتماعي مرتفع عني. ولم أفكر للحظة بها كامرأة لإرضاء شهوتي. لكن الآن، بفضل تلك اللحظات القليلة من الرغبة الجنسية، تأججت غريزتي، وصورة وجهها لا تفارق خيالي عندما غادرت غرفتي. رؤى مغرية غزت منها دماغي، وان إهتياجي سوف لن يخمد. تمددت أحدق في السقف، عاجزاً عن كبح جماح أفكاري المضطربة، وإنني لن أستطيع الحصول على سنة من النوم تلك الليلة. وسألت نفسي تكراراً: «لماذا اختارتني شيو لتسلمني نفسها؟ ولماذا جاءت إلى غرفتي وليس لغرفة واحد من الاثنين الآخرين من الشوسي؟.

كانسان غر مثلي، كنت في مواجهة التعقيدات في العلاقات ذكر ــ انثى. وبرغم ذلك، بدا لي أنه يجب ان تكون غيورة على الرغم من كل شيء، قد يكون السبب ان السيد فوجيياما قد اخذ معه أختها الكبرى سوزويو في الرحلة، ولهذا جاءت إلي انتقاماً منه.

من وجهة نظر حاجتها كامرأة، من المؤكد، أنها تندفع إلي بسبب الإحباط الجنسي، حسبما هو محتمل، لأنها لم تستطع الحصول على أكثر من نصف تأثير الحالة الجسدية مع السيد فوجيياما. مع أنها امرأة طبيعية وهي في الثلاثينات من عمرها، مع شهية جنسية عادية وبالصحة التامة.

على الرغم من تظاهر سوزويو وشيو بمظهر الهدوء والرضا وبالعيش سوية في ظروف جيدة تحت السقف نفسه في هذا المنزل في كنف السيد فوجييامـا. ولم تبديا الغيرة بينهن. بعد كل ذلك، ما هو الذي يبقى محبباً بعيداً عن كل ذلك؟.

في هذه النقطة، وخلال التأمل أثناء ليلتي الطويلة، تذكرت مشهداً جديراً بالذكر في مسرحية كابوكي المشهورة، التي تتمدد فيها أفاع ــ تجسيداً للغيرة

نفسها ـ ملفوفة في أعلى رأس امرأتين متنافستين من أجل حب، رجل واحد.

حسن، بعد اللقاء الأول، أصبحنا شيو وأنا مفعمين بالرغبة الجنسية الشبقة الواحد للآخر. وكان هيامنا متطرفاً ويتعذر التحكم فيه، بقدر الماء المتدفق من خلال سد متفجر.

لقد استسلمت نفوسنا للمذات الجسد واستمتعنا كل واحد إلى ابعد حد حصلنا عليه. بلغت العشرين في ذلك الوقت، وكنت مليئاً بالنشاط من غير ريب، وتلاءم ذلك بشكل ممتاز لإرضاء رغباتها الشهوانية. وبالرغم من كل شيء، ومهما كان السيد فوجيياما قوياً وذكورياً بالنسبة لعمره، فلديه حدود في أدائه الجنسي وما يمكن توقعه من رجل تجاوز متوسط مرحلة حياته وبالتأكيد لا يمكن مقارنة أداءه الجنسي مع رجل شاب مثلي .

كانت شيو سريعة الاهتياج في فاتحتها الجنسية. فكانت تتسلل إلى غرفتي كل ليلة غالباً بحثاً عن إحداث الإشباع الجنسي.

وحتى بعد عودة السيد فوجيياما وسوزويو من رحلتهما إلى كيوتو، استمر باب غرفتي بالفتح بنعومة في منتصف الليل، على الرغم من أنني لم أعرف مطلقاً كيف تتدبر شيو أمر نومها ببراعة بعيداً عن مكان نومها بجانبيهما. وأتمدد في كل ليلة يقظاً في حالة ترقب، منتظراً ذلك الصوت اللطيف عند الباب الذي يعلمني أن انتظاري الانفعالي قد انتهى.

بدت يقظة شهوانيتي كأنها شلت عقلي ووعيي وحتى خوفي من افتضاح أمري.

انتهت العطلة الصيفية، ومع بداية فصل مدرسي جديد. كانت تنتظرني الدراسات الفصلية والستة أشهر الأخيرة من السنة الثالثة والنهائية للدراسة الثانوية، وكانت هامة جداً، وكنت متخصصاً في العلوم الحيوية المعادل آنذاك للدراسة التحضيرية لدراسة الطب. ومنذ اليوم الذي دخلت فيه المدرسة الثانوية، فإنني قد وضعت نصب عيني دراسة الطب في جامعة طوكيو. وبالمحافظة على هذا الهدف، فإنني حافظت على سجل أكاديمي ممتاز.

مع ذلك، بعد أن بدأ ذلك الصيف، انخفضت حماسي للدراسة جذرياً عندما

بدأت صداقتي مع شيو ، وأقول الحقيقة حتى أنني أصبحت غير واثق من امكانيتي على تركيز قواي وذاكرتي وفكري التحليلي، والتي تبلدت.

من الطبيعي أن تعاني كفاءتي الأكاديمية، وانخفضت علاماتي المدرسية التي كانت من قبل في القمة في صفي تقريباً إلى النصف وتعثرت من ثم، إلى درجة أدنى. ولم يعرف مرشدي في هيئة التدريس السبب في ذلك. وعندما اقترب وقت الفحص لدخول الجامعة، أخبراني بسبب مستواي المنخفض ووجها لي ملاحظة باجتياز فحص الدخول لمدرسة الطب في جامعة طوكيو. لكن، مثل ذلك القرار، ليس الكلمة الأخيرة فيما يتعلق بقبولي، وأصبحت حراً بالإلتحاق بالامتحان. فقد قام بعض الطلاب الذين أخفقوا في محاولاتهم الأولى في اجتياز الفحص بعد الدراسة الثانوية، بالدراسة سنة أخرى، وحاولوا من جديد في السنة التالية. لكن ذلك السبيل لم يكن مفتوحاً أمامي. إلا إذا أصبحت مدعوماً بدراستي من قبل المحسنين الذين يثقون بي كوني أملك ذكاء متفوقاً واستحق ثقافة عالية، وسوف لن يسمح لي مطلقاً منذ انحطاطي لرغباتي وشهواتي.

يمكن أن يكون أمامي حظ في اجتياز فحص الدخول إلى مدرسة الطب لبعض الجامعات الأخرى غير جامعة طوكيو، لكن ذلك، كان أيضاً خارج السؤال منذ اعتمادي على السيد فوجياما من أجل غرفتي وطعامي، ولهذا، فلا أستطيع مغادرة طوكيو.

لقد أصبحت في الأصل محرضاً على دراسة الطب، ليس بسبب تقليد طبي في عائلتي، أو بسبب رغبتي، بل بإقرار بالرأي العام في ذلك الوقت أن الطالب الموهوب يجب أن يصبح دكتوراً. ويقتضي مثل هذا الأمر أربع سنوات للتخرج من مدرسة الطب، أي سنة أطول من الفروع الأخرى في الدراسة الجامعية. وبعد التخرج على المتخرج العمل عدة سنوات بدون راتب. عندما شرعت بالتفكير في هذه الأمور ببطء وبثقة، بدأت اشك باستصواب الاستمرار في التعليم لدراسة الطب.

علم الخيول

كوني تخليت عن فكرة الدخول إلى مدرسة الطب، قررت الدخول في فحص اختصاص آخر في العلوم الطبيعية. من فئة جامعة طوكيو، ويتطلب خلفية في العلوم. أعني فرع علوم مدرسة الزراعة، فئة العلوم الحيوانية، حيث أصبحت معداً لهذا الاختصاص في علم الخيول.

كانت اليابان قد ركبتها موجة سياسية قومية للازدهار الاقتصادي والقوة وتحسين الخيول على وجه التخصيص وزيادة قدرة الاستيلاد حتى الحد الأقصى، لتصبح أداة وصل لسلسلة مشاريع تهدف إلى زيادة القوة القومية. وكان يجري الحديث كثيراً عن الموضوع بسبب الإلحاح والخطورة التي كان ينظر إليها كمشروع قومي هام.

كان هذا الحقل من الدراسة يجذب العديد من الاهتمامات بسبب المساهمات القومية في النقل الصناعي من منطقة لم تكن فيها السيارات منتشرة بشكل واسع من حيث الاستخدام من أجل العمل في الزراعة التي لم تكن مُمَكْنَنَة حتى ذلك الوقت، علاوة على الأهمية المباشرة للخيل لإقامة علاقة مع مجال تحسين الخيول المستخدمة من قبل الجيش الإمبراطوري. وكان الفرد يستطيع أن يتحدث عن العمل من أجل استيلاد الخيول ليصبح افضل ملائمة لخدمة الجنس البشري، ثم أصبح ينظر إليه كمهمة قومية.

وجدت أن المحاضرات وصفوف التدريب العملي في علم الخيول تخدم حقاً المصلحة القومية. مع ذلك، فلو أنك ذكرت أمام رجل عادي في الشارع وليس لديه فكرة عما تدرس بأنك طالب في علم الخيول، وعلى نحو لا يمكن إنكاره، بأنه حقل دراسة غير عادي، إلى حد أن الاشارة إليها، حتى أمام شخص حسن الثقافة، قد يهز رأسه إلى الجانب، كما أنه يندهش لما تقول، فيما كان هناك حقاً ميدان لتعليم علم الخيول.

برغم ذلك، فالحصان قد لعب دوراً في تاريخ الجنس البشري منذ الأيام المعنة في القدم، وهكذا، فعلم الخيول قد تأسس على نحو راسخ كصنف من فروع التخصص الأكاديمي. وكان اليابان يأتي بعيداً في اللائحة، مقارنة مع

الشعوب الأخرى في العالم، وتقدم ببطء في علم الخيول بالإضافة إلى العلوم الأخرى.

فالحصان قد ظهر للمرة الأولى في تاريخ الانسان كغنيمة للصيادين البدائيين في عهد طوفان نوح، فمن الغرائب ومن الأشياء التي تدل على براعة الإنسان في المدن القديمة في حضارة ما بين النهرين ـ دجلة والفرات ـ فإننا نعلم أن تلك الحضارة كانت قبل (٣٠٠٠) سنة قبل ميلاد المسيح، فكان الرجال يربون الخيول ويستولدونها.

كرس الجنس البشري طاقة كبيرة من أجل أن يستولد صنفاً من الخيول ملائمة لغرض معين أو طراز للعمل بطريقة انتقائية بتزاوج إمكانيات متميزة ومختلفة ـ على سبيل المثال تزاوج خيول سريعة في الجري مع خيول ذات مقدرة قوية على الجر، خيول ذات نزعة عدوانية مع خيول ذات طبيعة هادئة ـ من أجل الوصول إلى نسل فيه الرغبة باتحاد المهارات المطلوبة، ولإعطاء مثال عما ترغب من إحدى الاحتمالات التي سمعت بها، أستطيع ذكر الحصان الإنجليزي ـ العربي الذي يرجع في أصله إلى تزاوج حصان عربي مع فرس إنجليزي ـ نورماندي، ذو الأصل من تزاوج مع حصان ركوب أو جر.

كان في الجيش الإمبراطوري إدارة من أجل الوصول إلى أفضل خيول تتصف بميزات عالية للاستخدام في فرق المدفعية الخيالة وفي فرق النقل العسكري، أو هكذا.

بالطبع، سارت الأمور، دون القول أن خط دراستي كان شاملاً ويشمل كل شيء عن التطور الفيزيولوجي، وعلم تشريح الحصان وأمراض الخيل ومعالجتها.

ولكوني أرجع في أصولي إلى قرية صغيرة من قرى فوكوشياما خصوصاً، كنت أحلم عندئذ أن أكون قادراً على خدمة الجنس البشري وذلك بأن أصبح دكتوراً في الطب، وبهذا أجعل لنفسي اسماً، وإنني لا أستطيع أن أحرر نفسي بالكامل من ذلك الطموح الباقي في الذهن، وألقي بنفسي بإخلاص في هذا المجال من الدراسة في علوم الخيول، لكنني كنت برغم كل شيء الشخص الوحيد من فوكوشيياما في وقت مضى الازم

جامعة طوكيو الكبرى. وكنت فخوراً بذلك الإنجاز على الأقل. وكان أي معدل لدراسة علم الخيول ممتعاً حقاً بالنسبة لي ومحل مكافأة.

وهكذا، تواصل كل شيء في حياتي كما في السابق، خلال سنتي الأولى في الجامعة، فسمح لي السيد فوجيياما بالإقامة في بيته، وكنت ألازم الدروس خلال النهار، وتأتي شيو لغرفتي كل ليلة غالباً.

في سنتي الثانية من الدراسة، شرعت في عمليات التمهيد والمشاركة مع الطلاب الزملاء في البحوث المخبرية في الجامعة. وبدأت أحصل على أعمال ودروس خصوصية لطلاب السنة الأخيرة في المدرسة المتوسطة ممن كانوا يأملون بالحصول على علامات، تؤهلهم الدخول إلى الثانوية أو الكلية أو دورات إعدادية للجامعة. شعرت أن كل شيء اصبح ممكناً، وأردت أن أصبح معتمداً على نفسي والاستغناء عن السيد فوجيياما. وهكذا، قمت بعمل حاسم بعزم وتصميم وأخبرته أنني لم أعد بحاجة إلى مساعدته المالية .

قمت بذلك، ومن الطبيعي، بعد بحث الموضوع مع شيو، بكل ما في الكلمة من معنى. فكلانا تَحملَ جهداً ليضمن أن لا يفضح سر أمرنا المحترم، أو أن يلاحظه أحد من أصحاب البيت. وشعرنا أننا سنكون آمنين مع الزمن، لكن المزاج النفسي لكل ذلك قد دفعنا قريباً من نقطة الانفجار.

وافقت شيو، واعتبرت انتقالي فكرة جيدة، من ثم شغلت نفسها بالبحث عن مكان لي للعيش فيه، وقررت أن يكون في شقق أو شيكوشي إلى اليمين التالي من سكة حديد خط القطار الكهربائي القومي، بالقرب من محطة كانو. وألحت أن تدفع الأجر عندما وافقنا على استئجار شقة هناك، وأعلمتني أنها تزورني في الشقة في كل مرة يسمح لها الوقت.

أستطيع أن افهم موقف شيو. لكن قلت قد تصبح مواعيد لقاءاتنا، من الضروري، اقل الآن عما كانت عليه من قبل، وربما أنها أرادت أن يكون لنا مكان نستطيع فيه تمضية الوقت سوية، نحن الاثنين دون قلق من أن يزعجنا أحد، وبدلاً من الركض وراء ما يمكن أن يكون حظاً عظيماً للاستمرار في موضوع علاقتنا في منزل السيد فوجيياما، أمام عينه مباشرة كما كنا.

فعندما كانت تأتي إلى الشقة مرة في كل أسبوع، أصبحت منطلقة إلى درجة لم أرها من قبل، وربما كان سبب موافقتها على الرحيل، وأخذت تمارس ملذاتها الجنسية بصورة بهيمية غالباً، وشعرت أنها أصبحت حرة للتعبير عن عمق كامل لرغباتها الجنسية، وأحسب ذلك، بعد أن صارت بعيدة عن عيون المتطفلين من ساكني بيت صهرها. ولما كنت صغيراً، ولم يكن لدي خبرة مع نساء أخريات، وجدتها مطلقة العنان وسلوكها إلى حد مربك، وحتى مُنَفِّرة أحياناً.

تعلمت الولع بتذوق الساكي خلال سنواتي الثلاث في الجامعة. وشرعت بالشرب في مناسبات خاصة في المدرسة وفي الحفلات وما أشبه ذلك. لكن قررت الامتناع عن الشرب عاجلاً، أو تناول كمية قليلة وتناول وجبات طعام مختصرة في أحد الإسطبلات، العديدة أو في بعض مشارب الملاهي الرخيصة في طريقي عند العودة لشقتي من الحمامات العمومية المجاورة.

كانت كلفة مثل تلك الإسطبلات برغم كل شيء من خمسة إلى ستة سن لوجية رخيصة من الطون الأحمر من الحبار أو السَّقِلّة. وهكذا، يستطيع شخص في مستواي يكسب معيشته بالعمل جزئياً كمعلم خصوصي أن يحصل على ما يأكله هناك.

وكان شارع كامل ليس بعيداً عن محطة ناكانو، يشكل صفوفاً من الملاهي الوضيعة الرخيصة تقدم الشراب، وكنتيجة لذلك، فقد ازداد استهلاكي للكحول باضطراد، ومن يعرف، ربما أنني استسلمت هكذا، وأصبحت مستعداً لإغراءات الكحول بسبب دم والدي المدمن على الخمر والميت منذ زمن طويل، والتي تجري في عروقي.

لكن، ما هو اكثر من ذلك، والذي اقدم الشكر له، الرغبة بالهرب التي كانت تقودني للشرب. وكما ترون، كوني كنت مصنفاً كطفل عبقري، وقد صدقت ذلك من كل قلبي، وكان أن تصورت تفوقي العقلي. لكن، منذ أن شرعت النوم مع شيو، انخفض مستوى إنتاجي الأكاديمي وكرست نفسي للشهوة الجنسية لدرجة أصبحت بسببها خططي المهنية تافهة، إنني على يقين أنهم جميعاً على اطلاع على المثل الشعبي القائل «في العاشرة طفل أعجوبة وفي

الخامسة عشر يافع موهوب، وفوق العشرين، رجل عادي بالضبط» حسن، إنني أنا من كان طفلاً أعجوبة واصبح الآن ليس حتى رجلاً عادياً تماماً، بل اصبح خاضعاً ومنحطاً بالشهوانية حتى درجة تافهة، وكان ذلك ابعد سوءاً من طفل لم يستطع ببساطة أن يكبر ليصل إلى طاقته. وتعذب بالندم إلى درجة سحيقة من حياته بين الأحلام المحطمة. إنني أفكر بالسبب الحقيقي في عادة الشرب وكان ذلك تلبداً لضميري وهكذا لأهرب ـ فقط على نحو مؤقت ـ من الألم الذي يقضم قلبي.

في غضون ذلك، أنهيت الدراسة الجامعية، وتخرجت، ووجدت مكاناً للعمل.

الخدمة المدنية في وزارة الزراعة وعلم الحراجة

كما ذكرت من قبل، كانت علاماتي جيدة نسبياً على نحو استثنائي، ومن الممكن أن يثنى على جهودي مرة ما، بصورة عامة كطفل عبقري، لكنني أصبحت الآن شخصاً عادياً. فلم توحِ ملكاتي العقلية المرشدة بملازمة الجامعة أثناء الدراسة للتخرج. وهكذا، استلمت عملاً في الخدمة المدنية في وزارة الزراعة وعلم الحراجة.

اصبح وقتي الحر محدوداً منذ بدأت العمل في الوزارة. وكانت توجد إمكانية أيضاً أستطيع فيها أن أرسل خارج المدينة في رحلات عمل أو حتى نقلي إلى موقع آخر. وعندما تحققت شيو أنه أصبح بالإمكان انفصالنا، صارت شهوتها الجنسية اكثر شبقاً عما كانت عليه من قبل، حتى درجة الجنون. واستمرت بالمجيء لرؤيتي بصورة منتظمة مرة في الأسبوع إلى شقتي في أوشيكوشي التي وجدتها من أجلي عندما كنت لا أزال في الجامعة.

لم أكن أعرف ما هي الحجة التي كانت تستخدمها عندما كانت تغادر منزل السيد فوجيياما كل أسبوع للمجيء إلى شقتي. وكلما سألتها تصدني على سؤالي ليس غير، مع مزاح بقولها: (هذا شغلي).

كنت أقضي معظم وقتي على طاولة عملي بالنسبة للسنتين الأوليتين، في وزارة الزراعة والحراج، وكنت أرسل خارج المكتب فقط لأعمال محلية من

اجل الأرض المخصصة للخيول كعمل حكومي في ضواحي طوكيو. ونقلت إلى مزرعة الخيل الحكومية في هيشينوشي في ولاية ألوموري في وقت ما.

كان عليّ تهدئة شيو عندما أعلمتها بالخبر، لكن بعد ذلك، لم يوجد حقاً أي شيء سوانا فوق ذلك يستطيع القيام بالعمل، وصارت في آخر الأمر راضية عن رحيلي.

وصلت إلى مركزي الجديد في اليوم المحدد. وكانت مزرعة خيل للإستيلاد واسعة الأرجاء تزرع بالكلأ وأرض للرعي. فكانت ضخمة، بحيث كانت ممتلكات المزرعة ومستخدمي الوزارة للعمل عدداً صغيراً، ويستخدمون عربة سكة حديد تجر من قبل حصان وحيد على مدى السكة التي تمر عبر المزرعة وترحل جيئة وذهاباً بين المدينة الصغيرة هيشينو والمنطقة التي كان يقع فيها مكتب المزرعة وأحياء المعيشة. وذهلت برؤية مثل هذه المساحة الأرضية في اليابان.

هنا، كان المشروع العظيم لتحسين الخيول اليابانية وإدارته. وكانت المساحة الواسعة، تشكل كل خمسة أو ستة منها، مقسم مزرعة مع اصطبلاتها خاصة. فكان يوجد أقسام مختلفة من اجل أصناف مختلفة من الخيول: فحول للإستيلاد. أفراس حوامل، أمهار حولية، وأخرى منها ذوات السنتين.

زُوِّدَتْ المزرعة ببيت يقع إلى جانب الطريق محاط بشجر الصنوبر، وتحيطه مساحات مفتوحة من الخارج. وله شكل الطراز الغربي،لكن في الداخل على الطراز الياباني . وكان المقر أكبر بكثير للعزاب أمثالي.

وهناك مقرات سكن العمال الآخرون المزودين للسكن مبعثرين حول الطريق. هنا وهناك، ووراءهم وإلى الأسفل من الطريق يقع مبنى النادي من أجل استخدام أصحاب الوظائف العالية من عمال الوزارة. وهناك بإمكاني تناول وجباتي. وتناول الشراب في الليل والاجتماع مع زملائي في العمل. لقد كان الأمر مريحاً حقاً، فيه مكان للاستجمام لنا الرجال العزاب المقيمين هناك.

كنا نطلق على النادي اسم نادي الجالون. فبعد الاستيلاد المشهور في مزرعة الخيل للإستيلاد التي ساهمت مساهمة كبيرة من أجل تحسين الخيول

اليابانية. فكان الجالون كقطعة جميلة من اجل خيل الركوب أو السباق والتي كانت غالباً قد تحدرت من العروق الجيدة من الخيول التي جلبت إلى اليابان في ذلك الحسين.

لقد هيأت لي الحياة في المزرعة ارتياحاً لكوني أصبحت حراً من صورة مظلمة للورطة الماكرة مع شيو. وكان الوقت الذي قضيته هناك ساراً حقاً. وأصبحت خالياً من الهموم وجذلاً بحيث أنني لم يكن لي خيار في الماضي قبل سنوات عديدة. وكنت مسروراً اكثر من أي شيء من أنني أصبحت بعيداً عن مراقبة عيون شيو التي أبعدتني نتيجة الغيرة، عن ذكر أي شيء اعمله في حياتي في المكتب في طوكيو، على نحو خاص، والتعامل مع نساء أخريات، حتى إذا كن لا شيء، وإن كان الأمر طبيعياً لمجرد معرفة شخصية في المكتب. وشرعت في تناول الويسكي لقتل وقتي الحر في الليل، بالإضافة إلى شرابي للساكي العادي في النادي. وأخذ استهلاكي للكحول يزداد فجأة، ليلة بعد ليلة، وكان علي أن أشق طريقي عائداً إلى منزلي حيث أبيت، والذي لا يبعد سوى مئات الخطوات عن النادي. وكنت أصرخ واهذي كمدمن على الخمر، ولكوني تعودت الحديث بصوت عال، وإنني أصرخ في كل وقت اشرب فيه حتى لو كمية قليلة .

في أيام السبت، كنت أذهب للركوب في إحدى العربات ذات الدولاب المجرورة بالحصان، أو على أحد الأحصنة المحفوظة في الإسطبل من أجل ركوب صهوة الجواد والذهاب إلى هيشينو هو من أجل بعض المتعة البريئة في آخر الأمر.

وكان من الضروري لي تعلم ركوب صهوة الجواد، ليكون لي أرفع العلامات في علم الخيول في الجامعة. مع ذلك، كان مكتب طوكيو يرسلني من اجل أعمال تخص مهمات حكومية في ميادين تربية الخيول، وقد كنت أمضي أفضل قسم من وقتي هناك على ظهر الحصان. بالنتيجة، أصبحت كأنني أعيش في بيتي على صهوة الجواد، وأحببت ركوب الخيل لأقوم بالعدو أو حتى الجري حتى هيشينو هو والعودة، وكنت أجعل الحصان يقوم بالقفز على العديد من السياجات التي تفصل المزارع بعضها على طول الطريق. وكان ذلك مرح لا يقاوم حقاً لعاشق الخيل مثلي.

كانت هيشينوهو مدينة صغيرة. ولم يكن يوجد فيها أي شيء للقيام به هناك. وكان يوجد فقط بار واحد، حيث كنت اذهب لشرب الويسكي ومغازلة النادلات. وأصبحت صديقاً لإحدى النادلات وتدعى ناتسو. وقد استمتعت بحريتي من شيو، لكن وصلت رسالة منها قبل أسبوع على وجه التأكيد. تشير فيها إلى أنها ستصل، وبأن حبها لي لم ينقطع. وفي محاوله لطرد مثل تلك الرسائل المضجرة من عقلي، ازدردت كأساً وراء كأس من الويسكي مع ياتسو. وكان فونوغراف عتيق يقرقع وتصدر عن التسجيل أغان مكررة أيضاً مثل الأجنحة الحمراء، وأغان أخرى. في نهاية حركة لفيش الويسكي، مع أغان لم اعد أستطيع تذكر عناوينها وأظن أن المغنية كانت ماري كيتا.

لقد طهرني عملي في المزرعة ونقاني في الروح وفي الجسد، وأشعرني ببهجة الحرية في الأرض المعشوشبة الفسيحة المفتوحة، والسماء المنبسطة اللانهائية فوق الرؤوس، والإحساس بالمشي فوق العشب الطري على مدى الصباح، وكنت أحدق بهدوء غروب الشمس وصور المناظر الطبيعية المغطسة بلون قرمزي اللامع بأشعة شديدة الاحمرار، ومع سياج مائل من أخشاب غير مصقولة .كل ذلك، مع حضانة المهور وتربية الذكور بصداقة حميمة بين العاملين في المزرعة، والمزج مع التبسيط واضح المعالم بين ممتلكات المزرعة.

لكن مع تزايد العسكرة في اليابان وغزو الصين، الذي بدأ مع الحادث العرضي في منشوريا، تزايد ظلال الحرب وجاء ليؤكد عليه وعلى نحو مضطرد إلى الأمام عبر اليابان حتى درجة هذه المزرعة المسالمة النائية.

فقد جرت دعوة العاملين من زملائي والمساعدين، واحداً فواحداً للخدمة العسكرية. أما في حالتي، فإن قدرتي الجسدية الضعيفة أعطاني الطبيب العسكري درجة (ت) بسبب إصابة البصر بشدة، واعتبرت بأنه يجب أن أصاب بالقلق حول حصولي على ملاحظة من تقع عليهم القرعة باستثناء الظروف القصوى الاستثنائية في الغالب، مع ذلك، فقد اصبح مؤلماً بالنسبة لي أن أراقب الرجال الذين انقطعوا عن العمل ومغادرة المزرعة للخدمة العسكرية قليلاً في كل مرة .

أُمرت بالانتقال إلى المركز الرئيس في طوكيو في نهاية سنتي الثالثة من خدمتي في مزرعة تربية الخيول.

العودة إلى طوكيو

منذ الحياة في موازاة خط سكة الحديد الوطنية في شويو، اصبح من الملائم التغيير إلى الوزارة. فَرُفِّعْتُ واستأجرت مسكناً في المكان نفسه كما في السابق، في شقق أوشيكوشي، مع فرق في موضع الغرف، بناء على تعليمات شيو مرة أخرى. لم أبق ملتصقاً بمقعدي خلال الرحلة الثانية هذه في المهمة للمكتب الرئيس في وزارة الزراعة والحراج، بل كنت أرسل للخارج في رحلات عمل متنوعة إلى هوكيدو وآسو كاغوشيما في كيوتو، وإلى مأواي القديم، هيشيوتوهي، من مقاطعة آأوموري. وغالباً كنت اركب القطار دائماً وأقضي فيه كامل النهار للوصول إلى غايتي. وكانت هذه الرحلات صعبة علي. لكن مع ذلك، كان يوجد عمل وزاري يجب القيام به في مكتب الولاية. وأعطتني الرحلات العديد من الفرحة لزيارة مزارع تربية الخيول التي كانت على الدوام محل سروري.

لقد ازدادت الظروف في اليابان سوءاً، واشتدت وطأتها عاماً بعد عام، بمقدار ما كانت أرواح زملائي في العمل تروي تراب الوطن، وكذلك، خلال العواصف الثلجية العنيفة المرعبة في الشتاء، بعد سنة من عودتي. وبسبب قيام انقلاب عسكري أخرق، لهذه الأسباب أصبحت عسكرة البلاد متسارعة على نحو أكثر.

في أحد الأيام، وبعد العودة إلى طوكيو بحوالي عام. تلقيت مكالمة هاتفية من سكرتير السيد فوجييما يسألني أن أمر على مكتبه بعد العمل، كانت علاقتي الفاجرة مع شيو مستمرة، وإن ما خطر ببالي على الفور، ربما بسبب سلوكي المحرم، وبهذا فإن الشيئ الذي أقلقني، علاقتنا المحرمة، واقشعر بدني لهذه الفكرة مع القلق.

بقيت عيوني محدقة في أوراق على مقعدي، بالنسبة لباقي اليوم، لكن عقلي كان في مكان آخر، فكان هناك شعور قاتل يطغى علي بين حين وآخر، ويطبق على صدري كقبضة من حديد ويجعل التنفس صعباً علي. غادرت البناء عندما أغلقت الوزارة في الساعة الخامسة وتوجهت إلى منزل السيد فوجييما .

ما أن جلست في القطار، حتى شرعت بالتفكير بأنه من الغريب بالنسبة له بأن لا يكون مُطّلِعاً على أمر مثل أمرنا والذي كان يجري منذ عدة سنوات. وتعددت الأسئلة والسيناريوهات المفزعة من الخوف جميعها كانت تجري مكثفة كالدوامة من خلال دماغي المرتقب شراً: ما هي الخطوات التي يأخذها ، وبدوري كيف يمكن الرد؟ وكم من الحقائق يجب الكشف عنها عندما أستجوب بقسوة؟ بالإضافة إلى هذه الناحية، كم من الأمور أعلمته بها شيو؟ — ولماذا قلت أنني أثق كثيراً جداً بمقدار ما يعلمه من قبل. ولماذا، أوه، لماذا لم تتنبأ هي أم أنا بهذه الإمكانية، وترتيب ماذا تكون عليه قصتنا مسبقاً؟ ومن حين لأخر، أتعذب عذاباً شديداً من هذه الأسئلة .

لكن، عرفت أنني عند المواجهة، اصبح قادراً على الرد على الاستجواب ببراعة، ولدي، وعلى نحو لاذع، عقل بارع في التحليل. لكن أمام محام موهوب مثل السيد فوجيياما فماذا أعمل؟ علاوة على ذلك، فلا شيو ولا أنا لنا أي مبرر لسلوكنا الشائن. فكان إثماً كلية على عاتقنا، لكن في هذه الظروف، وحتى إذا حاولت طرح موضوع الأخلاق وراء الظهر، وذلك بالإشارة انه ذاته كان مذنباً، كونه له زوجتان في الواقع. وأنني أعرف ذلك في النهاية، وقد لا يخدم ذلك غرضاً معيناً. وكان فجوره أيضاً شيئاً ما. وكان فجوري وشيو شيئاً آخر تماماً. فكانت لا توجد أية نقطة في محاولة مساواة الاثنين في سبيل تبرئة نفسي وهي.

هكذا، عندما فتحت باب مكتب السيد فوجيياما ودخلت، تبدد ذعري قليلاً، مع ذلك، في اللحظة التي خطوت فيها إلى داخل الغرفة. «آه، سوميتا، بني! هكذا، مضى زمن طويل، يجب أن لا تقوم بمثل ذلك وتعتبر نفسك غريباً. لكنني سعيد لرؤيتك وأنت تبدو بصحة جيدة»، قال السيد فوجيياما وهو يبتسم، ويتقدم نحوي بذراعين مفتوحتين، ثم ربت على كتفي. كانت طريقته منفتحة على نحو كبير. ومنذ تلك اللحظة، عرفت بالحدس أنه لا يعرف شيئاً عن علاقتنا شيو وأنا.

«يجب أن تسامحني» استمر في كلامه، لاستدعائك هنا ونشغلك في وقتك الثمين. فالآن أنت مشغول كمسؤول حكومي. لكنك في عمرك الآن أصبحت

فيه بحاجة للشروع بالتفكير حول إيجاد زوجة وتستقر، وإنني اعتقد عثرت على الفتاة المناسبة لك ـ معلمة للغة اليابانية شابة لطيفة من أكاديمية موساشي للبنات. فلماذا لا تدعني أدبر لك لقاء معها. ويمكنك أن ترى ماذا تعتقد بها. في الوقت الحاضر، إنني لم أقابل الفتاة، إنها فكرة شيو، فإنها كانت تبحث لك عن زوجة، وأنها أوصت لك بهذه المرأة الشابة الرفيعة المستوى.

قال السيد فوجييما كل ذلك غالباً بطريقة مباشرة عرضياً، كما لو أنه لا يعلم أي شيء، بل ما كان يهمني ما في قلبه، من ذلك الاقتراح المقدم عرضياً. مع ذلك، كأنه يعرض عَلَيَّ ذلك بقوة وبصوت خفيض، وطريقته في الحديث تدل بشكل واضح على أنه لا يرغب بالحصول على جواب.

توقف قلبي عن الخفقان عندما ذكر شيو، لكن ما اربكني أكثر من أي شيء، كان كلمته برغبة شيو حول إيجاد زوجة لي، ولماذا لم تقل أي شيء لي حول ذلك من قبل. فإن اقتراحها بشأن زوجة مستقبلية لي كان أمراً لا يسبر له غور

لأن لي معرفة طويلة بها لكونها امرأة شديدة الغيرة.

وافقت على لقاء تمهيدي شكلي مع تلك المرأة الشابة. وكان ذلك قد اعد. وجلسنا السيد فوجييما وأنا لتناول غداء فاخر من السوشي، وبعدها غادرت.

في المرة التالية التي جاءت بها شيو إلى شقتي، فإنني فوجئت بإلقاء نظرة خاطفة داخل قلب امرأة حتى اليوم لا افهم ما يدور في عقلها.

بكل وضوح، لا تريد شيو أن تقطع علاقاتها معي، ولا أن تكون لها الشجاعة أو الميل أو الثقة للتخلي عن كل شيء كان لها مع السيد فوجييما والشروع بحياة جديدة معي، وما تريده في الحقيقة قد يكون مستحيلاً من وجهة نظر الإحساس المشترك. مع ذلك أصبحت الآن خارج السن الذي يبحث عنه الرجال عادة للزواج، ولا أستطيع أن أبقي علاقتنا، كما هي باقي حياتي. وأنها تعرف، عاجلاً أم آجلاً، من خلال مداخلات بعض أعضاء العائلة أو علاقة العمل أو بلقائي بامرأة مناسبة، بأنني سوف أتزوج.

منذ بدء الموضوع، فضلت شيو أن يكون لها يد في إعداد زواجي، من

حيث مبدأ الزواج، واختيار عروس بذاتها. لقد كنت على يقين أنها ستختار امرأة اقل جاذبية منها ذاتها بقدر ما يمكن. ابعد من ذلك، عندما أَعَدَّتْ ذلك فإنها اعتمدت الاستمرار برؤيتي كما في السابق. قد يكون ما أفكر به هو صدى لافكاري، لكن على الرغم من تدخلها في حياتي، فإنني لا أعتقد أن شيو كانت شخصاً رديئاً. لقد كانت امرأة لطيفة وذكية وجميلة. وإن شبقها الجنسي ناتج عن الظروف غير العادية في تدبير حياتها مع السيد فوجييما وسوزويو زوجته وأختها الخاصة، مع ذلك أرادت بعملها تطوير رغبتها الجسدية الملتهبة معي، هذه الرغبة أدت بها للعمل عكس الإحساس الجيد الذي تتمتع به والدخول معي بعلاقة آثمة. ولكوني شاباً، ولكوني تركتها تجرني معها إلى الدرك الأسفل القذر من الرغبة الشهوانية، ولهذا كنت ملوماً معها. حقاً، كنت شاباً عندما شرعنا بعلاقتنا الجنسية غير الشرعية، لكن كان ذلك من غير مبرر، فلو كان عندي إحساس بالعدل والكرامة الإنسانية، وقدرت النتائج العملية والأخلاقية كوني أقمت علاقة جنسية غير شرعية مع عشيقتي المحسنة وتركت عقلي غالباً وليس رغبتي الجنسية الخارقة تسيطر على الوضع .وإنني قد لا أجد نفسي مطلقاً في موقف سخيف وأن اترك عشيقتي تختار زوجة لي .

لقد اختارت المرأة شيو، زوجة لي كما توقعت، كانت اريتاسوميكو الابنة الكبرى للأستاذ إميروتوس ارتياجن، ايشي، الذي كان قد تقاعد للتو من كلية جامعة طوكيو الخاصة. جرى لقاؤنا الأول في ردهة الفندق الإمبراطوري. ومن تعتقد كان مرافقها؟ لا أحد سوى شيو نفسها، داخله كممثلة للسيد فوجييما، مع نظرة بريئه معبرة على وجهها الجميل.

كانت سوميكو في السابعة والعشرين، وبهذا تكون قد تجاوزت سن الزواج العادي بالنسبة للنساء بسنوات قليلة، كانت متواضعة وبسيطة، مع ذلك لها وجه يدل على الذكاء، ولم تكن جميلة، كل شيء يعطي انطباعاً مناسباً لي، مع وجهها الخالي من التجميل وشعرها المشدود للوراء بكعكة شعر بسيطة، ولسوميكو مظهر مدرسي تماماً يحيط بها. كانت على النقيض من شيو تماماً من هذه الناحية، حيث تخلق حول نفسها على الدوام جواً من الفتنة المعقدة والتفاخر غالباً، بطريقة أو بأخرى. عندما جلست، بدأت أنظر إلى هاتين

المتعارضتين من حيث الشكل بكل ما في الكلمة من معنى، شعرت أنني فهمت كل شيء بوضوح تماماً حول المبرر الحقيقي لشيو لاختيار سوميكو لتكون زوجتي.

زواج ودماره

جرت حفلة الزواج في تشرين الثاني من السنة التالية. كانت أمي قد تقدمت بالعمر وضعفت صحتها مما منعها من محاولة القيام برحلة طويلة من فوكوسيياما إلى طوكيو، لكن، حضرت أختيَّ الصغيرتين. هيديكو هي الأكبر سناً من الاثنتين، وكانت قد تزوجت طبيباً للأسنان باسم ميزونو تعيش في يوكا. وساداكو، الصغرى، تعيش في ناغويا مع زوجها الملازم الأول في الجيش الإمبراطوري، ويدعى أوتسوجي.

وجدت منزلاً جديداً لنا في منطقة ماتسو بارا من دائرة شيبويا. ومن هناك رفعت إلى مرتبة مساعد رئيس قسم في وزارة الزراعة والحراج، وكان ذلك دعامة أساسية هناك. كانت سمعتي هكذا، فقد عزا كل واحد في المكتب كل ما يتعلق بالخيول إلى خبرتي الحقيقية ومعرفتي التي لا تجارى ــ سألت سوميتا، ما الذي تعمله من عمل يتعلق بالخيول. ولقد مكنني نجاحي في الوزارة من شراء منزل صغير لكن ملائم لعروسي وأنا لنعيش فيه.

اليوم بالذات بعد حفلة الزفاف، وحدثت مفاجأتي ورعبي، هتفت لي يوشيو من طوكيو من فندق دي ــ ني لتخبرني بأنها استأجرت غرفة هناك، وسألتني الذهاب إليها. وبرغم أن الحرب قد منعتنا سوميكو وأنا من الذهاب في رحلة شهر العسل، فقد حصلت على إجازة من العمل لمدة أسبوع، لم أستطع أن أرفض دعوة شيو على البديهة وأن أعرض أي سبب على بساط البحث، وهكذا، أذعنت إلى دعوتها العاجلة في صوتها، وذهبت للفندق الذي سمته لي: وجدتها في غرفتها، وركضت لتقبلني وهي تصرخ وتبكي بمرارة في اللحظة التي فتحت بها الباب. ثم أنزلت اللعنات علي، وكان ذلك بعد أن مارست الحب معها ـ وخارج عن أي نوع من القوة مفضلاً أي نوع من الشعور الحنون لها.

عدت بعدئذ إلى سوميكو ومنزلي الجديد في ماشويارا، وضميري يتعذب

لجريمتي بسبب خيانتي لزوجتي الجديدة بعد يوم من الزواج منها بالذات. صدقت القصة التي أخبرتها بها كوني قد استدعيت من قبل مكتبي من أجل عمل عاجل ما. وبدون أن تسألني حوله .

كانت تنتظر عودتي بصبر. في قلبي، أعلمتها بأنني آسف، ورجوتها الصفح والعفو أكثر من مائة مرة، لكن بالطبع لم اقل مطلقاً أي شيء لها، في الواقع.

تابعت سوميكو عملها التعليمي في أكاديمية موساشي للبنات كالسابق بعد زواجي، وقد منعنا طراز حياتنا، ومنذ أن أصبحت موظفاً في الوزارة، ودخلنا المزدوج، من رؤية واحدنا الآخر، كثيراً، باستثناء الوقت المتأخر من الليل.

استمر استهلاكي من الكحول بالزيادة، حتى بعد زواجي، وانتهزت كل فرصة شرعية لكي اشرب، مثل حفلات الوداع للزملاء العمال الذاهبون للحرب، أو لكونهم نقلوا من المكتب الرئيس. وقد أتوقف في بعض الأمكنة بعد العمل واشرب حتى الثمالة قبل الذهاب للبيت، حتى اصبح هادئاً رزيناً، في الأيام التي لا تجري فيها مثل تلك المناسبات، ولدرجة أنني لا أستطيع أن أتحمل النظر إلى زوجتي بسبب جريمتي بالاستمرار بعلاقتي الجنسية مع امرأة أخرى.

تعد زوجتي العشاء من أجلنا الاثنين بعد مجيئها للبيت من عملها، وتنتظر عودتي، بطريقة ثابتة دون تغيير، اصل للبيت مخموراً وأشعثاً غير مرتب، أصيح واصرخ بصوت عال على نحو كاف لأزعج جميع الجيران. وكنت في العادة بالكاد أمس الوجبة التي أعدتها . بدلاً من ذلك، فإنني أسكب بعض الشاي الأخضر فوق طاسة الأرز، ثم القي بها إلى الأسفل وآكل قليلاً من المخلل، من ثم، ابدي رغبة في التحرك بتثاقل إلى الفراش وأنام كصخرة. كنت أعرف سلوكي الجلف بعمق في داخلي وكان قاسياً على زوجتي وأشعر بالأسف من أجلها.

بعد فترة قصيرة، اندلعت الحرب الصينية ـ اليابانية، واندفعت اليابان بشكل أعمق في رمال الحرب المتحركة. وصدرت الأوامر في قطاع الزراعة، وبشكل جلي! مضاعفة قدرة تناسل الخيول المستخدمة في الجيش الإمبراطوري وتحقيق زيادة في تناسل الخيول المتفوقة القابلة للاستخدام العسكري.

بالطبع، كانت الأعمال الحالية تجري مباشرة من قبل الجيش الإمبراطوري لإيجاد الخيول للاستخدام العسكري. لكن مهمة قسمي كان يعهد لها مشاريع التناسل التي كانت موجهة جذرياً للعملية بالكامل. فالعمل من قبلنا يجب أن يكون منجزاً خلال فترة محدودة، من الحمل عند الأفراس وضمن عدد محدد من الحيوانات فقط. عندئذ يولد مهر واحد في كل مرة.

لكن حجم العمل أخذ يقل مع كل عامل زميل إضافي يسحب ويرسل إلى ساحات القتال بالنسبة لهؤلاء، أي نحن الذين يبقون في العمل في الوزارة. وأصبحت أرسل لرحلات عمل إلى جميع أنحاء اليابان أكثر فأكثر، من أجل زيارة مزارع خاصة. وكان عملي المحافظة بصورة مباشرة والإشراف والقيام بعملية فصل بين الخيول المعدة للاستيلاد التابعة للوزارة.

في هذه الأثناء، بدأت ألاحظ تحولاً في أصابعي أثار مشاعري، ما لم آخذ جرعة مقوية خلال النهار من زجاجة احتفظ بها في درج مقعدي في الوزارة، وأصبحت أجد نفسي سريع الغضب والانفعال عاجزاً عن التفكير بشكل صحيح. ولم أعد بحاجة إلى طبيب للتحقق من أن هذه ما هي إلا أعراض التسمم بالكحول. عندما أخذت الحرب تمضي دون نهاية منتظرة، أصبح من الصعب الحصول على المشروبات الكحولية بشكل عام في معظم المدن، لكن، لحسن حظي أو لسوئه، وبسبب المناسبات المتكررة الحدوث وعند الذهاب بمهمات عمل خارج طوكيو، فكنت أواجه قليلاً من المصاعب للحصول على الساكي المخمر محلياً أو نوعاً من النوع المسمى (شوشو). وكان ذلك حقاً السبب الرئيس والذي لا بأس به كوني أرسل في رحلات عمل في أغلب الأحيان بالتأكيد، على نحو كاف، إذا قدمت لي زجاجات من الكحول، كهدايا، أو أن أقوم بترتيبات لشراء ذلك من جيبي الخاص ـ وهذا حقاً ما كنت أتشوق له.

أصبحت اليابان متورطة بشكل أعمق في الحرب مع الصين، حتى جعلت بلادنا على الأقل تغوص بشكل مهلك في حرب المحيط الهادي ضد الولايات المتحدة.

أصبح زواجي من سوميكو مسرحية هزلية محزنة، حيث لم أعد اشعر بعاطفة

نحوها، وليس سوى التظاهر بدور الزوج والذي جعل علاقتنا مضجرة وغير ممتعة. مع ذلك في السنة الثانية للزواج أصبح اتحادنا البائس مرهقاً وازداد إزعاجاً بولادة صبي سماه والد سوميكو كونيو.

كانت سوميكو قد أخذت دروس بيانو في بداية عمرها، وكانت تعزف بشكل حسن، وأصبحت تهتم في الموسيقى الوترية، وتتمتع بطَبَقَة السيرانو المحبوب، فتغني غالباً أنغاماً لموزارت «دون جيوفاني» أو لفردي «لاترافياتا». ترافق نفسها بالبيانو. وكنت فعلياً أطرش النغم، وعاجزاً، بكل ما في الكلمة من معنى المشاركة أو إحداث حماس لديها لحبها للموسيقى. وأتذكر أسماء الأوبرات التي كنت اذكرها، لأنني أسألها ومن ثم ماذا كانت تغني، وتعلمني بذلك.

أمر واحد كنت اقبله، كونها معلمة للغة اليابانية. وكان لسوميكو معرفة جيدة في الأدب الياباني، وغالباً ما كانت تقرأ أو تدرس الأدب الكلاسيكي. بالتأكيد لم أكن أعتبر نفسي غبياً، مع ذلك، لم تكن لدي سلوى خاصة واهتمام معين. فالأدب كان يضجرني، كما لم يكن لدي اهتمام بالأيديولوجيات أو الفلسفة. باختصار، ليس لسوميكو وأنا أي شيء مشترك بالنظر إلى مسؤولياتنا واهتماماتنا وطموحاتنا.

كانت سوميكو بطبيعتها هادئة، وشخصية انعزالية، لكنها أصبحت صموتة بالتدريج، وكأن ذلك، ربما نتيجة غلطتي. فكان عليها أن تفكر بي ليس كزوج لها، لكن فقط لأنني إنسان يصرخ ومزعج وسكير وسيئ السمعة وذو رائحة كريهة. وإنها رهنت حياتها معي على نحو خاطئ. كنا جالسين في بيتنا البارد الكئيب ليلاً. بعد ليلة انتظار زوجها ليأتي للمنزل، جاءت سوميكو لتخفي أحاسيسها المماثلة لنوع من الاستقالة التي دفعتها إلى الانسحاب إلى قوقعتها أكثر فأكثر مع كل عام يمر .

استمريت بمقابلة يوشيو بانتظام، وكان المثال نفسه، ففي كل مرة نلتقي تبدو في حالة امتزجت بالغيرة وبالإثم وبالفرح لرؤيتي ثانية. عندما تشرع بالصراخ، يجب أن أقوم بممارسة الجنس معها لتهدئتها واسترضائها. من ثم تصبح هادئة وتبتسم وتضايقني بعناد لتعيين تاريخ موعد ومكان لقائنا المقبل.

وبقدر ما أكون قلقاً، بسبب أن علاقتنا أصبحت علاقة جسدية بكل معنى الكلمة.

ستضع سوميتو سداً بيني وبينها، عاجلاً أم آجلاً، مع أنها زعمت أنها تتجاهل حتى وجود امرأة أخرى معها، وأنني اعتقد أنه كان عليها أن تدرك بغريزتها النسوية بأنني كنت على علاقة جنسية بامرأة أخرى.

اشتدت أعراض التسمم الكحولي نتيجة الإفراط في الشرب باستمرار على الرغم من الصعوبة في الحصول على المشروبات الكحولية من أي نوع بسبب الشروط الشديدة المتزايدة أثناء الحرب اليابانية.

وأنني أتذكر حتى الآن كيف أن صفارات الإنذار بالغارات الجوية في طوكيو شرعت في اللعلعة فجأة بتاريخ الـ (١٨) من نيسان ١٩٤٢) تماماً بعد أربعة أشهر من اندلاع الأعمال القتالية بتاريخ الـ(١٨) من كانون الأول (١٩٤١)، وعندما بدأ أزيز طائرات الـ (ب ــ ٢٩) فوق رؤوس المواطنين الذين كانوا لا يزالون معجبين بأنفسهم نتيجة سلسلة انتصارات أولية لليابان. كانت تلك الغارة الجوية الأولى على طوكيو التي نفذها السرب التاسع القاذف للمقدم المقامر دوليتل.

بعد الهجوم، على الفور، جاء والد سوميكو الذي ارتحل مع أهله خارج طوكيو إلى مدينة كاواغو، إلى البيت ليعلن عن نيته بأخذ سوميكو وكونيو معه، من أجل سلامتهما ولإبعادهما عني. لقد عرف والديَّ زوجتي منذ بعض الوقت أن زواج ابنتهما لم يحقق أي نجاح، ولم تكن سعيدة، وكانوا قد اشمأزوا نتيجة انحطاطي في تعاطي المسكرات دون انقطاع.

«حاول العيش منفرداً بعض الوقت. وهذا سيعطيك فرصة للتفكير حول كيف تعيش زوجتك».

هكذا تابع الأستاذ السابق كلامه وهو ينتقدني بشدة، وأخبرني بلغة لا لبس بها مقدار خيبة الأمل في زوج ابنته إلى الحد الذي انتهى الأمر لهذا الوضع. قال إنه كان يأمل من حين لآخر، لكن في نهاية الأمر قد وصل إلى نهاية حدود صبره.

أنا، من جهتي، لم اقل شيئاً، ماذا عساي أن أقول؟ بأنني سأكون أكثر حكمة، بأن أعترف أن ليس لي حق بقول أي شيء. فقد كنت مطلعاً على حقيقته المريرة المؤلمة، وإن ضميري لم يكن ميتاً وتكون لي الجرأة لأدحض ما كنت أعرفه عن الحقيقة البسيطة. وأعارض إرجاع ابنته لعنده.

كان لسوميكو موطن ضعف كزوجة وكامرأة، كونها مثالية غالباً، وأعتقد أنها كانت شخصية مثالية وأنني معجب بها من هذه الناحية.

عندما كان والدها يتكلم معي بلغة منمقة ويلقي علي المحاضرات حول خطأ طرقي في الحياة، كان وجهه يتلوى من الألم، وترتجف يداه من الغضب، وكانت سوميكو لا تقاطع نقده الساخر إلا بكلمات قليلة، لكن دون القول تصريحاً حاسماً «أنني لن أترك زوجي» لكن مع ذلك، لم يكن هذا سوى رغبة في التفكير من جانبي لأنها لم تفعل أي شيء من ذلك. بل كانت معبأة ضدي تماماً بكل وضوح...

في صباح اليوم التالي، كان كل شيء يخص سوميكو وكونيو، بما في ذلك البيانو، قد لف ونقل بعربة الكارو إلى كاواغو. حتى كونيو الذي احتفل بعيد ميلاده الثاني للتو، لم يسألني كلمة وداع له، بدلاً من ذلك تمسك بأمه وكانه ينظر إلي بخوف.

إنني أستطيع أن ألومهم بقسوة للقيام بذلك، حقاً لم أتصرف كأب مطلقاً تجاههم، مع ذلك، فإنني لم أضرب أحداً أو استخدم العنف معهم، خاصة مع ذلك الصبي، لكنه كان يراني أهذي ويسمعني وأنا أجأر عندما أكون ثملاً ـــ الذي كان عندئذ يومياً غالباً، فكيف يستطيع أي واحد، حتى أنا التوقع أن يحب طفل مثل ذلك الوالد؟.

أصبحت مدمراً بمغادرة زوجتي وطفلي، وشعرت بخسارة شخصية وإخفاق على نحو ساحق. برغم ذلك، جعلت من متطلبات زمن الحرب عملي من أجل تحسين الخيول اليابانية مهمة حيوية.

في تلك الأيام، كان هناك مثل يقول «يمكنك أن تعد جندياً مع قطعة واحدة من ورقة حمراء، تلك هي ملاحظة تمهيدية، وجمع شمل الجيش، بلا شيء تقريباً.

لكن يحتاج ذلك العمل مع الخيول ـ يجب أن تشتريها». كان الجو الاجتماعي هكذا، مشرب بالإكراه الحكومي بروح التضحية الشخصية من أجل الصالح العام، لأن الجيش الإمبراطوري يستطيع الحصول على خيول للاستخدام العسكري بثمن رخيص. بالنتيجة عندما تصاعدت الحرب، ازداد الطلب على الخيول أكثر فأكثر، واستمرت رحلاتي إلى الريف للعمل كالعادة على الرغم من مشكلتي العائلية.

لم يكن لدي الوقت لي أو لغيري لأنشغل بشؤوني الشخصية. كانت البلاد في حالة حرب، وكان كل واحد يتوقع أن يقوم من جانبه بتحقيق النصر لليابان. علاوة على ذلك، لو لم يكن هناك مصيري السيء في عمري، لوجب أن أكون قد جندت وأرسلت إلى الجبهة مع الكثيرين. وهكذا، حاولت تجاهل مشيي المتثاقل في حياتي الشخصية واستمريت بقضاء ساعات طويلة في عملي.

مواجهة الهزيمة

اشتدت الحرب يوماً بعد يوم، وابتعدت الفرص المناسبة لتحقيق النصر الياباني. والآن، تردت أوضاع البحرية الإمبراطورية في منطقة المحيط الهادي. وأصبح الناس المدنيون يحسون بالحقيقة بطريقة أو بأخرى، على الرغم من الإجراءات اليائسة من السلطات العسكرية وتقارير الأخبار المزيفة، والدعاية المعكوسة. وأصبح اعتقادهم باحتمال أن تربح اليابان الحرب مدعوماً بقناعتهم أن القوات الإمبراطورية وأرضهم المقدسة لا يمكن أن تهزم، تحت التأثير القوي لسنوات من التلقين السياسي بالإكراه قبل الحرب وأثناءها، لم يجد نفعاً.

في الحقيقة، إن سلسلة الهزائم اليابانية في المحيط الهادي، مكنت قوات الولايات المتحدة من تعزيز قواعد عملياتها في جزر ماريانا، واصبح العدو حينذاك في موقف الشروع بهجمات مباشرة وقصف على الجزر اليابانية. وأصبحت طائرات الـ (ب ـ ٢٩) ذات المجال الطويل تطير فوق سماء طوكيو المغيمة وترسل مطراً من القنابل، منذ تاريخ الـ (٣٠)من تشرين الثاني (١٩٤٤)، وتقصف منطقة مركز مدينة طوكيو خلال ثلاث ساعات، بعد ظهر الـ (٢٧) من كانون الثاني في السنة التالية، من الساعة الثانية تقريباً حتى

الخامسة. وسقطت معظم القذائف على امتداد شارع غينز العريض بين شنباشي وكيوباشي. ورأيت اللهيب في ذلك اليوم يندلع من كيوكيودو، المخزن المشهور للإمدادات وكيوبو، أحد أكبر المحلات التجارية لبيع الكتب.

بعد ذلك، قصفت تشكيلات من مائة إلى مائتين قاذفة من طراز (ب ــ ٢٩) طوكيو من قواعد انطلاق لتدمير المؤسسات العسكرية، تحولت الجبهة الوطنية إلى ساحة قتال. وأصبحت كل قصفة ينتج عنها عدد غير محدد من الضحايا والمعاناة التي لا تحصى، ووصل عدد القتلى والجرحى إلى مستويات مذهلة.

شن الأمريكيون غارة جوية ليلية شديدة على طوكيو بدأت ليلة الـ(١٩) من آذار واستمرت حتى قبل مطلع الفجر تماماً في اليوم الثاني، وكان ذلك بعد الإبادة الكاملة تماماً للقوات اليابانية المتمركزة في مانيلا في الفلبين ــ برغم ذلك، فلا أحد يعرف من المدنيين الحقيقة عن الحرب. وقد ذكر فيما بعد أن عدد الضحايا بلغ حوالي المليون، منهم أكثر من (٨٣٠٠٠)، قتلوا، وشاهدت أجساماً لا تحصى متناثرة على طول جانبي الطريق في الفجر الكئيب بعد الهجوم. وكانت هناك جثث الضحايا تحترق وتدخن وسط الرماد والدبش. وأصبحت خطوط نقل الطاقة والغاز والمياه محطمة، ولم يعد هناك ترامات أو أية مواصلات عمومية ملائمة أخرى تسير في الطرقات. أصبح الوضع مرعباً تعجز الكلمات عن وصفه. شعرت بالعجز التام في مواجهة مثل هذه المجزرة الساحقة الرهيبة والدمار. وكان الوضع الأشد رهبة مشهد عذاب القلب الذي كنت أمر به وأن لا أبالي عندما أمر بالقرب من نهر سوميدا، وأشاهد سطح الماء مغطى بجثث البشر الذين هربوا إلى النهر هرباً من لهيب القنابل، ومنهم من مات من الحرارة التي لا تحتمل وبعضهم مات غرقاً.

إنني أتذكر عندما أفكر بذلك الوقت «إنه من الخطأ الاستمرار في هذه الحرب مدة أطول» وشعرت أن الطاقة والعمل الشاق الذي أخصصهما من اجل تحسين الخيول العسكرية في سبيل بلادي، أصبحت غلطة كريهة جميعها.

مع ذلك فالناس في طوكيو يستجمعون قواهم ويصرخون بالتشجيع مرة أخرى من جديد، انهضوا حتى بشكل أقوى، داعين كل المواطنين اليابانيين ليقفوا صفاً بحزم ويقاوموا الهزيمة حتى النفس الأخير، ويستعدون للقتال من أجل المعركة الحاسمة على

أرض الوطن ويدافعوا عن الدولة الوطنية مهما كلف الأمر. بعد ذلك مباشرة دمرت غارة جوية أخرى بتاريخ الـ (١٤) من نيسان، ليس فقط منطقة سكنية، بل أيضاً أقساماً من القصر الإمبراطوري وضريح القديس مايجي الشهير، وكلاهما هامين كرموز شعبية لبلدان النظام الإمبراطوري.

وأكرهت مناطق على الخروج بسبب الحرائق وتحولت إلى رماد ودبش حتى تلك التي كانت أفضل قسم في طوكيو في ذلك الحين. وجاءت حاملة طائرات بعد أيام قليلة ـ عدوة على اثر الـ (ب ـ ٢٩) واستهدفت الأبنية والبيوت بلا شفقة، بطريقة أو بأخرى، من تلك التي نجت من القصف السابق والنيران، مَشَّطَتْ تلك الطائرات بالنيران تلك المناطق وسط الدمار المسود، وهي على علو شاهق واستمرت بعناد بالتدمير بصورة منهجية لطوكيو. في حين كان المدنيون تحت ضرباتها، ينظرون إليها بارتياب وهم في كرب أمام عجزهم التام. وأصبحت بحاجة وبقوة أن أقول أنه في هذه المرحلة المتأخرة من الحرب، أصبحت المصادر اليابانية العسكرية، مستنزفة بشدة بحيث لم تعد توجد طائرات مقاتلة في السماء للتصدي للقاذفات المعادية.

في وسط كل ذلك، أرسلت إلى إيوات لأعمال من أجل الوزارة، وعندما عدت إلى طوكيو، صدمت عندما وجدت أن بيتي في ماتسوبارا، والذي كان، حتى ذلك الوقت محظوظاً، بطريقة ما، وعلى نحو كافٍ، أن يفلت من الدمار، قد احترق واصبح على مستوى الأرض، نتيجة ما سمي بآخر غارة جوية في (٢٤-٢٥) أيار، فقد صعقت وتعرضت لحزن لا يوصف عند المشهد الحزين لكتبي ـ التي جمعتها خلال سنوات، حتى منذ أيامي في الجامعة والتي كانت عزيزة جداً على قلبي ـ لقد تحولت بالكامل إلى رماد، وعلى طول خزانة الكتب. لكن الاشتراك في الموقف نفسه عندما رايتها في المرة السابقة، فاحتفظت بحالتها وتحولت إلى كتب من الرماد .

كان السيد فوجييام قد أخلى أسرته إلى كامبوكا من قبل، إلى الشمال من كيوتو بأيلول (١٩٤٤). قد وضع ذلك الأمر حداً لعلاقتي مع شيو. لكن في لقائنا الأخير جعلتني أعدها أن أراها مرة أخرى عندما تنتهي الحرب. لقد كانت مسؤولة عن القيام بمثل هذا الوعد مع مستقبل اليابان غير الأكيد، هكذا

- أو بالأحرى مع الحياة نفسها، غير الأكيدة بالنسبة لها كما سنعلم حالاً، فتأخذ حياتي مساراً غير متوقع، لكن لن أراها مرة أخرى.

أصبح الوضع الآن هكذا، شعرت مع كل يوم يمر بالتأكيد، أن البلاد بالكامل أصبحت تندفع بتهور نحو الإبادة ـ يمكنك أن تشعر بذلك من الجو العام. فكان واحد من زملائي في العمل في المكتب دعاني لأن أبقى في بيته مؤقتاً في كوغاناي في الريف، وكنت أستدل إلى مكاتب الوزارة كل يوم بخط قطار شويو.

أصبحت القطارات الكهربائية الوطنية في حالة سيئة، فقد دمر أغلبها، وعرباتها تداعت للسقوط في حالة تثير الشفقة، وجرى تقوية نوافذها الزجاجية بألواح خشبية مهترئة ومن النوع الرخيص المصنوع من طبقات رقيقة مغراة. كما جرى استدعاء القسم الأعظم من عمال السكك الحديدية للخدمة العسكرية، وجرى حشد النساء من أجل العمل الطوعي لسد النقص في اليد العاملة من الرجال كنتيجة للحرب. وكان لعمال السكة الحديد إحساس بطولي للقيام بمهمة حفظها على الأقل لتسيير القطارات الكهربائية التي تسير إلى مختلف الشواطئ لخدمة المدن وضواحيها، وربما بفضل أنه يمكن لأحد ما أن يتكلم عن الموت والروح تقليدياً، في الحقيقة لتمكنهم بطريقة ما الاستمرار في خدمة القطارات حتى تحت هذه الظروف الشاقة.

عندما انقضى حزيران وبدأ تموز، استمر الناس يتحدثون عن الحرب، كحرب مقدسة، يجب أن نحارب فيها مهما كانت موجعة، مع ذلك، يمكن لمعظمهم أن يرى أن الوضع أصبح ميؤوساً منه. غير أنه ما من أحد تجرأ أن يتنفس بكلمة واحدة عن مثل هذا التفكير السلبي غير القومي.

شعر معظم الناس بالخوف من الموت، بعد فترة قصيرة، ربما بسبب رؤيتهم للعديد جداً من الناس حولهم وهم يخشون من تعرضهم لضربات قنابل العدو، أو يحترقوا حتى الموت بالنيران اللاحقة، أو ربما بسبب أنهم قد توصلوا إلى نتيجة بالغرور، بأنهم أصبحوا وحدهم الاحتياطيين. ويمكن أنهم لمجرد غوصهم في يأس مطبق بحيث يصبحوا وقد تخلوا عن كل شيء أمام مصير يحدث لهم، واستعدوا لهذا من أجل الأسوأ.

في كـل مكـان مـن المدينــة، كـانت الجثـث ممـددة بإهمـال وقـد تَنَتَنَتْ وسـط الخرائـب السـوداء الـتي تحـترق مـن غـير لهـب، لأنـه مـا مــن أحـد لديـه الوقـت أو الطاقـة لكـي يسـحبها خـارج الدبـش ويقـوم بدفنهـا علـى نحـو مناسـب. ولم يعـد يوجـد أي شـيء يؤكـل، ولا وجـــود لحنفيــة مـاء تعمــل بصــورة منتظمــة في الشـوارع. وقـد تصـادف أن تـرى أُمّاً نصـف مجنونــة وهـي تحمـل طفلهـا مقطـوع الـرأس علـى ظهرهـا وهـي تسـتعجل مـن أجـل الوصـول لملجـأ متخيـل. وأم أخـرى تقف وهي تحـدق ببلاهـة تمامـاً مـع طفلهـا الميـت علـى ظهرهـا، كمـا لـو أنـه لا يوجـد مكـان تهـرب إليـه. لقـد شـاهدت النـاس وهـم يمشـون متثـاقلين فـاقدي الوعـي في الشـوارع وشـعرهم الأشـعث القــذر وهــم يتفحمـون إلى احمــرار ضــارب إلى الرمـادي نتيجـة لحـرارة اللهيـب الـذي أخـذ يذبـل وكـانوا يهربـون بشـق النفـس. وكنــت أتحمــل بصعوبـة النظـر في وجوههـم، وقـد تلطخــت بـالعرق والغبـار، واكتست بـالدم الجـاف مـن جروحهـم الخاصـة بهـم، أو مـن تلـك، مـن أحـد أحبتهـم الموتـى. وكـانت ألبسـتهم المدنيـة أو الألبسـة الخاصـة بـالعمل الفضفاضـة وقمصـانهم مغطـاة بالغبـار وقـد تمزقـت في عـدة أمـاكن مفتوحـة. لكـن كـان النـاس أيضـاً مرهقـي الأعصـاب والأرواح ليلاحظـوا أو يحـاولوا تغطيـة أنفسـهم. ومــن الطبيعــي أن لا يعـود النـاس مكـترثين بمـا يحـدث في الأوقـات الـتي لا عـون لهـم فيهـا، ويائسـة، وربمـا هـذا أمــر طبيعـي، وحاليـاً يمكــن أن يكـون النقـص بالاهتمـام بالسـلامة الخاصـة ليحميهـم معايشـة فواجـع الحـروب، ويصبحـوا متحجـري القلـوب.

استمرت الغـارات الجويـة علــى نحـو شـديد لا يلـين. والآن، بالإضافـة إلى الــ (ب ــ ٢٩ س)، انضمــت إليهـا طـائرات مقاتلـة صغـيرة مــن طــراز(p-٥٢) النكـدة، في الهجمـات وهـي تطفـر في السـماء فـوق اليابـان وتقـذف أهدافهـا متباهيـة وقاحـة وغـير مقيـدة، كأنهـا تريـد القـول: «ألم يكفيكـم ذلـك؟ خـذوا هـذه ! وهــذه! وهذه !».

أدت الأحـداث المختلفـة باليابــان إلى الهزيمـة ــ استســلام ألمانيـا، خســارة أوكينـاوا، وعـلاوة علـى المصـائب المروعـة، إلقـاء القنــابل النوويـة علـى هيروشـيما وناغـازاكي، ثـم غـزو منشـوريا المسـتعمرة اليابانيـة، مـن قبـل القـوات الروسـية مـع تجـاهل معـاهدة عـدم الاعتـداء الروسـية ــ مـع اليابـان، قبـول شـروط الاستسـلام

بدون شروط حسب إعلان بوتسدام ـ كل ذلك حدث كما وصف سابقاً من قبل أرواح زملائي.

انقلبت الحكومة اليابانية والاقتصاد في الأشهر التي تلت نهاية الحرب رأساً على عقب نتيجة التبدلات التي فرضت من قبل جيش الاحتلال تحت قيادة الجنرال ماك آرثر. ودخل اليابانيون مرحلة إنذهال ولا مبالاة ، المنهكون من سنوات الحرب الطويلة والحرمان والقسوة وصدموا نتيجة الهزيمة. وأصبحنا في وزارة الزراعة والحراج مشغولين في تدمير الوثائق، واخذ الاستعدادات للتبدلات التي توقعناها والتي سيفرضها الاحتلال. وأصبحت أرسل للعمل إلى مزرعة خيول تابعة للوزارة في آسو في كيوتو في تشرين الثاني.

كانت هناك لا تزال بعض القطارات البخارية القليلة جداً في الخدمة، وعدد آخر كان لم يدمر بالكامل، معظمه كان يبدو وكأنه ينفث البخار نفثاً شبيهاً باللهاث، وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة تعباً على طول سكة الحديد. وكانت عربات المسافرين وسخة وبدون زجاج نوافذ، وتكتظ لدرجة التفجر بجنود المستعمر والجنود المعادين والمسرحين والمعفيين من الخدمة العائدين إلى أماكن إقامتهم، بالإضافة إلى المدنيين الذين يسافرون إلى الأرياف بحثاً عن الطعام. وكان العديد منهم يتعلقون على أبواب عربات القطار، نصفهم في الخارج ونصفهم في الداخل يتمسكون بيأس بالدرابزين، أو يركبون على سطح عربات القطار. والأكثر من ذلك. كان على بعض الناس أن يدخلوا أو يخرجوا من النوافذ، مع ذلك، كان من الأفضل لهؤلاء الركوب في عربات الشحن المكتظة هي أيضاً الباقية في الخدمة في تلك الحقبة. بعض منها مفتوحة لا تقدم حماية للمسافرين من العوامل الجوية.

كانت الخدمة في سكة الحديد الوطنية في فوضى مطلقة، واصبح العديد القليل من عربات القطار الباقية غير المدمرة مصادرة من قبل جيش الاحتلال. وتعطى هذه القطارات أفضلية قصوى في برامج المواعيد المحددة على الخطوط المتاحة. ويسمح للقطارات التي تنقل المسافرين اليابانيين أو قطارات الشحن السير فقط بين الفترات التي تكون فيها قطارات جيش الاحتلال غير مستخدمة على السكة الحديدية. كان هذا الوضع اليومي مؤثراً ويذكر بهزيمة اليابان

المطلقة، والفروق في الأوضاع العامة والمميزات بين المنتصرين والمنهزمين.

على كل حال، على الرغم من هذه الشروط والظروف، كنت أسافر بالقطار إلى كيوتو، وكانت كل رحلة حلم مروع. وتضاءلت جرايات الأرز التي تزودنا بها الحكومة إلى أن وصلت إلى لا شيء فعلياً. وهكذا، فكنت احصل على كمية قليلة جداً من الطعام آخذها معي لأكلها خلال الرحلة. وسيشكل هذا العمل مشقة جدية . ففي هذه الأشهر المشوشة تماماً بعد انتهاء الحرب، فعلى المسافر أن يأخذ معه البطاقات التموينية للأرز، فربما يتعذر عليه أن يجد مطعماً مفتوحاً يقدم الوجبات. وإذا وجد مثل ذلك، عليه أن يتوقع أن تكون الوجبة هزيلة، مؤلفة من عصيدة الأرز.

عندما وصلت في آخر الأمر إلى نهاية رحلتي، لم أكن وحدي القادر على أن اشبع جوعي. مع ذلك كان الطعام بسيطاً، وأهداني مضيفي كيساً مليئاً بالأرز لأحمله معي بسبب منزلتي كشخص عظيم الشأن من مكتب طوكيو من الوزارة.

مع الزمن، اصبح يوجد نقص شديد في كل أنواع المشروبات الكحولية، بما في ذلك شراب الساكي، وكانت توجد تقارير، بأن أعداداً ليست قليلة من الناس، أصيبت بالعمى في الوقت الحاضر بسبب شربهم كحولاً خام من الميثيل. مع ذلك، قد أكون قد كلفت مضيفي العديد من المشاكل. وتدبرت الأمر لأحصل على بعض الساكي المحلي والشوشو.

أصبحت على غير العادة تعباً فاتر الهمة قبل البدء في هذه الرحلة إلى كيوشو، لكن بسبب أنه ما من أحد عنده ما يأكله في هذه الأيام بما يكفي، فإنني لم أفكر من جانبي بذلك. فمنذ اللحظة التي وجدت فيها نفسي جالساً وثابتاً على مقعد في القطار العائد إلى طوكيو، أصبحت محموماً، فارتفعت حرارتي على نحو شديد بعد أن مررنا عبر هيمجي، وبدأت بالرجفان على نحو لم اعد قادراً السيطرة عليه. كان علي أن أستخدم المرحاض، ولاحظت أن ذلك مقدمة لسلسلة متلاحقة، وأصبت بطفح جلدي على ذراعي وجنبيّ وصدري وبطني. في هذه الأثناء مر القطار عبر أوساكا، وأخذت أغيب عن الوعي. والأسوأ من كل ذلك كانت محنة الإرهاق الشديد، حيث وجب علي

أن أقوم وأنسل عبر هذا الزحام الشديد في القطار كالسردين وكتفاً إلى كتف لأصل إلى المرحاض مرة بعد مرة لإصابتي بالإسهال الشديد. عندما وصل القطار إلى محطة كيوتو، عرفت أنني لا أستطيع الاستمرار في رحلتي ضمن هذه الشروط وقفزت خارج القطار.

لم تعد لدي ذاكرة مطلقاً للمشي على طول الرصيف أو فوقه أو تحت الأدراج، لكن تابعت طريقي إلى شباك التذاكر بطريقة ما، حيث خانتني قوتي، وسقطت على الأرض فاقد الإحساس.

يمكن لأي واحد أن يعلم من النظرة علي أنني كنت مريضاً مرضاً خطيراً، وهكذا، حملني بعض عمال المحطة إلى مستشفى كيوتو للعزل الصحي والتابع للولاية .

لقد كنت مصاباً بمرض التيفوس الذي كان يعتقد بأنه ينقل عن طريق قمل الملابس. وتعقدت حالتي بسبب سوء التغذية وتعطل الكبد عن العمل بسبب سنوات من إساءة استعمال الكحول. ومنذ ذلك أصبحت مقاومتي متدنية لدرجة شديدة. فضلاً عن ذلك، كان يوجد علاج خاص لمعالجة التيفوس في تلك الحقبة. لكن المرض تفاقم لدي بسرعة رهيبة، وأصبحت دمائي تخرج مع الغائط وأصبت بالتهاب الصفاق ناتج عن إنثقاب الأمعاء. توفيت بعد ثلاثة أيام من السماح لي بدخول المستشفى .

أرسل المستشفى برقية إلى سوميكو التي لا زالت زوجتي الشرعية، لكن أخذت الرسالة بعض الوقت للوصول إليها. على أي حال، وعلى الرغم من الفوضى في فترة ما بعد الحرب، نسيت كل شيء وأتت فور تلقيها الرسالة في كيوتو. والأكثر من ذلك، أنها لم تجد طريقة لنقل ما بقي مني إلى طوكيو. قررت في النهاية أن يوهب جثماني لمدرسة الطب للبحث الطبي. وهكذا، نقل جثماني إلى كلية طب راكوهوك، حيث حفظ طوال الليل، واستلمته جماعة الدفن التي أقيمت من أجل معرض جثث المدرسة. ثم عولج جثماني بمواد ليمكن استخدامه للتشريح لاحقاً.

وأعطت أمي وأختي، موافقتهن على منح جثماني في سبيل البحث الطبي،

على الرغم من تقدم أمي في السن وضعفها، حيث كانت لا تزال تعيش في فوكوسيياما، وأختي الأصغر مني، لم تتمكن من عمل شيء بعد نقل جثماني إلى مدرسة الطب قبل تلقيهن الرسالة بوفاتي.

إن مثال وفاتي كان يحدث تماماً نتيجة الاضطراب في فترة ما بعد الحرب، لهذا، كان ذلك التدبير لا مفر منه، ولم أَلُمْ أحداً.

في اللحظة التي مت فيها، وهجرت روحي جثماني وصعدت إلى السماء إلى عالم الأرواح، كان التحول من وجودي الأرضي إلى عالم الأرواح تجربة لطيفة. وشعرت كما لو كنت في حالة التخلص من ثوب حياة عادية والبدء في وجود أبدي جديد بكل ما في الكلمة من معنى في المستوى الروحي.

تجددت آثامي العديدة التي لم أفكر بها مطلقاً بشكل جدي خلال فترة حياتي، في عالم الأرواح، بوضوح مؤلم، وأسفت بشدة للأخطاء التي ارتكبتها. وقد أعادني هذا الوقت الذي قضيته في عالم الأرواح للحظة التي غادرت إلى السماء من قبل الرب.

هذه هي قصتي، مملة ومبتذلة كما يمكن أن تكون، شكراً لكم لسماعكم هكذا بصبر.

بعد سماع قصة الليلة الرابعة

يقولون إن الحياة هي أغرب من الخيال، لكن الوسائل المتنوعة وتقلب حياة روح سوميتا والأرواح الثلاث الأخرى، التي سمعناها كونها حقاً فوق كل تخيل ـ كانت في الحقيقة قصة بعيدة عن الحياة السعيدة» قال يوشيو باندفاع عاطفي. كانت لدي تجربة صغيرة جداً في الحياة، بعيدة جداً مقارنة بحياتهم جميعاً، لقد قضيت أيامي بسلام وهدوء وخلو من الأحداث الهامة.

علاوة على ذلك، على الرغم من حقيقة أن كل واحد منا في هذه الغرفة قد اختبر هذه الحرب المأساوية، وكل واحد بطريقة مختلفة، طبقاً لكل فرد وبأن لكل واحد ظروفه الخاصة، كنت في الحقيقة محظوظاً ـ أو أكثر حظاً من الغالبية ـ في بيت عائلي في كيوتو الذي لم يدمر، وان المشقة الوحيدة التي عانيتها خلال الحرب كانت دراستي التي تعطلت وأصبحت مفروضة بالقوة بدلاً من قضاء

ذلك الوقت في العمل في معامل الذخيرة. اقف هنا، مثل أي واحد منكم، واشعر، إلى حد ما، بأنني مذنب، لكوني أتيت خلال سنوات الحرب بدون محنة جدية، مع ذلك، فالحرب لم تدعني دون إصابة بالأذى تماماً. وقتل العديد من الطلاب في المدرسة المتوسطة السابقة، ممن استدعوا للعمل وأرسلوا إلى هاندا في مقاطعة ايشي، بالفيضانات أو بقنابل العدو، ولا زلت حزيناً من أجلهم.

إنني أدرس الآن بجد في سبيل أن اصبح طبيباً جيداً بمقدار ما أستطيع لأساعد المرضى. وأبعد من ذلك، قررت أن أكرس نفسي بطريقة ما لأحمي اليابان من الوقوع بالخطيئة الرهيبة مرة أخرى مطلقاً، وذلك بالتورط في حرب، إكراماً للرجال والشبان من هم في عمري الذين دفعوا حياتهم في بلاد أجنبية باسم الإمبراطور. ومن أجل الناس الذين لا يحصون ممن فقدوا عائلاتهم ومواطنهم وبيوتهم وكل شيء يملكونه بسبب الحرب... كل شيء من أجلهم...

«حسن، يوشيو» قالت روح الأستاذ يوهارا: لقد حان الوقت للعودة إلى الوطن الآن، وتعتني بدراستك، ويمكنك أن تنجز مهمتك. شكراً لك، لمجيئك إلى هنا هذه الليلة.

«قصة حياة سوميتا، مثيرة للمشاعر حقاً، فالناس في الواقع ضعفاء وعرضة للإغراء. وباللقاء مع شيو، تبدل مجرى حياة سوميتا بكل ما في الكلمة من معنى. وكنتيجة لعلاقاتهما، كان ذلك الطفل العجيب، الطفل العبقري، الذي انحط، ليس تماماً إلى شخص عادي، بل إلى سكير، حقير بائس، حطم مواهبه الطبيعية حقاً إن الناس لن يعرفوا مطلقاً ما هي الحياة التي أودعت لهم».

«لو إن سوميتا مارس السيطرة أكثر على رغبته الجسدية ولم يسمح لعلاقته الجنسية غير المشروعة بل المحرمة مع شيو أن تمضي، بل كان عليه أن يحطم وبعزم وتصميم روابطه معها، لما كان إثمه كبيراً لهذا الحد.

«حدد الإله لكل روح من الآثام التي يرتكبها، هو أو هي، خلال الحياة ــ حتى أولئك الذين ارتكبوا عن غير عمد ــ ولم يغفلوا واحدة منها، هكذا، الكرب الروحي الذي تعاني منه، تحت ما يمكن أن نسميه سوط الحب، والذي يمكن أن يقوده أو يقودها إلى التوبة والندم.

«طريق الإله، ليس كما يعلمه بعض الروحانيين والأديان، عندما،يقود شخص ما حياة شهوانية ورغبات جنسية، والارتماء في بحر من الدماء بعد الموت، في عالم الأرواح، فإن من أثِمَ على الأرض بشكل أكبر، فإن روحه هي القادرة على مشاطرة اقتداء المسيح بين أيدي الرب الرحيمة.

ففي حين كانت روح سوميتا في عالم الأرواح، واعية كل الوعي ما قامت به من شرور، وإنها اعترفت بالمسيح كمخلصها، وهكذا، فإنها سترفع إلى السماء في الوقت المناسب، بالطبع لا يمكن أن يقارن مرور الزمن في عالم الأرواح بذلك على الأرض، فبالنسبة لشخص ما، هو في الأول أبدي، وفي الآخر مؤقت أو زائل.

هكذا، اذهب الآن للبيت، يوشيو، فإنني أريد منك أن تستمع إلى قصتين هذه الليلة، لكن الساعات انزلقت بعيداً بسرعة كبيرة مرة أخرى من جديد، وقصة حياة استؤنفت في كامل الوقت المخصص لهذه الليلة.

الفصل السادس

الليلة الخامسة

قصة الرجل الذي اختبر رعب الحرب كشخص مدفعي في أدغال جبل لوزون

طفولتي:

حتى عندما استعيد طفولتي، فإنني لا أستطيع تذكر الكثير حولها. حدث كل شيء وولى بعيداً وراء حجاب النسيان، فقط صور غامضة، باهتة، كالخيال والتي يمكن أن تكون أحداثاً خيالية. والحالة هذه تذكر بمشاهد من أفلام الأسود والأبيض. لازلت أحاول إيقاظ ذكرياتي النائمة واستعيد قصة سنواتي الأولى ـ لكن لا تتوقعوا أن تكون ممتعة كثيراً ـ كنت عادياً ومتوسطاً تماماً في معدل الإسراف في الشراب.

اسمي في العالم الدنيوي كان يونيدا ايسامو. ولدت بالقرب من نيشيهو نغانجي في ساكيو مقاطعة كيوتو.

كان والدي، الصبي الأول المولود في عائلة تملك مصابغ كيوتو الموروثة منذ أجيال. ولو كان قوياً ويتمتع بصحة جيدة، فإنه كان قد اضطلع بأعمال العائلة واستمر في توسيعها، كما كان متوقعاً على نحو طبيعي منه، لكن بسبب أنه ولد ببنية ضعيفة جزئياً، فإنه لم يكن يهتم كثيراً بأعمال العائلة، إلى جانب ذلك، كان عنده ضعف تجاه النساء. وأصبحت مع الزمن مستعداً للبدء في الدراسة في المدرسة الابتدائية، وكان والدي قبل ذلك قد بَدَّدَ تركته بالكامل على حفلات الجيشا في حي ميياغاوا ـ شو، الذي كان قريباً نسبياً. وبسبب نقص النقود ، فإنه قد رَحَّلَ أبي وأخي الصغير وأنا عن منزل أسلافنا إلى بيت صغير في فوشيمي.

أصيب والدي بعدوى مرض السل بعد الانتقال إلى فوشيمي، وهو في قمة الوقت الذي كان عليه فية أن يتعامل مع مقره الجديد. وإنني أتذكر رؤية عينيه في وجهه المنتفخ المضنى الذي عبث به المرض في بعد ظهر أحد الأيام مؤخراً، وكانت أشعة الشمس الساطعة ترسل أشعتها من خلال دمعة على ورقة من إحدى حجب شوجي تنزلق وتبلل لحيته التي لم تحلق منذ عدة أيام في ضوء

عجيب حوله إلى أحمر شنيع. هذه هي ذكرياتي المبكرة عنه: العيون الكبيرة البارزة وتلك اللحية الحمراء المرعبة.

كانت أمي تدعى كوسان، وكان أخي الصغير قد بلغ ثلاث سنوات من العمر تقريباً عندئذ. قاست كثيراً من الأزمات من أجله. كان عليها أن تعتني بوالدنا المريض، وأن تربي صبيان شابان. ولا أذكر بوضوح تفاصيل حياة عائلتنا، بل أتطلع إلى الماضي، وعلي أن أقول إن أمي كانت زوجة طيبة بالنسبة لأبي الذي كان قد بذر إرثه على نساء أخريات. فكانت تقوم بواجبها، وتعاني كثيراً ـ في كل مظاهر الحياة، مع ذلك، ليس لدي فكرة عن شعورها الداخلي.

مع ذلك، ومع أنه كان أقل من زوج كامل، لكنه كان لا يزال والد طفليها. وكان يعتقد أن مرض السل هو الداء المميت في تلك الأيام، وينظر إليه بأنه مرض رهيب حتى أمام العين غير المدربة. ربما لهذا أرادت أن تكون لطيفة معه، وتجعله يحس بالراحة بمقدار ما تستطيع قبل أن يموت.

لقد كان الوضع حقاً مرعباً بالنسبة لها لأن تحاول الهرب من سكان البيت بعد أن أرهقت بالديون بسبب القروض التي اقترضها والدي وَلادَخْلَ هناك من أجل العناية وإطعام زوج عاجز وطفلين صغيرين. أتذكر أنها كانت ترغب بالجلوس في غرفة الجلوس تحدق أحياناً ببلاهة في قطعة صغيرة من الأعشاب الضارة التي نمت بجانب باب البيت المجاور. ربما أنها لم تكن تعرف من أين تبدأ العمل بنشاط لتقديم المساعدة. وكانت قدراتها الفعلية في نهاية نشاطها.

يقولون في اليابان عندما يهجرك أحد الآلهة، يأخذك إله آخر، تحت رعايته، ربما هكذا، من اجل أن لا يبدو وضعنا قد اصبح مسوداً تماماً، أحدهم تقدم إلينا بسبب فقرنا والمحن التي نعانيها، وعرض أن يستقبلني ويرسلني للمدرسة الابتدائية وهذا يعني على الأقل كوني الابن الأكبر، وبأن يكون لي بعض الثقافة.

مات جدي، من جانب أبي قبل أن أولد، بل كان أحد من المدرسين القدامى من سالوتاجي الذي كان يعطف على عائلتي ويأخذني إلى بيته. كصبي، فقد أُرْسِلَ السيد ساتو بكل الطرق من هو كيدو ليعيش كمتدرب في مشغل

جدي للصباغة. وعاد كرجل شاب بعد سنوات من تعلم التجارة، إلى مسقط راسه في آساهيكادا، وأنشأ مصبغته الخاصة كاختصاصي في تقنيات مصابغ كيوتو.

وكانت علاقة السيد ساتو مع والدي، إلى حد ما، كعلاقة ابن المعلم مع من تعلم صنعة بالخبرة العملية، عندما كان يعيش في منزل جدي في كيوتو. لكن كانا غالباً ما يلعبان سوية، منذ أن كانا في العمر نفسه.

كنت أكره أن أقول ذلك، فقد كان الأمر واضحاً كوضوح الأنف في الوجه، فلو لم يأخذني إلى منزله واعطاء أمي من الطعام مما يكفي لشهر كامل، فإن عائلتنا كانت تواجه دماراً كلياً

كان التخطيط لي أن أشرع بالالتحاق بالمدرسة الابتدائية في نيسان المقبل، وقام السيد ساتو برحلة طويلة من هوكيدو بشهر تشرين الثاني ليأخذني معه.

لقد كان صعباً علي أن أغادر عائلتي في مثل ذلك العمر الغض. فقد تفطر قلبي تقريباً حزناً وَأَلَمْاً عندما قلت وداعاً يا امي العزيزة ولأخي الصغير الحبيب، ثورو الذي كان يعجب بي، ويميل إلى أن يمشي بجانبي ويناديني بـ «الأخ الكبير، الأخ الكبير!» كثيراً ما كان علي أن أساعد أمي بالعناية بالأطفال. لكنه كثيراً ما كان يميل لعب لي كأي واحد، وإنني أعرف أنني أفتقده بشكل مرعب، فاليوم الذي غادرت فيه إلى هوكيدو، كان يوماً اسود بكل معنى الكلمة.

قبل أن يصاب أبي بالمرض الشديد، كان من الصعب أن يتواجد في البيت، وهكذا، فلم أكن سعيداً جداً بذكرياتي عنه، ولم يكن يشعر بالتمزق إذا غادرته. إن الشيء الوحيد الذي أتذكره هو ما حدث قبل عام تقريباً من مرضه الذي أفضى به إلى السرير! إنني لا أتذكر التفاصيل، لكن ذهبنا أربعتنا إلى ينابيع كيوساكي الحارة على بحر اليابان . وإني أستطيع أن أرى في عين عقلي غرفتنا في فندق صغير، وهو يتمدد على ظهره على كنبة، ويهدهدني على ركبتيه المرتفعتين، إنها ذكرى سعيدة بطريقة ما والتي بقيت معي كل هذه السنوات.

وما هو مروع، وشيء محزن، هو أن ترحل عن أناس أنت على مقربة منهم، الناس الذين تحبهم وتقيم معهم أعز علاقة في العالم! فكل الأرواح التي تحدثت هنا قد عرفت أسى الرحيل، وفي الحقيقة هل يوجد شخص لا يشعر بذلك؟.

يمكن أن تفكر أن ألم الرحيل يدوم، لكن لفترة قصيرة عندما يكون الواحد شاباً، وإن قلب الطفل ينسى على الفور، لكن إن الانفصال عن عائلتي ترك جرحاً عميقاً في قلبي.

حسن، أخذني السيد ساتو معه إلى محطة القطار، وبدلنا عدة قطارات قبل أن نصل إلى محطة قطار أوموري. وبقينا ليلة في نزل من النوع الرخيص، واجتزنا مضيق تسوغارو بمعدية في اليوم الثاني. أخيراً وصلنا إلى جزيرة هوكيدو. وعلى الرغم من أن اليابان بلد صغير، شعرت أننا قد اجتزنا مسافات طويلة. كل شيء من الشوارع والمنازل، حتى المشاهد الطبيعية، كانت مختلفة تماماً عن تلك التي تعودت أن أراها في هونشو، الجزيرة الرئيسة في اليابان. خصوصاً في المدينة المكتظة كيوتو حيث تعيش عائلتي. شعرت كأنني أتيت إلى بلد أجنبي.

كان والد السيد ساتو في الأصل من منطقة فوكوشيما، وقد جاؤوا إلى هوكيدو في سنوات شبابه كجندي رديف وكمزارع في الاتحاد، واحد من الآلاف الذين ارسلوا إلى هوكيدو من قبل الحكومة لزراعة الأرض وتنمية المنطقة. وقرر أن يستقر في ضواحي آساهيكاوا بعد تعيينه في الجيش لمدة محدودة. فيما بعد. عندماتوسعت آساهيكاوا، انتقل إلى المدينة بالذات، وفتح مخزناً للكومينو، وأرسل ابنه الصغير إلى كيوتو لتعلم فن صباغة كيوتو لدى صباغ متدرب، أي جدي، وعاد ابنه بعد عدة سنوات، مع معرفة ضرورية ومهارات، حول مخزنه الذي كان قد اختص بالكيمونو، لصنع الصباغات المستخدمة في كيوتو كصباغات تقنية.

عندما كنت أعيش في منزل السيد ساتو، كان والده الذي كان لا يزال يتمتع بصحة جيدة، خفيف الحركة ونشيطاً، على الرغم من كونه عجوزاً، يقص علي قصصاً حول المحن التي واجهها كطلائعي يقتصد في العيش في هوكيدو وكيف أنه عمل بأقصى طاقته لينجز المهمة التي عهدت إليه. وقد بدا

أنه كان يستمتع بإخباري بهذه القصص عن ماضيه بمقدار ما كنت أسر بسماعي إياها. وكان يبذل جهداً عظيماً عند الحديث بلغة يستطيع صبي يافع أن يفهمها بسهولة.

وبعد عدة سنوات من عودته إلى هوكيدو بعد تدريبه في كيوتو مع جدي، كان السيد ساتو قد تطوع في أحد الوية المشاة في فرقة من الجيش السابع في آساهيكاواوارسل إلى سيبريا في عام (١٩١٨). كانت محطته الأولى في الخدمة، على طول طريق سكة حديد منشوريا. بعدئذ، أرسل عبر الحدود المنشورية — الروسية إلى منطقة حول بحيرة بيكال. كانت القوات اليابانية قد نزلت فيها الهزيمة بسبب تكتيكات حرب العصابات المتميزة والمنيعة من قبل الأنصار البولشيفيك الذين بدوا على أنهم قادرين على الظهور للعيان خارج أي مكان يهاجمون، ثم يختفون بدون أي اثر. وأصبح الهدف من وراء معركة القوات اليابانية، كان غير واضح لهم تماماً، والتي خفضت معنوياتهم وجهودهم تدريجياً، وكنتيجة خسرت القوات اليابانية المعارك الواحدة بعد الأخرى. واصبح الوضع الراهن مأساوياً، لكن الطريقة التي كان يخبرنا بها السيد ساتو حول تجاربه القتالية من وقت لآخر عندما كنا نتناول طعامنا في المساء، يجعلها مضحكة عذبة. في تلك الأيام، كان معظم الشباب اليابانيين يريدون ان يكبروا ليكونوا جنوداً برتب عالية، وابن السيد ساتو، ايشي وأنا أصبحنا مثل الآخرين دون استثناء. نستمع بدون تعب لقصصه الحربية، وعيوننا الشابة تلمع بالفرح والإثارة.

عندما أصبحت في سنتي الثالثة في المدرسة الابتدائية، أُنبئت بأن والدي يحتضر. أسرعنا السيد ساتو وأنا إلى قلب مدينة كيوتو بسرعة بقدر ما نستطيع، لكن الرحلة استغرقت ثلاثة أيام، وعندما وصلنا أخيراً، ودخلت لرؤية والدي، كان يبدو كما لو أنه في النزع الأخير. فكان يتنفس بجهد وبألم. وكان يلهث كما لو أنه يحاول اخذ مادة الأوكسجين في الغرفة مع كل حركة تنفس.

كانت رُسُغُ أقدامه والبشرة حول عينيه منتفخة، لكن باقي جسمه كان حتى أكثر هزالاً ونحولاً عما كان عليه من قبل عندما غادرت إلى هوكيدو قبل ثلاث سنوات. فكان لا شيء سوى جلد وعظم.

كل شيء كان يدل على أنه يحتضر، حتى بالنسبة لعيون لا خبرة لها لصبي صغير. وفكرت لنفسي: «هذا هو ما يشبه الموت».

اصبح تنفسه العميق غير منتظم، ثم أخذ يفقد الوعي من حين لآخر، وأصبحت الفترة الفاصلة بين فترات التنفس تطول، من ثم، كما لو كان يكمل تنفسه الذي نفذه، ثم اصبح أعمق بمرتين.

في هذه الأثناء، أخذت عيونه تنفتح من حين لآخر، وتجولان أطراف الغرفة. عندما قَرَّبْتُ وجهي إلى خط رؤيته، حدق فيَّ مع عيون مليئة بالحب ـــ حب لم يظهره لي من قبل مطلقاً ـ وحرك شفتيهُ قليلاً كما لو كان يحاول أن يقول شيئاً ما. ثم رفع يديه في الهواء أمامه. مدت أمي يديها إليهْ، وأمسك بها بإحكام مع إيماءة كبيرة من رأسه ونظرة رضى، تنفس نفسه الأخير .

كانت الجنازة صغيرة وبسيطة بعد ذلك، نظراً لامتلاك عائلتنا مصادر هزيلة، جرى نقل الجثمان إلى محرقة إلى جبل كيو فيرو. حيث دُفِعَ التابوت من خلال أبواب حديدية إلى وسط اللهيب. أمي التي مازالت تحارب لكبح حزنها، أخيراً، اندفعت دموعها بقوة، وارتعدت بقوة بنشيجها القوي.

فجأة، تدفقت موجة لافحة من الأسى والحزن في صدري والتصقت بأمي، واندفعت عندها دموعي على خدي، ولم أرها، منذ أن غادرت إلى هوكيدو قبل ثلاث سنوات. حاولت الآن أن أظهر لها كل الحب الذي عندي لها، والتصقت بصدرها وطمرت وجهي في كيمونها الأسود.

فيما بعد، جرى حديث جدي بين أمي والسيد ساتو حول ماذا يمكن أن يفعل من أجلي الآن بعد موت والدي. في النهاية، استخلصوا أنه لا توجد طريقة تستطيع بها أمي دفع نفقات المدرسة لي ولأخي الصغير، خارج الدخل البسيط الذي يأتيها نتيجة العمل بالقطعة. والعمل العرضي الذي يمكن أن تقوم به في المنزل. وعندما تشعر بذلك، فلا بد أن تشعر بالخزي والعار لأنها تخرجني من المدرسة في الوقت الذي شرعت فيه بالحصول عليه، وقررا أن علي أن أعود مع السيد ساتو إلى هوكيدو والبقاء عندهم حتى التخرج من المدرسة الابتدائية كما خطط لي بالأصل.

فعلاً، اعتقد أن السيد ساتو عاملني بلطف بسبب أنه شعر بواجبه من اجلي وان يعوض عن دين من المعروف الذي يتوجب عليه تجاه عائلة والدي عن أيامه كصبي متدرب لدى جدي.

وهكذا، مرة اخرى من جديد، اصبح علي مغادرة أمي وأخي الصغير، ومن جديد، كان الوداع معذباً للقلب ومحدثاً كل العواطف والعودة حالاً بعد موت والدي.

مر بقائي في المدرسة الابتدائية ثلاث سنوات سريعاً جداً، وبلمحة بصر.

عندما اقتربت نهاية السنة السادسة والنهائية، قال السيد ساتو، إنه قد يرعاني، خلال المرحلة التالية للدراسة، على الأقل، إذا اردت الاستمرار، لكنني رفضت عرضه الكريم وقررت العودة إلى بيتنا في كيوتو في آذار حالما تنتهي السنة الدراسية.

غير أنني لا أزال صغيراً تماماً، لأتحمل مسؤولية باستقلالي الخاص الذي يجب أن لا يسمح لي أن أدع السيد ساتو بالاستمرار بدعمي أية مدة أخرى. ولكوني الابن الأكبر، يجب علي أيضاً أن أبدأ بالشعور بالمسؤولية لمساعدة ودعم عائلتي في كيوتو منذ الآن، لأن والدي قد مضى وانتهى. لكن ما هو أكثر من أي شيء آخر، فقد أردت أن أكون شديد الحاجة للبقاء مع أمي وأخي الصغير من جديد.

وهكذا، قلت وداعاً إلى هوكيدو حيث قضيت ست سنوات أنعم بكرم وشفقة السيد ساتو، كأنني كنت في منزلي، وتوجهت عائداً إلى كيوتو.

في هذه الأثناء، قمت بهذه الرحلة الطويلة لوحدي، وأصبحت أذنيَّ وأنفي ومؤخرة رقبتي، سوداء بالسخام والدخان من بخار القاطرة عندما ركبت القطار من محطة كيوتو . وصل القطار في الموعد المحدد تماماً. وعندما شاهدت أمي وأخي الصغير، ينتظراني على الرصيف، خفق قلبي من السرور، وإنني من جديد في منزلنا

بداية جديدة فـي كيوتـو

حصلـت علـى عمـل في اليوم التـالي تماماً، للمسـاعدة في أعمـال المطبـخ في نـزل ومطعم يدعـى توسايا في فوشيمي، مـن خـلال تعريـف بـي مـن قبـل أحدهـم مـن معارف أمـي لـه علاقـة بـالعمل بالقطعـة الـذي تقـوم بـه في المنزل. كـان ذلـك المكـان مشـهوراً كـأحد اروع المطـاعم في فوشـيمي، الـتي كـانت نفسـها منطقـة مـن المدينـة يُشار لهـا كونهـا الأفضـل بالنسبة للمنشـآت الخاصـة بالمطـاعم.

توليت ذلـك العمـل والعيـش في فوشـيمي لأكـون قـادراً علـى رؤيـة أمـي وأخـي الصغير في أحـوال كثيرة. لكـن مـا مـن شيء يمكـن أن يخفـي الحقيقـة. كـان العمـل شـاقاً حقـاً، تنظيـف القـدور وأوعيـة القلـي، والصنـاديق الفارغـة، فـرك وتنظيـف أرضيـات المطعـم، والطـاولات وترحيـل النفايـات ـ كـل هـذه الأعمـال القـذرة. ومـا هـولا أكثر مـن ذلـك، لقـد جعلونـي أعمـل بغير انقطـاع مـن السـاعة الخامسـة في الصباح حتـى السـاعة الحادية عشـر ليـلاً.

كـانت السـاعات السـعيدة، هـي تلـك الـتي أقضيهـا في النـوم، وكـل مـا عـدا ذلـك، فـإنني لا أملـك نقـوداً لإنفاقهـا، فلـم أتقـاض أجـراً منـذ أن أصبحـت في المطبـخ كمتـدرب. وكنـت أعفـى مـن العمـل في كـل شـهر لمدة نصـف نهـار فقـط، وأذهـب إلى مـنزل والدتي وأعطيهـا كـل قطعـة نقـد صغـيرة مـن مصـروف الجيـب القليـل جداً الـذي كـان يعطيـه لي صـاحب المطعـم كنـوع مـن العـلاوة. وكنـت أحصل علـى ثلاثـة أيـام كاسـتراحة عـن العمـل بمناسبة الأعيـاد الدينيـة، في كـل شـهر آب، وثلاثـة أيـام أخـرى بمناسبة رأس السـنة، وهـذا كـل شـيء. ثـم صـار يسـمح لي في آخـر الأمـر المسـاعدة في المطبـخ الفعلـي، بعـد ثلاثـة أعـوام هنـاك. في البدايـة، فكـرت بـأنني أصبحـت في طريقـي لتعلـم التجـارة في آخـر الأمـر، لكـن تبـين لي أنـه ليـس سـوى فـترة تدريـب أخـرى مـن الشـدة والضيـق. كـان يوجـد خمسـة رؤسـاء طهـاة، والـتي كـانت مراتبهـم مُحَـدَّدَة بوضـوح، بطـراز الأقدميـة وفي ترتيـب الأدوار الـتي يقومـون بهـا والـتي كـانت بطريقـة مـا، حتـى أكـثر صرامـة مـن تلـك المطبقـة في الجيـش، مـع ذلـك، فـإذا ارتكبـت حتـى غلطـة صغيرة فـإن أحـد الطهـاة يوجه لي ضربة قويـة علـى الـرأس بحـد سـكين مُثَلَّـم غير حـاد. مـع ذلـك، حتـى تلـك المرحلـة مـن تدريبي، لا يزالـون لا يريـدون أن يعلمونـي كيـف يتـم تقطيـع السـمك،

والأطعمة حسب الفصول، وهلم جرا... أصبح عملي بالضبط حمل الأطباق إلى أحد الطباخين الخمسة وغسل الخضار .

في النهاية تعلمت أن صاحب المطعم نفسه، أو رئيس الطهاة، يقوم بكل الأعمال الهامة للطبخ، وإن الطريقة الوحيدة التي، يمكن أن أصبح فيها قادراً على التقدم حتى مستوى الطاهي، هي مراقبة هذين الشخصين في عمل المطبخ وتعلم تقنياتهم بطريقتي الخاصة.

هذا ما قمت به فعلاً، وأصبحت أحد رؤساء الطهاة من المرتبة المتوسطة في السنوات الثلاث الأخرى. والسبب الرئيس وراء تقدمي السريع، استدعي للخدمة العسكرية الأقدم في مرحلة التدريب بالنسبة لرؤساء الطهاة، في الوقت الذي وصل فيه إلى سن معين.

في تلك الاثناء، كان يوجد طباخ أقدم مني بسنتين والذي من المفروض أن يستدعى على الفور للسحب للخدمة العسكرية. وكان زميلاً خسيساً روحياً ومفعم بالحيوية، وكان على الدوام يقف ضدي، ويضايقني ويزعجني باستمرار. وفي أحد الأيام، انتقد الطريقة التي أعددت بها الطعام في طبق، وسدد لي ضربة قاسية على الرأس بقبضة سكين مطبخ.

كانت تلك القشة التي قصمت ظهر البعير.

انفجر غضبي المكبوت والاستياء، وفقدت السيطرة على نفسي، اختطفت السكين الذي كان قد وضعه للتو على الطاولة وشرطته في الرأس. تفجر الدم من الجرح. فانهار، وسقط على الأرض، لكن ليس قبل تدفق الدم فوق أطباق الطعام الموضوعة على الطاولة الطويلة. لقد كان حقاً نوعاً من الخبيصة، وأخذ كل واحد في المطبخ يصرخ.

أخذوه إلى مشفى فوشيمي المتفرع عن مستشفى مدرسة راكوهوكو الطبية، حيث أجريت له عشر قطب لإغلاق الجرح.

في الظروف العادية، كان من المحتمل أن يجري توقيفي من قبل الشرطة وبأن أتهم بهجوم خطير وذلك بطعن رجل، لكن نظراً لكون الضباط من ذوي الرتب العالية التابعين للفرقة (١٦) ورئيس الشرطة المحلية وضباطه من

أصحاب الرتب العالية، من الزبائن الدائمين للمطعم، لم يرد صاحب المطعم أي شيء يسيء إلى سمعة مطعمه، وطلب منهم أن يُحتفظ بالحادث دون إثارته، وهكذا، أنقذني من التوقيف، لكنه طردني من العمل في اليوم الثاني بالذات.

في البداية، اتخذت ذلك العمل بهدف العيش ومساعدة أهلي، ثم حلمت بأن أصبح رئيساً من النوع الممتاز في الوقت المناسب، لكن كانت تلك الأحلام غير قابلة للتحقيق.

مع ذلك، فإنني لا أستطيع أن أتسكع هنا وهناك في الشوارع، وإضاعة الوقت أيضاً على أخطائي. كان الشعب الياباني شعباً فقيراً على الدوام. لكن تلك الفترة أصبحت قاسية على نحو بارز بسبب الكساد. وتصف إحدى الأغاني الشعبية محنة خريجي الجامعة العاجزين عن إيجاد عمل. وهكذا يمكنك أن ترى أمثالي موضع سخرية، فقد وصل لمرحلة الدراسة الابتدائية، لهذا لم أجد عملاً من أي نوع، ولم يكن أمراً سهلاً.

اصبحت قادراً على الحصول على عمل في معمل للصباغة في شارع موتوسانغانجي في شارع هورسيكادا العريض، من خلال مساعدة أحد المعارف الشخصية لجدي ولأبي. ربما كان هناك، مع ذلك، ترابط بين القضاء والقدر ونفسي وأعمال الصباغة في كيوتو.

اصبح علي أن اشرع من الصفر، من جديد تماماً، مع ذلك صار في مقدرتي توقع ذلك، لأتحول إلى نوع آخر من العمل بصعوبة، باعتباري لا أملك معرفة أو خبرة بالصباغة، وأن تصبح أصابعي ملطخة بالصباغ باستمرار. ومارست التقنيات المتنوعة في الصباغة : كيريفوكي، برش الثياب برذاذ الصباغ، والهيبكوزوم، باستعمال الصباغ، والبوكاشي بتداخل الصباغ. أو حاملاً كومات ثقيلة من الثياب على نحو مدهش قبل الصباغة. كان عملاً قاصماً للظهر ويتوجب أن تكون على الدوام واقفاً ومنحنياً إلى الأمام فوق الثياب، لهذا أصبحت عملية الصباغة صعبة على الجسم .

تعلمت المبادئ الأساسية بسرعة نسبياً، ولم يكن متوقعاً لمبتدئ مثلي مثل تلك النتيجة، ربما بسبب دم أجيال صباغي كيوتو التي تجري في عروقي.

والأكثر أهمية من ذلك، فقد استمتعت بالعمل على نحو ممتاز. كنتيجة، فإن المالكين لأعمال الصباغة، والعمال الأكبر سناً، عاملوني كما لو كنت غنيمة تستحق التمسك بها لعملهم.

عندما فكرت بالضبط بأني وجدت طريقي الخاص في الحياة، وإن أمي قد ابتهجت لتوقعاتي المستقبلية، جاء اليوم من أجل فحصي الجسماني من أجل الخدمة العسكرية.

أدى الحادث الذي جرى في منشوريا عام (١٩٣١) باليابان لتزيد من قوتها العسكرية في الصين باستمرار، حتى وصل الأمر إلى أن اندلعت الحرب عام (١٩٣٧). وأصبح الرجال الشباب متطوعين أكثر فأكثر من أجل مد آلة الحرب اليابانية لكي تدور. وكان قدري أن أنضم إليهم.

الالتحاق بجيش اليابان الإمبراطوري

ذهبت لإجراء الفحص الجسماني في ربيع (١٩٣٩). وكما تعلمون كان كل شاب ياباني عليه أن يجري فحصاً أولياً عند بلوغه العشرين عاماً. لبست مئزراً جديداً تماماً كانت أمي قد صنعته من أجلي، ثم تزينت وذهبت إلى مكان الفحص. وانتهى الفحص مع توبيخ مخز لأمراض تناسلية .

يونيدا إيسامو (١ – آ)، استدعي للعمل ككاتب تسجيل أبكم مع غرور، وفجأة يرتبك نتيجة هذا الوصف، فكرت بنفسي «الآن، إنني حقاً رجل ناضج!

حصلت على أمر للالتحاق بفوج المدفعية الميدانية (٢١٣) التابع للفرقة (١٦) في كيوتو، بالضبط بعد يوم من عطلة السنة الجديد (١٩٤٠) وبالإعلان عن حضوري يعني أنني مستعد لأداء الواجب.

شكلت عضوات جمعية نساء الدفاع الوطني والجيران، ممراً ضيقاً في الشوارع المحيرة مقابل بيتنا لوداعي، ولوحن بأعلام غنية بالألوان ورفعن الرايات التي تتوسطها الشمس، وغنين «نشيد شرق ـ آسيا العظيم» وذلك كوداع لجنودنا إلى المعركة. وكنت ألبس وشاحاً أحمر من جانب الكتف إلى الخصر، ورفعت كيس معدات التنجيم وتوجهت للالتحاق بفوجي.

ارادت أمي وأخي الصغير ثورو مرافقتي إلى أبعد حد يستطيعان. وهكذا،

ركبنا القطار الكهربائي ثلاثتنا، حسب خط فوشيمي، وركبناه بمقدار ما يمكن على طول الطريق، وكان ضيقاً جداً في بعض الأماكن حتى كنا نشعر أن بعض العربات ستصطدم بسقوف المنازل على كل جانب. ومن هناك. مشينا على طول شارع يسمى شارع الفرقة لباقي الطريق نحو قيادة الفوج.

بجلاء، كان العديد من المتطوعين الجدد الآخرين قد أُمروا بالحضور للإعلان عن استعدادهم لأداء الواجب في اليوم نفسه، وفي الوقت نفسه. عندما اقتربنا من باب الثكنات، كان يوجد حشد كبير من المتطوعين وأمهاتهم وآبائهم، أخواتهم، وأخوتهم، جاءوا لوداعهم. وكان بعض من هذا الكم، من المتطوعين الشباب، يتطلع قلق البال، أمثالي. وكان بعض آخر يتمتع بروح عالية، بل كانوا تواقين للمسير. واحتفظ بعض بعيونه على الأرض. وكان يبدي كما لو كان يريد الشروع بالبكاء في أية لحظة. إنني أتذكر، بأنني رأيت شخصان كانا يبدوان كأنهما أم وابنها، يسيران باتجاه البوابة، ويعزي أحدهما الآخر.

دخلنا بوابة الثكنة، قادني ضابط صف إلى ساحة بين ثكنتين، حيث غيرت ملابسي بلباس رسمي جديد، وسلمت ثيابي المدنية إلى والدتي. ثم حان الوقت لأقول وداعاً.

قالت أمي:«خذ حذرك، وهي تمسح دموعها التي انهمرت على خديها»، أضافت، لا تدع أمراً يحط من كرامتك، حياة الجيش قاسية لكنني أعرف أنه يمكنك القيام بها».

تشبثت بيدي بشدة مشجعة. كانت عيون ثورو رطبة، وهرب نَشْجُةُ من بين شفتيه مرة أو مرتين مع ذلك، قام بمقدار ما يستطيع لكبحها. ثم استدرت ودخلت إلى الثكنات.

لقد سمعت من قبل حول صرامة وقسوة الحياة العسكرية، وكنت مستعداً لذلك ـ أو هكذا، فكرت. لكن الواقع كان أكثر سوءاً مما أستطيع حتى تخيله. وتعلمت الحقيقة المؤلمة، منذ اليوم الأول نفسه: أصبح المتطوعون الجدد يعاملون بأقل من كونهم بشراً. فلم يكن لدينا فكرة أين يمكننا الحصول على وجبات طعامنا، وأية أسِرَّةً هي لنا، وكيف نضع الأغطية عليها، وكذلك

الحرامات. ومتى نخلع ألبستنا الرسمية وكيف نطويها، وأين نضعها. والأكثر أهمية من كل ذلك، ما هو جدول الأيام ـ لكن عريف الزمرة الأقدم يحثنا ويصرخ في وجوهنا ــ هاي، أنت أيها الأبله، اركب على حمارك؟ تحرك!

منذ ذلك اليوم، لم يمر يوم لا أهان فيه وأتلقى صفعة. ومهما ارتكبت من خطيئة صغيرة جداً أو تافهة، فإن سوطاً من سعف النخل يحمله أحد الرجال الأقدمين وينزل على خدي في كل وقت على وجه التحديد. والأسوأ أيضاً حتى عندما لا أقوم بأي شيء خاطئ، فإنهم يصفعونني كيفما اتفق لكوني «وقح» بطريقة ما! ولكوني «متمرد» ويكفي أن انظر إلى أحدهم في العين ــ فيضربني بقسوة على خدي إلى درجة الانتفاخ ويجعل وجهي كله منتفخاً في الجهتين.

برنامجنا اليومي الأساسي لا يتغير مطلقاً. عندما يدق موعد الاستيقاظ، يجب علينا أن نصطف، ثم، إجراء التفقد، ثم تناول طعام الفطور، ثم التدريب الصباحي، تناول طعام الغداء، ثم التدريب ما بعد الظهر، ثم تناول طعام العشاء فالحمام، فالدراسة، والتفقد المسائي، أخيراً التوجه إلى الاسرة. لكن تتوقف واجبات المتطوعين الجدد هنا، إذ كان علينا أن تأخذ دورك بالخدمة كخادم أو مرافق لأحد الجنود القدامى، وتنظيف الثكنات من الداخل ومن الخارج. والقيام بواجب تنظيف المراحيض، والوقوف بالحراسة خلال الليل كله، وأكثر ـ أسرع، أسرع، أسرع كل يوم، ولم يكن لنا دقيقة واحدة مطلقاً لأنفسنا. والطريقة الوحيدة التي يمكن بها تقدير الأمر والحصول عليها، هي أن تنجز خلال وقت قصير، الوقت الذي تنفقه في غسل وجهك أو في المرحاض، أو القيام بغسل ثيابك، وهكذا.

لكن الجزء الأسوأ منها كلها، كان التدريب الصباحي وبعد الظهر، إذ تضعنا تعليمات التدريب في الواقع من خلال ذلك، في آلة عصر. وتبدأ كل دورة تدريب اساسية بمثل ذلك، يجب أن نصطف، من ثم الوقوف ساكنين، ونحيي. ثم يبدأ التدريب، وكان هذا من الناحية الجسمانية، والمطلوب أن نفهم بوضوح لماذا ليس إلا أولئك من هم في التصنيف (١ – آ) الذين تقع عليهم القرعة ليدخلوا في الخدمة في فيالق المدفعية ــ فقط الرجال ضمن الشروط الجسمانية التي يمكنهم خدمتها على نحو ممتاز.

يحمل جنود المشاة بنادق المشاة طراز (٣٨)، وهي ليست ثقيلة جداً، أو سلاحاً رشاشاً أو قاذفاً للرمانات اليدوية، إلى ابعد حد، وتتسلح أطقم مدفعية الميدان بمدافع ميدانية ضخمة كالقذافات أو المدافع الطويلة. وهذه كانت تقوم بأعمال جسدية أستطيع أن أخبركم بها. فالمدافع ثقيلة، حتى في حال تجزئتها إلى قطع صغيرة وإذا حاولت رفع قطعة ما ـــ فقط قطعة واحدة منها ـــ إلى الأعلى على كتفك، عندها ستصبح ممدداً على الأرض قبل أن ترفعها. هكذا، ولا توجد طريقة أمام رجل يمكنه السير وهو يحمل جزءاً من هذه المدافع الضخمة على الكتف.

في إحدى المرات، حاول أحد جنود المشاة القيام بمثل ذلك حقاً بطريقة ساذجة، لكنه ما أن قام برفعها إلى الأعلى على كتفه إلا وانهار إلى الوراء تحت الثقل وانسحق تحتها، وقد تهشمت رسغ قدميه إلى قطع صغيرة، ونقل إلى المستشفى.

قال عسكري المدفعية المدرب «مدفعك وأنت، يجب تقاسم المصير نفسه» في حين أن عسكريي المشاة لا يزال يتبع أسلوبه القديم في استخدام البارودة طراز (٣٨) الخاصة بجنود المشاة وكانت تعتبر هدية مقدسة من الإمبراطور، وكان عليه أن يتدرب عليها ويفكر بها كأنها قطعة من جسمه ودمه. كان تدريب المدفعية أكثر صرامة ويتطلب جهداً أكبر.

إن الغرض من التنظيف وجمع كل قطعة مفردة من عشرة قطع من المدفع القذاف من عيار عشرة سنتمتر هو حفظ ذلك عن ظهر قلب. وكان علينا أن نتعلم أيضاً كيفية تقديم عربات الخيل وربطها بالمدفع، استعداداً لسحبه إلى ساحات القتال، وممارسة شد المدافع إلى عربات المدافع وقيادتها إلى موقع المدفع حيث نريد. كان علينا أيضاً، تدليك الأحصنة بعد التدريب والعناية بحوافرها، وإطعامها وتنظيف أمكنتها، وتنظيف الإصطبلات في ساحات فرق المدفعية. وعلينا أن نقوم بالواجبات الخاصة بجنود المشاة، ونقل رجال الفرقة، بالإضافة إلى جنود الخيالة وفوق كل ذلك، واجباتنا كجنود مدفعية. وهكذا، فنحن جنود المدفعية، علينا أن نقوم بالعمل الشاق الطاحن من اليوم الأول حتى اليوم الأخير.

بعد أيام قليلة قاسية، شعرت أنني وصلت إلى حبل المشنقة في كل من الحالتين جسدياً ونفسياً، بعد هذا النوع من التدريب المجهد، ومن الإهانات هنا وهناك من العسكريين القدامى، تجاه أي شيء أو أي تجاهل للتعليمات ، واصبح بعض زملائي المتطوعين منهارين، إذ أنهم اصبحوا معفيين لكونهم مشوشين عقلياً وغير صالحين للخدمة العسكرية، وحتى أن أحدهم قد شنق نفسه.

أصبحنا نسمع دائماً معظم الوقت عندما نتمركز في الخارج على بعض ساحات القتال عليك أن تهرب، وهكذا، صرنا تواقين لأن نرسل للقتال هرباً من جهنم من مرحلة التدريب الأولي.

أرسلت مجموعتي من الجنديين إلى أواسط الصين. بعد ستة أشهر من تجنيدنا، على الفور بعد الاستعراض في نهاية الدورة.

أبحرنا من ميناء أوجينا في هيروشيما في شهر حزيران (١٩٤٠)، قبل حوالي ثمانية عشر شهرا من البدء في الحرب في المحيط الهادي، وتوجهنا نحو هاباي شنغ في الصين. وأرسلنا إلى القتال في عملية يي شانغ فور وصولنا.

استمر تدريبنا العسكري في ميدان القتال، وكان ما تعرضنا له أردأ مما تعرضنا له عندما كنا في اليابان ـ تماماً على النقيض عما قد أعلمنا به من قبل المساعدين القدامى. وكان باستطاعتنا دائماً أن نسمع أصوات نيران البنادق بصورة متقطعة ونيران المدافع، وكذلك أصوات طلقات الرشاشات من صنع تشيكوسلوفاكي. وأصوات قذائف الهاون المتخندقة وهي تنفجر على مسافة قريبة، حتى في الوقت الذي كنا غير مشتبكين في المعارك. مع ذلك أصبحنا راضين عن هذه التدريبات المستمرة، وحتى تركيز التفكير بأعمال التعلم كيف نقاتل ونقتل، مع احتمال الموت المفاجئ، ومع هذه الذكريات المتواصلة عن الحرب، ومع كل هذه الحقائق، كان موقف الجنود القدامى الذين حاربوا في معارك عديدة مختلفاً تماماً في ساحة القتال عما كان يظهره أولئك المستأسدين من يحبون المزاح عندما كنا في اليابان. ولقد أعلمونا من جديد في إحدى المرات، وبعبارة واضحة كيف أصبحنا في أوضاع مختلفة عما كنا في الماضي.

«تسمعون إطلاق المدافع هناك، فهل تخافون أزيزها؟ من الأفضل أن تُصْغوا إليها، وتتعلموا هذا الإطلاق، والصعوبة الشديدة الآن هي كيف سيحدد أحدكم فيما إذا كانت واحدة من هذه الرصاصات ستصطدم بك أم لا، وفيما إذا كنت ستموت أم لا».

عندما كانوا يقولون أشياء مثل ذلك، فنحن المتطوعون الجدد أصبحنا نقول، هذا حسن، وإننا نرغب بتدريب أقسى. رفعت من رتبة النجمة إلى رتبة النجمتين، خلال السنتين القادمتين، من ثم من النجمتين إلى ثلاثة نجوم خصوصية.

في هذه الأثناء، صرت أقوم بفحص المتطوعين الجدد الذين كانوا يصلون على التو من كيوتو وفجأة، ماذا أرى، إنه أخي الصغير ثورو!

«أخي الكبير!» صرخ وفي وجهه نظرة مفاجئة تماماً، كما لو كنت الشخص الأخير على الأرض الذي يتوقع مصادفته. وعلى الرغم من قواعد الانضباط العسكري، فقد تجاوز الحد المقرر وتقدم نحوي وعانقني عناقاً شديداً.

كان ثورو جباناً قليلاً في طبيعته، وكان قد حصل على الترتيب (١-ب) في فحصه الجسماني، وهكذا، فهذا يعني أنه سقيم وضعيف لدرجة أنه لو أن الحرب لم تستمر مدة طويلة، فإنه سوف لن يُدْعى إلى وحدة كواحد صلب العود، ويخصص بدنياً في فيلق مدفعية الميدان الذي يتطلب كفاءة أكثر. من سوء الحظ، فقد أعطى ضعفه للمدربين والجنود القدامى، وحتى ممن هم أكبر سناً، حُجَّةً من أجل تنميره. وبدا وكأنه ضحية لبعض الفساد إلى حد ما، حيث فرضت عليه أعمال مرهقة، حتى وكأنه متطوع جديد. وحتى وجهه غير المتناسب والنحيل، والمنتفخ في أحد جوانبه، أعلمني أنه كان يصفع هنا وهناك على نحو خطير.

من جهة، كان من العجيب حقاً والمدهش أن ترى وجهاً عزيزاً هكذا عليك، لكن في الوقت نفسه، كنت في الواقع مسروراً بأن القدر وضعه في فوجي، من جهة أخرى، فإن المنزلة الاجتماعية الخاصة في حياة الجيش، هي على الدوام هدف جاهز للمتنمرين. مع ذلك، كان تصرفهم هذا يزعجه

ويدفعه للالتصاق بي، وكان ذلك يعتمل في قلبي كأخيه الأكبر، وحزمت أمري على أن أحميه وأقيه من السخرية وضربات الرجال الأقوى منه.

كنت بطبيعتي جريئاً وعدوانياً ومغامراً. وفي هذه الأثناء كان لدي بعض المنزلة العالية، وهكذا، فلم أكن أخاف من أحد في الفوج. كنت من أصحاب الثلاث نجوم الخاصة، وإن المتطوعين الأغرار من الرجال من له خدمة سنتين يحترمونني كجندي محنك متمرس. وتعتمد مكانة العسكريين في الترتيب العسكري على مدة الخدمة في الجيش، ومنذ أن أصبحت لا أكترث بالضباط الشباب الخاضعين للتجربة مع نجومهم الذهبية على ياقاتهم كنت أعاملهم باستبداد أو تحكمي، وحافظوا على قدر من الاحترام بيني وبينهم.

كانت ثكنتنا الخاصة بكتيبة مدفعية الميدان تقع في قرية تدعى بينع شان، وجرى إقامة مطار بعد القرية مباشرة تماماً.

لم يكن هناك قتال متواصل في ذلك الوقت، وسببت حرب العصابات إزعاجاً للمنطقة، فكانت وحدة المشاة المتمركزة بجوارنا مكلفة بالاهتمام بالرد على ذلك. وكنت قادراً على الاسترخاء نتيجة هذا الموقف، وأهون على نفسي للمرة الأولى منذ أن دخلت في الخدمة.

لكن، لم يدم الأمر طويلاً، قبل وصول قائد الكتيبة الجديد الذي تخرج من الأكاديمية العسكرية وتسلم القيادة، واصبح علينا أن نأخذ ترتيباً معيناً ونرجع إلى معمعان القتال، وكانت فرقتنا من مدفعية الميدان، تذهب أحياناً، بقدر ما، إلى خط الجبهة، قريباً من جينغ غوان، في منطقة آمنة، قبل سابينغ وزهي هي، ونقوم بإطلاق مدافعنا القذافة على مواقع العدو. أصبحت في سنتي الرابعة من خدمتي العسكرية مرفعاً إلى رتبة المرتبة الأولى الخاصة، وأصبح بإمكاني الآن لباس شريط ذهبي على ياقة اللباس الرسمي. لكن ذلك لا يعني أنني أصبحت مهتماً بالحصول على ترقيات خاصة. في الواقع، فإن الشريط الذهبي جعلني اشعر بنوع من الفخار الذاتي.

الانتقال إلى الفلبين

كنا ما نزال نستمتع بهدوء نسبي، مسترخين فترة إضافية على الجبهة الصينية عندما تلقى فوجنا أوامر جديدة فجأة. كان علينا الانتقال إلى الفلبين، وكان ذلك في صيف (١٩٤٤): أولاً، كان علينا أن نلحق بجيش كانتو المتمركز في منشوريا، في الشمال الشرقي من الصين. وفي الحال اصبح علينا أن ننتقل إلى الفليبين استعداداً للقيام بهجوم معاكس على جيش الولايات المتحدة، والدفاع عن مانيلا. مع ذلك، كان الجيش في مستوانا في سلسلة القيادة، لا يعلمون شيئاً حول ذلك. في هذه الأثناء، أخذت أمور الماضي تأخذ بالانعكاس تماماً، عما كانت عليه تلك الأيام المفعمة بالنشاط في حرب المحيط الهادي، عندما كانت اليابان تربح كل معركة. فمثلاً، كنا في الماضي قادرين على إرسال الرسائل من الصين إلى الوطن، بدون قيود، لكن الآن، اصبح ممنوعاً علينا أن نقول أي شيء حول كل ما له علاقة بانتقالنا إلى الفلبين في رسائلنا. فقد أعطانا انتقالنا المفاجئ، والأمر الصارم بأن لا نذكره في الرسائل المرسلة للوطن أو أي تلميح أن الحرب في المحيط الهادي يجب أن تكون متجهة نحو الأسوأ.

تجمعت القوات اليابانية من أجزاء مختلفة من الصين في لودا ، حيث أبحرنا على حوالي عشرين سفينة لنقل الجنود من الصين. وكان جميعنا يرغب بحماس أن تأخذنا هذه السفن إلى الوطن اليابان.

حتى القوات البرية أمثالنا يمكنها أن تعرف أن هذه السفن ذات الوزن (٣٠٠٠) طن ناقلات الجنود والتي تحملنا، هي غير صالحة للعمل ومتهدمة. ولتكون الأمور أسوأ، جرى حشد حوالي ثلاثة آلاف عسكري في كل سفينة. وهكذا أصبحنا مزدحمين سوية كالسردين في علبة. كانت القافلة تقودها مدمرة عتيقة تشبه كما لو أنها تقوم بمهمات في الحرب ـــ الروسية اليابانية في الفترة (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥)، وكانت هناك سفن دفاع من خفر السواحل القليلة تمر من جانبنا، كان علينا متابعة السير على نحو متعرج في حالة هجوم بالطوربيدات من قبل غواصات العدو. كما كان وهج شمس آب يرهبنا بلا رحمة عندما أبحرت السفن ببطء إلى الأمام. أما داخل السفن فكان كحمامات

البخار. وللهرب من الحرارة تحت ظهر المركب أيضاً، بحيث كنا نفكر أنها أكثر أمناً مما لو كنا على ظهره إذا حدث هجوم طوربيدي، تسلق العديد منا ليحصل على مكان على ظهر السفينة وظل واقفاً باستمرار طيلة مدة الرحلة. هذا، وقد احتوت كل سفينة قوات من أفواج مختلفة من الصين. هكذا، كنا نتنازع ونكافح من أجل اختيار الأمكنة التي كانت محددة بقوة فظة.

لم أعرف لماذا، لكن، ما أن أبحرت السفينة، حتى رجعت أفكاري إلى الوراء سنوات عديدة أمضيتها في الصين، والعواطف المختلفة التي كانت تسيطر على قلبي. تذكرت المسرات، بالإضافة إلى الأمور السطحية، والصلات الشخصية مع بعض المدنيين الصينيين الذين كانوا يعملون في مقر الجيش، حيث كنا نتمركز. والمزارعين الفقراء غير المؤذين، الذين وقعوا في شرك الحب، وإنني أعرف الآن أن القوات اليابانية قد ارتكبت أعمالاً وحشية في بعض الأجزاء من الصين. لكن بقدر ما أعرف، فإن فوجنا حافظ على انضباط عسكري مرضٍ. على سبيل المثال، كان الملازم الأول ياماموتو قائد سريتنا، الذي تخرج من الأكاديمية العسكرية، يمنعنا على الدوام من نهرب المدن والقرى التي نستولي عليها. إذ كانت عمليات الحصول على الطعام المحلي بعض الأحيان، تؤدي إلى سوء تفاهم، بسبب عائق اللغة والاختلاف في العادات، لكن كنا على الدوام ندفع لهم شيئاً ما ثمناً لما نأخذه. ولم نسرقهم، وكنتيجة، كان الأطفال من القرى والمزارع المحيطة يأتون إلى المركز العسكري ويلعبون، ويستمتع معظمنا بركوب الخيل هنا وهناك معهم في فتراتنا الحرة. ومن الطبيعي أن تنمو المودة بيننا، وعندما صدرت لنا الأوامر بالتوجه إلى الفليبين، ورحلنا هكذا فجأة، بكى بعض الصبية الصينيين. واستحوذت هذه الأفكار على عقلي عندما أبحرت السفينة خارج الميناء في طريقها، إلى بلاد أخرى، أسفت لمغادرة الأرض التي قضيت فيها ثلاث سنوات ونصف، ودعوت للصين في قلبي وودعتها بصمت.

وصلت القافلة إلى كاأوسيونغ في تايوان، دون حادث، وتوقفت هناك حوالي أسبوع من أجل التزود بالمؤن وكذلك استلام الأسلحة والذخائر. أخذ التوقف وقتاً أكثر مما هو مخطط، وهكذا أعطينا إجازة فجأة، حتى يأتي دورنا في الذهاب إلى الشاطئ والحصول على نصيب غير متوقع من الاسترخاء بأن نمدد

أرجلنا على الأرض. وتحت الظروف العادية، فالجنود ممن ينقلون عادة، عليهم أن يبقوا محبوسين في السفن المزدحمة. ربما أن الضباط القادة قد عطفوا علينا، قبل أن تغادر قافلتنا وتتابع رحلتها إلى الفليبين بدون توقف في اليابان. أو ربما قرروا ذلك، لمواجهة أقل ما يمكن من المشاكل، عندما واجهنا تأخيراً لا يمكن تجنبه، مما دعانا الذهاب إلى الشاطئ وبما يقارب الـ (٣٠٠٠) عسكري على كل سفينة ويأكلون المؤن المخزنة. مع ذلك لم نقم بزيارة اليابان في طريقنا للفليبين، وأصبحنا قادرين على الأقل، الحصول على تذوق الوجبات الوطنية على الطراز الياباني التي كانت تقدم في المطاعم والمقاهي في تايوان، وأكلنا حاجتنا من الطعام، وحقاً أظهرنا ابتهاجاً مفاجئاً.

من ثم تابعت القافلة إبحارها من جديد عبر قنال باشي باتجاه الفليبين، تماماً بعد شهر من مغادرتنا. وكان ميناء كاأوهستونغ قد قصف. وبعد شهرين، بالضبط في تشرين أول وتشرين الثاني (١٩٤٤) خسرت اليابان تفوقها البحري في بحر الصين، ونتج ذلك عن الهجمات المتكررة من قبل غواصات الولايات المتحدة، وأصبحت قنال باشي، جنوب تايوان، مكاناً خطراً إلى أن وصل الأمر إلى تسميته بـ «بحر الشيطان». وقد دمرت وغرقت ستين بالمائة من سفن النقل اليابانية، وابتلع البحر عشرات الآلاف من قواتنا، واختفت آثارهم إلى الأبد.

لحسن الحظ، كانت هجمات الطوربيد من قبل الغواصات الأمريكية قد بدأت للتو، عندما أبحرت القافلة التي نقلت فوجي إلى الفليبين عن طريق هذه المياه. وكان لا يزال لليابان بعض الطائرات الباقية عندئذ. وكان قليل منها يحوم فوق قافلتنا من حين لآخر على شكل دورية. وكنا نشعر بعودة الطمأنينة في كل وقت نرفع فيه بصرنا ونرى طائراتنا تطير فوق رؤوسنا، عارفين أنها كانت تحمينا من مراكب العدو وطائراته. لكن كانت تدور إشاعات أن سفناً عديدة في القافلة التي أبحرت قبل قافلتنا مباشرة قد أغرقت عن طريق الطوربيدات. وهكذا، أصبحنا في خوف مستمر كل يوم من تلك الرحلة حتى إعطاء الأمر لنا، بأن نحتفظ بعيوننا نرقب غواصات العدو.

على الرغم من خوفنا وإمكانية الهجوم علينا، تدبرت قافلتنا أمرها لاجتياز

قتال باشي بسلام، وأصبحت جبال لوزون المتوقعة على نحو مقلق، في نهاية الأمر، في مدى النظر، كان مشهداً رائعاً، يرتفع عالياً، ويبرز للعيان على مسافة من البحر، وكله مغطى بخضرة رائعة، بأجمة خضراء داكنة وبزخرف من أوراق مميزة من النباتات الاستوائية. أبحرت قافلتنا شمالاً بعد تناقص القوات ومعداتها في أباري إلى الشمال في نهاية شمالي لوزون. أخيراً وصلنا إلى نهاية رحلتنا، ميناء مانيلا. تماماً كما سمعت، فإن غروب الشمس هناك كان جميلاً بشكل لا يصدق. بالتأكيد إنه أجمل ما في العالم. وفي هدوء المساء، كان سطح البحر الساكن، أخضراً بهياً رائع الجمال زمردي اللون، يعكس الأشعة المتوهجة للشمس الساطعة، ولون السماء المغبرة بين لحظة وأخرى ـ من حمراء إلى صفراء، إلى ارجواني إلى اللازوردي، لقد كان مكتنفاً بالأسرار، انه مشهد مؤثر، غالباً أُخْرَويٌّ. كان باستطاعتي أن أصدق بصعوبة أن تلك الصورة تمثل منظراً طبيعياً في داخلية البلاد ومختاراً بعناية. وكأنه قريب من الجنة. وكل واحد يأمل أن يراه في هذا العالم، لا ليصبح على الفور ساحة قتال دامية. عندما حَدَّقْتُ فوق سطح المياه المتألقة. وفكرت بأرض بلادي العزيزة البعيدة، وراء تلك السماء المترامية الأطراف، بدت لي رمزاً للسلام الحقيقي. وشعرت بالحنين إلى الوطن والأسرة، وجعلت كل المظاهر أمامي لتشعرني أخيراً أن المعركة الحاسمة وشيكة.

كانت وحدتنا تتبع للفرقة السادسة عشر، التي انتقلت قوتها الرئيسية من قبل إلى لوزون إلى جزيرة لايتي منذ مطلع نيسان (١٩٤٤). استعداداً لصد تقدم أمريكي متوقع. لكن أعطيت عدة كتائب الأوامر بالبقاء في لوزون. وكانت وحدتنا قد وضعت تحت إمرة قائد الفرقة.

في مانيلا، أصيب معظم قواتنا بمرض حُمّى الضنك الذي تطور إلى حُمّى مرعبة. وكان الأمر يقتضي إيجاد ملعب رياضي لضرورة إيوائنا. حيث أصبحت جميع الفنادق الضخمة وجامعة لاسال التي كان من المفترض أن تكون جميلة في يوم من الأيام، مُغْلَقَةً وأخفقت إخفاقاً كاملاً، لكونها قدخُرِّبَتْ من قبل القوات اليابانية التي كانت تأوي إليها منذ وقت مبكر.

اصبح الناس في مانيلا مجبرين على التوجه باتجاه القصر الإمبراطوري في

طوكيو، وكان على الأطفال استعمال الراديو الياباني للاستماع إلى برامج التمارين في مدارسهم كل صباح، وينشدون مع إدخالهم في الحساب تناسق النغمات في اللغة اليابانية «إيشي، ني، سان»، ورأيت جنوداً يابانيين يصفعون مدنيين فليبيين على وجوههم في الشوارع بحجة أنهم «غير متعاونين».

كان يبدو لي، أنه كان علينا أن نفرض أهداف منطقتنا العظمى للرفاه المشترك في شرق آسيا، على شعوب أخرى، وذلك بجعلهم يكررون الشعارات السياسية تكراراً، وعلى نحو مقرف، فبهذا نعطي الشعارات ازدراء أكثر، بدلاً من تعليم حقيقي من اجل قبولها، كأنها لهم، وإلا تكون تلك الأفكار قد أخفقت سلفاً.

في البداية، فكرت أن أوامرنا كانت للدفاع عن مانيلا، لكن فوجئنا بأمر إقامة قاعدة عمليات في خليج ديانعالان على الشاطئ الشرقي للجزيرة، من أجل أن تضعنا في موقف يمكن بواسطته أن نصد عمليات إنزال لقوات الولايات المتحدة على الشاطئ الشرقي لمركز لوزون.

مشينا إلى خط الشاطئ، وعربات الخيول تسحب مدافعنا القذافة من عيار عشرة سنتمترات، ذات قوة نيران هائلة. كانت مهمتنا تدمير أي إنزال أمريكي خداعي فور محاولاتهم الإنزال.

بالطبع، كانت وحدات المشاة في مواقعها هناك، كان لديها مدافع سريعة الطلقات، ومدافع صغيرة، وأسلحة رشاشة متعددة على طول الشاطئ. لقد كرسنا كل تفكيرنا وطاقاتنا للاستعداد للتعاون وإنشاء سد ناري لا يقهر والذي يجب أن نواجه به العدو.

بدأ عمل التخندق في المواقع الدفاعية بتاريخ الـ (٢٥) من أيلول، وأنجز بعد حوالي ثلاثة اشهر، في نهاية كانون الأول، وقد بنينا موقعاً دفاعياً على نطاق كامل واستعدينا لصد العدو .

تلقينا في هذه الأثناء أخباراً عن وضع الحرب في جزيرة لايتي، وعلمنا أن القوة الرئيسية للفرقة (١٦) قد أبيدت في تشرين الثاني. وهكذا خيم علينا حجاب كثيف من الحزن والشك المروع، وازداد قلقنا. نزلت قوات للولايات

المتحدة في مطلع كانون الأول، في جزيرة مندورو، وجرى إرسال وحدات هجوم خاصة يابانية، المعروفة عموماً باسم الكاميكازي مرة بعد مرة في مهمات انتحارية من اجل تحطيم طائرات العدو المقاتلة وهي على ظهر سفن العدو في خليج لايتي في محاولات يائسة لمنع العدو من التقدم. وتلقيت هذه الأخبار بكآبة، والرعب تجاه تضحية هؤلاء الطيارين الشجعان الذين كانوا يقومون بها بصورة سامية.

بعد ذلك، تلقينا تقريراً على الفور مفاجئاً، أشار إلى أنه نزلت قوة عدوة ضخمة على الشاطئ الغربي المقابل لجزيرة لوزون في خليج لينغاين، بتاريخ الـ (٩) من كانون الثاني (١٩٤٥) وأمرنا فجأة بالتحرك.

ما من أحد منا لم يكن مقتنعاً بحقيقة أن عملنا الشاق خلال ثلاثة اشهر والتخندق سوف يذهب هباءً. لكن الأمر هو الأمر. وهكذا غادرنا المعسكر على عجل، وشرعنا بالتحرك مع مدفعيتنا راجعين عبر الجزيرة، متوجهين إلى مدينة سان جوزيه في السهل الأوسط من لوزون.

هكذا، كان التحرك، وهذا يعني عملاً أكثر لوحدتنا المدفعية التي كانت أعمالاً لرجال المشاة. وقد كلفنا ذلك أكثر من أسبوع لإعداد ذخيرتنا وتموينا وجعل مدافعنا الميدانية جاهزة للتحرك. وتقدمت معظم وحدات المشاة إلى الأمام، وفقدت البصيرة فوراً، في حين تجرجرت وحدتنا المدفعية وراءها.

اصبح باستطاعتنا أن نسمع في تلك الأثناء عن بعد، نيران المدفعية الصادرة عن كمائن عصابات الفيليبيين من الطرق الجبلية، حتى عندما كنا على استعداد للتحرك. وأصبحنا معرضين للغارات الجوية لجيش الولايات المتحدة من طائرات لوكهيد المقاتلة، على نحو متكرر. واصبح علينا الانتقال في الليل، بسبب سيطرتهم الجوية، وحتى في ذلك كانوا غالباً يكتشفوننا في ظلمة الفجر ويهاجموننا بسرعة. أصبحوا يهاجموننا في كل وقت بقنابلهم، وبنيران مدافعهم الرشاشة، واحترقت عدة عربات نقل كانت تحمل المؤن والذخائر في اللهيب، وقتلت عدة عشرات من خيول العربات، وتمزقت أو جرحت بعضها على نحو سيئ، مما جعلها غير ذات فائدة لنا وقتل العديد من رجالنا أو جرحوا.

كـانت معلوماتنـا حـول تحركـات قـوات الولايـات المتحـدة بعـد إنزالهـم في لينغاين سـطحية في أفضل الأحـوال. ولما كنـا نشق طريقنـا عـبر بنغابون باتجاه سـان جوزيـه، تلقينـا أمـراً أن الأمريكيـين اجتـاحوا الآن سـان جوزيـه، فأسـرعنا تقدمنـا، وواجهنـا صعوبـات وقـرارات حاسمـة في مجـال الطقـس، أو أن نعـود مـن حيـث أتينـا إلى ريـزال.

على الرغـم مـن كوننـا أصبحنـا عـاجزين عـن التقـدم: فقـد قررنـا، برغـم ذلـك، أن لا نـتراجع. وأقمنـا مرابـض ملائمـة للمدافـع هنـاك، مركزيـن كـل قـوة نيراننـا باتجاه دبابات العـدو الـتي كنـا نتوقـع ظهورهـا في أيـة لحظـة.

لم يمض وقـت طويـل حتـى أصبحنـا تحـت قصـف ثقيـل ونـيران أسـلحة رشاشـة، مـن قبـل طـائرات العـدو المقاتلـة. توزعنـا خلـف أقـرب سـاتر لتغطيـة أنفسـنا بالـتراب، ولم نعـد نسـتطيع أن نـتزحزح ولـو إنشـاً واحـداً.

كـان تقدير قادتنـا عـن الوضـع، بعيـداً عـن الواقعيـة، لأنـه لم تعـد توجـد علامـة علـى وجـود دبابـات للعـدو، وحرمنـا مـن أهـداف كنـا نتوقعهـا. وأطلقـت وحدتنـا جميـع قذائـف مدافعهـا القذافـة علـى مركـز مدينـة سـان جوزيـه، وتراجعـت إلى ريـزال. وجمعنـا قواتنـا هنـاك. وبعـد يومـين، بـدأت الرحلـة إلى كـارانغلان للانضمـام للقـوة الرئيسـية. وعرفنـا مـن أكـداس صنـاديق الذخـيرة المهجـورة الـتي تنـاثرت علـى جـانبي الطريـق، أن القـوات اليابانيـة الـتي سـلكت هـذا الطريـق قبلنـا قـد دفعـت إلى تراجع شـديد الاهتيـاج شـذر مـذر.

صعدنـا إلى الجبـال علـى طـول طـرق ضيقـة قـذرة في نقطـة تقـع حـوالي عشـر كيلـو مـترات شمـال شـرقي ريـزال. وشـاهدنا العديـد مـن الخنـادق والمواقـع الدفاعيـة الـتي بنيـت مـن قبـل القـوات اليابانيـة في جميـع الأمـاكن الحاسمـة علـى طـول الطريـق. مـع ذلـك، فقـد انتقلنـا تحـت غطـاء أشـجار الأدغـال الكثيفـة، الـتي كـانت ترتفـع فـوق رؤوسـنا. وأصبحنـا أهدافـاً لطـائرات العـدو الـتي كـانت تحـوم فـوق رؤوسـنا. وكـان عليهـا أن تنقـل معلومـات حـول مواضعنـا للقـوات البريـة الأمريكيـة بسـبب أنهـا لم يمـض زمـن طويـل قبـل أن تركـز نـيران مدافعهـا الثقيلـة تمطرنـا بنيرانهـا، قاتلـة أو مخرجـة العديـد مـن رجالنـا خـارج المعركـة. عندمـا انتهـى القصـف المدفعـي، كـانت مدافعنـا القليلـة الباقيـة قـد دُمِّرَتْ بشـكل كـامل لا يمكـن إصلاحـه. والأسـوأ

أصبح، تصرف الخيول كالمجانين نتيجة انفجار القنابل. وتشتت الخيول المعدة لجر العربات وانتشرت بين المنحدرات الصخرية الشاهقة. ساحبة المدافع القذافة ومعدات أساسية أخرى معها. هكذا، أصبحنا في طرفة عين في موقف حرج لكوننا وحدة مدفعية بدون أي مدفع ميدان.

تجمعنا من جديد، وتابعنا طريقنا إلى منطقة معروفة محلياً باسم الطريق الاسباني، الذي سميناه ممر سوزوكا، منطقة جبلية بين كارانغلان وأريتاأو. كانت هذه المنطقة حاسمة لدفاعنا عن الجزيرة. وهكذا شرعنا في احتلال موقعنا الجديد بما يتفق مع الأوامر الجديدة، وأعددنا أنفسنا لأداء الواجب كوحدة عصابات مسلحة بأسلحة صغيرة بدلاً من المدافع الميدانية، واستعدينا للدفاع بحفر الخنادق، استعداداً لإنهاك العدو ومؤخراته.

كان أخي الصغير ثورو الذي انضم إلى وحدتي في الصين كشاب خصوصي خلال جميع فترة هذا القتال يقاتل بجانبي، وكان كلانا قد أصيب بمرض حمى التعب ليس قبل زمن كبير من انتقالنا إلى الفليبين وبعد وصولنا إلى مانيلا، وتقاسمنا كل صعوبة منذ ذلك الحين، وكما قلت من قبل، كان اضعف مني، لهذا كنت على الدوام أعطيه قسماً من جرايتي من وجبة طعامي الهزيلة. وكان يرتعد بعض الأحيان عندما نواجه نار أسلحة عدو صغيرة أو مدفعية، ويصاب بالخوف الشديد ويتشوش، وبالتالي لا يعود يعرف أي طريق يسلك، هكذا، كنت أدفعه وألقيه أرضاً وألقي بنفسي فوقه لأحميه من شظايا القذائف. لقد بقي الأخ الصغير لي، وكان يزورني دائماً. وكان بالنسبة لي أعز من الحياة نفسها. وعلي أن أقوم بأي شيء لحمايته من الأخطار في تلك الأيام الدامية في ساحات القتال.

عندما استقرينا بهدوء كالموتى وراء بعض الصخور أو الشجر، أصبح بودنا الحديث لنسلي عقولنا عن الرعب الذي يخيم باستمرار، ويستحوذ على قلوبنا كالجليد. تحدثنا عن كيوتو وعن أمنا وعن الطعام في المنزل ـ أوه، الطعام، كان موضوعاً بالغ الأهمية بيننا نحن الجنود في الميدان. اصبح بودنا ثورو وأنا الحديث عن شوربة الفاصولياء، أدزوكي الرائعة مع الكستناء. وعن الحلويات. وكان بالقرب من شارع كاراواماشي العريض، مطعم النجمة الذي يقدم طعاماً

على الطراز الغربي المدهش. وتحدثنا عن الأحلام حول أيام بعد الحرب عندما نعود لليابان ونحصل على بعض الثروة لنأكل في مطاعم الطبقة الراقية مثل مانيبوكن وبأوماسا.

كنا نرغب بالقيام بضربات خلف خطوط العدو والتحرك قريباً جداً منه حتى على بعد ثلاثين متراً من أماكن تعسكر العدو، والقيام بهجمات لخلق الفوضى، هكذا، وبحيث يستطيع بعضنا سرقة شيء من مؤنه، وكنا مسلحين ببنادق للمشاة من طراز (٣٨) عتيقة، وكذلك بالرمانات اليدوية، أحياناً أخرى، نتمدد مختبئين في حفر المناوشة طيلة يوم كامل، ننتظر رؤية وجه العدو، وعندما يقترب على نحو كافٍ نطلق عليه النار بوابل من الرصاصات بانسجام، فينطلق طالباً النجدة. هذا هو نوع التسلل أو حرب العصابات الذي كان علينا اللجوء إليه.

ثم كان علينا تفتيش جثث الجنود الأمريكيين الذين قتلناهم على التو من أجل الحصول على أي شيء مفيد، كانت بنادقنا من طراز قديم، تطلق دراكاً، وحتى في هذه الحال، لدينا ما يكفي للقيام بجولات. وهكذا، فإننا كنا نستولي على البنادق الآلية لقتلى الجنود الأمريكيين، ثم نقوم بتفتيش جيوبهم بحثاً عن السجائر والطعام. وكنا نخسر في كل مناوشة مع الأمريكيين، خمسة أو ستة رجال نظراً لتفوقهم الساحق في الأسلحة. وتضاءلت وحدتنا إلى عدد ضئيل، قبل مدة طويلة، وأصبحت عصابة ممزقة من الباقين على قيد الحياة، من البقية التي يرثى لها من الجيش المهزوم.

كنا نلتقي أحياناً، بمجموعات من الباقين على قيد الحياة من أفواج أخرى على طول الطريق. متمردين على أوامر سلسلة القيادة وهم يهيمون على وجوههم. وشهدنا نزاعات بين جنود وضباط صف.

وكان بعض الجنود جريئين دون تحفظ، متمردين ويتجاهلون الأوامر حتى من قادة فصائلهم وقادة سراياهم.

كانت تلك القاعدة قد طنت في رأسي منذ اليوم الذي انتسبت فيه للجيش الإمبراطوري «عليك أن تحترم الأمر من ضابط كالأمر من جلالة الإمبراطور

نفسه». وتعيدنا هذه الكلمات بالذاكرة إلى الوراء إلى فترة تدريبنا الأساسي في اليابان، عندما كنا لا نزال نربح كل معركة قاتلنا فيها. لكن اصبح من بين حشود الناس المتمردين أو المخلين بالنظام من بين العديد من قواتنا الباقية على قيد الحياة، هذراً نذراً. وهكذا، اصبح القلق بين الرجال كبيراً، حيث صار الضباط المتعجرفين والحمقى بالطريقة نفسها، خائفين من إمكانية أن يُضربوا حتى الموت من قبل رجالهم الذين تحت إمرتهم إذا لم يحتاطوا لذلك.

كان كل واحد منا يزود ببندقيه مزخرفة بألوان زاهية وبشعار زهرة الأقحوان الإمبراطورية عند الدخول في الخدمة العسكرية. وكنا قد تعودنا على معاملتها ككنز، وهكذا، تناولناها بعناية مع احترام واجب الأداء. حتى إذا وجدت ذرة غبار على بندقية العسكري خلال التفتيش، يصفعه مدربنا بعنف، خصوصاً يوجه الضرب العنيف إلى حَنَك العسكري حتى يخلع. لكن في المعركة أصبحت هذه البنادق التي تطلق دراكاً، من الطراز العتيق، وهي أدنى من مثيلاتها، وأصبحت عديمة الفائدة عملياً، مقارنة مع بنادق جيش الولايات المتحدة سريعة الطلقات، وعالية الأداء. وألقى بعض العسكريين ببنادقهم من طراز (٣٨) على جانبي الطريق في الدقيقة التي يحصلون فيها على بنادق من أيدي الجنود الأمريكيين القتلى.

لقد حارب الجيش الإمبراطوري الذي لا يقهر في الصين في الفترة (١٨٩٤ ـ ١٨٩٥) وفي روسيا (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥)، وفي الحرب العالمية الأولى، وفي منشوريا، وفي الصين مرة أخرى عام (١٩٣٧)، ولم ينهزم مطلقاً. وكنا نُلَقَّنُ أن علينا أن نصدق بعض الانتصارات فوق كل شيء آخر، فكانت قلوبنا وعقولنا محشوة بصيغة الأمر، بحيث كان واجبنا المقدس أن نضحي بكل شيء ــ حتى بحياتنا ــ في سبيل بلادنا وجلالة الإمبراطور. وكنا نُضَلَّلُ بالاعتقاد أن اليابان هو بلد لا يهزم. وما أن شرعنا بخسارة الحرب، مع ذلك، كان توقع الهزيمة أمراً لا يصدق. فقد أزيحت الغمامة عن عيوننا، وشاهدنا في نهاية الأمر هذه الفلسفة الحربية غير المدروسة المعتمدة على افتراض لا قهرية اليابان، بأنها كانت وهماً هشاً.

كان قائدنا شخصاً عطوفاً بصورة استثنائية، وفي آن واحد، محبوباً ومحترماً

من قبل عسكرييه، وضابطاً ممتازاً جداً في المحاكمة العقلية. وقابليته للقيادة. هكذا، كان قادراً على المحافظة لدرجة ما على الانضباط العسكري في سريتنا. وثقنا به وصدقنا أن أحسن حظ لنا هو ما أعده لكل ما بقي منا لنتحمله معاً. مع ذلك، في هذه الأثناء، كان يوجد عشرات قليلة فقط وهذا كل ما بقي حياً.

معركة قاتلة في لوزون

استمرينا في الكفاح، لكن، جيش الولايات المتحدة استطاع السيطرة الكاملة تقريباً على سهل لوزون الأوسط، وشرع بمهاجمة ممر باليت وممر ساراكوساكو والطريق الإسباني الذي نطلق عليه اسم ممر سوزدكا من أجل إعادة النشاط للقوات اليابانية التي كانت قد فرت إلى الجبال إلى الشمال، اعتباراً من منتصف آذار.

كانت معركة الحياة والموت بين جيشينا مروعة، وتجربة شنيعة وأكثر رعباً من أن تستطيع الكلمات أن تصفها. وقد حفر كل عسكري حفرة لنفسه على سفح الجبل واستقر فيها بانتظار العدو، في سبيل حماية القوة الرئيسة تحت إمرة الجنرال ياماشيتا والمعسكرة تماماً على الطريق إلى الشمال، وفرق التتسو والفيكي، التي تلقت الأوامر الصارمة بالتمسك بالأرض، وأن لا تتراجع خطوة واحدة». وفي الليل، كانت وحدات الصدام تخرج بقوة والقيام بغارات انتحارية وراء خطوط العدو. لكن، كانت خسائرنا عالية، واستمر الجيش الإمبراطوري يتضاءل في وجه الأمريكيين، المتفوقين بالمصادر التسليحية والمعدات على نحو كبير جداً.

كان «تكتيك رصاصاتنا الإنسانية» الانتحارية، بقصف دبابات العدو بالرمانات اليدوية فعالة في بعض الأحيان في البداية، لكن بعد خسارة عدة دبابات بتلك الطريقة، تعلم الأمريكيون كيفية إحباط تلك الهجمات، وذلك بإطلاق قاذفات لهب بطريقة منتظمة على حفرنا للمناوشة واحدة فواحدة. قبل التقدم. وهذا ما خفض من فعالية تكتيك «رصاصاتنا الإنسانية» إلى الصفر تقريباً. وجعل خسائرنا تحلق عالياً. وعندما استمر القتال، شاهدت أن الأمور أخذت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم. وأصبحت تشاهد جثث الجنود اليابانيين

وهي تقطر دماً متخثرة وممددة ركاماً وأكداساً كثيرة مبعثرة على الأرض.

دفعنا الأمريكيون إلى الوراء في بداية أيار، بالرغم من جهودنا المكثفة، إلى ممر باليت. وأقام رجال سريتنا خطاً دفاعياً جديداً، وحفرنا من جديد، ملاجئ على جوانب الجبال المحيطة بممر باليت، واستمرينا بالعمل بالسرعة نفسها بانتظار وصول العدو المحتوم، لكن في هذا الوقت، كذلك، أمطرت القاذفات الأمريكية الثقيلة قواتنا بقذائفها الثقيلة دون رحمة بمثل هذه الأعداد وهذه الكثافة، إلى درجة أن تبدل المنظر الطبيعي تحت هذا الهجوم الضاري. ولقد خضعنا بسهولة، وهذا كل ما نستطيع عمله للصمود أياماً قليلة.

مع ذلك، لم يعد لنا ما نأكله غالباً، وأصيب العديد منا بالإسهال ربما بسبب أميبيا الديزانتري، وأمضينا أياماً في هذه الحفر الرهيبة متمددين فيها، وهي برك منتنة من الطين وأجسامنا النتنة فأصبنا بالسقم والرائحة النتنة، من الجثث الفاسدة لرفاقنا المقتولين المعرضين للهواء، وكل شيء حولنا أفقدنا الأمل. ولم يعد يوجد ما يمكن القيام به. فإذا حاولنا التحرك حتى مسافة قصيرة من حفرنا خلال ساعات النهار، نصبح أهدافاً على الفور، ونمطر بوابل من نيران المدفعية الكثيفة. وهكذا، كان علينا أن نأخذ ذلك بالحسبان، والآلام في البطن، والروائح النتنة من مخلفاتنا الخاصة ومن الجثث المتعفنة، والبرد والرعب، وكنا لا نعرف، إذا كانت القنبلة التالية ستسقط علينا فتاتاً ـــ ونجلس هكذا بدون حركة في حجورنا حتى يخيم الظلام. كانت تلك الأيام والساعات والدقائق والثواني أكثر رعباً وتعذيباً من جهنم يمكن أن أتخيلها.

وشرعنا نبحث عن موقع جديد ننتقل إليه، نعده كقاعدة لعمليات حرب العصابات في منطقة غادينغ في منطقة أعلى تفرع لنهر كاغايان، بعد أن قام جيش الولايات المتحدة بهجوم ساحق عبر خطوطنا الدفاعية من ممر باليت وممر ساراكوساكو، مع قوته النارية الكثيفة، وبالدعم الذي لا نهاية له كما يبدو، بالذخائر. وتقدمنا بلا هدف قليلاً أم كثيراً عبر أجمة غير مطروقة على طول وعمق ممر ضيق في الجبال.

بدأ موسم المطر. وبدأ النهر في أسفل الممر الضيق بالارتفاع. وتبعثرت فيالق الجنود اليابانيين من وحدات كانت قد سبقتنا على طول ذلك الطريق

الممتد. وانهارت بسبب الجوع، وأنهكهم أميب الديزانتري والملاريا. واصبحوا عرضة للموت منذ أن لم يعد رفاقهم يهتمون بهم أو تقديم المساعدة لهم، وهكذا كانوا يسقطون، مع ذلك بعض الفقراء التعيسين لا زالوا أحياء، يصارعون الموت. وأصبحت أجسامهم تالفة لم يعد فيها سوى الجلد والعظم، وعيونهم مفتوحة طولياً تحدق إلى الأمام فاقدة الحياة، دون أن ترى منهم من يسأل المساعدة عندما تمر بهم ـ لقد كانوا ينتظرون الموت، ولا شيء سواه.

لقد قضينا وقتاً مروعاً قاطعين طريقنا خلال أجمات تغطي الأرض التي أعاقت طريقنا. تقدمنا فقط حوالي خمسين متراً في عدة أيام. وكان علينا أيضاً التخلص من الطفيليات التي كانت تتساقط علينا من أغصان الأشجار فوق رؤوسنا. ونكافح أسراب البعوض والقمل وأنواع عملاقة من النمل التي كانت تعضنا وتسبب لنا الآلام.

كان العديد من الفرق التي مررنا بها قبلاً، قد أصبحت لا شيء وتقلصت إلى هياكل عظمية وركام اسود، وكانت الطيور السوداء البشعة تحتشد فوق هذه القطع الصغيرة من الجيف التي ما زالت تلتصق بها، كانت حقاً مشاهد جهنمية واشد رعباً من أي شيء حتى لو حلمت أن أراه في هذا العالم. إنني أعرف أنكم ستجدون ذلك صعباً أن تُصَدِّقوهُ، لكن إلى حد ابعد، إنني على الأغلب وجهت اهتمامي للتذكير أنني أشهد بعض رجالنا وقد تحولوا، بسبب الجوع والرعب، إلى شياطين، يجهزون على رفاقنا الذين يكونون في حالة نزع، بإطلاق النار عليهم أو بتوجيه ضربات عنيفة على رؤوسهم، وقد يكون السبب الحصول من أيديهم على آخر حَفْنَةِ أرز ـــ لقمة أو لقمتين على الأغلب!. وكان يحدث يومياً بأن ترى رجالاً يرمون أحذيتهم البالية ويرتدون هذه التي نزعت عن أجسام الموتى.

مأساة أخرى هزمتنا، إذ تلقى قائد سريتنا قبل مدة، والذي هو اعلى ضابط رتبة في مجموعتنا، ضربة على فخذه من رصاصة شاردة، ربما أطلقت من قبل أحد جنود حرب العصابات الفلبيين. لم يكن بإمكاننا وقف النزيف، وكما يمكنكم أن تتخيلوا ماذا يسبب سوء التغذية والتعب الشديد على كل حال، فكانت مقاومته منخفضة، ولم نتمكن من وقف تقرح الجرح، واصبح جسمه

بالكامل على الفور يرتجف، نتج عن حرارة عالية، بسبب أصابته بالملاريا أو ربما تسمم في الدم. وتمدد هناك بلا حراك في ذلك المكان المهجور، وأسنانه تصر من الألم، ومات دون أن ينطق بكلمة واحدة في آخر الأمر.

سحبنا جثمان ضابطنا المحترم الأعلى بعيداً عن الطريق قليلاً، بحيث لا يراه الجنود المارون من ذلك الطريق بعدنا عندما يتوقفون عنده ويرون ذلك المنظر المحزن والمشهد المرعب متروكاً يتعفن وتغطيه الديدان. كان ذلك كل ما نستطيع فعله. ولم يكن لدينا ببساطة القدرة أو الرغبة لأن نحفر حفرة وندفنه فيها.

ربما تفكرون أن للبلدان المدارية الكثير من الفواكة البرية والخضراوات التي كان بإمكاننا جنيها وأكلها ـ كالموز ، المانجا، البابايا واليام، وما يشبه ذلك. لكن كانت هذه تنمو فقط في المناطق المسكونة. وبعيداً إلى الوراء في الأدغال تنعدم هذه الثمار، فلم نعثر على أي شيء نأكله وأصبحنا جياعاً حتى الموت البطيء.

تفرق الأفراد الباقون القليلون من وحدتنا، شيئاً فشيئاً، وذهب كل واحد في طريقه الخاص، بعد خسارة ضابطنا القائد. وأصبحنا ثورو وأنا الآن لوحدنا، نتجول بين أدغال الجبل مثل الأشباح الجائعة، نبحث عن أي شيء ـ أي شيء ـ لنأكله. ماذا حدث للرجال الآخرين من سريتنا، ولم نعد نعرف فيما إذا كانوا أحياءً أم أموات، فاصبح موضوعاً لا أهمية له بالنسبة لنا إطلاقاً.

كان ثورو يتطلع من حين لآخر، عندما أصبح على وشك الانهيار، لكن كنت استحثه على الاستمرار معتقداً أن ذلك يمكننا من النجاة إذا استطعنا اللقاء بقوة كبيرة من قواتنا، ولا يهم أية قوة كانت. وكانت الطريقة الوحيدة للحاق بالفيالق عبر الأدغال، وهكذا، تابعنا سيرنا باتجاه الشمال، نحو غادينع بخطى بطيئة. وكانت تبدو لنا من حين لآخر، كما لو كنا نشق طريقنا عبر بحر من الجثث المتعفنة.

كان باستطاعتي أن ارى أخي في أشعة الضوء المتسلل عبر التشابك الكثيف لأغصان الأشجار فوق رؤوسنا، وقد طال شعر رأسه طولاً وزاد هزاله، واصبح جسمه نحيلاً على نحو يستحق الشفقة، وناتيء العظام. والعلامة

الوحيدة الباقية على أنه على قيد الحياة، كانت يأسه المفرط وومضة الجوع في عينيه عندما كنا نبحث عن أي شيء نأكله دون جدوى، ضعف بسبب الجوع، وأميبيا الديزانتري والملاريا، وأضحى قريباً من الموت، على نحو واضح. شاحباً كالموتى، يشبه جثماناً متحركاً غالباً.

أخيراً، بدا أن النهاية قد قربت. وبدأت أحمله كلما أحس بالإجهاد، وكان يلقي بذراعه على كَتِفَيَّ عندما أشعر فجأة أنه أخذ يترنح، وينهار ويسقط على الأرض.

تابِعْ، ثورو، عليك أن تتابع السير، إني آمرك على نحو صارم، لكنني كنت أعلم أن ذلك لا يفيد.

كان لدي القدرة القليلة تركتها لنفسي أيضاً، كنت مضنىً لا أستطيع القيام بأي شيء آخر. سقطت فجأة بجانب ثورو، وتركت عيني مفتوحتين بصعوبة وبتثاقل، تابعت أشعة الضوء المبعثرة والمشرقة من الأعلى، وحدقت في بقعة صغيرة من السماء فوقنا.

غمغم ثورو، محاولاً قول شيء ما، وقربت أذني من شفتيه لأنه لم يكن لي حتى أية قدرة أن أفكر بأي شيء إضافي .

«ماء، أريد أن أشرب ماء...» أتت الكلمات كصوت خشن في الواقع، من أعماق حلقه، وفهمت بالكاد ما كان يقول. من ثم همس شيئاً ما جمد قلبي القاسي من الرعب».

«من فضلك أخي الأكبر، كُلْ جسمي!. إنني لا أستطيع إتمامها، لكنك تستطيع استخدام لحمي لتعيش. وهكذا، تستطيع العودة للوطن إلى كيوتو، وتعتني بأمنا، إنه محكوم علي بالهلاك، لكن يمكن لجزء مني أن يحيا فيك، هكذا، أعمل ما أقوله لك، من فضلك، إني أتوسل إليك!».

حينئذ، سقط رأسه على صدره، فكرت للحظة أنه مات، لكنه كان لا يزال يتنفس، لكن بِشِقِّ النفس تماماً.

استجمعت ما بقي لدي من قوة باقية، وصرخت «ثورو»! ماذا تقول. عليك أن تستمر بالمسير بقوة. إننا سنعمل على العودة إلى كيوتو أحياء، أنت

وأنا معاً! علينا أن نتواعد، بأننا سنقوم بذلك، أتذكر؟ إنني ذاهب لأبحث لك عن بعض الماء. الآن، وستكون بخير، سترى ذلك.!

كافحت من اجل الوقوف على قدمي، ومشيت باضطراب إلى منحدر الجبل متعثراً باتجاه صوت تدفق المياه في الممر الضيق في الأسفل. كنت أعلم أنه سيموت، لكنني أردت إعطاءه، على الأقل، شربة ماء، لأنه رجاني لتسهيل لحظاته الأخيرة.

كانت المياه تصوت كما لو أنها تفيض بعنف، وكانت قريبة، لكن قضيت زمناً رهيباً للوصول إليها، وكافحت في طريقي من خلال الأشجار الكثيفة والأدغال، ذات الأغصان المكتظة ـ نصف مضطرب، ونصف زاحف، وأحياناً على أربعة، لأنه لم يعد لي القوة الكافية للوقوف والسير على نحو مناسب.

انزلقت وزحفت في آخر الأمر إلى الجانب العالي من الممر، ووصلت إلى شاطئ النهر. وعندما أصبحت على وشك إملاء أنبوب من الخيزران المستعمل كحافظة مياه، سقطت عيناي على جثث لعدد من الجنود اليابانيين متعفنة على نحو سيء، تطفو على المياه مباشرة في مواجهتي. وعندما استعدت وعيي في آخر الأمر من صدمتي وجذبت نفسي على نحو كافٍ لأصبر نفسي لأضع يدي قابضاً على أنبوب الخيزران في الماء، لاحظت للمرة الأولى، جثثاً أكثر على كل جانب بمقدار ما استطيع أن ارى على حافتي النهر، نصف في الماء، ونصف آخر، خارج الماء. ربما أنهم استخدموا آخر غرام من طاقتهم من أجل الوصول إلى حافة المياه، وماتوا عندما اصبحوا على وشك البدء في شرب المياه تماماً.

اشمأزيت وكان الظمأ يتلف جسمي، وأصبحت بعيداً عن الاهتمام بظمأي، مع ذلك لم أتطلع إذا كان الماء وسخاً أو ذو رائحة كريهة، وتجرعتها بجشع. وملأت أنبوب الخيزران بالماء، واستجمعت آخر ما بقي لي من قوة وتصميم، وبدأت بالزحف راجعاً باتجاه المنحدر الذي فيه ثورو.

أخذ مني أكثر من ساعتين بالكدح والجهد والعرق والتوتر لأصعد وكانت محنة مرعبة. لكن عندما وصلت آخر الأمر إلى البقعة التي تركت فيها ثورو، وجدت مشهداً أكثر جهنمياً واكثر عذاباً مما يطاق من كل الأمور بشاعة لم اشهده في حياتي.

كنت متعوداً على مشاهدة أكداس من الجثث والهياكل العظمية المجردة من اللحم، والجثث النتنة لزملائي في السلاح الذين سقطوا في القتال. لكنني لم أصب على أثرها بصدمة. لكن المشهد الذي كان أمامي الآن، لم يكن بالضبط الأكثر وحشية بالنسبة لعقلي المخدر لأشاهد أمراً لم أتخيل أن أراه حقاً. كان رجلان بلحيتين أشعثتين يقفان بالقرب من ثورو. واحد منهما يحمل شارة رقيب أول ممزقة على قبته. وكانا بجلاء من إحدى مجموعات حرب العصابات اليابانية التي كانت تتجول في أدغال الجبال. وقد أبعدا اسمال اللباس الرسمي الممزق لأخي الصغير، وكانا يقطعان شرائح من لحم فخذه بسيوفهم ويزدردانها بعد إلقائها في فمهما.

لقد شاهداني وأنا أزحف صاعداً على حافة المنحدر الصخري الشاهق، لكنهما لم يظهرا لي أي نوع من المفاجأة، وحافظا على وجهيهما جامدين وفاقدي الحس ليس غير، وقد استدارا باتجاهي وراقباني عن قرب. وكانت لحاهم حول فمهم ملطخة بأحمر لامع، بالدم، بالدم...» دم أخي الصغير.!

لقد كان مشهداً خارجاً من جهنم حقاً، في ضوء أرض الأدغال المعتمة قليلاً.

انفجر من شفتي عداء لا يعبر عنه بكلمات، مملوء بالغيظ والجنون. مع ذلك، كنت ضعيفاً لأتمكن من الوقوف فقط ولو للحظات قليلة، وقفزت واندفعت نحوهم بتهور، جاهزاً لأن أقطع أوصالهما بيدي الاعزلتين.

مع ذلك، فإنني لم اقدر عليهما، مع كل أسفي المر في تلك الأثناء، حيث أصبحت ضعيفاً جداً، وخسرت كل شيء منذ ذلك الوقت، لكن كان أمراً عجيباً أن أستطيع الوقوف على رجلي بأية حال. وهما من جهة أخرى كانا يقتاتان ليبقيا على قيد الحياة، بلحم بشر ولا زال لديهما بعض القوة الباقية. واستدارا بدون كلمة لمواجهة هجومي، وأمسكا بي من مقدمة لباسي الرسمي، ودفعني الرقيب الأول باتجاه حافة الجرف ورفسني بصورة شريرة عند اصل فخذي. سقطت إلى الخلف فوق حافة الجرف إلى أسفل سفح الجبل في الممر الأسفل.

الشيء الأخير الذي تذكرته كان اندفاعي باتجاه جذوع الشجر والشجيرات والأغصان، أدور وأدور أمام عيني كما كان رأسي يدور فوق عَقِبَيّ بجانب الممر.

لقد تدحرجت على طول الطريق حتى حافة النهر، حيث كان سقوطي قد توقف بجثة ممددة، نصفها في الماء، وحفظتني من السقوط في مياه النهر، حيث كنت سأغرق بالتأكيد. وفقدت الوعي في لحظة الصدمة .

وكانت أشعة الشمس قد رقصت من خلال أوراق الشجر على جفون عيني للحظة أو هكذا، من ثم غبت عن الوعي.

عندما أفقت من إغمائي، اصبح باستطاعتي، وبصعوبة أن أصدق ذلك، حيث كنت في محطة إسعاف أمريكية ميدانية. كان رأسي ملفوف تماماً بالضمادات. وقد لاحظت أن يدي اليمنى كانت محطمة، لكونها كانت في جبيرة للعظام، وَمُثَبَّته هكذا، بحيث لم استطع تحريكها. وكان هناك محقن مربوط بعمود ينتهي بأنبوب مطاطي يتصل بوريد ذراعي اليسرى .وكان المحقن بحجم (٥٠٠) س.س. فيه سائل تسيل قطراته في جسمي من خلال أنبوب .

_«الموت قبل الأسر المخزي» كانت هذه الكلمات قد طنت في رأسي منذ اليوم الأول في الجيش. لكن كانت فكرتي الأولى منذ استعادتي لوعيي، أن اشكر الله بأنني لازلت حياً!».

خمنت أن بعض الجنود الأمريكيين قد وجدوني مغمى علي، وما زلت أتنفس، وحملوني خارج الأدغال معهم، فلو أني تركت هناك، لمت حتماً. وإن الأمر سوف لن يكون مفاجئاً لي فيما لو أطلقوا رصاصة على رأسي، كطلقة خلاص. وهكذا، كنت حقاً محظوظاً، مع اعتبار كل الأمور.

من سخرية القدر، أن تتمركز محطة المستشفى بعيداً وراء خط جبهة العدو في سان جوزيه، المدينة التي أخليناها من مدافعنا الميدانية قبل عدة أسابيع.

كانت القاعدة الأمريكية منتشرة على شكل منظم. فكان هناك عدة عشرات من عربات النقل والدبابات متوقفة بالقرب من جبل من أوعية البنزين. وكان يوجد حتى ملاعب للمضرب اليدوي وكرة السلة، حيث أن

بعض الجنود يلعبون أثناء فراغهم بعد أن خلعوا قمصانهم، وقضاء وقت مريح، تقع الملاعب وراء صفوف متقنة من التكنات ذات الأسقف المستديرة.

كان علي، مع أسرى آخرين، أن نلبس قمصاناً وسراويل فضفاضة وقد الصق عليها الأحرف» (p.w) أي أسير حرب». ولم يكن عددنا يزيد عن خمسين سجيناً.

عندما استعدنا عافيتنا ببطء، بعد سوء التغذية، ومن الأمراض المتنوعة وجروحنا، بدأنا نتذكر الجنود الذين كانوا أصدقاءنا ورفاقنا والذين لا يزالون في أحراش الجبل، أولئك الذين جاعوا حتى الموت، أو ماتوا بسبب المرض، أو أولئك الذين سقطوا في المعارك، أو أولئك الذين فجروا أنفسهم برمانات يدوية، بعد أن عانوا آلاماً مبرحة، ومع ذلك اليأس. وتذكرت حتى عندما كنت أتمدد بسلام في سريري في المستشفى، أنه لا يزال يوجد العديد من الجنود اليابانيين هناك، جياع، يتجولون في الجبال بلا هدف كالأرواح التائهة. ومزق التفكير بهم قلبي وملأني بحزن لا يطاق. حتى أنني بدأت اشعر بالإثم لكوني على قيد الحياة، وأتناول الطعام بشكل جيد من يدي العدو. لكن فكرة أخرى كانت تعذبني أيضاً.

«هل كانت أمامي طريقة أخرى، سألت نفسي، لوقف هذه الحرب، التي لا طائل تحتها، ولا أمل فيها، وإنقاذهم؟».

إن ما رايته في أدغال الجبال قبل سقوطي إلى اسفل ذلك الجرف، ولا يزال مشهد أخي الصغير المروع يلازمني، وكذلك الوجوه البشعة للجنديين اليابانيين ـ آكلي لحوم البشر، الوحشين الضاريين، الذين كانا يفترسان لحمه. ذلك المشهد اشتعل في دماغي بالقوة ذاتها التي عرفتها والتي لن أنساها مطلقاً. لكن الآن، ومع الهدوء الكامل، والمشهد المريح للأشياء تحقق لي أن الاثنين، كانا ضحية الحرب، وبدأ شعور مماثل بالشفقة عليهما، يأخذ مكانه في قلبي. في الوقت نفسه، لم استطع التفكير بأن ما جرى لثورو كان عملاً من إنسان ضد إنسان، والذي لا يمكن أن يكون محل مغفرة مطلقاً، وتتقاذف عقلي على نحو تشنجي، نسيج من الكوابيس من هذه الانفعالات المتعارضة والتي لا سبيل للخلاص منها، والمتشابكة.

كانوا أيضاً، قد هجروا أعمالهم وسحبوا بعيداً عن عوائلهم وأصدقائهم بعيداً عن الوطن، اليابان، إكراماً لهذه «الحرب المقدسة». لكن، لينتهوا إلى قتل رفاقهم في السلاح، وهم يتجولون بلا هدف بين أدغال جبل مُعادٍ وفي أرض غريبة. والحقيقة أنه إذا لم تأكل لحم بشر، فإنك ستموت أيضاً، في ساحة القتال. وتبين لي، أن الجنود الذين كانوا قد تعرضوا لحالة لا يمكن تخيلها من المعاناة، لهم حق الاختيار بين الموت أو أكل لحوم البشر، وعانوا من المصير القاسي. كما فكرت ملياً بهذه الأمور المحزنة المحيرة، خلال شفائي. لقد تحقق لي أن المسؤولية الحقيقية عن هذه الأعمال الوحشية تقع على عاتق الناس الذين ارتكبوها مع الرجال في طوكيو أولئك الذين قرروا هذه الحرب الجهنمية في المقام الأول.

هزيمة اليابان

انتهت الحرب بتاريخ الـ (١٥) من آب، واصبح بإمكاننا، نحن الأسرى اليابانيين أن نخبر الجنود الأمريكيين بالقواعد العسكرية التي فكرت بالنصر، وجرى ابتهاجهم وصراخهم بالفرح بالقاعدة، أنا أيضاً شعرت بأنني أحيا ثانية بعد أن انتهت الحرب، لكنها كانت تسير بدون القول، إنني كنت لا أحسد اليابانيين على هزيمتهم المرة، وصرفتني هذه الاحساسات المتضاربة والمختلطة عاطفياً، وشعرت أنني منهك جداً في صميم كياني.

سمعنا نحن الأسرى اليابانيين، قبل زمن طويل، أن الجنود الأمريكيين يغنون بانسجام أغنية لم نسمع بمثلها من قبل وشاهدت رؤساءهم وجيش شابلان يقودوهم في دعاء أو صلاة، وفكرت أنهم ربما كانوا يقومون بتقديم الشكر لربهم لنصرهم العظيم علينا.

بعد أن أصبحت من أسرى الحرب، شاهدت أمثلة عن عقيدتهم الدينية وعن مظاهرهم العسكرية، والتأثير الإنساني على سلوكهم عن طريق الدين، ونادراً ما كنت أفرق بين زملائي اليابانيين أو ما يشبه ذلك، بين رفاقي في السلاح.

توصلت تدريجياً إلى فهم مفهومهم عن الديمقراطية، الذي لا يشبه على نحو

مطلق، التلقين الإجباري القائم في النظام الإمبراطوري كما تمارسه حكومة اليابان، تلك التي استندت إليها الديمقراطية في اليابان. تبدو إيديولوجية للحرية التي تعلمها الأمريكيون بصورة طبيعية. وبدون أن يجبروا عليها من قبل حكومتهم.تعلمت أن الديمقراطية قائمة على مبدأ أن كل شخص يمكنه أن يقدم فكرة أو خطة، حتى يشعر أنها جيدة، من ثم يدلي بصوته وفقاً لذلك. والأغلبية في الأصوات هي التي تحدد كيف يجب أن تسير الحكومة بالبلاد.

فلم أخضع لأي نوع من التلقين الفكري، منذ أن أصبحت أسيراً لدى الأمريكيين حتى عودتي لليابان.

في غضون ذلك، علم العديد من العسكريين اليابانيين الذين اختبؤوا في الأدغال الجبلية، بالأنباء عن نهاية الحرب، ونزلوا من الجبال واستسلموا. وقتل كثيرون آخرون من العسكريين اليابانيين. حتى أن البعض قد قتل بعد الـ(١٥) من آب من قبل جماعات حرب العصابات الفلبينية، ممن لم يتلقوا الأمر بان الحرب قد انتهت. أعادتني هذه الأنباء المحزنة من جديد إلى الوطن ومأساة الحرب المطلقة والخراب والدمار.

تم نقل الأسرى اليابانيين، وأنا معهم، في تشرين أول، في عربات مكشوفة عبر شوارع مانيلا ثم نقلنا على ظهر سفينة خاصة بالدفاع عن السواحل اليابانية والتي، عايشت الحرب، إلى اليابان. كان العديد من المدن مدمرة بسبب الحرب. والآن فهذا الدمار يشهد بصورة صامتة على ضراوة المعارك التي جرت هناك ووحشيتها

عندما كانت عربات الشحن التي تحملنا تمر هناك، كان الفلبيون في الشوارع يرفعون قبضاتهم ويصرخون في وجوهنا، «جابون، جابون، باياكاردو».

واتجهنا نحو القصر الإمبراطوري، صرخ بعضهم في وجوهنا، بازدراء».

مرة، وليس قبل ذلك بزمن بعيد، كان على هؤلاء الناس أن يتحملوا قسوة الجنود اليابانيين عندما يصفعونهم على وجوههم، ويقولون باياكاردو»، فوك يو مع إجبارهم على أن ينشدوا النشيد الوطني الياباني مع تبجيل إمبراطور

اليابان. والآن أصبحت تحرضهم على صب جام غضبهم واستيائهم وكبتهم بل وبغضهم لنا، من ثم قذفونا باستخدام الكلمات نفسها من الشتيمة التي كنا نستخدمها ضدهم، وعلمناهم إياها.

كذلك انهارت الفكرة اليابانية عن شرق ـ آسيا العظمى للازدهار بسرعة، ومن السهولة إثبات ذلك، فإنها لم تطبع في نفوسهم أي شيء سوى الضغينة في قلوب وعقول الناس الذين بحثنا عنهم من أجل أن يتعودوا على إخفاقنا تحت الحكم الياباني. فنحن اليابانيون دفعنا ثمناً باهظاً لهذه الحرب، وجعلنا بلداناً أخرى تدفع بالمثل ولماذا؟ فكيف يمكن أن لا تكون هذه الحرب بغير جدوى ولا معنى لها، ولم ينتج عنها أي شيء، بل الضحايا والأسى والأحقاد والآلام والموت لأعداد لا تحصى.

لكنها الطبيعة الحقيقية لكل الحروب .

قبل أن تنطلق الباخرة، جرى رشنا بمسحوق الـ«د.د.ت» لتخليص أجسامنا من القمل. وعندما وقفنا هناك، ونظر كل واحد منا الآخر، كانت مناظرنا مضحكة، رؤوسنا مغطاة بمساحيق بيضاء، كذلك وجوهنا، وفجأة، طغت علينا موجة من الفرح، ولم نتمكن من التغلب على البسمات المسلية العريضة والأشكال الهزلية التي قمنا بها. تحركت سفينة الدفاع عن الشاطئ في آخر الأمر وابتعدت عن رصيف ميناء مانيلا، وتوجهت مباشرة إلى الوطن، اليابان.

وجرى تعميدنا، مرة أخرى،.بمسحوق الـ (د.د.ت) بعد أن رست الباخرة في ساسيبو في كيوشو.

آه، «الوطن في آخر الأمر»، صرخ قلبي، وهو يتفجر بالفرح تقريباً، وشعرت كأنني اقبل الأرض.

كان الوضع الذي وجدته في اليابان بعد عودتي، كما أعلمكم به أرواح زملائي من قبل. أخذت القطار المملوء حتى الإفراط والمحشور، إلى كيوتو وتوجهت إلى المنزل. لقد كان حزيناً، موحشاً، كقادم لشبه منزل، وتحول إلى مظلم، أيضاً. وعندما سرت المسافة القصيرة نسبياً من محطة كيوتو، ووقفت

أمام منزل والدتي، وأخذت ساقيّ ترتجف، بكل من الفرح، لكوني أصبحت في المنزل في آخر الأمر، والتوتر من المشكلة الجديدة ـ أعني كيف سأخبر أمي حول ثورو. لقد آلمني أن أفكر بالكرب الذي سأعانيه إذا أعلمتها بحقيقة ظروف موت أخي الصغير العزيز في أحراش جبل لوزون.

انزلقت بعد أن فتحت الباب الأمامي، ولا يزال متوقفاً كما فعلت في اليوم الذي غادرت فيه للإلتحاق بفوجي قبل خمس سنوات طوال. وأمي التي صلت بأمان وبدون وهن، طيلة هذه الحرب الطويلة، كانت تجلس هناك في غرفة الجلوس الصغيرة التي اشتقت إليها، ورأيتها آلاف المرات في أحلامي، تَرْشُفُ طاسة عصيدة الأرز بالخضراوات التي كانت تشكل غداءها.

سوف لن أنسى وجهها في تلك اللحظة، برغم ذلك، رفعت بصرها ورأتني، ولم تستطع أن تفهم على الفور حقيقة أن ابنها قد عاد من الحرب. لكن، من ثم، تحققت، أن هذا الأمر هو حقيقة، وانحدرت دموع الفرح على خديها المُتَغضّنَين بغزارة.

كانت تعلم أن ثورو وفوجي، كانا قد انتقلا من مقرهما الأصلي في الصين إلى الفليبين، وسمعت مؤخراً إشاعات أن جيش كيوتو الـ (١٦) قد أبيد في الفليبين. هكذا، وأضحت نصف مستسلمة إلى احتمال ساحق أن كلانا قد صارا ميتين. تعذبت عذاباً شديداً في هذه اللحظة ولعدة أسابيع، ولم تكن توجد وسيلة أستطيع بها أن أتجرأ وأعلمها أن ثورو قد قتل، وأن لحمه قد أكل من قبل بعض جنودنا. وإعلامها نبأ موته بلطف بمقدار ما يمكن. فأخبرتها، أنه هو وأنا كنا منفصلين أثناء فوضى القتال، وعلمت أنه قد قتل مؤخراً في المعركة.

فلو كانت هذه قصة حرب عادية، فقد تنتهي مع عودة سليمة إلى الوطن وجمع الشمل مع أمي والمقربين، والعيش بسعادة إلى الأبد. لكن لم أخبركم كيف أن جسمي وصل إلى أن يكون أحد جثث صفكم ليشرحها يوشيو.

على الرغم من فرحها الشديد وإحساسها بالفرح عند رؤية عودتي سالماً وصحيحاً، لم تكن أمي في موقف يمكنها أن تقوم بطبخ وجبة خاصة سوية ـ حتى شيئاً بسيطاً صغيراً ـ من أجل الاحتفال بعودتي سالماً إلى الوطن. كما أنها

لم تستطيع أن تخبرني عن طمأنينتها وتأخذ الأمور بسهولة لفترة قصيرة حتى استعادة قوتي. إذ كانت البلاد كلها في دمار اقتصادي بسبب الحرب، وحطت مسؤوليتي لعائلتنا بثقلها بشدة علي.

في الأيام القريبة التالية، تجولت على المصابغ بحثاً عن عمل ، حيث كنت أعمل في السابق قبل الحرب. وكان مستخدمي السابق شخصاً حنوناً، وقال لي إنه سعيد بعودتي للعمل معه. لكن في تلك المرحلة، لم تعد توجد أقمشة في أي مكان كان، وهكذا، لم يعد يوجد عمل لديه ليعطيه، ومخزنه مفتوح، لكن لا توجد أعمال.

لم يمض زمن طويل قبل أن ألتقي بخمسة أو ستة جنود أعيدوا للوطن، وصادف أن تعرفت عليهم، وشرعنا، مع زملائي الجدد في عمل خاص بنا، وكان بعض هؤلاء الفتيان طيارين في القوات الجوية في وحدة الهجمات الانتحارية، ممن كان واجبهم الأساسي تحطيم طائراتهم على أحد أطراف مراكب العدو، وينتظرون دورهم للموت، جاهزين للتضحية، حتى عندما انتهت الحرب. وكان بعض الناس يسمونهم «المغاوير الإنتحاريون الفاسدون» قدر عدمي، الموت سريعاً شباباً.

كنت قائداً لتلك المجموعة، بسبب أنه كان عندي أطول مدة في الخدمة المسلحة. وواجهت الموت وجهاً لوجه في لوزون مرة، فاستخدمت كلمة «الزملاء». وكان لتلك الكلمة رنيناً لطيفاً، لكن في الحقيقة، كنا بالضبط عصابة مقنعة، وكان عملنا أن نبيع في السوق السوداء بصورة غير مشروعة، بالأخص الألبسة الفائضة لدى القوات البحرية.

وكما تعلمون، كان الأرز والبطاطا والسكر والكحول ـ حقاً أي نوع من الطعام بأية حال ـ يباع بسرعة في السوق السوداء. لكن كانت هناك أيضاً، السلع الأكثر قيمة، الثياب، الحرامات، الأحذية وما يشبه ذلك.

كنا نعرض في الساحات وراء محطات القطارات قريباً من السوق السوداء حيث البضاعة من أموات الجيش الإمبراطوري الياباني ـ أحذية عسكرية ماركات جديدة، حرامات، ألبسة رسمية، ألبسة داخلية.. الخ.

كانت تباع، وكنا نجهد بالعمل لتجاهل المعلومات حول نوع البضائع ومن

أين تأتي. فكانت توجد بعض المصادر، المشروعة لهذه البضائع، لكن في معظم الحالات، كان باستطاعتنا إدخال مادة واحدة أو اثنتين فقط. وتعلمنا جلب كمية ضخمة من البضائع الجديدة، ذات الجودة العالية من السوق السوداء بطرق خاصة.

أمور لا تصدق، فقد سمعنا أن بعض الناس الذين عملوا كصرافي رواتب في قطاعات الحسابات وقيادات الأفواج أو في مراكز عسكرية في اليابان قد استولوا عليها واختبأوا ومعهم كامل عربات الشحن للإمدادات العسكرية أثناء الفوضى عندما انتهت الحرب. وباع بعض منهم البضائع التي استولوا عليها. وهناك بعض الضباط من ذوي الرتب العالية، حتى وصلت بهم الجرأة لإعطاء الأوامر لبعض العسكريين تحت إمرتهم بنقل كميات ضخمة من هذه الإمدادات لبيوتهم تماماً أثناء صرفهم من الخدمة من الجيش.

بحثت عصابتنا عن هؤلاء الناس وسلعهم المسروقة في منطقة كيوتو وأخرى من منطقة نارا وأخرى من أوساكا. من ثم أعلمناهم بعضاً من القصص حول كيفية تعرضنا لاستجواب رسمي، حيث أخذنا البضائع منهم بالإكراه تقريباً. ونقل بعض هؤلاء الشباب حمولات شاحنات كاملة من بضائع مسروقة، من ثم لم يعرف كيف يوزعوها على الأسواق السوداء دون جذب انتباه السلطات، وهكذا، أصبحوا في مأزق. ثم حصلنا على كميات ضخمة من البضائع من هؤلاء الناس. وكان هذا الأمر يشبه أخذ حلوى من طفل، أصبحنا نحصل على أموال للتخلي عن قليل من البضائع. بعد كل ذلك، وبما لأنه قد تم الحصول على البضائع بصورة غير مشروعة، ولم يكن لدينا ملجأ مشروع عندما تصبح تحت تصرفنا.

أصبحت عمليتنا بسيطة: فقد أجبرناهم بأن يدعونا لأخذ البضائع، ولم نترك لهم شيئاً ومن ثم تجولنا على نحو ملائم وبعناها بأنفسنا في السوق السوداء. لقد كان عملاً سهلاً ومربحاً.

لم يكن العمل الفعال حافزي الوحيد لإمدادات السوق السوداء بالبضائع العسكرية. الحقيقة، بأني لم استطع أن أهضم فكرتهم الداعية إلى الاستمتاع بحياة جيدة نتيجة أرباحهم الشريرة بعد أن دعوا أعداداً لا تحصى من الجنود اليابانيين ليرحلوا بعيداً.

ويضحوا بحياتهم وشبابهم في ساحات القتال في الفليبين وفي الصين وفي بورما، وفي جنوب المحيط الهادي وفي الجزر إلى الشمال. ولم يكن من العدل حقاً، التذكير أن عليهم أن يتعلموا الدرس، وقالوا إن كل فاعل شر أو شرير له أسبابه. ولي أنا أسبابي الخاصة. وكنت لحد ما رجلاً جيداً كما أعتقد.

هكذا سمعت أن هناك مهرج يعيش حياة فاجرة، منغمسة في الملذات، وقاطع طريق حقير. وسمعت حول هذه الجماعة الحقيرة في السوق السوداء، عندما كنت وراء محطة كيوتو، والتي قدمت حديثاً إلى أوساكا من مكان ما، وصارت تعمل هناك بوضوح. فهؤلاء الناس كانوا يبيعون تجهيزات عسكرية مسروقة غالباً بشكل بارز. لكن ما هو الأشد خطراً. بالنسبة لي، كان موقفهم وسلوكهم الشاذ والذي لا يطاق. ليس فقط لأنهم يرفضون دفع أجرة لأصحاب الامتياز مقابل فترة التوقف في الساحة. بل كانت لهم الجرأة بأن يبتزوا المال من الأفراد الضعفاء الذين يجوبون الساحة الصغيرة حولهم من الجنود المتقاعدين العاجزين عن العمل، ومن الأرامل واليتامى، وضحايا حرب آخرون الذين اصبحوا يكافحون من أجل العمل لمعيشتهم. وكرجل له بعض السمعة في السوق السوداء وزعيماً لعصابتي الخاصة، شعرت أنني لا أستطيع أن أسمح لهم أن يستمروا. وهكذا، توجهت نحو ساحتهم، معتقداً بأنني ألقنهم درساً. لكن عندما اقتربت منهم فوجئت مفاجأة حياتي.

فالرجل الذي كان زعيمهم، لم يكن سوى ذلك الرقيب الأول الذي وجدته يأكل جسم أخي الصغير ثورو في ادغال جبل لوزون! وقد حلق شعره الطويل وأصبح قصيراً، وحلقت ذقنه، لكن كان ذلك الوجه الذي لن أنساه أبداً! كان لا يزال ابن الزنا حياً! وقد يكون بقاؤه حياً يعود لأكله لحم الجنود الآخرين قليلي الحظ أو سيىء الطالع.

بعد ذلك اليوم الرهيب في دغل لوزون، أول شيء شعرت به، لا شيء سوى المرارة. فكل مستهلك يكره ابن الزنا هذا الذي حاول قتلي بدفعي إلى حافة الجرف، والذي أكل لحم أخي الصغير العزيز عندما كان ممدداً يحتضر. فكرت إنني لم أتمكن من أن أغفر لهذا الحيوان عما قام به لثورو. لكن أعلمتكم قبلاً، كيفية شفائي في محطة الإسعاف الميداني الأمريكي كأسير حرب، ولولا

كنت مت جوعاً في الدغل أو على الأقل عانيت رعب الموت الوشيك قبل موتي. وقد توصلت بالتدريج بأن هذا الرجل، كان أيضاً ضحية تلك الحرب البغيضة. وكان في قلبي شيء ما يمكنني من أن أسامحه وأعفو عنه. أبعد من ذلك أيضاً، فلو لم يدفعني للهاوية، و إذا لم يجدني الأمريكيون لمت بالتأكيد.

على أية حال، تحت هذه الظروف، فكرت بأنه لن يكون هناك زمن طويل، قبل أن يلاقي هذين اليابانيين المغوارين موتهما في دغل الجبل. وهكذا، ربما كان لديهما شيء ما للقيام به مع الرغبة في أن أرثي لحالهما وأسامحهما وأعفو عنهما.

لكن عندما رأيت وجه ذلك الرقيب الأول السابق وعلمت أنه لا يزال حياً، هنا في كيوتو، في صحة قوية وَحُرّ من كل قلق، ويفترس الضعفاء ــ في هذا الوقت، تجمدت الدماء في عروقي، كما لو أن صدمة كهربائية اجتازتني من الرأس إلى أخمص القدم. في اللحظة التالية، اندفع في الشعور القديم بالهجوم الوحشي واستولت علي موجة اهتياج عمياء من أجل الهجوم عليه ومسكه من مقدمة قميصه، وضربه حتى الموت بيدي المجردتين. لكن ما بقي في عقلي من قوة التفكير سيطر عليه الغضب الشديد.

«أنت، هل تستطيع أن تسمح لهذا الرجل أن يعيش».! وأقنعت نفسي، « لكن يجب على أن أرسم خطة لحركتي بعناية من أجل التأكد وتضمن لي قتله. وسيكون أمامي فرصة وحيدة فقط لقتله، يجب أن لا تفشل، يجب أن اثأر لموت أخي».

تظاهرت أنني أتفحص كومة الأحذية العسكرية والحرامات ومعاطف الضباط المكدسة للبيع، وتحركت أقرب، إلى حيث أستطيع القيام بنظرة فاحصة في وجهه.لا شك، إنه هو!

كان يتحدث ويمزح مع اثنين أو ثلاثة آخرين من ذوي المنظر الشرير من السفاحين الذين يظهرون على أنهم من الموثوقين أو التابعين له. هذا الرجل الذي دفعني إلى المنحدر الصخري الشاهق لابد أنه يعتقد أنه قتلني بالتأكيد، حلمت قليلاً بأنني كنت لا أزال حياً، ووقفت في مقابلته تماماً.

لم يتغير انطباعه ولو قليلا، حتى عندما التقت عيونه بعيوني، ابتعدت عن تلك الساحة، وقلت للرجال من جماعتي الذين لحقوا بي مندهشين بما كان يجري، إنني ذاهب لقتل زعيم هذه العصابة ـ إنها مسألة شخصية، إنني ذاهب للحصول على سلاح، لكني سأعود حالاً. يجب أن تراقبوه، يجب أن لا تضيعوه. و إذا غادر بطريق الصدفة قبل رجوعي، اتبعوه وابحثوا عنه إلى أي مكان توجه».

تحقق لهم من خلال شحوبي، ومن خلال انفعال وجهي المتلون أن ذلك الأمر كان جدياً وخطيراً، ولأنهم تلقوا أوامري بدون أية كلمة، وبقوا هناك لمراقبة الساحة من مسافة قصيرة. تذكرت أنه يوجد سيف عتيق في سقيفة قريبة كنا نستخدمها لتخزين بضائعنا للسوق السوداء. عندئذ، كان نوع السيف من النوع نفسه الذي استخدمه ابن العاهرة لتقطيع أخي، لقد صدمت عندما عثرت على سلاح لغرضي الشرس. انتزعته وقفلت راجعاً للسوق السوداء لأجده.

«لا يزالون هناك»، سمعت هذا التقرير من رجالي على الفور، سحبت السيف من قرابه وأسرعت باتجاه الساحة، حيث كان قاتل أخي لا يزال يتحدث مع رجاله بعجرفة.

«أنت ابن العاهرة،! أنت آكل أجسام الجنود اليابانيين القتلى في أدغال الفليبين، أليس كذلك! أنت ابن الزنا القذر الذي قتل أخي وأكل لحمه، وحاولت قتلي أيضاً! أنت لا تستحق الحياة، سأقتلك، وهذا من أجل أخي.

اندفعت نحوه بقوة وغرزت النصل في بطنه.

«أنت..! الذي يتوق للإرهاب والإنذهال.... أنت لا تزال حياً ! بهذه الكلمات القليلة، أصبحت شكوكي مؤكدة، لقد عرفت أنني طعنت الرجل المناسب.

سحبت السيف من بطنه وطعنته من جديد مع الدم وهو يلطخ النصل أيضاً، وهذه المرة مسدداً على قلبه. ومع رجفة داخلية، شعرت بالرضى، لأن النصل اندفع باحكام، راقبت جسمه الذي كان يرتجف بعنف وهو ينثني، ثم يسقط على الأرض عند قدمي.

في تلك اللحظة، دوت طلقة، وتبينت، في جزء من الثانية، بأنها صادرة عن صوت مسدس، ثم لفحني ألم، كما لو أن قضيباً من الحديد متوهج الحرارة اخترق الجانب الأيسر من صدري.

لقد أطلق واحد من تابعيه النار علي. وفكرت خلال ثانية أنني شاهدت نوراً اصفرا أمام عيني، لكنه أظلم، وعلى الفور، لم يعد يوجد سوى السواد. لقد مت غالباً على الفور.

وكما تعلمون، كانت البلاد مقدمة على فترة فوضى تامة، وإلى العدمية، في مطلع هزيمة اليابان. فكانت توجد مقالة صغيرة حول موتي، في جريدة اليوم التالي، تحت عنوان «اثنان من قطاع الطرق، يقتل أحدهما الآخر في شجار في السوق السوداء».

نقل جثمان الرجل الذي قتلته إلى أوساكا. وأرسلت الشرطة المحلية جثماني، إلى كلية راكوهوكو الطبية من أجل عملية تشريح الجثة.

وأعطت أمي موافقتها ليكون مستخدماً في بحث طبي، وهكذا، ترك في الكلية.

لقد عشت حياة لا فائدة منها إلى حد ما، فلم أعمل أي شيء هام أو له قيمة. شكراً لسماعكم قصتي.

في ميادين القتال في لوزون، فالحظ الذي حصلنا عليه، أخي الصغير وأنا، هي في التحدث عن العودة إلى المنزل في كيوتو في يوم ما والعمل سوية لإعادة بناء أعمال الصباغة في كيوتو التي أسسها أسلافنا.

لقد كان حلماً جميلاً، لكن لم يصادفنا الحظ مطلقاً لتنفيذه كحقيقة.

ربما فضل ثورو أن لا أموت آخذاً بثأره، بل العناية بأمنا وتحقيق حلمنا في إعادة بناء أعمال الصباغة للعائلة. إنني آسف، لأنني تكلمت كثيراً جداً، إنني أعني أن اجعلها قصيرة بقدر ما يمكن، لكن جرفتني العاطفة تماماً، إنني حزرت ذلك. ومرة أخرى شكراً لكم لسماعكم هكذا، بصبر.

بعد سماع قصة الليلة الخامسة

بعد أن انتهت روح يونيدا من الحديث، بقي يوشيو والأرواح الأخرى، صامتين إذ كانوا جميعاً غارقين في قصة قاسية الشدة والوحشة والرعب الأقصى. وبعد لحظة، استدعي يوشيو للحديث.

«عرفت بصعوبة بالغة ماذا يمكن قوله بعد سماع مثل هذه القصة المثيرة للمشاعر من الأسى والاشمئزاز الشديد. وكانت حياتك دماراً بالحرب بالكامل. بالتأكيد كنا جميعاً قد تأثرنا إلى حد ما بهذه الحرب المأساوية، لكن بتجاربكم....»!

تعلمت منك شيئاً ما، القسوة، الجانب غير الإنساني في الحياة العسكرية. فقد فَقَدَ العديد الأمل في المعارك الميئوس منها، فإن الجيش الإمبراطوري الياباني حارب في لوزون ضد جيش الولايات المتحدة المجهز على نحو أفضل، والمتفوق تكنولوجياً. فقد أجبر رجالنا على أكل لحوم زملائهم من العسكريين في سبيل البقاء أحياء مع المعاناة المرعبة التي تعرض لها جنودنا من تحمل المرض والجوع. مع ذلك فمن المحتمل أنها حالات قليلة جداً قد حدثت.

«إنها المرة الأولى التي اسمع بها مثل هذه التفاصيل، وصفاً مؤثراً ومثيراً للمشاعر عن الكرب والمعاناة التي واجهها جنودنا خلال الحرب، ربما تحديداً في جزيرة لوزون، وأيضاً في العديد من الجزر الأخرى. حيث كانوا يحاربون أيضاً. وسمعت شيئاً من أجزاء قصص محنة الجيش الإمبراطوري في بورما، لكن الحقيقة، يجب أن تكون اشد رعباً مما يمكن تخيله، فقبل أن تموت فانك ارتكبت جريمة قتل، لكن يمكنني أن افهم العذاب الذي ساقك إلى قتل ذلك الرجل.

لكن الآن، كواحد على قيد الحياة، فإنني احسب أن أسال عن كل شيء ينتمي إلى عالم الروح، سؤالاً، وإثم القتل يدان بخشونة في عالم الأرواح، أليس كذلك؟

_«نعم، فإن روح الأستاذ يوهارا أجابت برفق عندما قلت عدة مرات، إن الله لا يغفل حتى أصغر الآثام المرتكبة خلال حياة أحد ما على الأرض. وهكذا، بالطبع، فأي واحد قضى على حياة شخص آخر، سيعاقب بشدة، بدون النظر إلى سببه للقيام بذلك.

لكنني لا أتحدث عن عقوبة جسدية بسبب أنه بالطبع، ليس للروح جسم جسدي. في عالم الأرواح والعقوبة التي تنطبق عليه هي شديدة، وكرب الروح الذابلة، بأن كل روح تتحمل الآثام التي ارتكبتها. وهذا الكرب هو أكثر إيلاماً من أي نوع من العقوبة ومن الألم الجسدي. لكن قد تفكر الروح بهذا الألم كسوط إلهي كأداة معاقبة إلهية عن الحب والترحيب به من اجل الإمكانية حقاً من خلالها، بالندم والتوبة لتكون محققة، والروح يمكن أن تهيئ نفسها للدخول إلى السماء.

فهل كانت روح يونيدا قد عادت للاتحاد مع أخيه الصغير في عالم الأرواح؟ سال يوشيو «وماذا حول الرقيب الأول الذي قتل؟».

أجابت روح يونيدا بهدوء:«إن روح الأستاذ يوهارا تعرف الجواب على سؤالك، لكن دعني أعلمك. عندما قتلت في ساحة السوق السوداء، فالناس من الطبيعي أن يصابوا بالذعر، وانقلب المكان رأساً على عقب. وبشكل مشابه لما وصفته روح زميلي لما حدث له، فإن روحي غادرت جسمي وصعدت إلى عالم الأرواح.

«بعد وقت من الدخول لعالم الأرواح ـ مع ذلك لم يكن لدي فكرة كم من الوقت سأبقى في عالم الأرواح المؤقت. ومنذ ذلك الوقت فلم يعد هناك حساب لمرور الزمن في عالم الأرواح الأبدي ـ وذلك طبقاً لرغبة الروح القدس، وقد سمح لي برؤية الشخص الذي كنت ارغب برؤيته كثيراً، ثورو، الذي كان، بالطبع في عالم الأرواح من قبل.

عندما التقيت بثورو في عالم الأرواح، لم يظهر لي في صورة الهزيل، والمشوه، وذو جسم وحشي كما رايته آخر مرة في أدغال الفليبين. فقد بدا كل منا للآخر كما لو كنا في اسعد أوقاتنا عندما كنا معاً. وكان حقاً لمدهش أن نكون معاً ثانية.

ـ«إنك تعلم أنها حتى على الأرض، عندما يحب شخص أحداً ما، فالأقرب إلى ذلك الحب هو الاندهاش. ذلك هو الحب الروحي بكل معني الكلمة.والأكثر، فإنه يشعر بخلو من الاضطراب، على نحو لا يوصف، نَقِيٌ ومطمئن عندما يكون مع أحد ما يحبه. هذه الاحساسات تجعله اكثر حدة بكثير

في عالم الأرواح، والنتيجة، هي الاطمئنان الروحي، ونشوة غير معروفة على الأرض. وهذا، لأننا نلبس كساء من البشرة عندما نكون أحياء، وإن روحنا لا تعرف فيما إذا كانت ستصبح بالكامل نقية، وبأنه لا يمكنها اختبار الحب الروحي النقي.

«للإجابة على سؤالك الثاني: نعم، التقيت بالرقيب الأول في عالم الأرواح أيضاً، دائماً مع كسائنا من البشرة، كما أننا تخلصنا من بغضنا السابق. والتقى أحدنا بالآخر بقلوب كلها محبة وشفقة وتفاهم. وتسامحنا الواحد مع الآخر: وندم كلانا في عالم الأرواح عن الآثام التي ارتكبها خلال حياتنا، وأصبحنا على استعداد الآن لتلقي الخلاص الإلهي، وارتفعنا إلى مملكة السماء، عندما حان الوقت .

«غالباً ما يحدث ذلك بأن يسمح لروح الشخص التي كانت تعتبر آثمة على الأرض، بالدخول إلى السماء قبل أرواح الآخرين ممن كانوا يعتبرون غير مسيئين جداً، وحتى الجيدين على الأرض».

عندما انتهت روح يونيدا من الكلام، حضرت روح الأستاذ يوهارا لقاء الليلة الخامسة حتى النهاية.

«مرة أخرى من جديد، تحدثنا مؤخراً في تلك الليلة. أنني على يقين أن باستطاعتنا الذهاب بالحديث حول هذه الأمور كل ليلة، إذا سمحنا لأنفسنا، ولكن كان من الأفضل أن ندعك تذهب للمنزل، وسيكون يوشيو أو غيره أيضاً تعباً لتجتمعوا في صفوفكم غداً. كونوا حذرين عندما تركبون دراجاتكم الهوائية للمنازل. وسوف نراكم ثانية غداً في الليل».

غادر يوشيو غرفة التشريح وتوجه للمنزل. شعر بقطرات مطر قليلة على خديه، عندما ركب الدراجة عبر شارع كاواراماشي العريض، واستدار يساراً نحو شارع تيراماشي حيث بدأ هطول المطر بقطرات باردة ورطبت الهواء الثقيل الحار في ليلة صيف متأخر قلب يوشيو رعب الحرب بألم محزن، الحرب التي خبرها يونيدا ايسامو خلال حياته القصيرة وكذلك العسكريون الذين عانوا من مصير مشابه. ركب الدراجة بمقدار ما يستطيع وكان يحاول بقوة ساقية أن يدفع هذه الصور المرعبة عن ذهنه.

الفصــل الســابع

الليلة السادسة

قصة المرأة التـي كابدت مشقات الحياة
كفتاة معمل ثم عاهرة

مولودة في قرية فقيرة:

قصة حياتي ليست ممتعة مثل تلك التي رُوِيَتْ من قبل أرواح زملائي في هذه الليالي القليلة الماضية. حقاً، إن ماضي محزن لكن.... حسن، سوف ترون ماذا أعني.

كان اسمي في عالم الحياة تاغوشي فويوكو.

ولدت في قرية صغيرة، تدعى نوويه، تقع عميقاً في جبال ولاية توتوري بالقرب من حدود ولاية هيوغو، حيث أُعِّد والداي لحياة كمستأجرين مزارعين يتوليان العناية بحقول عديدة صغيرة على شكل مصاطب محفورة في سفح الجبل. ويعطي الطقس جواً لطيفاً، وتساقط رذاذ من المطر الخفيف، حتى عندما تظهر الشمس وجهها بين حين وآخر، وإنها تسطع في الجانب الأخر من القمم التي تحفظ قريتنا مخبأة في ظلها. فكيف يستطيع أي واحد على الأرض أن يقوم بالذهاب للعمل في الزراعة في مثل هذا المكان؟

لم يكن هناك أمل كبير مطلقاً في حصول أرز وافر، أو شعير أو خضراوات. وبعد تقاسم المحصول، وندفع لمالك الأرض ما يوضع جانباً، وبالتالي لم يبق للمزارعين حتى ما يكفي من الأرز للأكل، مع أنهم هم الذين زرعوا وفلحوا وحصدوا المحصول.

على الرغم من هذا الجو العائلي، فإنني تدبرت الأمر لإنهاء دراستي الابتدائية، وكنت أمشي أربعة كيلو مترات إلى المدرسة والعودة على طول طريق جبلي ضيق صخري.

عندما تخرجت من المدرسة الابتدائية، كان لي أخوان كبيران، وأخ أصغر، وأخت صغيرة، وهكذا، لم يكن بإمكان أبي وأمي القدرة مطلقاً لوضع حد لمعاناتهما، مع خمسة أفواه جياع يجب إطعامهم، وأصبحنا مجبرين أن نعيش حياة هي صورة حقيقية للفقر الطاحن.

فضلاً عن ذلك، كانت أمي ضعيفة البنية الجسدية، وتسعل دائماً، عندما أتذكر الآن، يمكن لأنها كانت مصابة بمرض السل في الرئتين. إنني على يقين أن ولادة خمسة أطفال، لا يمكن أن ينهك صحتها. إنني أتذكرها، امرأة هزيلة ومنهكة مع شحوب، تستنزف طبيعتها.

لكوني الابنة الكبرى، فمن الطبيعي أن يقع علي أخذ مكان والدتي المريضة وأعتني بأخي الصغير وأختي الصغرى، بالطبع، وأخوي الكبيرين أيضاً.

جاء في أحد الأيام عضو جديد من معمل غزل فوجي للموصلين إلى قريتنا المنعزلة، واستهل حديثه مع والدي. وحدث أنني كنت عائدة بالضبط من الحقول عندئذ، وقدمني والدي لهذا العضو الجديد.

«هذه هي ابنتي الكبرى».

كان هذا العضو الجديد يلبس لباساً أنيقاً، بدلة عمل أنيقة، وبدا على أنه سيد لائق أو حسن الطلعة. أثنى عَلَيَّ على الفور حتى رفعني إلى السموات، بقوله، كم هي ابنة رائعة، وكان والدي واثقاً بأنني أصبحت جميلة عندما كبرت.

لم يمض زمن طويل، قبل أن يسحب بعضاً من الصور لمدينة اكاشي ومصنع ضخم، وأعلن أنه كان أحد أولى مصانع الغزل في اليابان، وأن مَكْتَبَهُ الرئيس في طوكيو. والمصنع لا يقع بعيداً عن المدن الرئيسة مثل هيميجي، كوب، وأوساكا. ووضح بتبجح وعلى شكل استعراض مسرحي، صوراً للشوارع المملوءة بالمخازن المزخرفة بابتهاج والمسارح والسينما في هذه المدن، وحتى فرعاً لمخزن ضخم على الطراز الغربي. وأن ما يشبه ذلك لم نره مطلقاً من قبل. ومع هذه الصور المبهرجة، فإنه لم يعد لديه مشكلة في إثارة فضول الريفيين شديدي الارتباك أمثالنا الذين لن تقع أعينهم مطلقاً على مدينة كبيرة من قبل.

ثم، تابع بعبارات عن سخاء الشركة في الاستخدام وكل أنواع المكاسب الإضافية الجذابة التي تبعث فينا السرور ما أن يعهد والدي «بابنته العزيزة» إلى عناية الشركة. وقال إنني سأعيش في مهجع بالقرب من المصنع، نظيفاً وكامل

الفرش وأستطيع أن أتعاقد لأخذ دروس بعد العمل واسعة ومتنوعة ويليق بسيدة، منجزات ثقافية- حفلات شاي، قواعد التشريفات، الطبخ، الخياطة- أو تعلم لعبة الكوتو أو الساميزن - أي استخدام آلة موسيقية ثلاثية الأوتار- وإذا أردت أيضاً، يمكن حتى أن يسمح لي بحضور مدرسة متوسطة للبنات تابعة للشركة. ولم يكن لدى والديّ ما يقلقهما علي، وحتى إذا أصبت بمرض، فقد طمأنهما، إذ قال إنه يتبع للمصنع مشفى ممتازاً حيث أستطيع أن أحصل على معالجة طبية خاصة مجاناً. وأكد أن العمل نفسه لا يوجد فيه ما يشبه العمل الجسدي المتعب، بل غالباً عملية إشراف على الآلات: ما دمت أقوم بذلك طبقاً للتعليمات، وستقوم الآلة نفسها بمعظم العمل.

في قمة كل ذلك، فقد تتابعت ابتهالات ذلك الوسيط وإغراءاته، وبهذا أكون قد ضمنت راتباً بالطبع، مع رفع منتظم للراتب طبقاً لسنواتي في الخدمة في الشركة. ولما كان ماسأكسبه سيزداد فإنني سأصبح قادرة على الشروع في فتح حساب للادخار وإرسال نقود للمنزل لمساعدة عائلتي. وقال ذلك الوسيط إنه سيكون من السهل أن أوفر مالاً مدخراً كافياً لدفع ثمن جهاز العروس الخاص بي بدون مساعدة مالية من قبل والديّ. ومع الزمن سأصبح بالغة لسن الزواج. وما أن أوافق رسمياً على العمل هناك، ستعطي الشركة والديّ بعض المال لشراء ثياب ونفقات طارئة لحياتي الجديدة في المصنع، وإذا كان ضرورياً الحصول على سلفة على راتبي. يمكن القول في النتيجة- عندما تريد عائلتي القدوم من الريف إلى المدينة لزيارتي في العمل وارتياد بعض الأماكن التي تستحق المشاهدة، فالشركة ستتخذ الإجراءات الضرورية معهم لتأمين الرحلة والتسلية لهم طوال الليل، بما يساوي فنادق الدرجة الأولى، مجاناً بلا مقابل. أخذ حديث الوسيط بالتباطؤ بلطف كما قال ذلك، ألف مرة. وكان والديّ قد تأثرا بما قاله. «من المؤكد تردد كعسل الربيع، فلو وُجِدَ عمل لي في المصنع، فإنني سأذهب للعمل بنفسي هناك».

اختتم الوسيط إعلانه بإخبارنا بأنه هناك عدد كبير من الشابات الراغبات بالعمل في المصنع بسبب الشروط الممتازة للعمل، فكان كما قال على نحو صارم، أول قادم، هو أول من يخدم ذلك العمل. وعندما أشار إلي أنه قد ـ وَقَّعَ

مع ـ خمس أو ست فتيات من القرية المجاورة قبل قدومه إلى قريتنا. وأخذ والديَّ على أنه تلميح، إذا لم أقبل ما عرضه للانضمام للشركة، فإن جميع الترتيبات تصبح ملغاة. وهكذا ألح علي كي أقرر.

مع ذلك كانت أمي تبتسم إلى كل ذلك، بينما كانت تتمدد في الغرفة المجاورة. وفي هذه النقطة، شعرت بإنزعاج للنهوض والمجيء للغرفة المواجهة لتحدي الوسيط بشكوكها.

«لقد لَمَّعْتَ صورة الحياة بكل شيء جميل في المصنع، لكنني أعجب إذ كان ذلك حقاً. لقد سمعت عن مثل تلك الشركات كشركتكم سمعت أن شروط العمل سيئة، فهي تدفع أجوراً منخفضة. وتقوم الشركة باقتطاعات من الرواتب لهذا السبب أو ذاك، بحيث لا تبقي ما يكفي إلى وضع أي مبلغ في الادخار. وما هو أكثر، كما يقولون إن أعداداً لا تحصى من الفتيات في المعمل خدعن وجرى الاحتيال عليهن من قبل الرجال هناك وانتهين إلى اليأس على فقد ما لا سبيل إلى استرجاعه، ألا وهو خسارتهن لعفتهن فماذا عندك لتقول حول كل ذلك؟

كلا رد، بلسان زلق «مثل هذه الأشياء يمكن أنها حدثت بالمصادفة في منطقة مايجي، لكن حتى إذا وجدت بعض الإستثناءات فهي ليست القاعدة. في مثل هذه الأيام، تحسنت شروط العمل في المصانع بشكل واسع عما كانت عليه في السابق، دعوني أوضح ما حدث في الأيام الماضية كانت اليابان اكبر منتج في العالم للحرير الخام، وكانت تعمل بكد لتلحق بباقي العالم اقتصادياً وصناعياً. وكان سياسيونا يؤيدون بشدة بناء ثروة وطنية وعسكرية في سبيل ربح الحرب الصينية اليابانية (١٨٩٤-١٨٩٥)، والحرب اللاحقة الروسية اليابانية (١٩٠٤-١٩٠٥). وكان جزء من الخطة بالنسبة لليابان، تكديس ثروة ضخمة من خلال اكتساب عملات متداولة عن طريق تصدير الحرير للبلدان الغربية واستخدام تلك الثروة لبناء السفن الحربية والمدفعية. في تلك الأثناء، لم يكن لليابان سوى الحرير للبيع في الخارج. وكانت الحكومة تضغط على صناعة النسيج للإنتاج اكثر فاكثر. وهكذا ساءت شروط العمل في بعض مصانع النسيج لحد ما، خلال فترة معينة، أترون؟».

هكذا، نَبَذَ كل النقاط التي قدمتها أمي كأخطاء يؤسف لها في عصر المايجي.

من الطبيعي، أن تكون أمي قلقة حول إرسالي بعيداً لوحدي للعمل في مصنع نسيج بعيداً عن المنزل. لكنها كانت تعرف أنها لا تستطيع عمل أي شيء لمساعدتي اقتصادياً في المستقبل إذا بقيت عندها في القرية وأكثر من ذلك، فإنها ستخسر مساعدتي لها في أعمال المنزل، لكن سيكون هناك فم أقل لإطعامه، كما قال سيكون لها مساعدة مالية مما يمكنني إرساله للمنزل. وهكذا، أذعنت في نهاية الأمر لرغبة والدي. وتطاول الوسيط بأكثر مما ينبغي بالموافقة الأبوية على التعهد بأن أعمل في الشركة مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، ودفع لوالدي- ووقع والدي على التعهد، وأثبت ذلك بخاتمه الشخصي بعد توقيعه.

كان نصفي يريد البقاء مع عائلتي، في حين كان نصفي الآخر يتوق إلى العيش في مدينة كبيرة والهرب من الكآبة والوجود الميت الذي كنت أعيشه حتى ذلك الوقت. وهكذا، فقد انسقت في النهاية أنا أيضاً وقبلت شروط العمل السهلة والمرضية، وبلغة الاستخدام التي وضعت من قبل الوسيط. وأعطيت مهلة حوالي أسبوع لأعد نفسي للرحيل، من ثم عاد وأعطى والديَّ بعض المال لتغطية نفقات تجهيزي لموقعي الجديد- ودفعة مقدماً مقابل ما سأكسبه - بناء على طلب من والدتي. ولا يزيد مجموع ما قدم عن ثلاثمائة ين. ثم أخذني معه إلى شركة مصنع النسيج فوجي للموصلين في أكاشي، حيث بدأت حياة جديدة في العمل.

حياة البؤس لفتيات المصنع:

يقوم مصنع نسيج أكاشي بغزل كل من خيوط النسيج القطنية والحريرية في الأغلب. وصناعة النسيج أيضاً.

أخذت لمشاهدة المهجع بعد الوصول إلى مصنع النسيج، حيث صادفت أول مفاجأة بغيضة. حقاً، كان المهجع حديثاً وبناء مجدداً، لكن عدداً كبيراً من فتيات المصنع ونسائه، كُنَّ مُكَدَّساتٍ في غرفة واسعة، حيث كان عليهن أن ينمن على مرتبات معمولة على عجل من مواد خام دون صقل، وهي رقيقة وقاسية مثل كسارة الأرز. وكانت تمد على شكل صفوف من إحدى نهايات الغرفة إلى الأخرى.

وكانت حجرة الطعام مكاناً كئيباً محشواً بطاولات طويلة، وقد وضع عليها أدوات المائدة من أطباق وسكاكين وملاعق من الألمنيوم، من الأنواع رخيصة الثمن، حيث كنا مجبرات على أن نجلس متراصات هكذا، وكنا على الدوام، تصدم الواحدة بالأخرى، عندما نتناول الطعام. كانت الوجبات بسيطة، ولا طعم لها، والأسوأ غير محركة، ونعطى وقتاً غير كاف وبقسوة لنتناول طعامنا. إذ كان علينا أن نزدر طعامنا على عجل. كان الحمام بخارياً ضخماً يزود بالبخار من المصنع وعلينا أن نستحم سوية عدة أشخاص في كل مرة، نتصادم كتفاً لكتف، والمياه تغلي تقريباً كما تغلي البطاطا في حوض.

والأسوأ من كل ذلك، كان العمل في المصنع قاسياً وقاصماً للظهر. أولاً، هناك الصخب الذي يصم الآذان، ومن الصعب التعود عليه، ويمزق طبلات الآذان، يصلصل مع الصخب الشديد من أنين الآلات الضخمة، التي تحدث أصواتاً مرتفعة صاخبة، ويمكن بصعوبة سماع صوت أحد ما عندما يتكلم، حتى ولو كان بجانبك تماماً. وما أن تدخل أشعة الشمس القليلة مكان العمل المظلم،يمكن رؤية الهواء مثقلاً بالأدخنة والغبار ويرى وهو يُدَوِّمُ الغبار مع قطع صغيرة من الخيطان الصغيرة جداً من النفايات. وكانت الفتيات والنساء العاملات هناك تصاب بمرض الطاعون بسبب الحرارات المرتفعة والرطوبة الناتجة عن الآلات.

كنت أقف في قطاع اللفائف كَلَفّافَةِ مكوك، بسبب كوني عاملة حديثة، لكن كان على معظم الفتيات الأخريات من هن في عمري العمل في قطاع النسيج، على الآلات المعروفة باسم مغزل النسيج وحلقة التنظيم، أو في قطاع الحبك وسحب الخيوط للأنوال العملاقة.

أصبح العمل مضجراً أكثر، بعد الشروع في العمل كل صباح، وكلما انقضى اليوم، تتجدد العوامل لتجعل العمل كريهاً بغيضاً. فكانت هناك مشاكل خطيرة بين الفينة والفينة، تطرأ بين النساء العاملات، مع أنه كانت توجد عدة مراتب في التسلسل الهرمي في المصنع- المفتش، معاون رئيس العمال، رئيس عمال، تقني جزئي، مساعد مهندس، رئيس قطاع، مهندس، مشرف- أما من هن خارج هذا الترتيب، فهن فتيات ونساء المصنع، ويشكلن جميعهن أدنى المراتب هنا. وتعامل كل واحدة منا كقذرة.

شيء آخر تعلمته عندما شرعت بالعمل. كان يوجد عندئذ بين نساء المصنع، ما يشبه ما كان يحدث في الجيش، كان الخلاف بين العاملات الأكبر سناً والأعلى مقاماً والقادمات الجدد. فكانت النساء اللواتي كن يعملن منذ عشرة سنوات أو حتى عشرين سنة، يعاملن، ليس بأفضل، من قبل هيئة الإدارة من الذكور، عن أية واحدة منا، مع كثير أو قليل من حيث الأقدمية، مهما كانت المدة التي عملت المرأة فيها، فإنها لن تعامل بأكثر من فتاة مصنع.

كان علينا أن نعمل إثنى عشرة ساعة على الأقل في اليوم الواحد. ولما كان المصنع يقوم بعمله على مدار الساعة، يتوجب علينا العمل زمناً إضافياً، بين حين وآخر. مما جعل العمل رهيباً حقاً:

وتغيير المناوبة أَمْرٌ غَرِيبٌ، ولم يكن يأتي دوماً عندما يفترض أن يحدث، بل يجب أن تستمر الفتاة بالعمل في مركزها حتى تأتي واحدة ما لتحل محلها، لكن أحياناً، عليها أن تحصل على توقف مع تغيير مضاعف، وينتهي العمل على نحو متصل،حتى صباح اليوم التالي.

كانت فترات استراحتنا قصيرة،كما لم تكن هناك غرف استراحة قريبة كحجرة جلوس. فما ان تبدأ الآلات بالتحرك، حتى خلال فترات الاستراحة، يجب علينا أن نقسم كل فترة إلى النصف، ونأخذ دورنا، بسبب أنه لا يمكن أن نترك الآلات بدون مراقبة مطلقاً. ففي حين تكون بعض العاملات في فترة الاستراحة، فعلى اللواتي على رأس عملهن، أن تعملن عملاً مضاعفاً. وهكذا، فلم تكن الفترات تشترط راحة كثيراً. ولم يكن باستطاعتنا العودة للمهجع «المنزل» الوحيد الذي كان لنا في المصنع، للاستراحة، خلال فترات نوبات عملنا، فكان محرماً بصورة مباشرة.

ولم نكن، نحن بنات المصنع، نحصل على راتب منتظم، بل لا يدفع لنا إلا حسب ساعات العمل، أو بالمناوبة. لكن المبدأ الأساسي، بحسب معدل القطعة، ومنذ ذلك، تحسب أجورنا طبقاً لحجم العمل المنجز. لهذا كنا نجبر على العمل، وبمقدار ما هو سريع وفعال قدر استطاعتنا، يحدد إنجاز عملنا أيضاً في نهاية العام، سواء حصلنا على علاوة أم لا. مع ذلك فإذا حصلنا على بعض منها، فهي ليست كثيراً من المال.

إنني أحسب، أن حياة الفتاة في المصنع، في تلك الأيام كانت أشد سوءاً، مما كانت عليه في بعض مصانع النسيج، كما في مصنع فوجي للموصلين. لكنني متأكدة، بأنها في المصانع الأخرى، هي أفضل بكثير عما هي في مصنعنا. وقد لا يكون من الخطأ الكبير القول أي العكس تماماً هو الصحيح في كل شيء عما قاله الوسيط وأخبرنا به أنا وعائلتي حول الشركة عندما جاء لقريتنا.

قادتني كل هذه الأشياء لما توقعته حول المهجع وتسهيلات الالتحاق بصفوف الدراسة، يجب أن أقول، كانت لا شيء بل أكاذيب وحتى إذا وجد نوع من البرامج الخاصة بنوع من الدورات الثقافية المتاحة لنا، فقد كنا، مرهقات من العمل الذي يجعلنا في نهاية اليوم عاجزات عن التفكير، وكذلك ما كنا نحصل عليه من وجبات الطعام المتواضعة جداً، ثم أخذ الحمام. ثم الذهاب للأسرة بالسرعة الممكنة.

فالوسيط لم يكذب حول وجود المدرسة المتوسطة للبنات كأحد فروع الشركة. لكن لم تكن توجد أية واحدة منا يمكن أن يكون لديها الوقت أو الطاقة لتحضير الدروس هناك، ولو بشق النفس. فكيف يسمح لنا وحدنا بالدراسة أو القيام بعمل منزلي في مهجع مزدحم.

أما الذهاب إلى الأماكن القريبة من مدينة أكاشي أو السفر إلى كوب أو هيموجي للحصول على متعة للهزل أو المتعة بقليل من الشوق- مثل بعض الأشياء كالأقنعة الخاصة بالمرح، والأحلام التافهة التي لا أمل في تحقيقها. أولاً، فقد أعلمت بعد وصولي إلى المصنع، على الفور إنني مجبرة أن أعيد المبلغ الذي أعطاه الوسيط لوالدي لتغطية نفقات تجهيزي لحياتي الجديدة في المصنع. بالطبع، كان علي ان أرد ما دفع لي مقدماً من أجوري. في قمة ذلك، كانت هناك اقتطاعات للمهجع، وثمناً لما كان يقدم لنا من الطعام والمنامة وعلى ما تدخره العاملات للتقاعد، وعلى المدخرات الإجبارية- بعد ذلك، لم يعد يبقى غالباً أي شيء، طالما بقيت الواحدة منا فتاة في المعمل، بل تبقى مدينة للشركة، وعندها تمنع عليها مغادرة المنطقة. وكان علينا أن نعيش هكذا، مع تقييدات عديدة. لقد كانت حياتنا كتلك التي تطبق على المحكومين بالسجن أو العبودية.

وتنتظرنا عادة العقوبة الجسدية بالضرب على الأيدي من قبل أحد المفتشين

أو رؤساء العمال، أو من قبل مدير المصنع، عندما يقدرون أن الخيوط أو الأقمشة التي تنتجها من النوعية الرديئة. وبرغم ذلك حتى لو كان يوجد، على الأغلب، خطأ ناتج عن الآلات، أو أن تكون تأديتنا للعمل غير متناسبة مع المادة الخام. وكنا نعاقب غالباً بملء دلو من الماء وحمله مع الوقوف عدة ساعات منتصبات وكانت الشركة تفرض علينا غرامات غير معقولة ومجردة من كل المبادئ الأخلاقية، وتثيرنا من أجل مخالفات عمل أو إنجازات زهيدة، والتي كانت تقتطع آلياً من أجورنا الشهرية.

تجاوزت الخامسة عشرة من عمري في وسط هذه المشقات والجور المتنوع في حياتي في المصنع. وحدث أول طمث عندي، وكانت تجربة مخيفة حقاً كوني بعيدة عن المنزل.

وهكذا، أصبحت في سن المراهقة، أرضيت أم لا، في حين كنت أعيش وأعمل في المصنع. وحتى ذلك الوقت لم أكن أعرف كثيراً عن الأمور الجنسية، كما أنني لم أكن أهتم بها، ولم أكن أفهم بعض الأمور التي كنت أشاهدها تجري في المهجع. لكن، وبما أنني دخلت سن المراهقة، بدأت أفهم، وأصبح ذلك الأمر مصدر قلق بالنسبة لي.

فكانت حوالي عشرين فتاة مصنع يحتشدن على حصيرة واحدة في المهجع، وينمن جميعهن على مصطبة واحدة، الواحدة بجانب الأخرى تماماً. وكنت ألاحظ في الصباح غالباً، عدة أزواج من النسوة تنام كل واحدة بين ذراعي الأخرى على المصطبة نفسها. وشكل ذلك الأمر صدمة كبرى لي عندما تحقق في آخر الأمر أن تلك النسوة كن سحاقيات،

فمنذ أن أصبحت أعيش في المهجع، كنت أسمع التنهيدات المكشوفة الصادرة عن بعض الفتيات والنسوة، وبعضهن كن يبكين في الليل على مصاطبهن- بسبب فقداهن لوالدتهن بعيدات عن قُراهُنَّ مسقط رأسهن، أو بسبب العمل اليومي القاسي، وأخريات بسبب الشجار مع البعض أو الصدام مع إحدى الزميلات العاملات. ولا تزال أخريات يذرفن الدموع الدالة على الأسى بسبب الغم والمضايقات والمعاملة الحاقدة التي يتعرضن لها على أيدي الرؤساء الذكور. وجعلني صوت حزنهن أشعر بالحزن وغالباً ما أبكي على

نفسي لأنني استطعت أن أفهم بالضبط كيف يشعرن. وكانت هناك أوقات أخرى أرغب فيها أن يقدم لي أي شيء من أجل تعزية شخص آخر يبكي... لكن، وبصدق، فإنه لم يكن لدي من قبل وسيلة، لكي أتحقق أن التعزية أو المواساة من قبل بعض النسوة تطوق الواحدة الأخرى بذراعيها بغرض الطبيعة الجنسية.

تعلمت أيضاً، قبل زمن بعيد، أن الرؤساء الذكور يجبرون بعض فتيات المصنع الجميلات على إقامة علاقات جنسية معهم وأحيانا كانت بعض الفتيات يحملن نتيجة تلك العلاقات، ويمنعن من مغادرة المصنع بشكل صريح والعودة لمنازلهن، وبعضهن هربن من المصنع في جوف الليل البهيم، ولم نعد نسمع عنهن شيئاً من جديد. سمعت أيضاً إشاعات حول جهود مورست لإجراء عمليات إجهاض لأجنتهن، وبعضهن شربن أدوية قوية غريبة، فأصبن بالتسمم وانتهى أمرهن بالموت. وأعلمتنا بعض النساء المتقدمات في السن أن بعض الفتيات لم يستطعن تحمل الآلام والإذلال في المصنع بعد أن أغوين، وفي النهاية هجرن قبل إغوائهن، مثل خرقة بالية قذرة. لكن بالطبع لم يكن مسموحاً لهن المغادرة طالما بقين مدينات بنقود، للشركة. وهكذا، أصبحن مقتادات باليأس. وانتظرن حظهن وهربن من المصنع، لكن انتهين إلى المكان الوحيد كنساء مدمرات، وهو الذهاب إلى حي البغاء.

لم أكن أعتقد أن هذه الحوادث الجنسية أصبحت مشتركة بين جميع فتيات ونساء المصنع. لكن ذلك أصبح سائداً في المصنع حيث كنت أستخدم، لكن لم يكن جميع الرجال يعاملون بنات المصنع ونسائه كأهداف جنسية. فباعتبار أنه لم يكن يوجد برامج أو تسليات نافعة للصحة وأغناءات ثقافية. بحثت بعض النسوة عن التسليات عوضاً عن العلاقات الجنسية مع أناس غير بعيدين والأقرب إلى العاملات، والروح المعنوية كانت منخفضة نسبياً في المصنع.

أنا أيضاً، كنت أواجه المشاكل كلها من أول الأمر لآخره. فكان مراقب المصنع دائماً يبتدع أخطاءً في تأديتي للعمل لبعض الأسباب أو الأخرى، ويوجه لي ملاحظات حادة ساخرة. أخيراً، انتهز فرصة سلطته علي وأجبرني على إقامة علاقة جنسية معه آخر الأمر.

مع ذلك، كان الرؤساء من الرجال، يخلقون المصاعب أمام الفتيات، حتى لو كانت لا تقوم بأي شيء خاطئ في العمل، مع ذلك الباعث الخفي الأساسي منذ البداية في قلوبهم، وبالتالي حصارهن في زاوية بحيث لا يستطعن الرفض لأي طلب، وبالتالي يسلمن أجسادهن لهؤلاء الأوغاد. كانت تلك هي لغتهم القذرة.

وهذا ما حدث لي في أحد الليالي عندما انتهيت بالضبط من مناوبة ليلية دعاني المراقب وطلب مني أن أمارس الجنس معه في مكتبه- غير الملائم- الذي يقع في زاوية من زوايا المصنع.

كنا دائماً نُحَثُّ على الكفاح بجد واجتهاد لزيارة الإنتاج إكراماً للبلاد، ويخبرون نساء المصنع أن عليهن أن يعطين كل شيء من طاقتهن لهذه الغاية تماماً، كالعسكريين في الجيش الإمبراطوري الذين يرحلون ليدفعوا حياتهم إكراماً لجلالة الإمبراطور ومع ذلك كان يوجد مراقب المصنع الذي يحاول أن يفوز بي لممارسة الجنس معه مباشرة في المصنع. فكان هو والرجال الآخرون الأعلى مرتبة يقولون دائماً إنه علينا أن ننتهك حرمة المقدسات حتى مع القذارة، لأنه المكان المقدس، لمهمتنا المقدسة لأنه مجرد مكان- كأن من المفروض أن يكون مكاناً للعار والجدير أن يسخر منه على نحو لا يوصف.

أبديت مقاومة يائسة، و دبرت أمري للهرب بعزم كوني فتاة يراد بها أن تغتصب، لكن، بالنتيجة، ازدادت المضايقات اللاحقة في المعمل أمام كل سبب.

باختصار. من سوء الحظ، تلقيت نبأ من والدي أن أمي كانت مريضة جداً وفي حالة خطرة.

عرفت من بعض زميلاتي العاملات ممن كن في ظروف مشابهة، أنه لم يسمح لهن بالذهاب لرؤية احد الوالدين في حالة احتضار، بسبب عجزهن أيضاً، عن إيفاء دين من المال، كن مدينات به للشركة. وهكذا- كنت خائفة أن ألاقي مصاعب للحصول على إذن، وعندما سألت المراقب عن إجازة لعدة أيام للعودة للمنزل لرؤية أمي المحتضرة قال «لا» من غير ريب.

«لكن» تابع «إذا أصبحت ودودة لي أكثر، فإني سأذكر لك ذلك بسؤال

المدير العام لإعطائك إذناً خاصاً للذهاب إلى منزلك بهدف الزيارة. وأنت لك الخيار، وإنني سوف أختار لك، الموافقة؟.

آه، ابن الزنا، وضع هذا الاقتراح أمامي والذي تعافه النفس عندما كنت أرجوه أن يسمح لي برؤية أمي آخر مرة قبل أن تموت. وكدت أن لا أصدق أذني، فهل هذه الكلمات يمكن أن يتفوه بها كائن إنساني ويقولها إلى شخص آخر في مثل تلك الحالة؟

لقد بقيت محبوسة في ذلك المصنع، منذ أتيت للعمل هناك، لا أذهب لأي مكان، ولا أرى أحداً، سوى زميلاتي في العبودية والسادة من الذكور. والآن، للمرة الأولى، أطلب اذناً لزيارة عائلتي، يعلمني ابن الزنا، أنه يمكنني الحصول عليه مقابل الجنس.

انطلقت إلى المنزل، بعد يومين،حيث فقدت عذريتي وبتولي.

لقد كنت متأخرة، فلو سمح لي بالمغادرة على الفور بعد تلقي برقية والدي لكان بإمكاني أن أتدبر الأمر لأكون إلى جانب أمي قبل أن تموت، عندما توجهت إلى المنزل في آخر الأمر، كان الوقت ليلاً وجرت المراسم البسيطة للجنازة في قريتي، في ذلك اليوم قبل وصولي.

«كانت أمك قلقة عليك، قبل أن تفارق الحياة».

قال والدي والدموع في عينيه. لقد كان تهوراً مني ان أرسلك بعيداً إلى العمل في مصنع النسيج. لكن، شكراً لك من أجل المقدم على أجورك من المصنع، حيث أنقذتنا من الجوع.

أبعدت هذه الكلمات القليلة عن عقلي القسوة والكدح الذين عانيتهما بأشد ما يمكن خلال هذه السنوات الثلاث. ولاحظت أن أخي الصغير وأختي قد كبرا كثيراً. وأخي الأكبر أصبح الآن يساعد والدي في العمل في الزراعة. كما أنه أجري له فحص جسدي في الجيش، وانه سيستدعى قريباً للخدمة العسكرية. أما أخي الأصغر. فقال إنه سيصبح مستخدماً في مصنع لصناعة السفن التابع للبحرية في كور، قد يدخل البحرية اليابانية الإمبراطورية، عندما يصل إلى السن المناسب. فقد كان متأثراً ومشتاقاً لأن يبحر في يوم ما، في سفينة حربية كبيرة ساعد في بنائها.

كان ذلك أول اجتماع لي مع أخويَّ وأختي في مثل هذه المدة من الزمن، وكان ذلك مدهشاً أن أراهم ثانية، لكن جعلني ذلك حزينة على نحو رهيب، والتفكير بان تلك الزيارة لهم قد تحققت على حساب ثمن كبير حياة أمي، وفقداني عذريتي.

كان قلبي يطفح بكل شيء يضاعف من الأسف والرثاء والحب عند مشهد أخي الصغير وأختي جذلين وهما يزدردان ويحشوان فميهما بكعكة محلاة بمُرَبَّى الفاصولياء قد اشتريتها للعائلة من مكان مقابل محطة قطار كاشي بقليل من النقود التي وفرتها، وكان للمرة الأولى في حياتي التي أوفر بها مثل ذلك المبلغ.

مع ذلك، حان الوقت بعد يومين بالنسبة لي للعودة للمصنع في أكاشي، وَدَّعْتُ والدي ذو النظرة الكئيبة ونزعت نفسي بعيداً عن أخي الصغير وأختي، الذين تمسكا بي بإحكام بيدي كما لو انهما يريدان أن لا يتركاني ان أذهب مطلقاً.

وأخذت القطار الذي سيأخذني للعودة للمصنع في أكاشي الذي أصبح بالنسبة لي حياة جحيم.

بعد عودتي للمصنع. كان كل يوم يمضي بالضبط كاليوم الذي سبقه بالطريقة نفسها دون تحسن في الأجور أو ظروف العمل، تابعت حياتي المؤلمة في العمل القاصم للظهر، والمضايقات الجنسية من جديد.

مرت سنتان أخريتان، لكن في آخر الأمر، على الأقل، فقد أعدت ما دفع لي مقدماً على أجوري الذي أُعطى لوالديَّ، وانخرطت الآن في منزلة العاملين الماهرين. يضاف إلى ذلك، فإنني أستطيع الآن الحصول على يوم مرة في الشهر لأكون فيه حرة.

أصبح لَدَيّ الجزء مما جنيته ووضعته في حسابي المقتصد الذي احتجت إليه لدفع ما أدين به للشركة، كما أصبحت أرسل كل شهر ما بقي- مهما كان قليلاً - للمنزل، إكراماً لأخي الصغير وأختي، اللذان لم أتوقف عن التفكير بهما حتى ولو ليوم واحد خلال هذه السنوات الطويلة من الكدح. لم أكن أرسل مبلغاً كبيراً من المال، منذ أن كان أجري منخفضاً هكذا، أولاً، ولا يزال، أرسله كله. وعملت ما ستطعت لمساعدة عائلتي.

حركة العمال:

في هذه الأثناء، جاء رجل جديد للعمل في المعمل، رجل جدير بالثقة ذو خلق يعتمد عليه، ويحمل اسم ناكانو، والذي ألح علينا أن نزيد حقوقنا وأجورنا العادلة وشروط العمل المقبولة.

«أنتن، النساء العاملات، يجب أن لا تصبرن على هذه الشروط الوضيعة للعمل، التي تفرض عليكن من قبل إدارة الشركة «أخبرنا»، أن العمال قد شرعوا في كل أنحاء اليابان بالاستيقاظ أمام حقيقة حصولهم على حقوقهم. أيضاً أنتنّ، عليكن، أن تطالبن بشروط عمل أفضل، ويجب أن تستعدن للقيام بإضراب للحصول على ذلك».

إذن من الضروري ان يتغير كل شيء إذا أريد تحسين شروط العمل في المصنع بكل ما في الكلمة من معنى، حيث كنت أعمل كل ليلة. أصبح علينا أن نعمل ساعات طويلة مع درجة الحرارة والرطوبة في هذا البناء، وسط ضجة تصم الآذان وغيوم خالقة من الغبار، وكانت فترات الراحة قصيرة جداً إلى أبعد حد، ولم يتوفر مكان حقيقي لنقضي فيه وقتاً بهدوء وسلام، والأكثر من كل ذلك أجورنا المنخفضة على نحو مخزٍ ولم تكن توجد طريقة لتحسين واجبة وتصبح مطبقة،

قمنا بوضع لائحة بطلباتنا اخترنا منها التي اعتبرناها ملحة ومعقولة ورفعناها بصورة رسمية، ونشرناها بين العديد من نساء المعمل وبمقدار ما أمكن، سائلين تعاونهن ودعمهن، ثم رفعنا لائحتنا بالمطالب إلى مقام المراقب الذي رفعها بدوره إلى المدير العام طالبين فيها رداً فورياً.

بعد أول تجربة جنسية لي مع المراقب، كان يأتي إليّ من حين لآخر أيضاً، طالباً ممارسة الجنس معه. مع ذلك، أنني خجلة من قبول ذلك، فقد كنت أعطيه ما كان يريد مني. ذهبت إليه بموافقتي الخاصة للمرة الأولى وقدمت له التماساً للحصول على شروط عمل أفضل بين يديه.

صار ينظر إلي على أنني الأكثر عدوانية، من بين مقدمي تلك الوثيقة لتحسين وضعنا، منذ أن أصبحت إحدى اللواتي سلمنه الوثيقة، بشكل محتوم،

حتى وصل الأمر بأن اتهمت بأنني زعيمه الفتنة أو على الأقل إحدى زعيمات الفتنة.

في الواقع، شعرت، كما لو كنت أتفجر، وحرة في آخر الأمر من سنوات الصمت والإذعان لاستغلال الشركة. وأصبحت محرضة بالإحساس بالعدل، في الوقت نفسه، الإحساس بالمهمة، والامبالاة المجردة، كما لو كان ما قمت به شيئاً ما عَلَيَّ عمله بكل بساطة في سبيل جميع زميلاتي من العاملات المُسْتَغَلاَّت.

لكن، على ضوء النتيجة التي انتهت إليها حركتنا، كانت حركة، في غير محلها، لا بل كان من الصعب أن تستحق ذلك الاسم. إذ كان مدير عام المصنع متمرساً بالعمل في سبيل إبقاء العمال في أمكنتهم، ولم نكن نداً له بالمكر والخديعة.

عم تتحدثن، انتن جاحدات الجميل، هكذا، أرعد في البداية وهددنا بالطرد «إذا لم يكن لَكُنَّ رغبة بالعمل هنا تستطعن بهدوء الانسحاب، فاخرجن».

ثم تملقونا «لماذا نحن وأنتن الذين أكلنا الأرز جميعاً من الوعاء نفسه. وإننا نعمل هنا في سبيل وطننا المحبوب، يجب أن لا يكره أحدنا الآخر، ونتحارب مع بعضنا، هكذا؟»

كانوا يتمتعون بالّجلد واستخدام بعض الكلمات التي كان من المطلوب أن نقولها نحن محرفيها لتخدم أغراضهم الخاصة: «لقد تعاونا معكن أيتها العاملات لمصلحتكن ومن القلب، ومع ذلك، تأتين إلينا مع هذه اللائحة من المطالب من جانب واحد. هكذا وقد أحزننا وضعكن على نحو عميق. فقبل مجيئكن للعمل في هذا المصنع. بالتأكيد، تكلم وسيطنا مع كل واحدة منكن شخصياً، وأعلمكن كل شيء حول ظروف العمل. بالتأكيد كل واحدة منكن وضعت ختمها على العقد مع كامل الإدراك لهذه الظروف. بالتأكيد إن أحداً ما قد حرضكن جميعاً، وإنه أثار سخطكن الآن. لكن لا نريد أن نتسامح مع من لا يستحق، وأثار هذا الاضطراب، «إننا نأسف جداً أن تتوصلن إلى ذلك». قالوا ذلك كخلاصة، لكن يمكن التصالح: فيجب طرد العاملات اللواتي كن ساخطات من العمل هنا، خصوصاً ممثلات وزعيمات هذه الحركة، يجب أن

يترك الشركة كمثال للأخريات اللواتي يجب عليهن ركوب المخاطر، وعليهن تحمل هذه الحركة العمالية، في المستقبل. وكما هو الحال بالنسبة للباقيات منكن، يجب أن لا يتحملن المسئولية بسبب تورطهن في هذا الوقت، وعليهن أن يقدمن عهداً على أنفسهن كوعد بأن لا يقمن بأي عمل مثل ذلك ثانية».

تخلت الغالبية العظمى من بنات المصنع والنسوة من دعم الحركة بعد سماع تلك الكلمات. ولعبت الإدراة ورقتها الرابحة، إذ ربحت بالتالي الرهان، وانتهى كل شيء.

كان العمال اليابانيون المضطهدون قد شرعوا بالثورة ضد مضطهديهم من الرأسماليين في جميع أنحاء البلاد في تلك الأيام. وعندما شرع الإضراب مؤخراً في مصنع الحرير في أوكايا بالقرب من بحيرة رسووا. أدخلت الإدارة في معظم الشركات تحسينات على تكتيكاتها من أجل السيطرة على مثل تلك الحركات.

جاء رجال الشرطة وقاموا بدوريات وحراسة أراضي مصنع الموصلين في فوجي وهم يقعقعون بسيوفهم، وشرع ضابط بدا أنه ينتمي إلى التوكو، أي قيادة الشرطة السرية الخاصة، ممن كانوا غالباً يدعون للتدخل في المواضيع السياسية ذات الأهمية، في المراقبة، وكانوا يتصرفون طبقاً لما تطلبه إدارة الشركة. وأرعب هذا الانقلاب للأحداث العاملات من النساء وكذلك من الرجال، وبدؤوا على الفور بالعودة إلى أعمالهم كما في السابق.

وكلما أصبح الوقت متأخراً جداً لإنقاذ الوضع، تأكد لي أنه لو كنا خططنا لتقديم عريضة التماس للإدارة مع قائمة بالطلبات وحتى اللجوء بالدعوة للإضراب بشكل يتضمن جميع قوى العمال بالكامل، لكنا قد نظمنا أنفسنا مقدماً تماماً. وهكذا توصلت جهودنا المرتجلة في الواقع إلى لا شيء، سوى جيشان عاطفي مؤقت لسخطنا، بسبب العمل خارج استراتيجية مفصلة وعدم التحقق من دعم زملائنا العمال بعناية أكبر قبل القيام بأي عمل مكشوف.

تلقيت إنذاراً بالطرد من الشركة، ولم أتلق دفعة انقطاع عن العمل تحت الظروف تلك بالطبع.

وتنافست الشركات مع بعضها في القسم الأخير من الفترة (١٩٢٣–

١٩٢٦) من أجل الحصول على العمال من ذوي المهارة العالية، وتدافعت من أجل أفضل العمال، وكان يوجد كبح وراء مشاهد المناورة التي اشتملت استخدام عمال شركات أخرى دون انقطاع مع إغراء بأجور أفضل أو شروط عمل أحسن، وعند الاقتضاء بطرق أكثر عنفاً يقارب الخطف.

وجاء إلي ممثلون من معامل نسيج أخرى مع عروض عمل أفضل في أمكنة أخرى. لكن عندما ضرب الكساد الكبير عالمي الانتشار اليابان خاصة الجزء المتقدم من منطقة شووا، وهبطت الصادرات على نحو شديد، وقلصت العديد من الشركات من صناعة النسيج ومن عمليات الإنتاج أعادت بعضاً من عاملاتها إلى قراها الأصلية .

كنت الأولى التي تطرد من قبل موصلين فوجي بالضبط، لأنني تأثرت بقوى الديمقراطية التي ازدهرت في منطقة تيشو، وحاولت تطوير الإضراب للحصول على شروط عمل أفضل.

فمع هذه العلامة السوداء في سجلي العملي، فليس هناك من شركة كانت ترغب باستئجاري بدون النظر إلى ما كنت عليه من مهارة في العمل.

كان ذلك يعني أنني أصبحت منتهية بالنسبة للعمل في صناعة النسيج، كنت واثقة من قدرتي، ومن المهارة التي اكتسبتها من خلال سنواتي في مصنع النسيج- لف المكوك، عمل السطرة، وفيما بعد البراعة في النسيج ـ لكن على الرغم من هذه القدرات التخصصية العالية لم يعد لي من سبيل الآن لاستخدامها التي جاءت لتعيش في مهجع الموصلين في فوجي مثلي في الوقت نفسه تقريباً، والتي خصص لها الغرفة نفسها التي خصصت لي، وأعطيت العمل نفسه. وتقاسمنا المصاعب نفسها- وتركت المصنع لتعود لمسقط رأسها أو ميزاكو نفسها قبل حوالي عام تقريباً بسبب ضعف صحي. وقبل أن تغادرنا أخبرتني أن آتي لرؤيتها إذا وقعت في مصاعب، وتركت المصنع واحتجت لمساعدة. وتذكرت رسالتها، وتوجهت إلى أوسيزاكو، عندما وصلت علمت أنها ماتت بداء السل قبل حوالي شهرا!

لقد كان واضحاً أن عائلة صديقتي تعيش في فقر رهيب، ولم تكن توجد

طريقة تستطيع فيها تقديم العون حقا لي. بقيت معهم ليلة واحدة، ثم غادرت مبكرة في صباح اليوم التالي وتوجهت إلى أكبر المدن المجاورة، ميزورو.

لم أكن أعرف كثيراً عن ميزورو، لكنني عرفت عندئذ أنها تعتبر كأحد موانئ اليابان الرئيسة، جنباً إلى جنب مع يوكوسوكا، كور، وساسيبو. وكانت فيها قوة بحرية ضخمة متمركزة هناك، وترسانة، وقدر من المؤسسات المتصلة بالبحرية والشركات الأخرى. وساهمت كل واحدة منها بازدهارها كمدينة، على نحو سريع، وتصورت أن أجد هناك بعضاً من أنواع العمل المتاحة في مثل هذه المدينة الناشطة، حتى لأناس أمثالي.

في هذه المرحلة من حياتي، وبسبب كوني سمحت لنفسي لتكون ملطخة لعلاقات جنسية مع مراقب المصنع، شعرت أنني لم أعد أملك شيئاً أضيعه. فلم أعد أهتم بما يحدث لي، وأصبحت مهتمة فقط بعائلتي، ورغبتي الوحيدة في الحياة مساعدة اخي الصغير وأختي مالياً، بمقدار ما أستطيع. وهكذا، شغلت فكري انه حتى إذا أصبحت معدمة، وأنني لن أصبح عبئاً اقتصادياً مطلقاً على عائلتي بعودتي للمنزل من أجل العيش معهم.

بعد وصولي إلى ميزورو، استقريت أخيراً في شركة عمل خاصة، وسألت فيما إذا كان هناك أجور جيدة مقابل عمل لي. بعد كل ذلك، لا زلت لا أرى كثيراً عن هذا العالم، إذ كنت حمقاء سخيفة. وساذجة، في ذلك الوقت.

«العمل الأفضل بالنسبة للأجر، لا يزال جسمك في منطقة الضوء الأحمر» هكذا، قال رئيس وكالة الإستخدام. في الواقع، الآن بالطبع، توجد منطقة بناء مرخصة في ميزورو، مخصصة لرجال البحرية وعمال الترسانة، وهكذا، لا بأس أن تحاولي لتحصلي على إذن لتأجير جسدك، في واحدة منهن، وهناك محل فارغ في بيت دعارة في ميازو، ليس بعيداً عن ميزورو. فما هو رأيك للعمل هناك؟».

وتابع ليخبرني أن ميازو كانت قريبة، من آمانوهاشيدات وحصل بيت الدعارة هذا على عدة أعمال بحرية واحتفظ بالبنات للعمل هناك، وان الأجور جيدة تماماً. وهكذا قبلت عرض العمل في ميازو، وغرقت في عالم خسيس من الدعارة.

سقوطي في البغاء:

يمكن أن تفكروا، على الأرجح، أنني استسلمت وانحط بي الأمر لبيع جسدي بسهولة أيضاً، لكنني فعلت ذلك بسبب أنني حقاً لم أعد احتمل المزيد. هذا العوز مع القلق النفسي، هذا الإحساس بالتسليم المطلق، وَجَّهَ تصرفاتي إنني شعرت حقاً أنني لا أملك شيئاً لأفقده، بدون زواج أو أطفال لي، لأنظر للأمام، وهكذا، أصبحت عاهرة بسبب أنه لم تعد توجد طريقة حقيقية للعمل من أجل العيش أو الحياة كما بدا لي، في كل مرة سوى العهر.

فيما بعد، أن وكالة الاستخدام الخاصة التي ذهبت إليها للحصول على فرصة للعمل، كانت هي أيضاً تبحث عن فتيات أمثالي للعمل في بيوت البغاء. ومن حين لآخر كان رجال من الوكالة يكرهون بعض النساء لمرافقتهم- غالباً ما يخطفوهن- ويأخذوهن إلى إحدى بيوت البغاء في منطقة الضوء الأحمر التي كانت تدفع لتلك الوكالة مبالغ ملائمة من المال لتطويع من لهن رغبة أقل في ذلك العمل. أما بالنسبة لي، وبالنسبة لرجال الوكالة، وجب عليَّ أن أبدو كالفراشة الغبية التي تطير مباشرة إلى اللهيب.

وقعت عقداً وألزمت نفسي بعقد رسمي للعمل في بيت البغاء لثمان سنوات، ثم أرسلت جميع الستماية يَنٌ تقريباً، كمقدمة على أجوري إلى قريتي إلى والدي مباشرة مع رسالة أسأله فيها استخدام المبلغ لمساعدة أخي الصغير وأختي.

في تلك الأيام، الـ«شو»- أقل من لِترين بقليل- من الأرز،كان يكلف خمساً وعشرين سنتاً فقط، ربع الين، وهكذا، كانت الستماية ين مبلغاً كبيراً من المال، ولم يكن عندي من شك أن ذلك سيقيهم من الكثير من الحرمان.

في الواقع، منذ أن أصبح والدي العضو الوحيد من عائلتي الذي يعرف كيف وصلت إلى الحصول على مبلغ كبير من المال، كتب لي رسالة يقول فيها إنه آسف جداً لقيامي بمثل تلك التضحية. لكن، كانت تلك الرسالة مع الستماية ين الصلة الأخيرة مع عائلتي- فإنني نَوَيْتُ أن أقطع كل علاقة بيني وبينهم.

وليس من أهمية أنني أصبحت حقيرة، وكيف أنني نأيت عن عائلتي. فكان من الصعب جداً على والدي وأخي وأختي أن يتوقعوا أن أكون فاقدة الإحساس بالخجل والعار إذا عرفوا أن أختهم قد أصبحت بغياً عاهرة.

في تلك الأيام، كان يوجد أيضاً، بغايا دون ترخيص، غالباً من بنات المعامل والمصانع ممن خسرن أعمالهن. لكن في حالتي، فمنذ أن وقعت مع بيت البغاء عقداً بالعمل، حسب نظام ممارسة البغاء، أصبح التعامل مع رجال البحرية. وكانت الشرطة تقوم بضبط وتنظيم الممارسات والتدابير الخاصة بوكالة الاستخدام عن كثب. إذ كان من ضمن تلك الترتيبات أن أقدم رسالة بموافقة والديَّ على ذلك، ونسخة عن السجل العائلي– وطلب إذن بممارسة البغاء. لهذا السبب فإنني لم أستطع الحفاظ على مهنتي الجديدة سراً عن والدي.

وهكذا، عشت حياة وضيعة ومهينة معنوياً، بالنسبة للعشرة سنوات التالية، وشعرت أنني فقدت إنسانيتي الحقيقية. أصبحت قطعة لحم، فريسة سهلة للرجال الذين كانوا ينظرون إلي كامرأة تستخدم في سبيل ملذاتهم الجنسية الحيوانية.

عندما بدأت العمل في بيت البغاء، أخبرتني بعض النسوة ممن لهن الخبرة الأكثر ومديرة الماخور، أن البغي يجب عليها أن لا تقع في الحب مطلقاً مع أحد زبائنها، مع بعض النصائح الأخرى. انتبهت إلى نصائحن، لكن في النهاية، وبعد عما يزيد عن مائة رجل ممن كانوا يأتون إلي، كان القليل ممن جعلني أفكر كم سأكون سعيدة لو كنت امرأة عادية فقط، وتمكنت من الزواج من ذلك الرجل! عاملني بعض الرجال بلطف وبمودة كما لو كنت أماً لهم. بالطبع، كان يوجد أيضاً رجال كرهتهم حتى عندما لمستهم، كنهاية معاكسة للمقياس.

ثم، كان يوجد صبيان شبان، كانوا يحضرون إلي عند بلوغهم السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، ومعهم أصدقاء أكبر سناً من أجل أول تجربة لهم.

وكان يوجد قليل جداً من التعارض في مثل هذه الممارسات في هذه البلاد، ويتصرفون بأكثر أم أقل صراحة في المجتمع الياباني الذي كان متسامحاً على الأغلب حول مثل هذا السلوك مع الرجال على الأقل.

لإعطائكم مثلاً، قال رجل باعتداد بنفسه لي: «تعلمين كل الرجال، في عمق أفكارهم- يريدون أن يناموا مع عدة نساء، بمقدار ما يستطيعون، وهذا كما أرى أمر طبيعي، فهذه الرغبة موجودة على الدوام-وهم لا يريدون إظهار هذه الرغبة بالضبط، أو أنهم لا يضعونها في مجال الممارسة الفعلية، أو أنهم يكبحونها بوجهات نظرهم الأخلاقية أو لسبب ما». من ناحية أخرى، فالعلاقات المألوفة بين الرجال والنساء هي مقيدة بالضبط في الأغلب في معظم الحالات، فالناس يتزوجون ويشكلون عائلات معاً، ليس لسبب أنهم يحب بعضهم الآخر، بل بسبب آبائهم الذين يقررون ذلك، بأن ذلك الوقت وذلك الشخص هما المناسبان للزواج.

فالنساء في مسيرة الحياة العادية، يَكُنَّ موضع تقدير واحترام بسبب بتولتهن. ويطالب المجتمع الياباني بطهارتهن، والنساء أنفسهن يأخذن ذلك كضمانة بأنهن لا يقمن علاقات جنسية ظاهرة. وهكذا، حتى النساء اللواتي يحلمن بأن يكن تواقات للحب الرومانسي عادة، يُعْدِدْنَ أنفسهن للزواج بدون حتى أن يكن قد لمسن أي رجل من قبل.

مع ذلك، فاليابان جنة للرجال في ذلك الإتصال الجنسي غير الشرعي، وهو جائز ومحل تسامح إلى حد بعيد. وربما يوجد بعض الرجال يريدون المجيء إلى بيوت البغاء، لكنهم لا يستطيعون بسبب النقص في المال. من ثم، يوجد العديد من الرجال أيضاً ليس لهم اهتمام بشراء علاقات جنسية، وأنهم ينظرون لأمور الحياة بجدية، وبأن لديهم أمور أكثر أهمية يتوجب القيام بها، نعم، أعتقد أن معظم الرجال الذين يأتون إلينا نحن البغايا، كانوا غالباً يفتقرون إلى الجدية في سلوكهم تجاه الحياة.

يتسم الجو المعنوي الياباني بالانحلال لحد ما، خصوصاً، عندما يتعلق الأمر بالأمور الجنسية. بعد كل ذلك، فقد سمعت أن بيوت الدعارة في مناطق معينة تزداد غنى من الزبائن الذين يقومون بزيارات غير متوقعة، وهم في طريقهم إلى منازلهم. عوضاً عن زيارة بعض المعابد المجاورة المشهورة.

كانت حياتي في بيت الدعارة، لا شيء، لكن تكراراً لا ينتهي من الأفعال الخالية من كل مغزى في الليل والنهار، وفي النهار والليل.

حقاً، لقد كان الرجال الذين يمارسون الجنس معي مختلفون في كل مرة. لكن كنت أشعر كل الوقت أنني أغوص في الحضيض والظلام، وفي هاوية قذرة بدون شعاع وحيد من النور يعطيني أملاً بأنه في يوم من الأيام سيحدث شيء ما جيد في حياتي. كنت أشعر بالفراغ المريع وفقدان بالإحساس، ومرت عشرة سنوات بدون أن أدر بها، أو إدراكها.

كنت ألبس أجمل الكيمونو والثياب ذات الطراز الغربي، كنت أشتريها من النقود التي أتلقاها مقابل بيعي لجسدي، خلال تلك السنوات. وكنت أمضي وقتي الحر بالتسوق لشراء الحلي غالية الثمن وشراء أدوات الزينة، وأمتع نفسي بالأطعمة اللذيذة والأطعمة الشهية غالية الثمن. واكتسبت ميلاً نحو الأشياء الدالة على الترف، قبل أن أعرفها، وطراز حياة مادية بدون روح. وعشت حياة رائعة مرحة لم أكن أحلم بها أثناء أيامي الموحشة وخلال أيامي كفتاة وضيعة في مصنع النسيج.

لكن، عندما أصبحت اليابان أكثر عسكرة وغاصت أكثر في انسياقها نحو الحرب، أصبحت الحياة اليومية أكثر صعوبة.

لقد وصفت أرواح زملائي خلال خمس الليالي الماضية ظروف الحياة المؤلمة في اليابان خلال زمن الحرب. وهكذا، سأعطي بإيجاز ما يمكن أن أتذكره عن تلك الحقبة. دون التطرق لتفاصيل أكثر.

وُلِدَ في كانون الأول (١٩٣٣) صبي للعائلة الإمبراطورية التي كانت لا تزال يُنْعم عليها بالبنات. ولعلعت صفارات الإنذار احتفالاً بأمير العرش بعد انتظار طويل، ورفعت أعلام الشمس ولوح بها في كل شارع، وأخذ الناس من نهاية البلاد إلى الجانب الآخر، يغنون بابتهاج شديد، أغنية: «صاحب السمو أمير التاج قد ولد».

لم تمض مدة طويلة حتى حدث حادث منشوريا، على الرغم من حظ الحكومة الرسمي الذي دافع عن كون الحادث هو حادث محلي، تصاعدت الأزمة بسرعة في في تموز (١٩٣٧) واندلعت الحرب اليابانية - الصينية، جالبة معها، ضيقاً متزايداً في مجال التَزَوَّدْ بالأطعمة المنزلية والحاجيات. ودعت

الحكومة إلى التعبئة العامة، مع كثير من الجعجعة «روحياً»، وأخذ الشعب الياباني يصرخ ويحشد قواه «التطرف هو عدو».

وتلاشت أو اختفت المنسوجات القطنية التي كانت تستخدم لصناعة الألبسة الداخلية، من المخازن، وأصبحت الحاجيات اليومية مثل السكر والميزو وزيت الصويا، وما شابه ذلك، تعطى بتقتير للناس، ببطاقات التوزيع، وصار توزيع الأرز والسلع الرئيسة للحياة في اليابان موضوعة تحت إشراف الحكومة. وأصبحت حاجيات الرفاه والزينة الشخصية متخلى عنها. ولم تعد النساء تتمكن من التردد على صالونات الزينة بعد الآن.

ونحن البغايا لا زلن نعاني حياة قاسية على أيدي النسوة الصالحات في المدينة، اللواتي هن معاديات لنا، بالإضافة إلى وجود تلك التقييدات المزعجة في الطعام والحاجيات. وكانت النساء متوسطات العمر يلبسن جزئياً مآزر بيضاء ووشاحات على الأكتاف تقرأ فيها: «جمعية نساء الدفاع الوطني». وكن يحملقن فينا باحتقار واضح ويجعلننا نشعر بالخجل مما نحن فيه.

مع ذلك، غاصت اليابان حالاً في حرب أخرى، حرب المحيط الهادي مع ذلك، عندما اشتد القتال، أصبح جنود البحرية يأتون بأعداد متزايدة إلى بيوت البغاء في أيام عطلهم، مسرعين للحصول على مكان على رأس طابور الانتظار، وأصبحت اليابان في سباقٍ مع القدر بعناد، تسير نحو الهاوية. وفكرت حتى السلطات العسكرية بوضوح، أن بيت الدعارة أصبح المكان الوحيد للتسلية بالنسبة لضباط البحرية الذين قد يرسلون إلى ساحات القتال على الفور، وكان العديد من البحارة الشباب يدفعون نقودهم للمجيء إلى ذراعيَّ لأنهم يريدون النوم مع امرأة ولو لمرة واحدة قبل ذهابهم للجبهة.

كنت أعاملهم بكل لطف وبقدر ما أستطيع مع مداعبة ناعمة وعواطف أكثر رقة مما تُقَدِّم الأخت الأكبر سناً، وكما لو كنت أماً لهم غالباً،في سبيل هؤلاء الشباب الذين يقدمون حياتهم، لبلادنا.

وكنت أريد أن أقول لهم كلمات تشجيع تندفع من أعماق القلب ولكن وعداً أكيداً أن تعود إلى بيتك سالماً صحيحاً وأن تنتبهوا إلى أنفسكم فوق العادة ولا تذهبوا حتى تقتلوا، هل تسمعون؟».

إلى درجة أنني كنت أشعر أن تلك المهمة تقدم لي نوعاً من الراحة، الجنسية وبطرق أخرى، أهلل لهم بأفضل ما أستطيع، مع ذلك، فإنني كنت أتحرز من كل شيء يسألون عنه، وكان عسيراً على بغي أخرى أن تفهم مثل تلك الإحساسات. شعرت، بطريقة ما، بأنه بنومي مع هؤلاء الرجال والشباب كنت أساعد بلادي على إنجاز عمل وطني من نوع رديء، نوع من الاحتدام الدافئ بالاعتداد بالنفس. وشعرت بأنني بالقيام بنصيبي من أجل اليابان، بدا وكأنه يُبْعد إحساسي السابق بالخجل، ويرقى بي لكوني عاهرة.

قبل وقت طويل، كانت أقيمت قاعدة جوية، بحرية في كوندا. في خليج ميازو، وفي كانب، في الجزء الأوسط من شِبْه جزيرة تانغو،وشرع مئات الضباط والجنود من هذه القواعد الجديدة بالمجيء إلى بيت بغاء ميازو.

كنتيجة، أصبحنا نحن العاهرات، مشغولات أكثر من السابق وممكن أن يكون مضحكاً بالنسبة لي أن أقول هذا، لكنني كنت أعمل في النهار وفي الليل لأحافظ على أن يبقى رجال البحرية راضين ويتمددون واقعياً تحت جسمي إخلاصاً غيرياً لبلادي، لكن كان واضحاً أن تلك الحرب لم تكن تسير في طريقها الصحيح في جانبنا. وازدادت صفارات الإنذار الصارخة منذره بالتمهيد لغارات جوية. وبدأت الغارات تخترق السماوات التي كانت تعيش بسلام مارة فوق الميناء البحري في ميزورو والمجاورة لميازو مع تزايد متكرر.

ضابط بحري موثوق

كان في هذه الأثناء ملازم شاب في القوات البحرية، وطالب جامعي في السنة الرابعة، سحب من دراسته لدعوته لخدمة العلم، وأنهى تدريبه كطيار في هذه الأثناء في فيلق القوة الجوية- البحرية في تسوشورا، وعين في وحدة القتال للقيام بمعركته الحقيقية الأولى في القاعدة الجوية- البرية في كوندا

التقيت به في حفلة وداع لبعض الضباط القادة كونهم قد نقلوا إلى الجبهة. وكان منزوياً في إحدى غرف المأدبة في فندق شاداني إن في ميازو. وكان هذا الفندق أحد الأمكنة القليلة جداً التي كانت تتلقى إمدادت طعام وأشربة كحولية على نحو وفير، وذلك بفضل المخصصات الخاصة التي كان يُزود بها من قبل البحرية.

عندما اشتدت الحرب، أصبح عدد حفلات الوداع التي كانت تلقى مثل تلك التسهيلات بازدياد مستمر. والأغلب لكل، من النساء الشابات المحليات اللواتي كن مكرهات على العمل في المصانع، كان من الصعب عليهن ترك عملهن للعمل في المطاعم والقيام بأعمال الضيافة- وهكذا، أصبحت البغايا أمثالي يدعين بين الفينة والفينة ليقمن مقام بنات الغيشا وتقديم شراب الساكي وضيافة الرجال في هذه الحفلات

كان رفاقه ينادونه باسم إنساين شيمازوتسو، لكن لا تزال آثار الطالب ترى في هذا الوجه للضابط البحري الشاب. وكان يوجد شيء من الحرمان والعدمية في وجهه.

لقد حدث أن ملأت قدحه من الساكي مرات عديدة، وعندما كنت أجثو له في مواجهته عبر الطاولة الضيقة المنخفضة، كان من الطبيعي أن أحاول القيام بمحادثة خفيفة معه. مع ذلك، وكان يرد بأجوبة مختصرة، على كل تعليق أو سؤال مني، ولم يسألني مطلقاً أي شيء حول نفسي أو يبذلّ أي جهد من أجل تمديد محادثتنا.

على الرغم من تحفظه، بدا أن كان فيه شيئاً ما لا يوجد في رفاقه، واكتشفت أنه من تاكادا مقاطعة نييغاتا... وكان يدرس العلوم الاقتصادية في جامعة طوكيو، عندما جرى تعليق خدمته العسكرية، من ثم سيق للبحرية الإمبراطورية اليابانية، ثم عين في أول مركز من واجبه العسكري الحالي في القاعدة الجوية البحرية في كوندا، بعد تحمل التدريب المكثف في الفيلق البحري، الجوي في تسوشيورا.

فجأة، قلت لنفسي:«إنه بالضبط من طرازي...» فهو لم يتحدث بحرية تامه مع أي ضابط من رفاقه في الحفلة، وغالباً كما لو أن غيمة من العزلة المعلقة فوقه. مع ذلك. فقد كان مختلفاً معي. وبدا كأنه كان يجاوبني كما أنه استمع إلى مزاحي الخفيف مع بسمة مشرقة على وجهه.

وكالعادة في مثل تلك الحفلات، غنيت «الأغنيات البحرية العادية مع الضباط، الأغنيات التي كانت لاتزال مطبوعة في الذهن بشكل يتعذر محوه من

ذكرياتي، أغنيات قومية وتبجح بالشجاعة التي تبدأ بكلمات مثل:« رجال البحرية الذي يحمون الإمبراطورية المحاطة بأربعة بحار...» و« مع ذلك كثيرون يقاومون العواصف الضارية...». واقتربت الحفلة من نهايتها عندما غنوا جميعاً بصوت عالٍ بانسجام مع تلك الأغنية المشهورة المأخوذة عن مانيوشو:« إذا حاربنا في البحر فإننا سنموت في الماء، وإذا حاربنا في الجبال، فإننا سنموت على العشب، لكن مادمنا نموت في سبيل الإمبراطورية، فأننا سنموت دون أسف.

فيما بعد همس في أذني، عندما كان يغادر:« إنني أرغب في أن أراك من جديد».

حضر إلى بيت البغاء بعد حوالي أسبوع. وناداني باسمي، وكان ذلك مفاجأة لي، لأنني لم أعلمه باسمي، أو أين يجدني.

بالطبع، كانت ميازو مدينة صغيرة مع عدد قليل من بيوت البغاء وهكذا، فإنني أحسب، أنه لم تكن مهمة شاقة للعثور علي فنحن البغايا لدينا قاعدة صارمة: لا تقعي في الحب مع الزبائن. على الرغم من ذلك، جذبني شيء ما حول إنساين شيمازوتسي كما لم أنجذب إلى رجل من قبل. لقد استنبط بي إحساسات، فكرت أنها قد ماتت مرة منذ زمن بعيد. شعرت فجأة بالخجل، لشيء واحد ليراني هناك أبيع جسدي من أجل المال، وعندما راقبته للمرة الأولى حيثما جاء لبيت البغاء، إحساس كان نادراً الإحتفاظ به على مدى سنواتي الطويلة من التجربة في تلك المهنة.

شعرت بسرعة أن إنساين شيمازوتسو بأنها المرة الأولى يعاشربها امرأة، هذا ما شعرت به، وقلت سأعمل كل ما بوسعي لأجعل منها تجربة له جديرة أن تذكر.

بعد ذلك، صار يأتي لرؤيتي في بيت البغاء في كل فرصة تمكنه من المجيء.

كنا نتحدث خلال زياراته حول هذا وذاك. وعلمت أن شعوري تجاه الرجال المتمركزين في قاعدة كوندا كان صحيحا: لقد كانوا من فرق الكاميكاز. يتدربون على تحطيم طائرتهم على مقدمة سفن العدو. وكانت

الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ في تلك المرحلة من الحرب، بالنسبة لليابان. وشرع الجيش بإرسال الطيارين بمهمات انتحارية ضد سفن العدو الحربية، ومراكب عدوة أخرى في المياه بالقرب من رؤوس الجسور،حيث ضَحّى مئات الشباب من الطيارين التابعين للقوات الجوية في الأجواء وفي البحار إلى الجنوب من اليابان في محاولات ميؤوسة لإنقاذ البلاد من الهزيمة.

كان إنساين شيمازوتسو أحد هؤلاء الطيارين المتخصصين للقيام بمثل هذا الهجوم، وسياتي دوره، عاجلاً ام أجلاً من أجل التضحية الأخيرة.

توجه إلى شركتي مع انفعال شديد جداً يقارب اليأس، ومن الإحساس بالتحرير بعد أيام من التدريب المكثف، وإلى حد ما في سبيل الهرب من الإحباط الذي لا يلين، نتيجة علمه بأنه سيواجه الموت عما قريب، وأنا من جهتي بادلته انفعاله بالشدة نفسها.

بعض الأحيان، فالنساء في مهنتي يتظاهرن بحب زبون كفرصة مطلوبة من أجل تسهيل العمل التجاري. وهكذا، لنتحدث. كنت أعرف أنني يجب أن لا أقع في حب إنساين شيمازوتسي، وقد أحافظ على علاقة معه أكثر جدية، لكن ما أن أصبحنا أكثر قرباً عندما كان ينام بين ذراعي، ويتحدث عن كتب، عن أمور قرأها وحضرها في الجامعة- مثل كتاب كيير كيفارد بعنوان «المرض والموت»ـ وكتاب أندريه جيد «مباشرة هي البوابة»، وكتاب كوارتا مومو زو «رجال الدين البوذيين وحوارييهم»، وكان يريد أن يعلمني جوهر القصة ويعطيني تفسيره لها. وعندما كنا نتمدد هكذا، وكنت أصغي إليه، وكأن الزمن قد توقف وبدأت باستيعاب حديثه، علماً أنني كنت فتاة ريفية غير مثقفة. لكن، شيئاً ما قد فتنني حول ذلك، فكنت أصغي إليه بانتباه. وهكذا، شعرت بانفتاح طرق جديدة في التفكير، وعالم جديد بالكامل من الناس والأفكار لم تكن على صلة بي مطلقاً من قبل، ولم تكن متاحة لمثلي.

«كان لا يزال يوجد العديد من الكتب هكذا، الضخمة التي كنت أريد قراءتها، وهناك أيضاً أنواع سيئة لا أريد البحث عنها من أجله. لقد ناح في إحدى الليالي عندما كنا نتحدث ونحن نتمدد جنباً إلى جنب.

وكان يناقش في مناسبات عديدة ماكان يسميه فلسفته في الحياة، مُجبراً إيّايَ لسماع أجوبته على أسئلة لم أُعْطَ مطلقاً ولو فكرة واحدة عنها من قبل: ما هي الحقيقة؟ ما هي الحياة؟ وما الغرض الذي ولدنا من أجله؟ وكيف نعد أنفسنا لملاقاة الموت؟ وهل حقاً أن الله موجود؟

ولماذا على الناس والبلدان أن يكره أحدهما الآخر وأن يتقاتلوا باسم الحرب؟ وقال في إحدى الليالي شيئاً ذو شأن مثير.

«لدى الولايات المتحدة، وشعوب أوربية أخرى ما يسمونه [المعارضون من أحياء الضمير الذين يستطيعون رفض الخدمة العسكرية بإعلام حكوماتهم بأنهم يقضون على حياة آخرين من الكائنات البشرية في الحرب. وهذا يتناقض مع ضمائرهم وعقائدهم. وبدلاً من الذهاب للحرب، فإنهم ينجزون خدمات أخرى مثل العمل في مستشفيات الصليب الأحمر، وتعتبرهم بلادهم بأنهم يؤدون واجبهم كمواطنين. فلماذا، أوه، لا يكون لليابان مثل هذا النموذج؟.

وتابع «قبل أن تبدأ الحرب، شاهدت فيلماً لشارلي شابلن، يسمى السيد (فردو) في دار عرض الأفلام شنجوكو في طوكيو، لعب فيه دور رجل قتل أرملة غنية للاستيلاء على ثروتها. وعندما اقتيد لينفذ فيه حكم الإعدام، قال لأحد المراسلين الصحفيين: «القتل العمد، يعتبر القاتل نذلاً، ... أما قتل الملايين، يجعلك بطلاً. أعداد لا تحصى تجعلك مقدساً، يا صديقي»، يقول ذلك، إذا قتلت شخصاً واحداً فقط تعتبر قاتلاً، لكن إذا قتلت العديد في الحرب، تعتبر بطلاً،بهذه الآراء، مَيَّزَ شابلن إحدى التناقضات العظمى في عالمنا. وكان على حق.

في تلك الأثناء، كان شعار «اقتل قبل أن تُقْتَلَ». على كل شَفَةٍ. وكان المدنيون يتدربون على ممارسة الحرب باستخدام رماح من الخيزران، وكانوا يواصلون التدريب جدياً غير هازلين. وحتى أصبحت النساء والأطفال جاهزات للجهد الأخير من أجل صد العدو عندما يحاول الإنزال على التراب الياباني، وذلك منذ قرر مجلس الوزراء التسلح العام للمدنيين في آب (١٩٤٤). في هذه الأثناء، أصبحت غالبية الشعب الياباني مستعدة للموت لكل ما في الكلمة من معنى، حتى آخر رجل وامرأة وطفل، مُفَضِّلَةً ذلك على

الاستسلام أو الهزيمة. كانت حقاً صدمة لي أن أسمع مثل هذه الملاحظات تصدر عن فم ضابط في جيش البحرية الإمبراطوري.

لم أكن أعرف الكثير حول النظام العسكري، لكن كان عندي إحساس علي أن أتحقق منه، وهو إذا تعلم فرد ما آخر من ملاحظاته فإنه يحال إلى المجلس العسكري لمحاكمته. في الوقت نفسه، أصابني كربه وامتحانه لضميره، بالقلق، من جهة ثانية، وبطريقة شخصية أكثر، لأنني حتى أنذاك، فإنني كنت أقبل بضرورة هذه الحرب كحرب مقدسة بدون السؤال، وعبرت عن موافقتي وتعاوني مع الرأي العام الذي قبل بذلك عموماً، بوجوب استعدادنا للموت في سبيل بلادنا – لكن سؤال انساين شيمازوتسو حول المعنى الحقيقي لها جميعاً بدأ يثير شكوكاً جدية عميقة في قلبي.

ولكون إنساين شيمازوتسو ضابط بحري، من المحتمل كانت له الإمكانية للحصول على معلومات عسكرية حفظت سراً عن السكان المدنيين، والغالبية على الأرجح، تعرف تماماً كيف كان عليه وضع الحرب تماماً. بوضوح، عندما واجه الناس الاستمرار في هذه الحرب التي لا معنى لها، في حرب ميئوس منها، على الرغم من ذلك، فالتضحية بحياة آلاف الشباب من رفاقه الطيارين– ظاهرياً في سبيل الإمبراطور، لكن فعلياً، عبثاً– هجمات انتحارية، على وجه الإجمال، ضد العدو، وجدها منافية للعقل وإضاعة للحياة بشكل لا يحتمل، بكل بساطة. ومن نظرته القلقة ونغمة صوته عندما كان يتكلم عن هذه الأشياء، شعرت بصراعه الداخلي بين هذه الإحساسات وإحساسه بواجبه كضباط في البحرية الإمبراطورية اليابانية، الذي يجبره بحق أن يلقي بنفسه طوعياً بين فكي الموت في سبيل بلاده وهذه الأزمة كانت تمزقه إرباً.

بدت كلماته التالية تنفجر بين شفتيه، واختنق صوته بالكرب.

«من المحتمل أنني جبان بائس تماماً!. وضحى آلاف فوق آلاف من رفاقي في السلاح بحياتهم دون تذمر، وليموتوا ميتة أبطال في معركة البحار الجنوبية وفي جزر صحراوية، في القارة الصينية، وبعيداً إلى الشمال – ذلك جرى في سبيل أرض أسلافنا، وجرى كل ذلك، دون السؤال «لماذا؟.». مع ذلك فإنني... لم أكن أعلم لماذا لدي هذه الأفكار التي تتجه عكس كل إحساس بالواجب، ربما أنني خائف أن أموت بالضبط.

لا يحتاج الجندي للتفكير بما يفعله، إن كل ما عليه القيام به، هو تلقي الأوامر من ضباطه القادة والسير إلى الموت المحتوم. فهذه هي الرسالة التي يجب أن تنطبع في ذهنك منذ اليوم الأول للخدمة العسكرية تماماً، إنها مكتوبة في مبادئ خدمة الميدان وفي آخر فترة التدريب. إنني أعرف ما يمكن أن يتوقع مني، وما تطلبه مني بلادي. مع ذلك، يبدو الآن أني غير قادر على الاستمرار فيها الآن.

ومنذ ذلك الحين، أصبحت المعركة البحرية في جزيرة ميدواي والانتقام الأمريكي، بكل بساطة، مرعبة: فجرى الاستيلاء على جزيرة غواد الكانال واحتلالها من قبل قوات الولايات المتحدة وجرت هجمات انتحارية من قبل القوات اليابانية التي بقيت على قيد الحياة على جزيرة آتو، والاستمرار بالتراجع من قبل القوات اليابانية في بورما. والآن، نزلت القوات الأمريكية حتى في إكيناوا، حيث قتل العديد من المدنيين في القتال في اليابان ودفعوا ثمناً غالياً لهذه الحرب، وهي تكلف الدماء وحياة شعبها.

والآن تغوص أضخم سفينة حربية في العالم، الموزاشي مفخرة البحرية الإمبراطورية اليابانية، في قاع المحيط، إذ غرقت خلال معركة لايتي في الفليبين، وفي سبيل شن آخر هجوم ضد السفن الحربية التابعة للولايات المتحدة ودعم المراكب الحربية خلال عمليات الإنزال في أوكيناوا، أبحرت الباخرة ياماتو مع وقود كافٍ للوصول إلى هناك فقط ـ فمصادرنا قد اسْتُنْفِذَتْ، ولم تعد البحرية قادرة حتى على تموين سفنها الحربية الخاصة بها وإمدادها بالفيول في رحلة العودةـ وغرقت في (٧) نيسان خلال فترة قصيرة.

علاوة على ذلك، فقد أرسلنا وحداتنا من الكاميكاز في مهمات انتحارية، وحققت نجاحات بارعة في البداية، ثم شرع جيش الولايات المتحدة بقذف طائراتنا بطراز جديد من القذائف المضادة للطائرات، التي كانت تشتمل على صمامات متفجرة متغيرة التوقيت، وكانت تتفجر بآلِيَّةٍ رادارية ـ نارية. هكذا لم بعد لهجماتنا الانتحارية الآن من التأثير، كما كان لها من قبل. والحقيقة، أصبحت طائراتنا مع الزمن، والتي كانت تصل إلى مراكب العدو، تتساقط كالفراشات، حيث يجري إسقاطها مباشرة بهذا السلاح الجديد.

«استسلمت ألمانيا، حليفتنا الأقوى، ووقفت اليابان وحدها في هذه الحرب ضد باقي العالم».

إذن حانت ساعة المعركة الحاسمة من أجل إنزال العدو على الجزر الوطنية، وسيضحي ملايين المدنيين بحياتهم باسم ما كان يطلق عليه اسم الحرب المقدسة، واليابان كما نعرف سوف تتوقف عن الوجود.

«إنني لا أريد أن أموت! حتى إذا سماني الشعب الياباني بِأنّي الجدير بالازدراء. إنني لا أريد أن أموت ! بهذه الكلمات الكئيبة، انتهى هيجانه المشوب بالعاطفة.

أصبحت طوكيو، أوساكا، ومدن أخرى رئيسة، بالإضافة إلى الأُمة، تترنح وتتهاوى تحت الحرائق والقنابل المروعة والمدمرة، فعانت من غارات جوية متكررة من قبل قاذفات العدو. وأسقط طراز جديد من القنابل، يدعى بالقنابل النووية، أولاً على هيروشيما بتاريخ (٦) آب، ومن ثم على ناغازاكي بتاريخ (٩) آب. فقد مسحت القدرة التدميرية المرعبة لهذا السلاح الجديد، واقعياً، هاتين المدينتين عن وجه الأرض . وألغت روسيا من جانب واحد معاهدتها الخاصة بعدم الاعتداء بتاريخ (٨) آب، مع اليابان، وأعلنت عليها الحرب، مرسلة قوات هجومية كثيفة اندفعت عبر الحدود الروسية عبر منشوريا، المستعمرة اليابانية في الأيام التالية. وأصبحت تسقط على اليابان، ضربة بعد أخرى، وبدت وكأن الومضة الأخيرة للحياة أصبحت على وشك أن تنطفئ.

أصبح عندئذٍ أن الأمر كان يتوقف على الطائرات القليلة الباقية في وحدة الهجوم الخاصة التابع لها انساين تيمازوشي من اجل شن هجمات انتحارية ضد قوات العدو التي كانت تجوب مياه شواطئ كيشو.

«حان الوقت»، قال عندما جاء إلى بيت الدعارة الليلة قبل مغادرته ليودعني. «غداً أخيراً سأبدأ مهمتي». لقد جاء، بكل وضوح، مخموراً تماماً مع زملائه حتى النهاية، وكان الدم يشع في وجهه نتيجة الإفراط في شرب الكحول. فجأة، لمعت عيناه بمرح شديد، وتكلم باهتياج كما لو كان قد مَسّه الشيطان.

«إنني ذاهب إلى الصحراء، وأبقى على قيد الحياة في هذه الحرب المجنونة، إن المشكلة، هي مشكلة وقت فقط، قبل أن تنتهي الحرب بهزيمة اليابان، لقد سمعت أن مجلس الحرب الأعلى يحث على الاستسلام بدون شروط. وإنني على حق عندما أعلمتك إنني أفكر أن اليابان قد توصلت إلى الاعتقاد بخسارة الحرب. وإذا نفذت المهمة غداً، بالتأكيد سوف لن أعود منها، وإنني سوف ألقي بحياتي بلا ثمن ما.

لم أستطيع أن أدعه يتصرف وحده مثل ذلك التصرف، وشعرت بطريقة أو بأخرى، بأننا نستطيع أن نتدبر الأمر سوية لنجد ملجأ في القرية الصغيرة حيث لا تزال تعيش فيها عائلتي ربما. أو حتى نختبئ بعيداً في الجبال عن الناس، والانتظار حتى هزيمة اليابان وانتهاء الحرب.

أصبحت جاهزة من أجل الرحيل، بعد ارتدائي سروالاً فضفاضاً وقميصاً وقلنسوة البرنس ودثاراً من القطن ذو رقاقات قطنية فوق الرأس. وقمت بطبخ طنجرة أرز من بعض ما تبقى من الأرز في الأسفل في المطبخ. وحشوت ذلك بعجلة في كيس ثم تسللت بهدوء من بيت البغاء.

كان همنا المباشر كيف نفر من المنطقة التي كانت مملوءة بجنود البحرية حيث كانت محروسة بشدة من قبل دوريات الشاطئ.

الهروب

كان انساين شيمازوشو يعارض أخذي معه، في البداية، لكنني صممت أن أشارك الرجل الذي أحبه المصير: وخضع لتوسلاتي في النهاية وطوقني بذراعيه من كتفي وكأنه يحميني، وشرعنا رحلتنا للهرب من ميازو.

كنت أعرف أنه إذا توجهنا إلى الغرب تماماً، ربما إننا ننتهي إلى مكان ما قريب من قريتي. وكنا نعتقد أن ركوب القطار خطر جداً من محطة السكة الحديدية الوطنية اليابانية من ميازو أو أمانوهاشيدات، فبدأنا الرحلة سيراً على الأقدام، متجهين إلى الغرب على طول الطريق السريع، في جوف الليل البهيم.

لم تكن توجد أضواء، بسبب التعتيم زمن الحرب، لكن، كنت أستطيع أن أرى إلى يميننا وعلى مسافة ما، الشكل الضخم للمسرح في أمانوهاشيدات

الضخمة. أحد العلامات المشهورة الأكثر في اليابان. تابعنا السير على ضوء القمر باتجاه جزيرة تانغو. مع ذلك، لقد هربنا من أجل حياتنا، وتذكرت كوني مغرمة بالجمال الأخاذ للمشهد، عندما سمح لي الوقت بالتفكير بذلك: ظلمة سطح البحر وهي تعكس ضوء القمر والموجات الصغيرة تتلاحق وراء بعضها وتحرك الضوء المعكوس على سطح الماء، وتجعله يتراقص.

مررنا عبر ما يجب أن يكون قاعدة جزيرة تانغو، ومررنا عبر ما ينموياما ــ شو. أخيراً وصلنا إلى مدينة أمينو، وسرنا طيلة الليل. وكان يجب أن نكتشف أننا قطعنا ثلاثين كيلو متراً على الأقل.فالظلام حجبنا خلال الليل وحمانا من عيون رجال دوريات الشاطئ، لكن حر الصيف جاء بسرعة. مع ذلك كانت الساعة الخامسة صباحاً فقط وبدأ النور الرمادي في الصباح يزحف من خلال الشوارع من حولنا.

أخذنا نتجنب الأمكنة العامة بعناية، حيث أخذ الناس يشتبهون بنا على الأرجح منذ أصبحنا لا نعرف طريقنا حول المدينة. ولاحظنا مع الزمن أن الطريق الذي كنا نسير عليه مفتوح على شارع عريض رئيس، وكنا نمر على يمين الطريق المواجه لمحطة القطار. أصبح الأمر متأخراً جداً. فكان عدة رجال من الشرطة ومجموعة من رجال دورية بحرية يقفون في مواجهة المحطة، ولاحظونا في الوقت الذي لاحظناهم فيه تماماً.

«هاي، انتم، توقفا، صاح فينا أحد رجال الشرطة، ثم شرع رجال الشرطة يركضون باتجاهنا، وأيديهم على سيوفهم، يرافقهم ضابطهم الآمر. كما كان في أعقاب رجال الشرطة حرس الشواطئ واضعين بنادقهم في حالة استعداد لإطلاق النار.

ركضنا بسرعة بمقدار طاقتنا، لكن سريعاً ما حوصرنا في شاطئ النهر الذي كان يمضي إلى الضواحي ويصب في البحر. وكان يوجد أمامنا إلى اليسار، مرتفع قليل الارتفاع كنا نستطيع منه رؤية ضريح القديس شنتو، لكن، اندفعت نحونا في ذلك الاتجاه مجموعة أخرى من الرجال الذين بدوا أنهم من الحرس.

أخذ انساين شيمازوشو بذراعي اليمنى، وشرعنا بالركض باتجاه شاطئ البحر، ومضينا، في طريق صغير على طول الشاطئ الرملي عندما شاهدنا حاجزاً لوقاية الشاطئ من قوة الأمواج يمتد أمامنا في البحر، ويقف أمامنا برج المنارة طباشيري اللون.

ركضنا في مختلف الاتجاهات، وأصبحنا قريبين من قمة الحاجز الخاص بوقاية الشاطئ، وهو بعرض مترين من الإسمنت باتجاه برج المنارة وينتهي طريق الحاجز الإسمنتي عنده، وتمتد وراءه صخور خَشِنَة، وتتحطم مقابلها أمواج بحر اليابان برذاذ يعلو الزبد الأبيض. ترك انساين شيمازوشي يدي وتوجه إلى الأمام قافزاً من فوق جلمود صخر إلى آخر. حاولت اللحاق به على الصخور، لكن اصبح من الواضح أننا بلغنا نهاية المطاردة ولم يبق مكان باق للهرب.

وتجمع رجال الشرطة، ورجال حرس الشواطئ وأعضاء اللجان الشعبية بكتلة سوداء واحدة، وانتهت المطاردة، وألقوا القبض علينا.

«لا تستطيعون الهرب، هكذا، تعالوا بهدوء الآن!» رن صوت عن مجموعة الرجال من ورائنا.

«إذا حاولتم الهرب ابعد، سنطلق النار!» صرخ رجل آخر. في تلك اللحظة، توقف انساين شيمازوشو، واستدار لينظر إلى الخلف نحوي من فوق كتفه.

هتف، أنقذي نفسك! ثم استدار إلى الخلف باتجاه المحيط وغطس في الأمواج المكسوة بالزبد.

أطلق رجال حرس الشواطئ وابلاً من الرصاصات عليه وَدَوى دَوِيُّ أسلحتهم الرشاشة إلى أن صمت الآذان بالصدى، وَيَتَضَخَّم تفكيري الرهيب أن هذه الطلقات ربما أنها قتلت انساين شيمازوشو، وكأنها جاءت كضربة على صدري وفقدت توازني وسقطت على الأرض.

من حسن الحظ أو من سوء الحظ، كان جزءاً من تلك الأطراف الصخرية على الشاطئ، تستخدم مزرعة اسماك، في زمن ما. وحدث أن سقطت سالمة دون أدنى أذى في بركة من مياه البحر محضونة بين الصخور الخشنة.

فكرت أنني لم اسقط آنذاك تماماً، وربما رغبت أن ألقي بنفسي في البحر وراء انساين شيمازوشو، وربما كان ذلك أفضل لي.

عل أي حال، أعطاني السقوط صدمة قوية على الرأس وفقدت الوعي للحظة، وسحبني أحد المطاردين إلى الوراء من المياه، وما أن استطعت المشي، حتى أخذوني إلى مركز الشرطة في مينيامارشو، وكانوا يطلقون سيلاً من الشتائم علي في كل لحظة، ويصرخون «الخائنة للبلاد».

انتشلوا جسم انساين شيمازوشو، الذي كان ظهره قد صار كالغربال من كثرة ثقوب الرصاصات، من خارج مياه البحر. وقذف به في سيارة شحن تابعة للبحرية، التي نقلته إلى مكان لا يعلمه إلا الله، ربما إلى القاعدة البحرية في كوندا، حيث توجد اضخم قاعدة بحرية في ميزوررو.

هكذا، كانت النظرة التي رمقني بها قبل أن يقفز إلى البحر ـ قد شكلت وداعاً حقيقياً صعباً ـ لتكون آخر مرة أراه فيها حياً. وفي تلك اللحظة القصيرة الموحشة اليائسة، أصبحت جزءاً من الرجل الوحيد الذي أحببته حقاً إلى الأبد.

تناوب مركز شرطة مينايامـا ـ شو، والشرطة السرية، وضباط الشرطة الخاصين السريين، على استجوابي. وجعلوني أراجع كل تفاصيل معرفتي وإطلاعي على انساين شيمازوشو ومحاولة فراره مرة بعد مرة.

أخيراً، أعلموني أنهم يتشاورون مع سلطات البحرية، من ثم يقررون ماذا يمكن أن يفعلوه معي بجريمة مساعدة وتحريض ضابط بحري على الفرار. وحُجزت في إحدى زنزانات السجن في مركز الشرطة.

« لقد ارتكبت جريمة رهيبة» كان الضابط المحقق يكرر قائلاً في كل مرة أمثل أمامه لإعادة التفاصيل كل مرة، وسوف لن تنجي من العقاب بسهولة!».

عندما جلست في الظلمة الرهيبة في زنزانة السجن، وَمَضَتْ عدة أشياء كان انساين شيمازوشو أعلمني بها، شيئاً فشيئاً خلال زياراته لي في بيت الدعارة ، وَدَوَّتْ في ذهني كمشاهد مضيئة لامعة برزت في ألواح من مشكاة تدور.

لقد كان رجلاً جيداً، وبسبب تفكيره بأمور جدية كانت حقيقية من بعض

النواحي لنفسه، لم يحاول أن يقنع نفسه ويعبر عن موافقته عن أمور يعتقدها خاطئة. وانساق مع وعيه الخاص وعارض سلطة الأمة ومات من أجل قيامه بذلك. وكيف يجب عليه أن يأسف لكونه تعرض لإطلاق النار عليه كفار من وجه العدو! الفرار كان تقصيراً عن الواجب لا يمكن غفرانه في الجيش الإمبراطوري طبقاً لتعليمات السلوك العسكري والبحارة وقانون الخدمة في الميدان. والأسوأ، أن أمراً قد حدث ـ تطور قاس من السخرية ـ

كان يمكن أن يجعلني قادرة على جعل مصيره أشد قسوة، لكن كان يمكن أن يعيش فترة صغيرة أطول. لو قبلت اليابان صيغة تصريح بوتسدام واستسلمت للحلفاء دون شروط.

لكن كنت أعلم أنه لم يكن يريد أن ينتزع حياة كائن بشري آخر، حتى ولا أرواح أولئك من أعداء اليابان. فمنذ أن أصبح طياراً كاميكازيكياً، وعلى الرغم من الإمكانية الجيدة باحتمال أن يسقط من قبل نيران المدفعية المضادة للطائرات قبل أن يتمكن من تحطيم طائرته على أحد جوانب سفن حربية معادية، فإنه يمكن أن تصل طائراته إلى هدفها وتقتل الناس وهكذا، منذ أن اصبح متأكداً أنه سيموت بأي من الطرق إذا بقي في البحرية وأنجز واجبه العسكري، حاولت التفكير، أنه يجب أن يكون قانعاً بأنه اختار سبيلاً للعمل، حيث كان فيه، على الأقل، الوحيد، الذي مات مسروراً، لأنه لم يقم بأي شيء يمكن أن ينتج عنه قتل أناس آخرين حتى لو كانوا أعداء.

شعرت بالهلع والاضطراب بين رجال الشرطة، بعد الإعلان عن هزيمة اليابان، حتى من وراء القضبان الحديدية لزنزانة السجن، ثم صرت أول سجينة يطلق سراحها. ربما فكروا أنني كنت بالضبط أسبب لهم إزعاجاً مما يمكن أن يسبب لهم بعض المشاكل في بعض الأوقات التالية، وقرروا ذلك، تحت الظروف الراهنة. واعتقدوا أنه من الحكمة إطلاق سراحي بمقدار ما يمكن من السرعة. كان كل ما قمت به في الحقيقة، أنني اخترت الهرب في ليلة واحدة مع ضابط بحري متهم في محاولة الفرار من وجه العدو، وهي جريمة لم تعد جريمة الآن لأن الحرب انتهت. فمع نهاية الحرب صارت وحدات الجيش الياباني مشتتة وتوقفت عن الوجود، وهكذا، حتى لو بقي انساين شيمازوشو على قيد الحياة، فالبحرية لم تعد قادرة على إحالته إلى محكمة عرفية لمحاولته الفرار.

فنهاية الحرب جلبت ليس فقط هزيمة اليابان، بل التخلص من عادات اجتماعية وقيود باسم الديمقراطية الجديدة التي حدثت في اليابان من قبل الأمريكيين. فقد استولت قوات الحلفاء على اليابان بعد استسلامها وألغت نظام رخص البغاء التي كانت قد سمحت لي بممارستة في بيت الدعارة في حي المتع، وأصبحت حرة لأبدأ في عمل آخر بقية حياتي. نعم أصبحت امرأة حرة، وأستطيع الذهاب أينما رغبت. لكن أي نوع من العمل يوجد لي وسط الفوضى واللامبالاة في يابان ما بعد الحرب؟ لم أحلم بالبحث عن عمل منتظم في شركة ما.

كانت هناك إشاعة في بداية شهر أيلول، أن قوات الحلفاء تريد أن تكون متمركزة في آخر الأمر في مقاطعة كيوتو، وشرعت الحكومة المحلية في البحث عن محسنات إقامة «نواد استجمام» خاصة ـ التعبير المهذب لبيوت الدعارة ــ لتأدية الخدمات لعساكر جيش الاحتلال، في محاولة لحماية النساء اليابانيات بشكل عام من أن يصبحن محل اعتداء من قبل تلك القوات ــ سمعت بأنهم يعلنون عن حاجتهم إلى نساء خاصات للعمل في هذه النوادي.

كان طبيعياً أن تقلق الحكومة حول سلامة النساء، فكان جنود الحلفاء يأتون لليابان مباشرة من أرض المعارك، من ارض أُقتل أو تُقْتَلْ الوحشية من المحيط الهادي، فقد بقوا مدة طويلة محرومين عن ممارسة الجنس، وأصبحوا الآن في اليابان كمنتصرين. ربما لأن الحكومة تجهل ما يمكن أن يحدث لنساء شعب محتل على أيدي مثل هؤلاء الرجال.

سمعت أن في طوكيو إعلانات في رأسها «مطلوب نساء من اليابان الحديثة مع ملاحظة، أنه سيتم تمركزهن حول منطقة جينزا في محاولة شاملة من أجل البحث عن نساء للمساهمة في عمل عظيم لتجهيز «وسائل استجمام» ممن هن من ذوي الكياسة للعمل من أجل جنود جيش الاحتلال.

يقدم العمل الطعام والسكن واللباس. كل ذلك، مما يجعل ذلك العمل جذاباً إلى ابعد حد للنساء المحرومات اللواتي فقدن كل شيء خلال الحرب، مثل الأرامل، وضحايا القصف، أو ممن تعرضن لكوارث أخرى، ونساء أخريات يعشن ظروف يائسة مماثلة، ويعشن بشق النفس عيشة الكفاف. سمعت

أن العديد منهن أتين تواقات يسألن عن الإعلان وتقديم طلبات للعمل، بيأس حاد وتوق للعمل، مثل الغريق الذي يحاول التعلق بقشة. من ثم حين علمن بالطبيعة الحقيقية للعمل، بعضهن صدمن ورجعن إلى حالة الفقر في الشوارع وفضلن أن يخضعن أنفسهن لموت ذاتي، بدلاً عن ممارسة الدعارة. مع ذلك، اعتبرت أخريات أن «الضرورات لا تعرف قانوناً»، واستلمن العمل مهما كان - بفرحة للبدء في حياة جديدة لأنفسهن، على أنه ليس هو نوع الحياة التي كن يرغبن في اختياره في الظروف العادية، ووافقن على العمل في «نوادي وسائل الاستجمام».

أنشئت جمعية أطلق عليها اسم جمعية وسائل الاستجمام والرفاه في كيوتو أيضاً، تحت رعاية وزارة شؤون الوطن، والشرطة وجمعية الجيشا، وجمعية الفنادق والمطاعم.

بغي لجنود جيش الاحتلال

أخذت طريقي إلى مدينة كيوتو، حيث توجد وكالة جمعية الاستجمام والتسلية. وكرست حياتي كبغي، وهذه المرة مع جنود جيش الاحتلال كزبائن لي.

سكن في قلبي إحساسان، في ذلك الوقت، الأشد إلى حد بعيد، كان اليأس المطلق بسبب هبوطي إلى الدرك الأسفل، والإحساس بأنه الآن اكثر من قبل لا أملك شيئاً أخسره مطلقاً. وكان الآخر شيء بالغ الصغر من الكبرياء أو الغرور في هوى النفس كنوع من الحماية الجنسية دفاعاً عن المواطنات الزميلات، خدمة للمنتصرين ولحماية النساء اليابانيات المدمرات. لحسن الحظ كان العسكريون من جيش الاحتلال ممن يأتون إلى كيوتو لطفاء، غير حادي الطباع، وكان معظمهم حسني السلوك. ولم يسمع عنهم، غالباً، قصص حول سلوك سَيِّء أو عنيف من جانبهم. وكانت كيوتو قد تجنبت الدمار الشديد بالقصف الجوي خلال الحرب، وأصبح القطاع الذي كان في يوم ما، حي المرح، والبهجة، يستخدم لنوادي الاستجمام.

كان يوجد ثلاثة نماذج للنوادي، للسود ، وللبيض، وللضباط. وغالباً ما

كان يوجد دائماً أمام كل ناد صف طويل من الرجال ينتظرون دورهم خارجاً.

مزجت احساساتي كوني عاهرة جيش، لأنني عرفت ذلك في الماضي، فالعاهرات كن يرسلن مع القوات اليابانية حيثما يذهبون، وأن مئات آلاف النساء الكوريات، بصورة خاصة، كن يجبرن للخدمة في بيوت البغاء في ميادين القتال.

لم يمض وقت طويل قبل أن تبدأ نوادي سميث« خارج الحدود» بالعمل وسمح لها بالدخول بجميع نوادي وسائل الاستجمام.وأخذ العديد من جنود الاحتلال يذهبون إليها، وبدأت الأمراض التناسلية بالانتشار.

بالطبع، وبسبب أن العسكريين كانوا يؤمرون أن لا يذهبوا إلى بيوت البغاء، وهذا لا يعني أن البغاء قد توقف بكل ما في الكلمة من معنى. فوق ذلك، أصبح علينا نحن العاهرات أن نستخدم أسماء ازدرائية أو تحط من القدر، مثل «بان ، بان» و «بانسوكي» وهي ترجمات يابانية بعبارة «عاهرة لجيش الاحتلال» أو فتاة الـ «بوم، بوم» . وهكذا، أخرجنا تجارتنا إلى خارج بيت الدعارة إلى الشوارع، واستمرينا في بيع أجسادنا لجنود جيش الاحتلال. وكنت أحصل على مقدار وافر من الطعام المغذي على شكل جرايات عسكريي الولايات المتحدة الذين كانوا زبائني، في حين كان المواطن الياباني على حافة الموت من الجوع. وكنت اشعر كما لو أنني ذات شأن خاص شخصياً، فكنت أتمشى برفقة الجنود الأمريكيين متشابكي الذراعين، وأدخن السجاير من نوع (كامل) و «اللاكي سترايك»، وأعلك علكة (وريغلي)، كما كنت أنظر إلى الوجوه الشاحبة، بسبب سوء التغذية لدى اليابانيين الذين كنا نمر بهم، عندما نكون في سيارة جيب تابعة للجيش الأمريكي، وكنت اشعر بطريقة ما بتفوقي عليهم. إنه لأمر مرعب أن اسمح بذلك، لكن سريعاً ما ألفت هذه الحياة.

شرعت في رؤية رقيب من جيش الولايات المتحدة من أصل صيني يدعى بيتر كانتو، في مطلع تشرين الثاني، وكنت أدعوه (بيت)، وأصبحت «له وحده» على الفور، عبارة كانت مألوفة مع ذلك، حيث أوقفت محاولات الزبائن الآخرين، وكنت أنام معه فقط. حافظ عليَّ كخليلة له بتواضع في بيت

في شارع ضيق إلى الخلف، وغالباً ما كان يأتي من مكان بعيد من معسكر أوكازاكي في سيارته الجيب، يقرر البقاء طوال الليل حتى الصباح خلال أيام العطل الأسبوعية.

بعد مدة بدأت اشعر بالقلق إذ أصبحت حقاً في موقف أحسد عليه، حتى عندما صرت متعودة على حياة مميزة كعاهرة لجيش الاحتلال. ولم يكن سؤالاً يتعلق بدرس أخلاقي وشعور بالذنب الذي أزعجني! كنت قلقلة حول المستقبل.

هل ترى؟ عرفت أن إقامة علاقة مع بيتر كزوج وزوجة لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية. فلم يكن لديه نية أن يتزوج بي، أو توقع أي شيء من هذا القبيل. والأبعد من ذلك، كانت وحدته المقاتلة متمركزة في الجبهة حتى نهاية الحرب تماماً، وهكذا، والأمر رهان سليم، بأن تكون وحدته بين القوات الأولى التي ستعود للولايات المتحدة.لم يكن أمامي من سبيل أعرف فيه ، أن قلقي الغامض حول المستقبل قد يصبح على الفور آخذاً شكلاً متحجراً دون أحلام بالكامل. فأنت لا يمكن أن تعرف حقاً ما يمكن أن يحدث لي من الرعب.

فالحياة لا يمكن التنبؤ بها، أليس كذلك؟ فلا يمكن أن يعرف ماذا يمكن أن يحدث تالياً.

اذكر أن ما حدث في ليلة عيد الشكر الأمريكي، حيث أحضر بيت ديكاً حبشياً كاملاً وزجاجة نبيذ كاليفورني. وشربنا نخب اليابان الجديد والولايات المتحدة، وأي شيء آخر لا يمكن تخيله.

أخيراً، لما تمددنا للنوم، استيقظت فجأة مع بدء منتصف الليل مع تقبض وألم شديد في بطني. وأصبحت جبهتي مغطاة بعرق بارد. ثم صار الألم شيئاً لم أختبره من قبل، كما لو أن كامل بطني أصبح يعتصر من الداخل على نحو شديد، وهكذا، احتد الألم إلى أن شعرت بالإغماء.

كان بإمكاني أن أعلم أن شيئاً ما أصبح يشكل خطراً جدياً علي حتى بدون أي تدريب طبي. وللحظة، دهشت فيما إذا كان ذلك، نوع ما من عقوبة، لأنني عيدت مع هذا التل من الطعام الفاخر، في الليلة الماضية، في حين أن يابانيين آخرين يتضورون جوعاً وليس لديهم ما يأكلونه.

أيقظ تأوهي بيت الذي كان ينام بجاني، ونهض بسرعة مذعوراً ليوقظ صاحب الفندق الذي يسكن في المدخل المجاور. وأخذ يشرح له بإيماءات وإشارات، وتدبر الأمر أن يؤثر على مالك الفندق أن ينظر في وجهي الأبيض كالملاءة، وكنت ألوى من الألم، وتحقق أنني في وضع سيئ جداً بسبب أنه اندفع خارجاً من غرفتي وركض ليأتي بطبيب يسكن قريباً.

في هذه الأشهر القليلة القريبة بعد أن انتهت الحرب، كانت الممارسة الوحيدة الباقية للأطباء في المدينة هي لحفنة من الأطباء الكهلين، حيث كان معظم الأطباء يدعون للخدمة العسكرية في الجيش أو في البحرية أو أحد الأمرين، خلال الحرب. مع ذلك لم يعودوا من وراء البحار. والحالة هذه، صار الأطباء في حالة الجيش أو البحرية المتمركزين في اليابان، مشغولين بالعمل في جميع الأوقات، أي العمل على مدار ساعات اليوم بدون انقطاع. وكانت أعمالهم تتوقف على العسكريين السابقين في المستشفيات البحرية.

وهكذا، كان يوجد طبيب مسن، بالأحرى واهناً، وقد جاء بتثاقل، وبدا عليه الإرهاق إلى بيتي، وشعرت بالأسف لأن أخرجه من سريره في منتصف الليل. وبعد أن فحصني جسمياً بشكل خاطف، قال إنه يعتقد أن ذلك ناتج عن عقد والتواء في الأمعاء. لكن، لما كان الوقت متأخراً في الليل، قال يعتقد من الأفضل، الانتظار حتى يرى كيف أكون في الصباح. وهكذا، أعطاني حقنة لتخفيف الألم، ثم انصرف.

خلال فترة قصيرة، سكن الألم إلى حد ما، لكن فقط لفترة قصيرة، واستمر جسمي في الانهيار نتيجة الألم الرهيب طيلة الليل، وعندما بدأ ضوء الفجر الرمادي يتسلل أخيراً للغرفة، ساء الألم اكثر عما كان عليه في البداية، وشعرت بأنه سيغمى علي، وبالتالي أموت. لقد أصبح الأمر لا يحتمل. وهكذا، حملني بيت إلى سيارته الجيب ونقلني إلى مستشفى كلية طب راكوهوكو في منطقة كيوتو.

في البداية، رفضوا السماح لي بالدخول للمستشفى، قائلين إنهم لا يعالجون الحالات الطارئة، وأن ليس لديهم أسرة غير مشغولة. لكن ربما لأن مرافقي عسكري من الولايات المتحدة وأحضرني إلى هناك، وافق الطبيب المناوب في

القسم الأول للجراحة في آخر الأمر على فحصي. وأخذ يتحسس بطني وأدخل إبرة من خلال مهبلي إلى التجويف البطني ليسحب بعض السائل، وعندما شاهد أن السائل كان يحتوي دماً، فإنه شَخَّصَ الحالة بحمل خارج الرحم، وأعلن على الفور نقلي إلى قسم التوليد والجراحة النسائية.

كان واضحاً، أن الألم الشديد والمفاجئ في البطن، كان يشبه الصدمة، والعوارض التي بدت في الليلة السابقة كانت قد تسببت نتيجة نزيف داخلي شديد ناتج عن فقر دم شديد وحاد، على الفور حَضَّروني للجراحة. وأجريت العملية من قبل الأستاذ المساعد لأمراض النساء، وهو الطبيب المناوب. وعندما فتح بطنين مع ذلك، وجدوا بحراً من الدماء. وهبط ضغط الدم إلى درجة لم يعودوا قادرين على الإحساس بالنبض وأصبت بصدمة عصبية.

وكما تعلمون، فإن إدارة التخدير العام بواسطة الأنبية ـــ إدخال أنبوب في عضو مجوف ـ وتنظيم عملية التنفس وعملية جريان الدم خلال عملية الجراحة ـ كلها إجراءات مُتَيَسِّرة في الولايات المتحدة في ذلك الوقت وكانت مجهولة في اليابان ـــ فالجراح أو مساعده يعطي المريض عادة تخديراً في الحبل الشوكي قبل جراحة البطن، ثم تبدأ العملية بعد التأكد أن المريض قد فقد الإحساس في النصف السفلي من جسمه.

وبمقدار ما تكون العناية بالمريض موضع اهتمام خلال العملية، كان يعطى المريض حقنة في الوريد من محلول رنجر أو غليكوز عبر مسقاه وأنبوب مطاطي والذي يجب أن يعقم بمياه غالية. وتعمل جميع الممرضات عادة في تلك الأيام على أخذ ضغط الدم للمريض في أوقات محددة، لكن كان ضغط الدم في حالتي منخفضاً جداً، بحيث لا يمكن قياسه.

«أما الاستعداد لنقل الدم». فقد صرخ الأطباء الذين كانوا يجرون لي العملية، بالممرضات، اللواتي كانت وجوههن بيضاء، كالملاءة البيضاء بسبب حدسهن بفقداني، فلم يكن لدى اليابان، بعد بنوكاً للدم مثل الولايات المتحدة. وبعيداً عن ذلك، فإن مفهوم مثل ذلك الطراز من اجل التزود بالدم كان بإيجاد من يقبل بالتبرع به، وهكذا، فإن عبارة «خزن الدم» لم تكن موجودة حينذاك.

ومنذ أن أصبحت حالات الطوارئ، اصبح يتم استدعاء ممرضتان أو ثلاثة ويعطين فحصاً بسيطاً لكيفية فحص الدم، بعده تساعد إحدى الممرضات الأطباء بإيلاج محقنة في ذراع كل ممرضة وتسحب منها على الأغلب حوالي (٥٠) (cc) من الدم، الذي، من ثم، يحقن في أحد أوردة اذرع المريض. وكانت الممرضات اللواتي يتبرعن بإعطائي من دمهن، نحيفات تماماً، وكان منظرهن يشبه كما لو أنهن لا يجدن الطعام الكافي ليأكلن. مع ذلك لم تكن وجوههن تدل على نفور أو استخفاف في مَدّي من دمائهن النفيسة. وقد حُزْنَ على عرفاني لهن بالجميل الأبدي نظراً لتَقْواهُنَّ الغيري وواجبهن المهني لإنقاذ حياتي. بالطبع، وكما كنت، غير مثقفة، كان باستطاعتي، ولو بصعوبة معرفة ماذا تعني هذه العبارات التقنية الطبية، عندما كنت على قيد الحياة، وعل كل حال، ففي الوقت الذي فقدت فيه وعيي، كانت هذه الأحداث تسير في مجراها: فجميع الأشياء التي أعلمتكم بها، كانت قد فسرت لي تماماً من قبل روح طبيب بعد أن دخلت عالم الأرواح.

فعلى الرغم من الجهود اليائسة والشجاعة التي بذلت من قبل تلك الممرضات لإنقاذي وبنقل دمائهن الخاص، كل ذلك كان مثل كوب ماء على تربة عطشى. فلم يرتفع ضغط دمي، ومت نتيجة نزيف شديد. وكانت آخر الأصوات الأرضية التي سمعتها عندما كانت روحي تغادر جسمي وصعدت إلى عالم الأرواح، صرخات الغضب الصادرة عن الأطباء الذين تراكضوا هنا وهناك في فوضى مطلقة والصيحات الحادة غالباً ـ الصادرة عن الممرضات.

أظن بإمكاني القول، ملتفتة إلى الماضي بأفكاري على كل مكان توجهت إليه عندما كنت على قيد الحياة، إن حياتي كانت تمر من ضيق لآخر، مشوهة بأعمال مشينة.

إنني أشكر لكم جميعاً سماعكم بصبر شديد لقصتي.

بعد سماع قصة الليلة السادسة

كما في ليلة سابقة، فلو كانت الجماعة الصغيرة من المستمعين تتحرك بعمق بالقصة التي يستمعون إليها، لكانوا تلهفوا لضخامة تجارب تاغوشي فويوكو المُرَّةِ في الحياة ويبقون صامتين فترة من الزمن. كان يوشيو أول من حطم الصمت.

قال: «شكراً لكم لإعلامنا بقصتكم» إلى روح تاغوشي «كفاحكم في الحياة مَسَّ قلبي في الصميم تماماً». ثم تابع الحديث موجهاً كلامه إلى كامل المجموعة.

ولدت تاغوشي في فترة كانت اليابان جميعها فقيرة، وسمعتها تقول إنه، حتى الفلاحون الذين كانوا يزرعون الأرز في بعض أجزاء من البلاد كانوا فقراء جداً، فكانوا يعيشون على الدخن وأشياء أخرى مثل الحبوب الأدنى، ويأكلون الأرز الأبيض فقط في قليل من الأوقات في العام. وعندما يقومون بذلك، فإنهم يفكرون بكمية قليلة جداً من السمك المجفف مع طاسة من الأرز. وكان ذلك نادراً ما يحدث بالحصول على وقعة لذيذة، مع شرط أن يكون لديك أفواهاً أقل لتأكل. فالعديد من العائلات المزارعة ترسل بناتها دون النظر في نوع العمل عن كثب أو شروط العمل الذي يجب القيام به.

إذ كانت المعاناة التي قاستها تاغوشي في معمل النسيج رهيبة حقاً.

وربما تؤكد علاقات العمل مع الإدارة الآن، أن الديمقراطية قد وصلت لليابان حقاً مع فجر الهزيمة في هذه الحرب المرعبة. وإنني أرى الآن أن الأنظمة العسكرية الاستبدادية من قبل قد وَلَّت غير مأسوف عليها، تحت شعار الرأسمالية في اليابان، واصبح كل شيء ينجز في سبيل الأمة، بما في ذلك استغلال العمال الثائرين المضطهدين.

ويمكن أيضاً أن افهم على نحو جيد كيف أن تاغوشي ونساء أخريات في حالة شبيهة، لم يكن أمامهن خيار لِيْغرَقْن في حياة البغاء ويصبحن بغايا فيما بعد من اجل جنود جيش الاحتلال ــ هي وأخريات سيئات الحظ مثلما قمن بأعمال وجب عليهن القيام بها ليبقين على قيد الحياة ».

قالت روح الأستاذ يوهارا، في الكتاب المقدس: «إنه مكتوب إن البغي التي

تتوب بإخلاص عن خطاياها أمام الله، والشديدة الفقر والتي تعطي نقودها الوحيدة، قطعة نحاسية وحيدة لتواصل عمل الله هو أكثر مقدساً في عيون الرب، وتخدم إرادة الله أكثر إخلاصاً من هؤلاء الذين يعتقدون بأنفسهم أنهم أفضل من الآخرين، وأمام الله بسبب أعمالهم الصالحة، معتقدين أن ذلك سوف يرضي الله بعمل العديد من القرابين المكلفة له.

«يسوع المسيح يساعد الصغير والضعيف. والخاطئين وبغايا العالم، فالناس كهؤلاء لا يعطون نجاه حقيقية . ويسوع يزدري معظم هؤلاء المرائين المنافقين وهو يواجه بين القادة الدينيين والمعلمين.

هكذا، فالناس مثل تاغوشي، التي عانت الكثير من المعاناة خلال حياتها على الأرض، وَتَمَتَّعَتْ ببركات دنيوية سوف تتلقى عزاءً عظيماً وسلواناً في عالم الأرواح وفي السماء».

استدار يوشيو نحو روح تاغوشي قال: «إنني اشعر بالأسف الشديد لانساين شيمازوتشي. وكان آلاف العسكريين في الجيش الإمبراطوري والبحرية طلاباً شباباً سحبوا من دراساتهم الجامعية واندفعوا في معارك مميتة. في مواجهة الموت الوشيك، كل واحد منهم، عليه أن يتلمس طريقه الذي فقد فيه الأمل، وبيأس الأجوبة على أسئلتهم حول معنى الحياة الإنسانية والموت. إنني أتخيل العديد منهم قبل نظام الخدمة الميدانية والقرار الإمبراطوري الصادر عن الإمبراطور مايجي إلى العسكريين والبحارة في مواجهة القدر ويهبوا أنفسهم حتى الموت تلقائياً وطوعاً في سبيل بلادهم والإمبراطور، وأصبحوا إلى حد ما محظوظين. لكن عديد من هؤلاء طوعوا طلاباً جامعيين ممن كانوا قريباً من عمري لم يجدوا في الخدمة العسكرية اليابانية «الموت قبل قلة الشرف» سبباً كافياً ليدفعوا حياتهم لسبب ميؤوس منه.

«هكذا، أستطيع أن افهم استنباط انساين شيمازوتسو العقلي تماماً والتعاطف مع عهده العاطفي والروحي. وقرأت حديثاً أنهم سينشرون مجموعة رغبات ومذكرات ورسائل كتبت من قبل طلاب جامعيين. ممن كانوا استدعوا للخدمة العسكرية وماتوا في الحرب. أفكارهم وتعليقاتهم حول الحرب، سوف تقود إلى اهتمام القراء.

«أخبرني صديق لي من الذين دعوا للخدمة، وكان عليه أن يترك جامعته بدون التخرج، هذه القصة التي جلبت الدموع لعيني، حول جندي لا يزال حياً صبياً غير ناضج مراهقاً، أخذ بعيداً من دراساته في مدرسة التدريب التمهيدي في البحرية، من ثم في وحدة الكاميكاز. ولاحظه قائد زمرته وهو يعمل بكد وسأله عما كان يعمله في الليلة التي كان يجب عليه تلقي مهمة انتحارية. ولمعت عيناه ببراءة الشباب، وجاوب بهدوء: «إنني أقوم بحل مسائل جبر» ـ ماذا يمكن أن نعمل أثناء الحرب، فالكل ليس لديه الوقت الكافي للدراسة».

الآن، يجب أن تولد اليابان من جديد، كأمة مسالمة، هكذا، إذ لا يريد ذلك الجندي الشاب والآلاف التي لا تحصى مثله أن يموتوا بلا جدوى.

«هناك شيء ما يجب أن أسالك عنه، حقاً: أين اجتمعت ثانية مع انساين شيمازوتسو في عالم الأرواح؟».

«نعم، التقيت به على الفور بعد دخوله عالم الأرواح» ردت روح تاغوشي. مع ذلك، بالطبع، فمنذ أن وُجِدَ في عالم الأرواح على مستوى الأبدية، فإنه لم يكن مع الأحداث فوراً» من حيث الإحساس، بتاريخ عرض الأحداث عن عالمك. من الطبيعي، فإنه في الشكل الذي ظهر به لي، لم تكن توجد آثار جروح في ظهره من الرصاصات التي قتلته، وكان ينبعث من وجهه هالة سلام ضخمة. تحدثنا حول العديد من الأشياء، وأخبرني أنه في عالم الأرواح كان قادراً على قراءة كل الكتب التي أراد قراءتها عندما كان على قيد الحياة. وإنه تعلم أموراً عن الحقيقة والخلاص، وإنه شاهد جميع الخطايا التي يجب أن يتوب عنها، وأعد نفسه للدخول إلى السماء».

«وإنه جيد غالباً، ليكون حقاً في عالم الأرواح، وأنه قادر أن يتكلم شخصياً مع أرواح الشعوب العظمى التي كان يعجب بها عندما كان على قيد الحياة! كيير كغا آرد، شوبنهاور، كانت، هيجل، غوته، دستويفسكي، تولستوي، مارتن لوثر، نيتشه، وآخرون عديدون من المشهورين العالميين، من الفلاسفة ومن الكتاب، ومن الزعماء الدينيين، ومن المفكرين.ومن الطبيعي أنهم صعدوا إلى السماء جميعاً منذ زمن بعيد، ويستطيعوا التحرك بحرية في عالم الأرواح والمساعدة في خلاص الأرواح القادمة حديثاً.

«نعم، التقيت انسـاين شيمازوتسـو مـرة أخـرى، واختبرنـا منتهـى السـعادة مـرة أخرى بصـورة متسامية، بحيث نختبرها علـى الأرض.

«علـى فكـرة، مـا أن حصـل بيـتر كـانتو علـى الإعفـاء مـن الجيش، حتـى عـاد إلى الوطـن إلى إل باسـو، تكسـاس. والآن يـلازم كليـة الطب في ولايـة لويزيانـا بقـرض طلابي مـن جيـش الولايـات المتحـدة، إذ يـدرس ليصبـح طبيبـاً».

هنـا، توقفـت روح تاغوشـي عـن الكـلام، وتكلمـت روح الأسـتاذ يوهـارا للأرواح السـبع».

«حسـن، يوشـيو، هنـا غـداً مسـاءاً، مـرة أخـرى، يوشـيو. غـداً سـتكون آخـر ليلـة لنـا سوية. فـالروح القـدس منحتنـا سبع ليـال فقـط معـك. ولـن نلتقـي ثانيـة في هذا العالم بعـد ليلـة الغـد».

أومـأ يوشـيو برأسـه، قـائلاً ليلـة سـعيدة لكـل روح، وغـادر غرفـة التشـريح.. كـان هـواء ليـل الصيـف، ابـرد بقليـل مـن هـواء منتصـف النهـار الجـاف، وشـعر بذلـك جيـداً، عندمـا لامـس وجهـه بنعومـة. مضـت الليلـة بسـرعة أكـثر ممـا تـأكد ليوشيو، وكـان متـأخراً أكـثر مما ظـن. السـماء خلـف الجبـال الشـرقية قـد شـرعت بالسـطوع بضـوء الفجـر، وأصبـح باسـتطاعته أن يشـعر بنسـمة الصبـاح الأولى. في الحـال، وبـدأ وجـه الشـمس المتـألق يظهـر خـلال حـوالي سـاعتين، في النقطـة حيـث لاقى الظلام مـن الجبـال السـماء شـاحبة اللـون الزهـري.

فَجَّـرَ اقـتراب الفجـر في قلـب يوشـيو شـعور لم يجـد مثـلاً لـه مـن قبـل. وكمـا لـو كـان يـرى ذلـك للمـرة الأولى. وبـدا هـذا التكـرار الأبـدي للظـاهرة الطبيعيـة، في تلـك اللحظـة يهـدد في تعانقـه الفسـيح سلسـلة كاملـة للخـبرة العالميـة ـ المـرح والـترح، المـاضي والحـاضر والمسـتقبل. ارتفعـت العواطـف عندمـا كـان يركـب يوشـيو دراجتـه، وتلـك القصـة تـتردد أصـدؤهـا في قلبـه، وعمقـت روعتـة وخشـيته في الحيـاة الغامضـة المعقـدة والطبيعـة والله.

الفصـل الثـامـن

الليلة السابعة

قصة الرجل الذي كان أستاذاً لمقارنة الديانات
وأصبح رئيساً لجامعة ايكوغاكوين

بداية القصة المدرسية

وصلنا أخيراً إلى الليلة الأخيرة. وأخبرت أرواح رفاقي الستة عن قصصها في الحياة، كلها قصص مثيرة للمشاعر ومحزنة بسبب مشقة الإنسان ومحنته.

واستهلت الأرواح جميعها قصصها بتواضع وبالاعتذار عن خبراتها غير المتعة، مع ذلك، وبعيداً عن مستمعيها، قصصها عن الحياة، مفعمة بالصعود والهبوط وفي تطورات غير متوقعة، وأحدثت ألماً في قلوبنا وعقولنا، حيث لا يمكن حتى للخيال أن يتصورها، وأظهرت حقيقة القول القديم، الأكثر أهمية بكل وضوح:«لا يمكن التنبؤ بما يأتي به الغد».

وليست الحياة تتابعاً أو تعاقباً للصفاء والأحداث المسلية، بل فترات من الكدح والشقاء والمعاناة والمحن، يصاب الواحد خلالها بالإغماء، بين الفينة والفينة، وتزول بسرعة لمحات السعادة.

حياتي، على سبيل المثال، كانت سعيدة مَرَّةً، كتلميذ ومرب، وبلغت منزلة عليا، أولاً كأستاذ بكرسي في جامعة ساتيو، ومؤخراً، كرئيس لجامعة ايكوغاكوين. لكن، كان مجرى حياتي بكامله عادياً، مقارنة مع الخبرات العالية لأرواح زملائي الستة، وقد يكون بالتأكيد، بسبب أنه ما من أحد يصرخ: « الحقيقة أغرب من الخيال!» عند الوصول إلى عمق وجوهر تجاربي وتبصري، استنتج منها، أنني خائف بأن لا أستطيع رفع شمعة للستة الذين سبقوني.

وإنني سأقوم بسرد قصة حياتي باختصار، بسبب أن وقتنا جميعاً ينسحب إلى النهاية سريعاً.

طفولتي: اسمي يوهارا شونجي، ولدت في تشرين الثاني (١٨٨١) في مكان يدعى نوجيري، بعيداً وراء جبل تاكي كونتي في مقاطعة هيوغو. بالقرب من قري سونوب في منطقة تانبا من مقاطعة كيوتو. وكنت الابن المولود الثاني، وأسلافي لأجيال كانوا أطباء من عشيرة ساسایاما الإقطاعية، ولسبب أو لآخر، دعيت شونوموك كطفل.

كـانت نوجـبري جنـة ريفيـة، حقولهـا خصبـة، وحدائقهـا خضـراء ومحاطـة بالجبـال. وأتذكر الخدمات التذكاريـة البوذيـة الـتي كـانت تقـام في بيتنـا عـدة مـرات كـل عـام. ونذهب دائماً لزيارة قبر العائلة على جانب جبل قريب. والكانجي، «المنحدرين من نيتـا يوشـيادا» يبحـث عنهـم بشـكل واضـح. وعلـى نحـو بـارز، بجـانب الشـاهدة أو بلاطـة الضريح، وهكـذا، فـإنني استشـف فخـر أسـلافي، لكـون لهـم صلـة قرابـة بالسـاموراي االمشهورين في القرن الرابع عشر، لكنهم لم يكونوا هامين بالنسبة لي مطلقاً.

كان لوالدي شونتاسـو إجـازة في حمـل السـيف، وكـان يلبـس شـعره الطويـل علـى قنزعته، المرتبة حسب الطراز الإقطاعي «شون، مـاج»حتـى قبـل أن أولـد تمامـاً. وكـان هناك قرار وطني بحلق الرجال شعرهم قصيراً، نتيجة صدور أمر بذلك في وقت مبكـر، لكن أخباره امتدت ببطء إلى المناطق النائية في المناطق الريفية، كان لوالدي طبيعة هادئـة لطيفة. وله منزلته كونه متيم بأوساكا كرجل شاب لدراسة العلوم الغربية باللغة الألمانية. لكن لكونه غير مقدام، نسبياً، بطبيعته، كان بالضبط متوسطاً في جميع مظاهر حياتـه، بمـا في ذلك في مهنته كطبيب. ولم تكن ممارسته للطب مطلقاً كما كان يأملها والده، جدي، يوهارا شوتوكو، وهو طبيب باختصاص صيني للمداواة بالأعشاب والذي كـان بشـكل دائم يعيش مع المرضى، كانت أمي، ناتسو، قويـة العقـل وذكيـة بخـلاف والـدي، وهـي تعويض عن مؤهلات والدي، الذي لا يعبر عن أي رأي، مثل كيف يجب أن نتثقف أخي الأكبر وأنا، في حين كانت متحمسة بشأن تعليمنا، ومصممـة أن تجـد أفضـل الأسـاتذة والمدارس لنا.

كانت هناك مزحة كبيرة تنتشر في البلاد. وكنـت ارغـب أن أصطـاد اليعاسـيب في حقول الأرز. وأذهب لصيـد السـمك في النهـر. وكـان جـدي لا يـزال نشـيطاً خفيـف الحركة بالنسبة لعمره وكنت قرة عينه.

لجتورشي، توشي! عندما يريد أن يناديني. مستخدماً ذلك للتحبب مأخوذاً عن قـراءة أحد أسماء الكانجي. أهرع إليه راكضاً، ثم يأخذني معه للنهر لصيد السـمك مـن أنـواع الكرب والروش.

يوشيو، يمكن أن يكون الأمر صعباً على من في جيلك فهمه، كـانت إحـدى أعمـالي اليومية في طفولتي، تنظيف السخام من مصباح الموقد، فلم تتوفر لنا الكهرباء للإنارة إلا بعد أن شرعت بملازمـتي للمدرسـة الابتدائيـة. فكنـا نحصـل علـى الكهربـاء باسـتخدام

الحطب. ولازلت أذكر أنه في أحد الأيام، كما لو أن ذلك حدث البارحة بكل وضوح: أن كان جميع أفراد عائلتنا والخادمة وحتى الرجل المكلف بجر عربة (الريكشـو) ـ وهـي عربة بدولابين يجرها رجل واحد وتتسع لشخص واحد، ـ يجتمعون في المطبخ، على نحـو مثير، ونراقب بانتباه وجذل نور المصباح الكهربائي الوحيـد الظـاهر للعيـان، وكـان قـد تَبَدَّلَ في بيتنا للمرة الأولى، وَمَلأنا نوره الساطع جميعاً بالدهشة والإعجاب.

شـيء آخـر، سـوف لـن أنسـاه أبـداً، وقـد حـدث عندمـا بـدأت بالذهـاب للمدرسـة تقريبـاً. إذ أخـذت خمسـة كونيـات كـانت ملقـاة على رأس الـدرج، أعـني لم أسـبب ضـرراً، وذهبـت إلى مخـزن حلويـات غـير بعيـد عـن منزلنـا، واشـتريت بعـض قطـع الكعـك المحشـوة بعجينـه حبـات الفاصوليـاء الحلـوة، الـتي كنـت أحـب أكلهـا دائمـاً. لكـن يمكـن شـراء العديـد مـن كعكـات الأرز بخمسـة سـنات، وأكـثر مما توقعـت مـع ذلـك فقـد متعـت نفسـي بأكلهـا واحـدة بعـد الأخـرى في المخـزن وفي طريـق العـودة إلى المـنزل، لم أنتـه مـن أكلهـا جميعهـا قبـل وصـولي، وهكـذا، خبـأت البـاقي في واجهـة ثنيـة الكيمونـي ودخلـت إلى المـنزل، كمـا لـو لم يحـدث شـيء. ولم أسـتطيع أن آكـل أي شـيء ذلـك المسـاء عنـد العشـاء. وهكـذا، حـاولت خـداع والـديَّ في البدايـة بإخبـارهم كذبـة، بـأنني كنـت اشـعر بـألم في بطـني. ولسـوء الحـظ، سـقطت إحـدى كعكـات الأرز مـن كيمونـي، وشـاهدتها أمـي، فعَنَّفَتـني ثـم صفعتـني على جـانبي وجهـي، أخـيراً، رمتـني خـارج البيـت إلى الحديقـة.

وأتذكـر حتـى الآن كـل تفـاصيل ذلـك المشـهد، وتركـت تلـك التجربـة انطباعـاً في نفسـي يتعـذر محـوه. وكنتيجـة، وصلـت إلى الاعتقـاد أخـيراً أن قابليـة الإدانـة علـى أخطائنـا علـى عمـل مـا، كسـارق أو كـاذب أو كمخطـئ ليسـت ذات طبيعـة أساسـية في النـاس. إنـي أعتقـد كـل شـخص تعلـم أولاً خـلال الطفولـة أن مثـل هـذه الأمور هي خطـأ عندمـا يعنـف بشـدة في مناسـبة مـا أو بـأخرى.

يجـب أن تبكـي أمـي في قلبهـا عندمـا تصفعـني، في مواجهـة خطـأ عملـي علـى نحـو مـزدوج ـ أخـذ النقـود، علـى الرغـم أن الأمـر جـرى بـبراءة، لكـن مـا قمـت بـه يعـادل السـرقة، والكـذب علـى والـديَّ بوجـود ألم في معدتـي ـ وكـانت ترغـب أن تجعلـني صادقـاً ومسـتقيماً، ولا ترغـب أن نخبر ولـو بكلمـة كاذبـة مطلقـاً.

منـذ ذلـك الوقـت، فـإنني لم أسـلب شـيئاً مطلقـاً يخـص شـخصاً آخـر حتـى لـو

كان ذلك الشخص أحد أفراد عائلتي الخاصة، إنني أعتقد أن تجربة الطفولة الفريدة تحدد الأخلاق طيلة الحياة.

عندما أنهيت سنتي الرابعة في المدرسة الابتدائية، سجلتني أمي في هاتسو موكان أو بالمدرسة الإنجليزية تحت إدارة آينوي هانسوك إسوي، الذي كانت له شهرة كونه أحد أفضل المربين في تانبا. وتلقيت هناك تدريباً أكاديمياً وأخلاقياً شاملاً.

كانت هاتسو موكان مدرسة خصوصية صغيرة ويقيم السيد اينو في منزله في شباط (١٨٦٤) كان عمره (٢٢) عاماً.

وأنشئت المدرسة حسب الاعتقاد أن «الإنسان غير المثقف لا يختلف عن الحيوان والطيور. ويتمثل الموقف في المثل القديم الذي يعبر بشكل حسن جداً عن ضرورة التعليم الذي قد يوقظ في الوقت الحاضر انتقادنا بسبب قسوته غالباً، وتضمينه أن عدم الثقافة، هي لحد ما تجعل الكائن البشري اقل قيمة من المثقف. لكن ساعدني ذلك الدنو من الثقافة، وذكرتني الكلمات بأيامي المدرسية في هاتسو موكان، ان الانضباط يمكن أن يصبح مساعداً للإنسان، وربما عهدت أمي بثقافتي إلى طرق السيد اينو، لأنها كانت تعتقد أن مثل تلك البيئة المدرسية قد تكون جيدة لطباعي، إذ خَرَّجَتْ منطقة تانبا قادة عسكريين مشهورين ومن الدكاترة العظام، وأصحاب الحرف الماهرين والمدرسين والشعراء والفنانين، بالنسبة للعديد من الأعمار السابقة. والعديد منهم، جعلوا من أسمائهم أصحاب شهرة لأنفسهم، وحققوا نجاحات عظيمة. مع ذلك عاش السيد اينو بمعزل عن الشهرة والثروة، وبقي في مسقط رأسه في الريف، وكرس حياته لتثقيف شبابها. وكان أيضاً الصديق المقرب من المربي الطلائعي نييجيما جو، وسمح له أن يمارس النفوذ المسيحي القومي على تلاميذه.

عين السيد اينو مديراً للمدرسة الابتدائية العليا في فوناي، بعد إصلاح نظام التربية أثناء إصلاحات المايجي عام (١٨٦٨)، مكرساً نفسه أكثر من أربعين عاماً في خدمة التربية. واستمر في العمل خلال هذه السنين كمرشد للطلاب. ويعطي دروساً خصوصية لعدد صغير من طلابه الخصوصيين، وكنت أحضر أيضاً دروس المدرسة الابتدائية العليا.

عندما دخلت مؤخراً فحص الدخول للمدرسة المتوسطة رقم (٥) في

مقاطعة كيوتو، سقطت فيه، على نحو سيء، وانتهيت إلى انتظار المدرسة الإنجليزية الخصوصية في كيوتو.

كان اليابانيون يسمون مدرسة دوشينا الإنجليزية «مدرسة البعثة»، وتأسست على أسس الثقافة المسيحية الرئيسة، وأحببت هذه المدرسة المتوسطة، واستمتعت في سنواتي فيها. وتخرج منها زملاء لامعون بما فيهم عدد كبير من البارزين. منهم من أصبح مشهوراً سياسياً، وآخر طبيب، ورئيساً للجمعية الطبية وعضو مجلس المدينة، وواحد آخر وزيراً، وواحد أستاذاً في جامعة طوكيو، وهكذا.

ففي كل صباح. يكون عندنا طقس ديني في كنيسة صغيرة، قبل الدرس الأول، حيث نقرأ الإنجيل، وننشد الأناشيد والتراتيل الدينية، ونستمع إلى المواعظ. وكنتيجة تعلمت خطايا الجنس البشري، والخلاص وقليل من المقاومة النسبية، وآمنت بالمسيح كمخلص، وصممت على اتباع تعاليم المسيح في كل أيام حياتي، كنتيجة لتأثير السيد اينو على سلوكي خلال تعليمي في هاتسوماكان وسنواتي في مدرسة دوشان الإنجليزية.

جرى تعميدي من قبل رفرند كلارك، المبشر، في كنيسة دوشان، وهكذا، أصبحت مسيحياً.

كتبت إلى أمي وأبي حول اعتناقي المسيحية، وردت علي والدتي بهذه الكلمات التشجيعية ودعمت رأيي: «لقد اخترت الطريق الذي تعتقد أنه الصحيح. اتبعه بثبات من الآن». وكانت توجد معارضة عامة في عصر المايجي المبكر، وسط التقاليد عميقة الجذور وللتحول من البوذية إلى المسيحية - ولا تزال هذه حقيقة في اليابان حتى الآن ـ وذلك بسبب مشكلة من سينجز مستلزمات الطقوس البوذية التذكارية لأسلاف العائلة عندما يصبح الواحد مسيحياً، وهذا الأمر لا يزال ذو أهمية حيوية، خصوصاً في المناطق الريفية، حيث ينزع الناس إلى ملاذ نحو موقف إقطاعي باتجاه بعض الأشياء. فيصبح غير مسموع في هذه الأيام الشخص الذي يصبح في مجال البعد الاجتماعي في حال اعتناق المسيحية.

هكذا، كان الأهم أن أكتب إلى والديَّ حول اعتناقي المسيحية وكنت خائفاً جداً أن يعارضان ذلك. وشعرت بالفرح عندما قرأت جواب أمي الداعم وأصبحت شاكراً لها

سعة أُفقِها وفهمها. ومنذ ذلك الحين، صليت لخلاص عائلتي ولأمي بشكل خاص، لكي تعتنق المسيحية في يوم من الأيام.

جزئياً، بسبب نظام التربية والتعليم في مدرسة دوشان الإنجليزية، كان يسمح لتلامذتها بالقبول آلياً في مدرسة دوشان الثانوية، وجامعة دوشان، دون إجراء فحوص دخول. وأصبحت قادراً على التعليم في جو مريح. هكذا، فإنني لم ادرس، على وجه الخصوص، من اجل فحص الدخول للمدرسة الثانوية، وأصبحت قادراً على الانتقال لفحص الدخول للمدرسة الثانوية ذات الاعتبار في يوشيدا ياما، بعد خمس سنوات من الدراسة، وتمتعت بسنواتي على نحو ممتاز هناك.

كانت حياة المدرسة الثانوية الداخلية، مليئة بالمشاكسات التي تحصل بين الطلاب. وتناول الطعام والشراب بصورة مشتركة، حيث كنا نسرف في شراب الساكي والبيرة، كما لو أنه لا يوجد غد، وشجارات صبيانية حيث كنا نريد الرقص في القاعات دون لباس، بل فقط ستر عوراتنا، بشكل عام، ونلعب على هوانا دون ضابط، وأذرعنا مترابطة بالأكتاف الواحد مع الآخر. كانت تلك أوقاتاً سعيدة، وزودتنا بيئة المهاجع بوضع كامل لتمضية هياجنا ونشاط شبابنا بطرق غير مؤذية.وكنا نربط قلنسواتنا المدرسية المميزة على رؤوسنا بزهو، وَتُقَعْقِعُ قباقيبنا الخشبية على حجارة الرصيف مع ارديتنا الخارجية بلا أكمام المطروحة على أكتافنا في الشتاء. وننطلق في شوارع كيوتو نغني أغانينا التي نغنيها في المهاجع. ونحن نتبختر ونختال ونعربد في شبابنا.

كنت لا أزال مسيحياً، من ناحية ثانية، وهكذا، وفي حين كان الصبية الآخرون يشربون نخب بعضهم تحت الطاولات أحياناً، فإنني لم اشرب مطلقاً حتى الإفراط. فعشت مترمتاً بطريقة ما، وحياة مستقيمة أخلاقياً، كما كان يفعل العديد من المسيحيين اليابانيين قبل الحرب.

مع ذلك، كنا نقوم بعمل جيد بالعربدة خارج قاعات الدرس، وكانت الدروس، في المعدل الأول في المدرسة الثانوية، مطلوبة في يوشيدا ياماكا. وكان علي أن أدرس بجد واجتهاد للمحافظة على مستوى جيد خصوصاً في الرياضيات واللغات الأجنبية.

كان الكويهارا الرئيس، مربياً رائعاً، فكان يعلمنا أهمية الحرية والمساواة في الروح، دائماً يقود حياتنا الشابة في الاتجاه الصحيح.

حياتي الجامعية في جامعة سايتو

التحقت بجامعة سايتو، بعد انتهاء السنوات الثلاث التحضيرية في مدرسة يوشيداهاما الثانوية، هذه الجامعة الأكثر شهرة في غربي اليابان في فرع الفلسفة في كلية الآداب، والتخصص في الديانات المقارنة وكان عدد من المفكرين اليابانيين الرئيسيين الحاليين، يدرسون في ذلك الفرع آنذاك.

اشتغلت خلال عدة سنوات كباحث مساعد في فرع الفلسفة خلال تلك الحقبة، بعد تخرجي من الجامعة. وقمت ببحث عن شلايرماخر «الإحساس بالتبعية المطلقة»، وكتبت أطروحة الدكتوراه حولها وتلقيت درجة دكتور في الأدب.

تخرجت من الجامعة بعد حوالي خمس سنوات، وفي عام (١٩٠٦) بعد نهاية الحرب الروسية ـــ اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥) ذهبت فوراً للدراسة في الخارج، في لايبزيغ، ألمانيا، بناء على توصية من أستاذي الموجه في كليتي في الجامعة، الأستاذ يوزومي. وذهبت لدراسة المسيحية في الولايات المتحدة في مدرسة الدراسات المقدسة في جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك. وكان للمدرسة شهرة في حقل اللاهوت، كونها لا تزال في مراحلها الأولى، واخترت للدراسة هناك بسبب أن اللاهوتيين الأوربيين البارزين بدؤوا يحتشدون في الولايات المتحدة، وخططت للبقاء سنتين وأصبحت على معرفة شخصية بابنة دبلوماسي ياباني، الوزير أريوشي الذي كان في منصب القنصل العام الياباني في نيويورك، اسمها كان كيوتو، وتخرجت من كلية بنات (شيراأوم) في طوكيو، وجاءت إلى نيويورك لحضور دروس كمستمعة في فرع الآداب في جامعة كولومبيا.

ومنذ أن اصبح كلانا يعيش في بلاد أجنبية، قدم ذلك الأمر لنا اتصالاً قليلاً مع يابانيين آخرين، وأصبحنا على الفور قريبين من بعضنا، ولم تمض فترة طويلة قبل أن نشرع بالتفكير بالزواج.

كانت خبرة العيش والدراسة في الولايات المتحدة تبدلاً تاماً بعد سَنَتَيّ من البحث في أوروبا، حيث كنت اشعر بالكبت بطريقة ما: فالجو في البلاد الأوروبية، استبدادي ومقيد يوزن تاريخهم الطويل، حتى حجارة الأرصفة في

الشوارع تبدو أنها تقمعني بالإحساس الساحق عن الماضي. وعلى النقيض كانت أمريكا بلاداً شابة نسبياً وتمثل جواً أكاديمياً واجتماعياً، كان كل شيء فيها جديداً، مفتوحاً ومحرراً من الماضي. لقد كان مدهشاً أن أدرس هناك.

وكان لدي فرص في أمريكا للمزج بين عالم اللاهوت في المقام الأول والإصغاء إلى أفكاره الأخيرة المستقاة من المصدر الأول ـ وكان يوجد الكثير لتعلمه. تماماً عندما كنت أفكر بأنني أرغب بأن أمدد دراساتي سنة أخرى، أخشى أن يتلقى الوزير اربوشي رسالة أنه علي أن أعود إلى طوكيو على الفور. فكرنا كوتو وأنا قد يكون من المناسب اتخاذ قرارنا في الزواج،وهكذا حصلنا على إذن من الوزير والسيدة آريوشي، وتزوجنا. أقمنا حفلة زواج صغيرة، مجرد حفلة بسيطة في كنيسة ريفر سايد في برودواي تماماً في الجانب الآخر من جامعة كولومبيا.

لحسن الحظ، منحني الأستاذ يوزومي وإدارة جامعة ساتيو إذناً بدراسة سنة أخرى في الولايات المتحدة. وهكذا، أصبحنا كوتو وأنا قادرين على قضاء سنتنا الأولى من الحياة الزوجية في أمريكا.

لقد كانت سنة رائعة بالنسبة لي مُقَسِّماً وقتي بين البحث في الجامعة الذي أحببته، والساعات السارة التي كنت استمتع بها مع عروسي بجاذبية مدينة نيويورك. ملتفتاً بأفكاري إلى الماضي، لأتحقق أن هذه الفترة هي الأسعد والأهنأ في كل حياتي.

انقضى العام وعدنا إلى كيوتو، حيث استأنفت حياتي الأكاديمية في جامعة سايتو، في هذه المرة كرجل متزوج.

العودة إلى اليابان

اليابان الذي عدت إليه كان نفسه إلى حد بعيد، عندما غادرته قبل خمسة أعوام. لكن بدا أن غيابي كان له رقة لا تنكر وغير مرغوب فيها، نتيجة التقدم في مجرى حياتي وعلاقاتي مع جامعة سايتو. نشرت مقالات، الواحد بعد الآخر حول المعارف التي اكتسبتها والأفكار الجديدة التي اكتسبتها أيضاً خلال أبحاثي في الخارج. وثار زملائي بطريقة يتعذر حل رموزها بالنسبة لي، بعيداً عن الإطراء، نتيجة عملي، من ناحية ثانية: ربما ارتباكاً وربما حسداً، وحتى اتحاداً الثلاثة.

إذ تغيرت طريقتي في التفكير وكذلك في فهم الأمور والعلاقات الشخصية بسبب

كوني عشت مدة طويلة إلى حد بعيد خارج اليابان. ودون أن أكون مدركاً ذلك. وقد اتخذ ذلك مني عدة أشهر للعودة لطريقتي اليابانية القديمة بالتفكير وفي السلوك. ووصلت خلال هذه الفترة إلى التحقيق أنه خلال غيابي الطويل عن اليابان، أصبحت علاقاتي مع العديد من الصلات السابقة في الجامعة أضعف أو متوترة. وقاطعني البعض بالكامل. وأقام بعض آخر صلات جديدة مع أناس آخرين، وبدا كل ذلك خلال زمن قليل بالنسبة لي.

اصبح هناك تفتح للأدب في حقلي بعد حوالي عام من عودتي إلى اليابان. وحصلت على التعيين. لكن كان معظم زملائي ممن كانوا في عمري أي قريباً من الأربعين ولديهم المؤهل كونهم نفذوا بعض الأبحاث في الخارج، كانوا يعملون من قبل في مستوى الأستاذ المساعد. حتى توجه بعضهم للتعليم في جامعات ريفية، حيث جرى ترفيعهم سريعاً إلى مرتبة الأستاذ ذو الكرسي. وبالنسبة لوضعي، كانت جميع المناصب للأستاذ المساعد لمادة المسيحية غير شاغرة، في حين كنت في الخارج، كانت هناك مناصب أدنى للأدب والبحث كمساعد، معبأة من قبل طلاب ممن جاؤوا بعدي، وهكذا، تأجلت ترقيتي حتى بلغت الخامسة والأربعين إلى أستاذ مساعد في آخر الأمر. وكان لجامعة سايتو نظام رائع وفيها من المواهب المميزة وصداقة بين أساتذة فرع الفلسفة، بما في ذلك الأسماء المشهورة مثل هاتانو ونيشيدا، وآمانو وتانابي وكوكي نيشيتاني وهيساماتسو. وهكذا، وجب علي أن اقبل، وأصبح بإمكاني رؤية لماذا يأخذ المنصب المتاح زمناً وفرحة بالنسبة لطالب ذو إمكانات اقل مني في مجال الإنجازات.

والآن، يجب أن أوضح ما حدث من الناحية السياسية في اليابان بعد انتهاء سنواتها الثلاثمائة الطويلة من العزلة التي فرضتها على نفسها عن باقي العالم، وعكست بلادنا سياستها السابقة وناضلت لاكتساب ما تستطيعه من الأمم الغربية في جهودها للحاق بها والتفوق عليها من جميع النواحي، دون النظر إلى انعكاسه على باقي العالم. واليابان الآن تعتنق سياسة حكومية تضع الثروة القومية والقوة العسكرية فوق كل شيء آخر. فمع الانتصار الذي تحقق على الصين في الحرب الصينية ــ اليابانية (١٨٩٤ – ١٨٩٥)، تنامت ثقة الشعب الياباني ببطء لكن بثبات. وتشجعت عن طريق نجاحاتها العسكرية، وشرعت اليابان في تخطيط سريع لتوسيع مصالحها الخارجية وراء شبه الجزيرة الكورية التي جرى استعمارها من قبل، وكذلك منشوريا. وتعارضت هذه

الخطط مع سياسة روسيا في توسيع مناطق نفوذها من خلال منشوريا وسيطرتها على الميناء الهام في نوشان في شمال ـ شرقي الصين، وسببت الحرب الروسية ـ اليابانية والتي تدبرت فيها اليابان الأمر لربح تلك الحرب بطريقة أو بأخرى، بأن هذا النصر لليابان مكانة على المسرح الدولي السياسي للمرة الأولى. لكنه في الحقيقة، استنفذت هذه الحروب مصادر اليابان الهزيلة بشدة، وكانت هذه السنوات من الانتصار العسكري فترة خراب في الخارج وجوع في الوطن.

نصبت اليابان بعد موت الإمبراطور مايجي عام (١٩٢١)، إمبراطوراً جديداً، وبدأ عهد التيشو. وتعرضت روسيا بعد الحرب العالمية الأولى للثورة التي كان لها تأثير ضخم على بعض أساتذة القانون والاقتصاد في جامعة سايتو، واصبحوا معجبين بالأفكار الماركسية بشدة.

وانضمت عدة زمر اجتماعية وسياسية من داخل الجامعة وخارجها إلى قوى العسكرة ـ التي كانت تدعم تطور اليابان في المجال العسكري ونظام حكومة الإمبراطور ـ وصعود روح المقاومة للحركة الماركسية واصبح الاستقلال الذاتي لجامعة سايتو يترنح على شفير الأزمات، وأصبحت الجامعة بالكامل في وضع اضطراب.

وتسبب لي هذه التطورات العديد من المشاكل بسبب كوني مسيحياً، وبشكل خاص بسبب اختصاصي الأكاديمي في حقل الدين المقارن المتعلق بالمسيحية.

كانت المشكلة الشائكة مع المسيحية في اليابان وارتباطها في علاقتها في السياسة القومية وتأثيرها على النظام الإمبراطوري بشكل شاذ عن التوقع التاريخي والخاص باليابان. وقد يتوقع الفرد أن الدين يخص بصورة رئيسية الأنظمة المختلفة عن السياسة الوطنية. لكن في الفترة التاريخية التي يكون فيها الاعتقاد أن الإمبراطور هو الإله، ويأخذ الأسبقية على كل الفلسفات الأخرى أو الاعتقادات، ويصبح، بعبارة مختصرة، مطلقاً لا ريب فيه، يصبح من المستحيل على هؤلاء في السلطة تجاهل التنافس الموروث بين إله المسيحية والإله الحي لليابان الإمبراطور. في الوقت الراهن، فإنه بالإمكان التفكير بهذه المنافسة كنتيجة جزئية لسوء الفهم الناشئ عن عقدة الشنتو. قرون ماضية . عندما كانت المسيحية قد دخلت اليابان أولاً.

حتى في الجامعات كان يوجد بعض الطلاب المجردين من المبادئ تحت رعاية الحكومة .

الذين ساروا مع تيار الزمن واصبحوا مخالب قطط للحكومة طوعياً، لمراقبة الحرية الأكاديمية، الشيء المقدس، وجرى تشجيعهم على قبول الفكر العسكري الاستبدادي والاعتقادات التي انتشرت في الأحياء الجامعية، وأخذوا يضايقون باستمرار أولئك الذين تجرؤوا على التعبير عن الرأي المخالف. وبسبب اتصالاتي الجامعية المستمرة ودراساتي في حقل غير شعبي على نحو عام والتي وصفتها قررت الجامعة، الإبقاء فقط على أستاذ مساعد لباقي تلك المهنة، مع المحافظة على المظهر الجانبي المدني. وبعد انتظار الفرصة الملائمة بعد عشرة سنوات، أصبحت أخيراً، أستاذاً كامل العضوية في عام (١٩٣٥) وفي عمر الخامسة والخمسين.

بعد ذلك، أصبحت ممن اختيروا للخدمة كرئيس مؤتمر سنوي عن المجتمع الياباني في موضوع الدين المقارن عندما عقد في كيوتو. وكان مؤثراً على نطاق ضيق حيث ضم مُدَرِّسي الجامعة فقط، لكن لا يمكن إنكار تأثيره.

كانت زوجتي كوتو امرأة ذكية، لكنها غير مجدية أيضاً، وغالباً ذات شخصية باردة، برغم ذلك،كان اتحادنا مباركاً بطفلين، صبي وبنت. ربما كانت كوتو غير كفوءة في الأعمال المنزلية، وهي لا ترغب بذلك بكل ما في الكلمة من معنى، وكانت تترك جميع الواجبات المنزلية لمديرة المنزل.

عندما اصبح أطفالنا كبار السن على نحو كاف، ولم يعودوا بحاجة لعناية مستمرة. وبدأت كوتو قبل حوالي أربع سنوات من عمرهما المشاركة في نشاطات في عدد من التنظيمات على المستوى الوطني والمحلي بحماسة. أولاً، أصبحت منهمكة في الركض من أجل النادي النسائي في كنيستنا. من ثم خدمت أولاً في مجلس المديرين، وصارت مؤخراً رئيسة لجمعية النساء المسيحيات الشابات. وفي وقت بعيد.رئيسة لجمعية النساء العصريات، وهي منظمة كانت مكرسة للرفع من مستوى النساء في المجتمع الياباني، ورئيسة للجامعة الوطنية للنساء من أجل تحريم الكحول والتبغ. وترأست فرع كيوتو لجمعية تحرير البغايا المرخصات. فكانت مشغولة دائماً، تندفع هنا وهناك في أعمال من أجل هذه المنظمة أو تلك، أعتقد أنها كانت تواجه المصاعب وهي تركب قطار تسويام أو الساكور السريعين إلى طوكيو كما كانت تفعل غالباً، لكنها لم تَبْدُ قلقة مطلقاً.

وكان من الطبيعي أن تكرس كيوتو وقتها وطاقاتها في عملها لهذه المنظمات المختلفة تماماً، بسبب كوني في الجامعة معظم الوقت، واختبرت الحياة الأمريكية وطراز الحرية ـ

فيها خلال سنواتنا في نيويورك. مع ذلك، حافظنا على المظاهر كوننا ثنائياً متزوجاً وكنا متباعدين عاطفياً ومادياً.

على سبيل المثال، تحقق لي أن كوتو وأنا، في السنوات السابقة، كان لنا اهتمامات مشتركة غالباً. وكانت تعزف على آلة البيانو بطريقة ممتازة. كما كان لها صوت جميل من الألتو ـ أي أعلى الأصوات في الغناء ـ وكانت تغني أحياناً في البيت. لكنني أصم الطابع، وهكذا، فلم تستطع حتى غناء الميلودي البسيط في ترنيمه سوية ، وفي مزاج مشابه، كنت ارغب في تأليف أشعار بين حين وآخر، لكن زوجتي كانت تظهر عدم اهتمامها المطلق بهذه الأشعار الخاصة ولم تعط جواباً في المناسبات القليلة عندما أقرأ لها بعضاً منها.

الوقت الذي كنت استمتع به هو الوقت الذي كنت أقضيه غالباً في مكتبي في الجامعة، وأنا اقرأ أو أكتب وإدارة الحلقات الدراسية والبحوث العلمية لعدد قليل من الطلاب. فكان يؤخذ عدد قليل من الطلاب إلى حد بعيد ممن يهتمون بمثل هذه المواضيع من الأدب والفلسفة والدين، الخاصة بالمسيحية. بالنتيجة كنت أحاول قضاء ما استطعت من الوقت في الجامعة.

أصبحت حالة الفقر التي ضربت اليابان نتيجة للكساد الاقتصادي الذي عَمَّ العالم، في الجزء المبكر من عصر الشو والارتفاع المتزايد لروح العسكرة والروح القومية، جميعها، في رأس الأزمات مع الأفكار الاشتراكية التي أصبحت المدافع عنها من قبل هؤلاء اليابانيين المتأثرين بحرية الفكر والكتابة من الماركسيين. وهكذا، أخذت رياح الأزمات الإيديولوجية بالاحتدام بدون انقطاع في عام (١٩٣٣)، حتى في المناصب رفيعة الشأن في الدراسات في الجامعات. وشرع الأساتذة المتميزون الذين كانوا يتبعون الأفكار الشيوعية، وليس فقط المتعاطفين مع الشيوعيين، يطردون من مراكزهم في التعليم في الجامعات.

اصبح من الصعب في الحقيقة بالنسبة لي العمل في البحث في المسيحية، التي تؤمن بوجود الحقيقة الثانية في وسط هذه النزاعات والجدل.

أزمة وإيمان متجدد

أصبحت استاذاً متمتعاً بجميع الخصائص، بعد سنتين. وفي الأيام الأولى من العطلة الصيفية الجامعية، اندلعت النيران بتاريخ (٢٤) تموز في وسط الليل في بيتنا في منطقة شيموغامو من كيوتو، ولم يكن السبب الحقيقي للكارثة محدداً مطلقاً، ربما يكون نتيجة إهمال المطبخ من قبل خادمتنا أو عملية إزعاج من قبل جماعات موجهة ضدي. أو نوعاً ما من حركة إرتجاجية، ناتجة عن احتكاك ما بين سطحين. احترق البيت حتى الأرض، يا إلهي!أستطيع أن أصدق بصعوبة ما حدث. وماتت زوجتي وابنتي ماريكو، والمرأة الشابة التي كانت تعمل كخادمة لنا في المطبخ في الحريق.

كنت خارج البيت ليلة الحريق، فقد ذهبت لإعطاء محاضرة في المركز الذي كان يتخصص في علم الكيمياء في جامعة ساريتو، وكنت أنتظر في كنيسة شيما.

ذكرت في السابق أن علاقاتي الزوجية لم تكن كما يجب، أو كما يرجى منها. لكن لم تكن مشاكلنا ناتجة عن أي نوع من الاعتداء من أحد منا على الآخر. بل كنا نندفع كزوجين كل لوحده، عندما يميل أن تكون له حجة. ولم يكن الفشل والزواج ناتج عن عدم الإخلاص. مع ذلك، كنا منجذبين الواحد نحو الآخر في بيئة غريبة في نيويورك، وكنا عصفورين من ريش مختلف أساساً. لكن مع السنين أصبحنا غير مباليين الواحد بالآخر. فمنذ أصبحنا معاً مكرسين حياتنا لأعمالنا الخاصة، واصبح لدينا الوقت القليل لغير ذلك، لم يعد لدينا أية مشاكل جدية أو تضارب، وعشنا حياة مريحة، مملة، عادية.

لقد أسفت لأننا لم نبذل جهداً من أجل تكييف أنفسنا الواحد مع الآخر — لكشف وتطوير المصلحة التي نتقاسم، أو تنمية حاجتنا المشتركة الواحد مع الآخر مع عاطفة حقيقية. الآن فقد انتهت. وهذا للأسف يعذبني ويحز في قلبي بأكبر ما يمكن من القسوة، بسبب الحزن من هذه المأساة التي حلت بي وجعلت مني الأكثر فقداناً والأكثر إيلاماً وشدة.

وكان مصدر حزني الذي عانيت منه هو فقداني ماريكو التي أحببتها ـ ابنتي الحلوة الشابة، التي كانت لا تزال طالبة في مدرسة البنات الثانوية في دوشان. حسن... لا تستطيع الكلمات أن تفي وصف المحنة العضال التي غلفت قلبي.

مع ذلك، لم اشعر مباشرة باللوم نتيجة النار، لكني لم أستطيع تجاهل إمكانية أن السبب للنار ربما كان مترابطاً مع استيائي من ترفيعي أو حقداً موجهاً ضدي بسبب معتقداتي، والتفكير أن باستطاعتي أن أجلب مثل هذه المأساة لعائلتي الحبيبة، حتى بصورة غير مباشرة لم يتحمله عقلي وسببت لي كرباً لا يطاق.

كنت أريد أن أعتقد أن الإله كلي العلم، يرسل مطره فوق الجيدين والأشرار، على قدم المساواة، والحقيقة، إن الجيدين ليسوا بالضرورة مقدسين في هذا العالم، في حين يحقق الشر نجاحاً وينعم بالراحة والسلام. صرخ قلبي المرعوب إلى ربي، إذا كنت حقاً موجوداً، فلماذا عليك أن تفقدني من أحبهم وأعاني مثل ما أعانيه؟.

كانت زوجتي كوتو، تشارك في مجموعات متنوعة، وكانت تكافح كامرأة من أجل أن يصبح العالم المكان الأفضل للعيش فيه. وكانت تكرس نفسها للكفاح في سبيل الهدف الباهر بدون التفكير في الربح الشخصي. وكانت ابنتي ماريكو حقاً فتاة شابة، حلوة، جميلة، طاهرة. وكانت على الدوام تحصل على درجات جيدة في المدرسة. وتأخذ دروساً للعزف على البيانو، وقال السيد نيش، معلمها في دروس البيانو، إنها جيدة تماماً، وهي ذات موهبة، على نحو كافٍ للعزف لتحترفه في يوم ما. وكانت خادمتنا ماتسو، صادقة، وامرأة شابة مطيعة، وبدون مساعدتها فإننا لا نستطيع تدبير أعمال البيت بصورة حسنة. وكانت زوجتي عاجزة عن قيامها بالأعمال التطوعية من أجل الخدمات العامة، وربما لأنني لست قادراً على تكريس الوقت الكافي لأبحاثي الأكاديمية.

فلماذا عانت الثلاث من قسوة المصير، ليكن محترقات حتى الموت؟ ولماذا كانت الحياة الإنسانية مليئة بالتناقضات هكذا والانحرافات والمصير غير القابل للتفسير؟

شعرت أن الكبح الطويل نتيجة الإيمان كعالم للاهوت قد جرى اختباره. وإن كنت قضيت الكثير من حياتي مفكراً حول الدين والتحدث حول المسيحية لتثقيف الآخرين، فإن هذه المأساة الشخصية المرعبة قد وقعت عَلَيَّ وقربتني من جديد للإله. ولا يزال الأسوأ، أنني توصلت إلى الشك بوجود الله.

حقاً، كانت عقيدتي المسيحية تأمرني أن أضع ثقتي بالله في الأوقات العصيبة والحزن، وكان ذلك محل مجادلة، على نحو موجع. ورجعت إلى كتاب أيوب.

وتعلمت كيف أفسر معاناة الحياة، مثل الكثير من الآخرين مثلي.

قال الناس، إن أيوب كان رجلاً بريئاً ومستقيماً، وكان يخشى الرب وينأى بنفسه عن الشر. لكن حلت به محنة ومأساة، وقال الشيطان للرب: «هل يخشى جوب الرب من اجل لا شيء؟ لقد باركت عمل يديه، وهكذا، انتشرت قطعانه وجماعته في أنحاء الأرض.

«يعني الشيطان أن الناس يؤمنون بالدين ليس بسبب أنهم يلتمسون الله المجرد، بل بسبب أنهم يتوقعون بعضاً من نوع التأييد السماوي مقابل ذلك. فهو يطالب الرب بأن يدعه ليضع عقيدة جوب تحت الاختبار! « لكن أبسط يديك واضرب كل شيء عنده، فإنه سوف يلعنك بالتأكيد في وجهك».

من ثم اصبح أيوب مجرداً من جميع ممتلكاته الدنيوية ـ قطعانه، خدمه، وحتى من أطفاله، قتلوا جميعاً ـ هكذا، بقي هو وزوجته فقط. وقال أيوب، جئت من رحم أمي عارياً، وإنني أغادر كما جئت عارياً، فالرب أعطى والرب اخذ، يجب أن يكون اسم الرب ممجداً» على الرغم من خساراته الكبيرة، لم يأثم أيوب لأنه حمل الرب أخطاءه وشتمه».

وطالب الشيطان الرب مرة أخرى، قائلاً إن أيوب شتم الإله لأن الإله لم يرسل أي شرير ضد جوب شخصياً، قال للرب:«لكن لم تبسط يدك خارجاً وتضرب لحمه وعظامه، وأنه بالتأكيد سيلعنك في وجهك» والرب أعطى الشيطان إذناً لكي يختبر إيمان جوب من جديد.

هكذا، أحزن الشيطان أيوب مع ألم على نحو شديد، من أخمص قدميه إلى قمة رأسه، وأخذ أيوب قطعة فخار محطمة وكشط نفسه بها إلى أن تحول إلى رماد.

قالت له زوجته : «ألا تزال مستمراً في استقامتك؟ العن الرب، ومت!

أجاب«إنك تتكلمين كامرأة مجنونة، فهل نقبل الشيء الحسن من الرب وليس المشاكل؟.

مع ذلك، خسر أيوب جميع ممتلكاته الدنيوية، أطفاله، وحتى صحته، ولا يزال يؤمن ويثق بالرب على نحو مطلق، ومثاله عن الحقيقة، إيمان لا يتزعزع، وَعَمَّ روحي الواهنة، وحفظني من الغرق في جهنم السوداء من اليأس.

كنت تقويت اكثر بما كتبه مارتن لوثر الذي قال إن مجد الرب قد تكشف اكثر من المعاناة من أي شيء آخر.

ابعد من ذلك، قال الرسول بولس في رسالته الإنجيلية إلى الفليبيان «إنه مضمون لكن بالنيابة عن المسيح، ليس فقط أن تؤمن به، بل أيضاً أن تقاسي من أجله».

عندما فكرت ملياً بمعاني وتشعب هذه الكلمات، فإن إيماني قد تجدد.

فالرب أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ـ يسوع المسيح الذي كان بدون خطيئة ـ الذي وجب أن يصلب ويموت هكذا من اجل نقائنا. وعندما علق المسيح على الصليب ليموت، صرخ إلى الرب بصوت عال:

إلهي، إلهي، لماذا تخليت عني؟

إنني أعتقد مرة أخرى من جديد بالمعاناة اللامحدودة التي تحملها ابن الرب البريء، على الصليب من اجل أن يكفر عن خطاياي، وقلبي يتألم مع الحب وعرفاناً بالجميل وبالتواضع.

ورفع يسوع صوته من جديد قريباً من نهاية محنته: «أبي، سلمت روحي بين يديك».

مستتبعاً مثالي في المسيح، لم أَعُدْ أتساءل، لماذا ارتأى الرب اخذ زوجتي وابنتي مني. واخذ قلبي يضرب بإيقاع جديد من الإيمان المطلق في أحقية إرادة الله وَصَمَّمْتُ من تلك اللحظة أن ادع كل شيء بين يدي الله.

رئيساً لجامعة ايكو غاكوين

من الطبيعي أن تؤثر المأساة بفقدان زوجتي الحبيبة وابنتي بالنار على بحثي وحلقات الدراسة الأدبية في الجامعة، وشككت بالإله خلال فترة. وخبرت تجديداً في الإيمان من خلال امتحاني لضميري فيما يتعلق بالدوافع والقيم وقراءة الكتاب المقدس. مع ذلك، توصلت شيئاً فشيئاً إلى قبول موت زوجتي وابنتي كاختبار لإيماني. وما زلت إنساناً فقط، وأحياناً في الوقت الذي أعمل فيه على طاولة عملي وإعطاء دروس، فإنني امسك نفسي من التحديق في الفراغ الكوني.

جاءني في ذلك الزمن صديق باسم يونو، وهو زميل صف قديم لي من مدرستي

الإنجليزية في دوشان، واصبح رئيساً للكنيسة، كما كان رئيساً لجامعة دوشان في هذه الأثناء. وأخبرني أنه يرغب أن يُزَكّيَني لمنصب جامعة ايكو غاكوين في نيشينو ميينا. وقال، ستكون الجامعة الخاصة سعيدة بتعيين شخص بمميزاتي. مع ذلك،كنت أستاذاً كامل الأستذة في جامعة سايتو، جامعة وطنية ذات اعتبار. وإنني حاصل على درجة دكتور في الأدب. وأدرت أبحاث تخرج في الخارج، وكنت نشيطاً في المجتمعات الأكاديمية وأصبحت مؤلفاً ناشراً.

قررت قبول المنصب، آخذاً بالاعتبار كيف تسير الأمور في جامعة سايتو، معتبراً ذلك مهمة تكفل لي في الجامعة أن تمنحني بيئة ملائمة أكثر لمتابعة بحثي عن المسيحية.

كانت والدتي لا تزال على قيد الحياة عندئذ، وهتفت لي مع قليل من أصدقائي، وكتبت لي رسائل، تحذرني من إضاعة فرصة الأستذة الكاملة في سايتو، الجامعة الأكثر شهرة من بين جامعات البلاد، من اجل العمل في جامعة ايكو غاكوين. مع ذلك، كانت جامعة من الطراز الأول، خاصة بعبارات واضحة، وفكر الجميع، أن الانتقال قد يكون خطأ، وربما لأن معظم الناس الآخرون يرونه أيضاً.

وتلقيت أيضاً من بعض الماكرين، رسائل مجهولة، تتهمني بالتوق الشديد للقب الرفيع كرئيس للجامعة. وكانت بيئة جامعة سايتو غير مريحة، خاصة لي، وقد أعاق جوها القمعي بحثي عن المسيحية. علاوة على ذلك، كان حرم جامعة سايتو وشوارع كيوتو، يذكراني باستمرار بفقدان زوجتي وابنتي، على الرغم من استعادتي لإيماني. وكنت آمل أن ذلك سيبدل من المشهد ويلطف الحزن الذي لا يزال يكتسح قلبي بعنف. قررت لهذا السبب، قبول المنصب والانتقال إلى مكان الإقامة في نيشيتوميا، الذي أعدته لي جامعة ايكو غاكوين.

تصاعد تيار العسكرة في تلك الأوقات، واخذ يظهر بشكل كبير وشعر به في جامعة ايكو غاكوين. مع ذلك، حافظت الجامعة كما بدت على جوها من الانفتاح والحرية، كمميزة عن بقية الجامعات ذات الصلة بضمانة التبشير. وشعرت أن لديها وعي أعظمي عن العالمية تفوق المدارس الحكومية، بسبب أن لديها عديد من الأساتذة المبشرين من غير اليابانيين.

كان هدفي الرئيسي من انتقالي لجامعة سايتو إلى جامعة ايكو غاكوين لأكون حراً في

إدارة بحثي عن المسيحية كما أرغب بدون عقبة. وتحقق لي ذلك على الفور، لكوني رئيساً للجامعة، فلم يكن من الضروري أن يؤدي إلى ذلك الغرض.فلم أجد على الأغلب الوقت الكافي لمتابعة دراستي الخاصة وبحثي، مع ذلك، كنت مكلفاً بمحاضرات مماثلة لطلاب اللاهوت بالإضافة إلى واجباتي كرئيس، فلم يسمح برنامج مشاغلي أن اقضي حتى نصف الوقت عليها كما كنت أقضي في جامعة سايتو.

كان علي أن أهدر معظم طاقتي في إدارة الجامعة. وعلي الحصول على اعتمادات مالية من البعثة الخارجية من الولايات المتحدة والتماس التبرعات من الكنائس المحلية وكتابة التقارير واستقبال سلسلة طويلة من المراسلات الرسمية. وأصبح من الضروري أيضاً، بالنسبة لي، أن أوضح السياسة اليابانية فيما يتعلق بآسيا لبعثة البورد في أمريكا، وأبدد بأفضل ما يمكن سوء الفهم في سبيل تشجيع الشعور الودي بين بلدينا، نتيجة لسوء العلاقات السياسية في ذلك الحين بين الولايات المتحدة و اليابان. ولهذا السبب، عندما سألتني بعثة بورد إلقاء كلمة في اللقاء السنوي التالي في نيويورك، شعرت أنه لا يمكنني الرفض. وكان ذلك تحميلي عبئاً، بالإضافة إلى أن مهمة التعهد بقضاء وقت طويل أثناء الرحلة إلى الخارج.

فكانت الرحلة تحتاج إلى ستة أشهر على الأقل في تلك الأيام. بما في ذلك، الرحلة بالبحر والعودة. وكانت مهمتي شاقة في اقناع هيئة التدريس في الجامعة وأمناء البورد الموافقة على هذا الغياب الطويل من قبل رئيس الجامعة. مع ذلك وضحت لهم كثيراً أهمية وضرورة ذهابي بهذه الرحلة. وبدلاً من التفاهم، كان كل ما حصلت منهم عليه النقد واللوم، وقالوا ليس بي من عمل سوى الذهاب للخارج وترك الجامعة بدون قيادة في وقت كانت البلاد في حالة حرب مع الصين، وأصبحت الجامعات تعاني من مثل هذا الجيشان.

أخذت عسكرة اليابان تجري على قدم وساق، ودل حادث منشوريا عام (١٩٣١) على حقبة من الأزمات المتلاحقة بين اليابان والصين التي تطورت أخيراً إلى حرب على نطاق واسع في عام (١٩٣٧). بالنتيجة فكل ما كنت أعتبره نقاطاً جيدة بالنسبة لجامعة ايكو غاكوين من قبل قبولي لمنصب الرئيس أصبح الآن ينظر إليه كشائعة وخطيئة لا تحتمل من قبل المؤسسة العسكرية اليابانية. وبهذا المعنى أصبحت على النقيض، العقبة الجامعية.

تصاعد تيار الروح العسكرية

صار الإشراف العسكري والتدخل في المؤسسات الثقافية، ابتداء من المدارس المتوسطة حتى الجامعة مباشراً وبازدياد ثقيل الوطأة بمقدار ما كانت الحرب تزداد وطأة واشتعالاً. وأصبح يتمركز في كل مدرسة ضابط أو اثنين من العسكريين. ابعد من ذلك، أُعْطِي حق السلطة القضائية على المدرسة لفرد من فرق الجيش الإمبراطوري لإجراء (تفتيش) ومن اجل الاستعراض العسكري وتدريبات الطلاب تدريباً عسكرياً والتأكد أن هؤلاء الطلاب أصبحوا يدرسون قانون عقيدة الحكومة ويعرضون الموقف الخاص.

وصار بعض الأساتذة، خصوصاً أولئك الذين تأثروا بما يسمى بديمقراطية تيشو يمتعضون من هذا التطفل من قبل العسكر في قاعات التدريس المقدسة، وعبروا عن استيائهم صراحة، مع ذلك، فمنذ أن أعلن العسكريون أن تطور كل مدرسة سيؤثر على دخول الطلاب في المدارس الثانوية والجامعات ثم يصبحون مدعوين للتطوع في الجيش في آخر الأمر، وتخضع نوعية معاملتهم في الخدمة العسكرية والأساتذة للقوة العسكرية، بشكل لا يقبل الجدل. في النهاية أصبحت المدارس تسير كما لو كانت تدار من قبل الضباط العسكريين.

لقد أقيمت سياسة التدريس في جامعة ايكو غاكوين على أساس المسيحية وكرست لتزويد الطلاب بالتدريب الأخلاقي القائم على تعاليم المسيح، وأصبحت عملياً لا تطاق بسبب النظر إلى الأشياء من قبل الحكم في اليابان في تلك الحقبة من المتعصبين القوميين ومن قبل المتشربين بالروح العسكرية.

بدا موقف الجيش الإمبراطوري تجاه مدارس البعثات الضامنة وَكَأَنَّ المربين العاملين فيها خونة لليابان. فإذا كان ذلك ممكناً، فإن مثل هذه المدارس تكون ذات فائدة بالأعداد للتأثير المسيحي، بحيث يستطيع الطلاب الحصول على تربية خاصة من خلال ذلك. وإذا لم يتم الإصلاح ويحقق ذلك، تصبح المدارس مجبرة على الإغلاق.

مضت أربع سنوات قبل الشروع في حرب المحيط الهادي عندما كنت مدعواً لتسلم منصب رئيس جامعة ايكو غاكوين، في الوقت نفسه، كانت الحرب الصينية اليابانية لا تزال جارية في ذلك الوقت على اثر حادث منشوريا. وأصبحت معاداة الرأي العام الياباني لأمريكا وبريطانيا في ارتفاع. وبالنتيجة، صرت أعاني مشاكل لا تنتهي، مترافقة

مع المشاكل مع الشخصيات العسكرية التي سارعت إلى الاستخلاص أن ترابط الجامعة مع المسيحية ومع الولايات المتحدة وبريطانيا يشكل بعضاً من رابط الخيانة لليابان، وذلك منذ بداية مهمتي هناك.

إنني اذكر حادثاً جرى في يومي الأول كرئيس للجامعة. لقد كنت في مكتبي أتحادث مع رئيس مكتب الأعمال، عندما اقتحم غرفتنا ضابط عسكري، حتى دون أن يطرق الباب «إنني العقيد ايغاراشي، الضابط العسكري المعين لهذه الجامعة. إنني سعيد بلقائك! رحبت به، من ثم تابع في عجرفته وغطرسته، في لحن صوت متعجرف:«أنت ربما تنوي أن تستمر هذه الجامعة في متابعة الإرشادات المسيحية، كما في السابق، أهذا صحيح؟».

ولما كان ذلك هو الهدف الرئيس منذ إنشاء الجامعة وأصبحت موجودة فمن الطبيعي أن يكون ذلك هدفي. إن ذلك بالضبط هو عملي، عندئذ، فإنني انظر إليه كبعثة، جاوبت. من ثم أضفت بما أفكر به، هو واضح، وقلت:يجب أن تفهم أن ذلك القرار يعني أن تتابع جامعة ايكو غاكوين مهمتها طبقاً لتعاليم المسيحية ليست قائمة على رايي الشخصي كرئيس، بل على الرأي الجماعي، ورغبة أوصياء البورد».

«إنني افهم ذلك، لكنك تؤمن أن المسيح هو الكائن الأعلى، أليس كذلك؟ حسن، دعني أسألك هذا، برغم ذلك، إلا إنني أتردد أن اسأل سؤالاً هكذا، تجديفي لصاحب الجلالة الإمبراطور: هل تعتقد أن الإمبراطور هو الكائن الأعلى أم لا؟ لقد تحداني.

كنت مُتَلَعْثِماً ومرتبكاً لأجيب، وبرغم ذلك، اخترت كلماتي بعناية إلى أقصى حد، لأنني أعرف أنه من أجل الاستمرار لوجود المدرسة كانت هناك مخاطرة، إذا أجبت بطريقة غير متقنة.

«إنني أؤمن أن الإمبراطور هو الكائن الأعلى في اليابان»، جاوبت ومضيفاً، لقد قال المسيح «أعطوا لقيصر ما هو لقيصر»والإنجيل يعلمنا الاعتراف واحترام سلطة هذا العالم»

بدا أن العقيد كان راضياً عن جوابي.

شعرت إنني كنت إلى حد ما متذللاً خنوعاً ومتملقاً لهذا المتعجرف الممثل للسلطة العسكرية، وأصبت بالغثيان إلى حد ما لأتزلف إليه لكن على الأقل، فإنني تدبرت الأمر من أجل تلطيف الأمور في الوقت الحاضر.

دار العقيد ايغاراشي على عقبيه وغادر مكتبي، وكان يتمسك بيده بإحكام على مقبض سيفه من جانبه، وصلصلت المهاميز على حذائه من الجلد اللماع.

فوراً، وفي المكان نفسه قررت أن التدبير المناسب لهذا العقيد الغبي لحد ما، ليكون على نحو غير متوقع، المفتاح لحماية الجامعة.

بعد ذلك، إذا حدث أي شيء يغضب العقيد ايغاراشي، وجاء لمكتبي ليتذمر أو يتشكى والتدخل في أمور لا تعنيه نتيجة أمور علم بها من بعض الحلقات الدراسية، فسيكون تكتيكه نفسه على الدوام.

«فإذا لم تكن هذه المشكلة مناسبة لاقتناعي، فإنني سأغادر الجامعة وإنه قد يتوعد. وهذا التهديد يستخدم قوة رهيبة، في هذه الأيام. فلم يكن يسمح لأية مدرسة أن تبقى مفتوحة دون وجود ضابط عسكري، فإذا غادرت فإن ذلك نهاية جامعة ايكو غاكوين.

هنا مثال لنوع الأشياء التي كان علي أن أتحملها. فقد اتخذ قراراً بأن يشتمل ضريح القديس على صورة الإمبراطور، ويسمى اسمياً صورة الإمبراطور وقد يصبح مبنياً داخل الباب الرئيسي للجامعة، فإذا بني في الموقع المقترح فقد يغلق ضريح القديس الطريق إلى الكنيسة إلى حد ما، التي كانت تعتبر رمزاً للجامعة، وهكذا، أصريت على رأيي لأن ضريح القديس قد بُنِيَ بأكثر من جانب واحد بقليل، حسن، طار العقيد ايغاراشي من الغضب. وحسب العادة، أعلن قبل مغادرته الوشيكة من الحي الجامعي أنه لن يعود، ما لم يصبح ضريح القديس مبنياً كما اشترط بالضبط، وهكذا أجبرنا على الموافقة على بناء ضريح القديس حيث أراد أن يبنى.

وكانت الكنيسة تقع إلى اليمين تماماً من الباب الرئيس. وهو بناءٌ متميز على الطراز الغربي من الناحية الهندسية، وبناء فريد من نوع من الآجر الذي جلب خصيصاً من إنجلترا فيما مضى. وشعرت بالإحساس بالسلام كما لو أنه نصب كرمز لمثل المسيحية الجامعية. لكن ما أن أصبح ضريح القديس مع صورة الإمبراطور مبنية على شكل ساحة

مقابل الكنيسة، فكانت تعني بوضوح أن حرية الجامعة المسيحية أصبحت مستأصلة من قبل الحكم الإمبراطوري.

وأصبحت على الأغلب ساخطاً على مجلس هيئة التدريس بسبب ضعفهم كرئيس للجامعة. وصار بعض أعضاء مجلس التدريس موالين مخلصين لإيديولوجية الجناح اليميني في الحكم. على سبيل المثال، قام بعضهم بملاحظة معادية للروح العسكرية خلال اجتماع لمجلس هيئة التدريس، ثم نقلت على الفور للضابط العسكري في المدرسة. يضاف إلى ذلك كانت هناك دلالات تؤكد أن مثل تلك الملاحظات أصبحت تنقل من ضابط المدرسة العسكري إلى السلطات العسكرية العليا وإلى وزارة التربية.

فكرت أنه كان من بين جميع الأساتذة في هيئة التدريس في فرع اللاهوت ممن كانوا الأفضل في فهم المشاكل التي كانت تواجهني كرئيس للجامعة، وتعاطفوا معي وأعطوني دعمهم. مع ذلك توصلت في الوقت ذاته إلى الاعتقاد أن ذلك لم يكن بالضبط الوضع العام.

كان موقفهم بشأن إذعانهم من غير تردد. وتصفيقهم للقوة العسكرية وإلى رأس الإمَّعات الخائفين من قول ما يؤمنون به. في الحقيقة، بدا لي العديد منهم، أنه تنقصهم الشجاعة المعنوية التي كنت أعجب بها إذا لم يسيئوا تفسير او فهم الكتاب المقدس، «المقدس هو الحكيم» وقد حذفوها من سياق الكلام كتبرير لضعف شخصياتهم. والإنجيل يعلم أيضاً كيف أن يسوع المسيح رأى الناس وهم يبيعون أشياء، كما كان مبدلي النقود يقومون بأعمال في الكنائس. وهكذا، أغضبه ذلك، لأنهم حولوا بيت الله إلى سوق للبيع، فضربهم بالسياط وطردهم خارج الكنيسة، إنني أعجب كيف يمكن أن ترد كلية اللاهوت في ايكو غاكوين إذا ذكرتهم أن الكتاب المقدس نفسه، أظهر المسيح نفسه، بوضوح وبفعالية هكذا، أهمية الوقوف دفاعاً عن الحق والحقيقة.

وفي حالة المزار، الخاص بتمثال الإمبراطور، نشأت أزمة منذ بني من ثم كانت هناك مشكلة الاستيلاء على فرع الجامعة الخاص بالطلاب المخصص للعبادة بطريقة مناسبة. فإذا لم يتم الاعتناء بذلك وبشكل صحيح، يمكن أن تؤول إلى الجيش كعلامة على عدم التوقير والتسبب في المشاكل للجامعة. ودعونا نأخذ كمثال الحراسة الليلية. مهما تكن الظروف يجب أن لا نسمح لأي نوع من الحوادث غير المتوقعة أو بسبب الأذى الذي يحدث للمزار، وحتى في حادث شبوب الحريق أو هزة أرضية، فإن أول الأولويات هي

أن نرى ذلك التمثال الإمبراطوري قد نقل إلى مكان آمن، فهـذا يعني واجب الحراسة الليلية، إلا ويمكن أن لا تكون تأخذ ساعات قليلة من النوم، لكن الواجب، وكما كـان يجري في الماضي، يجب الحفاظ على الحراسة طوال الليـل جدياً. عندما ناشدت مجلس الجامعة «الآن علينا مسؤولية الاهتمام بالمزار وتمثال الإمبراطور، وهذا يعني لجميعنا مضاعفة العمل، وعلي ان أسألكم التحلي بالصبر وبالتعاون» ومن جديد، واحد من الجامعة، لم يضع وقتاً ليشي بي إلى العقيد إيغاراشي. فقد حرف المُبلغ المحترف المعاني الحقيقية لكلماتي، مع التغاضي الوقح عن سياق ملاحظاتي، نقل أن رئيس الجامعة قد قال: «إن نصب تمثال الإمبراطور هو إزعاج»وحدث حادث مشابه في جامعة دوشان في كيوتو. إذ أُنّبَ المبجل يينو، رئيس الجامعة، بشدة، من قبل السلطات العسكرية ووزارة التعليم لأنه لم يوفر إمكانية استخدام المـزار المشابه في الجامعة كقاعة للجيدو ويصبح حادثاً.

خلال إعادة بناء جزء من قاعة الجيدو، عمل أعضاء نادي الجيدو التابع للجامعة في مزار شنتو لطخة منافية للذوق السليم. وعندما رآها يينو المبجل، قال:«إن ما هو على الأرض هو هذا العمل في جامعة مسيحية» وأمرهم بترحيلها. ونقل الحادث إلى العسكري المسؤول وإلى وزارة التعليم، وسبب ذلك الأمر ليينو المبجل الكثير من المشاكل. وتصدر الحادث بصورة صارخة العناوين الرئيسة في الصحف المحلية. فلماذا تستمر جميع هذه الصيحات في جامعة دوشان التي كانت في خطر.

مع ذلك، فإن مشكلة ملاحظاتي حول المزار لم تصل إلى تلك الدرجة من الأهمية، لكنها استحوذت مني وقتاً عصيباً موضحاً المعنى الحقيقي لما قلته، وحل سوء الفهم الذي نشأ نتيجة لذلك.

أصبحت أيامي منهمكة بهذه الأمور وبالعديد من المواضيع التافهة كلياً، التي أنهكتني من الناحية العقلية والجسمية. وكانت خلف هذه الستارة الخلفية لما يشبه المسرح. وفي كل مرة تسوء العلاقات بين اليابان والولايات المتحدة وراء الستار، وأعلن آخر الأمر الموافقة على رحلتي للولايات المتحدة، التي كانت مؤجلة بعض الوقت. وبعثة بورد التي كانت تمد جامعتنا بالمال طلبت أن ترسل الجامعة ممثلاً للقاء سنوي عام حتماً.

بعد الوصول إلى الساحل الغربي، تنقلت من خلال عدة مدن من كاليفورنا من ثم إلى شيكاغو ومدينة نيويورك، وقدمت عدة محاضرات في الكنائس وفي لقاءات مع

جماعات الرهبان في الأديرة المحلية من جمعيات الصداقة اليابانية ، الأمريكية. أيضاً، كان لي حظ تجديد معرفتي الشخصية بأصدقاء قدامى، كنت أعرفهم خلال فترة دراستي في جامعة كولومبيا، ولم اعد أراهم منذ سنوات عديدة.

كنت أتعجب طوال الرحلة وبحزن، كيف توصلت اليابان إلى مثل هذا المأزق الذي قد يؤدي إلى الحرب مع الولايات المتحدة، وكيف يمكن أن يصبح هذا الأمر ممكناً. ولم أنبس بكلمة عن هذا الشيء الطبيعي، لكن شعرت أكثر فأكثر تأكيداً أنه، إذا استمرت اليابان بالحرب، ولو بالصدفة، بطريق المخاطرة، فبلادنا الفقيرة سوف لن يكون أمامها أي حظ لربح مثل تلك الحرب، على شعب ضخم كالولايات المتحدة.

في الواقع، كانت لدي فرصة للتحدث سراً مع أحدهم، الذي كان عضواً في جمعية الصداقة اليابانية ـ الأمريكية، وأعلمني أن الملحق العسكري التابع للسفارة اليابانية في الولايات المتحدة، وضباط عسكريين يابانيين ممن قاموا برحلات للولايات المتحدة، يقولون دائماً «إذا ذهبنا للحرب في أي وقت ضد بلد متقدم في القوى العسكرية، وله قوة اقتصاد عظيمة، كالولايات المتحدة، فإننا بالتأكيد سوف نهزم، بأنه قد سمع، أنهم كانوا يغنون بلحن مختلف ، وفي إحدى المرات عندما عادوا لليابان، ربما خوفاً من أن يصبحوا متهمين من قبل قيادتهم بأنهم لم يروا في الولايات المتحدة سوى نقاط القوة، ولو أنهم بطريقة أو بأخرى انهمكوا في مهمتهم الاستطلاعية، فإنهم سينقلون ثرثرتهم، أن ليس لليابان أي شيء يخشاه من الولايات المتحدة .

إنني أتذكر، بأنه بدا وكأنه قلق حقاً كما اسر لي. «إنني آمل أن هذه التقارير غير الصحيحة والمعلومات الخاطئة ألا تقود اليابان لترتكب خطأ باتخاذ قرار يؤدي للكارثة».

بعد حوالي عام تقريباً من عودتي من الولايات المتحدة، هاهي اليابان تهاجم بيرل هاربور، وهكذا بدأت الحرب في المحيط الهادي.

اليابان تندفع بتهور في حرب المحيط الهادي

فبعد أن تكلمت أرواح زملائي من قبل بتفصيل تام حول الحرب،فسوف أقتصر تعليقاتي على الأحداث التي أثرت في شخصياً. إذ تبدلت حالة الأمور في الجامعة، بكل ما في الكلمة من معنى مع دخول اليابان في حرب المحيط الهادي، وصارت أكثر فأكثر صرامة عما كانت عليه الحال عندما كانت اليابان تحارب

حرباً واحدة فقد ضد الصين. حقاً، ليس [illegible]، وأصبحت الأمور رهيبة تماماً.

وهكذا، تحولت جامعة ايكو غاكوين إلى مدرسة للفنون العقلية. وفروع الآداب والاقتصاد والقانون وعلم التجارة واللاهوت، لم يعد طلابنا يتمتعون بميزة التأجيل للمسيحي للخدمة العسكرية. وكان الأوائل الذين دعوا للخدمة العسكرية أولئك الطلاب الذين كانوا، لأسباب أو أخرى، أكبر سناً بسنة أو بسنتين من العمر العادي للطلاب الجامعيين. وأصبحنا، فرع الجامعة وأنا، حزينين أن نراهم يذهبون، وشعرت بالعجز لعدم قدرتي على منع مغادرتهم في غير أوانهم.

تصاعدت الحرب بسرعة، وكما روت أرواح زملائي، اصبح تخرج جميع طلاب جامعات الفنون العقلية قد تسارع منذ عام (١٩٤٣)، واصبحوا يساقون لخدمة العلم ويرسلون إلى جبهات القتال على شكل جماعات. وكان هؤلاء الشباب الطلاب يغادرون من أجل معركة قاتلة في القارة الآسيوية وفي المناطق النائية في جزر بحر الجنوب، يضحون بحياتهم الغالية على أرض غريبة وفي أجواء غريبة، وفي بحار غريبة، وبدون إنهاء تعلمهم على نحو ملائم كما ينبغي.

لقد كانت إحدى واجباتي كرئيس للجامعة، إرسال هؤلاء الطلاب بعيداً للحرب، مع كلمات مناسبة للوداع.

«أنتم حقاً أبناء اليابان ! ولكم بركاتنا، عندما تتوجهون للمعركة من أجل بلادنا الحبيبة» ذلك نوع من الأشياء التي كنت أقولها، لكن في أعماقي، فإن قلبي يبكي حين أراهم يذهبون إلى ذلك المصير.

وتجمع حوالي (٧٠٠٠٠) طالب من منطقة كانتو، من شرقي اليابان، في حديقة خارجية للقديس مايجي، في تشرين الأول من ذلك العام، في طوكيو، في سبيل الاحتفال بوداع مثير. ونقلت الأخبار أنه عندما توجه السيد أوكادا وزير التعليم إلى الطلاب، ودعاهم لبذل كل ما يملكون للأمة، وجعل مدارسهم وآبائهم فخورين بهم، رد طالب يُمَثّلهُم ببسالة متواضعة: «إننا، لا نتوقع أن نعود أحياء». ثم أنشد الطلاب مجتمعين نشيداً عسكرياً حول إرادتهم أن يدفعوا حياتهم للإمبراطور، وساروا بعرض تحت المطر بروح عالية.

دعوت من أجل لقاء خاص لمجلس الجامعة في سبيل البحث عن إجراءات للتغلب على المشكلات في حرمنا الجامعي المتوترة. وحدث شيء مريع، في طريقي من مكتبي في البناء الإداري لقاعة المؤتمر في بناء آخر من الحرم الجامعي، حيث كان من المفروض أن يعقد الاجتماع. استخدم كلمة «مريع» لكن حقاً لم يكن أمراً هاماً، بل موضوعاً تافهاً، بكل ما في الكلمة من معنى، الذي برغم ذلك، أُحْضِرْتُ مرغماً بانسجام أمام الضابط العسكري في الجامعة. وكما كان يعمل في العادة. أصبح العقيد ايغاراشي يزورني في المكتب ـ ولو حتى لمحادثة بسيطة أو الحفاظ عينه علي. حقاً لم أستطع قول ذلك ـ عندما حان الوقت من أجل الذهاب للاجتماع، هكذا، تركنا مكتبي معاً، وتوجهت إلى قاعة المؤتمر.

في الواقع، ما أن وصلت إلى سن الخمسين، فإنني طورت عادة مميزة بغير إتقان بنزع حذائي، وبدلاً من ذلك لبس خف خلال الجلسات الطويلة، على الرغم من عيشي زمناً طويلاً نسبياً في بلاد أجنبية، حيث تلبس الأحذية طيلة اليوم، والسبب وراء هذه العادة، كان دنيوياً تماماً: تتنفخ قدمايَ وتضرر كلما جلست في الوضعية نفسها لمدة طويلة، خصوصاً بسبب ظروف زمن الحرب، فازدادت سوءاً، وأصبحت أتناول طعاماً خاصاً منذ زمن بعيد. فإنني لم أعد أستطيع الوقوف حقاً وأن أترك حذائي خلال مدة طويلة في الاجتماع. لهذا، كنت أحمل زوجاً من الخف في يدي، عندما كنا نمشي العقيد ايغاراشي وأنا إلى قاعة المؤتمر.

عندما سرنا إلى خارج بناء الإدارة، العقيد ايغاراشي وأنا، انضم إلينا خمسة أو ستة أساتذة ممن كانوا في طريقهم للاجتماع، لم أكن أعرف، ما إذا كان يريد أن يتباهى بسلطته تماماً، أو فيما إذا قد خصته غريزته في مرتبته العالية لمهنته كضابط على مراقبة باقي مجموعتنا تمشي بطريقة غير منتظمة، حيث اعتبرها أنها قليلة الاحترام للإمبراطور. لكن عندما مررنا مقابل المزار والتمثال الملكي، نبح العقيد إيغاراشي فجأة يأمرنا بها:

«توقفوا! عشرة خطوات! وجه يمين، استدر! تراجعوا!

قمت بانحناءة عميقة مبالغ بها باتجاه المزار بدون حرج، معتقداً بيأس عن نفسي «أوه، كلا! هانحن ذاهبون من جديد!» معتبراً نتائجها الممكنة للعمل.

بقيامي بذلك، دعوت نفسي لاتخاذ الحيطة والحذر برغم ذلك، بإهمال للجلد

بالسياط بشدة من قبل العقيد ايغاراشي لتوي، هكذا، بشكل منافٍ للعقل، ولم استطع القيام به. لكن فكرت به كذريعة لإحداث بلبلة لي.

قال ذلك، وهو ينحني أمام المزار، في حين كنت أمسك بزوج الخف بيدي، وأظهرت موقفاً بعدم توقير كبير تجاه صاحب الجلالة الإمبراطور، بوضوح.

في الواقع، كنت أقوم بحديث صغير مع أساتذة آخرين عندما كنا نمشي، عندما أمرت بالانتباه العسكري فجأة، حينما كنت أمر أمام المزار، وفكرت أنه قد يكون من الطبيعي، أن يعتبر مني قلة احترام أن أضع خفي على الأرض، وهكذا، احتفظت بها بيدي عندما كنت أنحني. لكن العقيد حاد البصر، القريب مني، لاحظ بسرعة هذا التصرف وانقض علي بما أعتقده كونه خرقاً للقانون بصورة حادة.

لقد كان ينتظر مثل تلك الفرصة ليسبب لي الانزلاق واتهامي بـ «الخيانة» ـ كما كان يعتبرني ـ لإبعادي عن منصب الرئيس، ويمكنكم أن تتصوروا الضرر لهذا الهجوم الكلامي.

بعد ذلك، هذا هو موقف الرئيس، أليس فيه ما يدهش الطلاب هنا أن يرى وينظر إليه في وظيفة متدنية. وكذلك في مجال احترام الإمبراطور! لقد صرخ في وجهي بطريقة المنتصر، وامتلأ ابتهاجاً لانتصاره التافه.

قلت له: «من فضلك، اغفر لارتباكي وعدم تفكيري. لقد كان خطأي، لكن بالتأكيد لا أعني الازدراء وعدم الاحترام» إنني أعتذر وافر الاعتذار. محاولاً عمل أفضل ما يمكن من اجل تلطيف الأمور برمتها. وكما قلت من قبل. منذ البداية في علاقتنا. أعطاني العقيد فرصة للتخلص ولم أكن أتوقعها، وأن ينظر للموضوع، إنني أعرف أن ذلك يسير باتجاه الاقتراح نحو الاعتذار ـ إنها نهاية سخيفة، وهكذا، أصريت على احتقار نفسي. علاوة على ذلك حان موعد اجتماع مجلس الجامعة. وكل ما كان يمكنني التفكير به هو توطيد الأمور بسرعة، بطريقة أو بأخرى. فالاعتذارات جعلتني أسارع إلى الاجتماع.

في اليوم التالي، مع ذلك، وكما توقعت أُمِرْتُ أن اقدم تقريراً شخصياً إلى قيادة الشرطة العسكرية في المنطقة، وتركت مكتبي فزعاً، وقد أعددت نفسي ذهنياً لأُدَبِّجَ من جديد الأمر، بقسوة مع ذلك.

عندما وصلت إلى قيادة الشرطة العسكرية، وعرضت نفسي لمكتب ضابط القيادة، كانت مفاجأة لي، أن أنتصب واقفاً عندما دخلت وقدم لي كرسياً. كان المقدم يتصرف بأدب جم هكذا، ولم يكن يشبه مطلقاً العسكريين الذين كنت على اتصال معهم من قبل.

فكرت لزمن طويل، أن رجال الشرطة العسكرية ــ شريرون، مروعون، غادرون. هكذا. فوجئت حقاً أن يكون مثل هذه الشخصية المؤدبة كالمقدم الذي كان يجلس والي ضابط في الشرطة العسكرية.

مع ذلك، فكرت في البداية، أنه قد يكون ببساطة، أكثر براعة مما كنت أفكر، أن ما يقوم به كلعبة القط والفأر، استراتيجية تعتمد على أنه يظهر كونه شخصية متفهمة، ويخدعني في سبيل فضح ضعفي من ثم مهاجمتي. لكن عندما تحدثت توصلت بالتدريج وتحقق لي أن ذلك اللطف غير متكلف، ولم يكن حيلة أو ذريعة. لكنها طباعه الحقيقية.

لكن، كانت صدمة لي أن أرى إضبارة سميكة من التقارير كان يتصفحها، تقارير عن جامعة ايكو غاكوين مكتوبة من قبل العقيد ايغاراشي، كما احتوت الإضبارة كمية من الرسائل لتشويه السمعة من قبل بعض الأساتذة في الجامعة، ممن كنت أنظر إليهم كأصدقاء، لكنهم كانوا مخبرين خبيثين وماكرين بكل وضوح. وكان يوجد تقرير حتى حول ملاحظة مبتذلة قمت بها بلا مبالاة أثناء فترة تقييم قريبة العهد في تلك الأيام. وكان الطلاب وعمال الجامعة يقومون بدور واجب الحراسة الليلية في الحرم الجامعي، ومع ذلك، تجمع هؤلاء من هم في الخدمة في قاعة الدرس المخصصة عند الإعلان عن إشارة زوال الخطر، وليس عند صوت الإنذار التمهيدي بالغارة الجوية. وفي ليلة، مثل ذلك، وكما كنا جميعاً، الطلاب وأنا وعمال آخرون في الخدمة، نجلس في غرفة التعتيم، قضينا الوقت نتحدث عن هذا وذاك، والستارات السوداء تغطي النوافذ، وكانت أحد أضوية السقف مكسوراً وملفوفاً بقماش أسود، بحيث كان يسقط قسم صغير من مخروط الضوء مباشرة نحو الأسفل على أرض الغرفة.

قلت دون تفكير: «هل تعلمون أننا في حرب مع البلاد التي أنتجت ايديسون مخترع هذا المصباح الضوئي...» وكنت نصف مستغرق، وأحدق في النور، في تلك الأيام حتى الملاحظة مهما كانت بريئة تعتبر معادية للوطن.

بعد أن ظهر لي المقدم كومة من التقارير المقدمة من فروع المخابرات والشكوك حول سلوكي الشخصي، قال بسخرية، وغالباً مع بسمة عاطفية على شفتيه: كونك الرئيس للجامعة، يجب أن يكون عملك شاقاً جداً هذه الأيام».

وضعتني طريقته اللطيفة في طمأنينة، وهدأت بسمته من روعي وقادتني لأن أربط بين حادث اليوم السابق مع الصراحة التي لم أنتظرها في أول مقابلة لنا.

كلا، كلا، ما حدث البارحة، كان سوء فهم مشؤوم، لقد أصبحت هكذا. أتهيب بسرعة من أوامر العقيد إيغاراشي واتخاذ الحذر، وأذعن وأقوم بذلك على الفور بدون تفكير. لم يكن لدي تدريب عسكري مطلقاً عندما كنت شاباً، هكذا، ربما كنت مخطئاً لكني سريع الخاطر، على نحو كافٍ من أجل أن أخضع واضع خفي على الأرض. وفكرت قد يكون من الخطأ القيام بذلك، على أي حال فكرت أن ارفع خفي إلى جانبي عندما انحنيت، ولكان الأمر على ما يرام. أترى، فمنذ أن يسمح للطلاب بحمل كتبهم بذراع واحدة أو حمل كتبهم بحقيبة الكتب المعلقة بجانبهم عندما يقفون موقف الاستعداد والانحناء أمام القصر الإمبراطوري أو في الصلاة في مواجهة مزار التمثال الإمبراطوري في الحرم الجامعي. والفرق الوحيد بينهما، أي ما كان معي أن حدث أن أكون حاملاً زوجاً من الخف بدلاً من الشباشب، أو أي شيء بال على الأقدام كشيء غير نظيف، إنني كنت خائفاً من العقيد إيغاراشي بأن يسيء فهم أعمالي وكعلامة على عدم التوقير، بالتالي أن أثير غضبه. حتى الآن، لم أكن واثقاً أنني أقوم بالعمل الصحيح ـ فهل حقاً، أنني على خطأ؟.» إنني أسف جداً لكوني استدعيتك إلى هنا بهذه الطريقة العابثة.

قال المقدم بمودة، ثم وقف ورافقني حتى الباب: «إنني لا أعتقد إنها حقاً ليس أكثر من طريقة التي تحمل بها خفيك على أية حال، على جانبك عندما انحنيت باتجاه القصر الإمبراطوري أو في مواجهة مزار الحرم الجامعي، على أية حال، إنه من الأكيد، ليس هنالك من سبب للانتقاد. فمنذ أن رفع الضابط العسكري في الجامعة التابعة لك تقريراً معتبراً أن هناك عدم توقير شديد لصاحب الجلالة الإمبراطور وفي سبل الإجراءات الشكلية، حضورك هنا اليوم كان لا مفر منه، وإنني خائف، لكن ليس جميعاً من هم في الخدمة العسكرية يكونون عنيدين مثل العقيد ايغاراشي»، من ثم فتح الباب لي بنفسه وودعني في الخارج بكل تهذيب.

نعم، كانت في الحقيقة أوقاتاً قاسية، عندما تصير مثل هذه المواضع الشخصية المبتذلة بلا آثار، وعولجت كأمور خطيرة مع الدعوة إلى تعنيف رسمي أو عقوبة.

تتابعت الحرب، وبدأ الوضع يسوء يومياً في اليابان، وكانت الغارات الجوية المعادية المتكررة، تحول سماء أوساكاوكوب، إلى ظلام، عندما تتساقط القنابل الحارقة مثل المطر على نشينوميا. وكان يعبر عن الحرب إلى درجة أنها على الأبواب. ولم يكن لدي الوقت لإرباك مزار تمثال الإمبراطور.

يمكن أن تكون هناك حالات في المدارس وفي الجامعات في أوساكاوكوب، عندما يكون لأحد ما حضور عقلي خلال غارة جوية ويسرع من أجل حمل التمثال الامبراطوري المدرسي بأمان، لكن معظم المدارس لم تقم بتدبير مسبق ليكون لها بؤرة ضوئية لتنقل التمثال إلى مكان آمن. وكان الأمر مستحيلاً تقريباً حمله إلى خارج مزاره وسط غارة جوية. وهذه المرة كان القصف يصل إلى وسط المدرسة في أغلب الحالات وأصبح المزار نفسه يحاط باللهب، أو أن تصل ألسنته خلال طرفة عين إلى جميع الأبنية الأخرى.

وكما نقلت أرواح زملائي من قبل، إذ سحب الذكور في الجامعة من طلاب الصفوف العالية للخدمة في القوات المسلحة، وأرسلوا إلى ساحة القتال. وأصبح الطلاب المبتدئون وطلاب السنة الثانية لا يعلمون على نحو كافٍ متى سيسحبون أيضاً. وكانوا بصعوبة أحراراً للاستمرار في دراستهم،.وصاروا مشغولين ليلاً نهاراً في الجبهة الوطنية للوطن مثل العمل في مصانع الأسلحة والذخائر. وكذلك القيام بأعمال حفر الملاجئ ضد الغارات الجوية وهدم البيوت من أجل الإجلاء عند نشوب الحرائق.

وجرى تعبئة الطالبات الإناث في الخدمة العملية وأرسلن للعمل في المصانع والمزارع. ولم يسمح للنساء الشابات حتى بعد التخرج تقديم العون خارج أعمال المنزل أو أخذ دروس منزلية استعداداً لزواجهن. وما عدا ذلك لن يستخدمن في مكان آخر، إذ يدعين للعمل في الخدمة العامة.

أدى هذا الوضع بالأساتذة في إدارة القانون للتحدث معي لمصلحة ابنة رئيس شركة روكوا الصيدلانية. كانت فاقدة الأمل من أجل التملص من استدعائها للخدمة العامة والقيام بعمل يدوي، هكذا وظفتها كأمينة سر لي، وقال والدها الذي أصبح مسروراً

كونها مستخدمة، اسمياً فقط، أنني غير قلق على دفع أجور لها، ولكني أدعها تعمل من أجل لا شيء. لكن أعطيتها علاوة قليلة فقط كمصروف جيب ـ وذلك تقديراً مني لعملها.

كان اسمها ناكاجيما أيكو. تخرجت من كلية أوكا للنساء في كوب ذلك الربيع. كان لها وجه جميل، حلوة بريئة، وتشبه الدمية غالباً. وكانت كل النساء في تلك الأيام يلبسن سراويل عمل فضفاضة وقمصان خارجية فضفاضة أيضاً، ويغطين رؤوسهن بقلنسوات ثقيلة كدثار كلما خرجن إلى الهواء الطلق، ولا أحد منهن يتهرب من العمل كمجندات دائمات.أما النساء فكن يرفعن شعورهن مربوطاً إلى الوراء على مؤخرة العنق وليس من أحد منهن ـ المحترمات على الأقل ـ يقمن باستعمال مساحيق التجميل. على الرغم من كل ذلك، فإن الآنسة ناكاجيما كانت تبدو على أنها جذابة تماماً في سروالها الفضفاض وقميصها العريض، والتي خاطتها عَلَى بعضهن كما أتخيل، من قماش كيمونو قديم لأبيها أو جدتها. فشكلهما غير منتظم على نحو ظاهر، وخفت الألوان، وتبدو النماذج المُبَقّعَة الرزينة من الثياب المستعملة، وتعطي جمالها نظارة، كوجه شابة بطريقة ما تظهر مزاياها.

مع ذلك، شاهدت وجوه نساء عديدات خلال سنوات طويلة ولكنها صعقتني ، كانت فاتنة مع عيون بلون أسود فاحم، وأنفها المقولب على نحو ناعم، ولها حاجبان يدلان على الذكاء، وشفتيها الفاتنتين، شعرت أنه لم تقع عيناي مطلقاً على جمال كهذا.

إنني أتخيل أنكم تعتقدون جميعاً أنني رجل صاحب اخلاق مستقيمة، ومتزناً، أو شديد الاحتشام، كما لو أنني غير حساس أمام مفاتن جمال امرأة شابة جذابة، لكنني أعترف بذلك، أحياناً، أجد نفسي فجأة أحدق بنشوة على جمالها وعلى نحو مثير، وعلى صورتها الجانبية، عندما تجلس على طاولتها على بعد خطورات قليلة مني، وتقوم بتدوين الدخول اليومي للكلية في السجل، يتوهج وجهي فجأة بحمرة عميقة. كانت الأنسة ناكاجيما، في حوالي عمر ابنتي ماريكو تماماً، لو لم تمت بالنار. وهكذا ربما كنت أرى في وجهها صورة ابنتي عندما أحدق فيها، كان من الممكن أن يكون ذلك.

على أية حال، جعل وجودها مكتبي كواحة وسط صحراء جرداء، متوحداً مطوقاً بحياة بائساً زمن الحرب. فكانت تجلس مقابل هذه الجدران الأربعة قاتمة اللون، وأصبحت بالنسبة لي كزنبقة بيضاء وحيدة ناعمة، تعكس النور الخافت للشمس

الغاربة، مع ذلك كانت الحقائق المشوشة عن الحرب تحوم حولنا. وكان مشهد جمالها اللطيف يذكرني فجأة بصورة السلام والحرية، ربما كان لهذه الاحساسات شيء ما مشترك مع نوع من الاعجاب غير الملائم من الضباب المنتشر الباقي في السماء بسبب قصف القاذفات العدوة، على الرغم من عويل أجهزة الإنذار بالغارات الجوية المتكررة، عندما كنت أرفع بصري نحو القاذفات الامريكية من طراز (ب ـ ٢٩س) وهي تحوم مخلفة وراءها بخاراً أبيض منتشراً في السماء يتلاطم كالأمواج ودماراً على الأرض، وكنت أعجب بالمدينة التي ستذهب إليها هذه الطائرات تقصفها ذلك اليوم، كما كنت أعجب لماذا كنت أفكر فجأة مع نفسي كم هي جميلة أيضاً!

في هذه الأثناء، أصبحت الحالة في اليابان في وضع خطر، حيث صارت جرايات الطعام هزيلة جداً ـ وكنت أذهب إلى العمل بدون غذاء، منذ أن أصبحت وحيداً، لعدم وجود أحد يطبخ لي ويعد لي وعاء يوضع فيه الطعام لأخذه معي للعمل.مع ذلك كانت الآنسة ناكاجيما تحضر على الدوام مثل ذلك الوعاء من المنزل مملوءاً بالبطاطا الحلوة والبيض المقلي، وبعض الأشياء كان من الصعب الحصول عليها من الأطعمة المغذية. لم يكن لدى أية فكرة من أين لعائلتها الإمكانية للحصول على مثل تلك الأطعمة. غالباً ما كانت تقاسمني نصف غذاءها، مسكينة هذه الفتاة، أرى أنه لم يكن باستطاعتها أن تقف وتراني محروماً من طعام الغذاء، أو أنها كانت تشعر بأنها لم تستطع أن تتناول طعام غذاءها بشكل جيد وحيدة في مواجهتي دون مشاركتي.

مع ذلك، لقد كانت تشعرني بالخجل لأنها كانت تقوم بذلك، لأنني في الحقيقة من المفيد الإشارة إلى لطفها وأخذ ما تعطيه بسرور جزءاً من غذائها الذي كانت تقدمه لي. وكان ذلك أمراً مخزياً قبل زمن وكان تخيل أي نوع من الشيء اللذيذ المذاق الذي كانت تحضره في وعائها الخاص بالغذاء ذلك اليوم كافياً ليجعل معدني تهدر بالجوع مع الشكر سلفاً.

كانت حالة الحرب تزداد من سيئ إلى أسوأ واستسلمت ألمانيا، وسقطت أوكيناوا بأيدي الأمريكيين، مع ذلك، ما من أحد يتحدث عن هذا الأمر.

فكل واحد كان يعرف أن الحرب أصبحت قضية خاسرة ولا جدوى منها.

قالت الانسة ناكاجيما بعد حوالي شهرين من شروعها العمل في مكتبي عندما كانت

تغادر في الساعة الخامسة مساءً، وداعاً أستاذ يوهارا، من فضلك أن تعتني بنفسك، إنـي ذاهبة إلى البيت، سأراك غداً!.

أخذت يدي بيديها وضغطت عليها بحرارة، عندمـا كـانت تتكلـم، مـن ثـم غـادرت المكتب. كانت تلك الأيام محفوفة بالخاطر. ويمكن لأحد مـا أن يصـادف غـارة جويـة في أي وقت، ومن المكن أن يسقط قتيلاً على أحد الطرقات وسط الليل البهيـم. باختصـار إمكانية الموت في أية لحظة. فكان وداعها الحار ليس غير عـادي. إننـا نعيـش مـع معرفـة واقعية بأنه يمكن أن يكون كل واحـد «سـابونارا!» الأخـير، وبكـل يـوم يتذكـر النـاس الحقيقية المثيرة للمشاعر أثناء احتفالات الشاي في الماضي: «كل لحظة تأتي مـرة واحـدة فقط في الحياة. فعلى الواحد منا أن يشغلها» أنني على يقين أن قبضها على يـدي عندمـا قالت وداعاً لا تحمل علامات خاصة بمقدار ما كانت مهتمـه بـي كرجـل عجـوز مثلـي، الذي أخفى عاطفة كافية لها، وكانت لهذه الإيمـاءة البريئـة مـن الحـرارة الإنسـانية مثيرة للعواطف وتركت أثراً حلواً في قلبي.

نعم توجد لحظات، عندما يثب في قلبي الأمل بأنها قد تعيد عاطفتي نحوهـا، لكـن مـا شعرت به، ربما كان بالضبط، حب من جانب واحد من قبل رجل عجـوز لامـرأة شـابة جميلة.

لم يمض وقت طويل قبل أن تصل الحرب إلى نقطة اللاعودة من السوء. فقـد عرفـت أننا قد نصـل إلى هـذا المـأزق وهكـذا، فلـم يعـد يوجـد طـلاب بـاقين في الجامعـات إلا بصعوبة، لم يعد هناك صفوف تحضيرية. وقد أمدت الحكومة الجيـوش ببنـادق مـن طـراز عتيق نموذج أريساكا (١٩٠٥)، من تلك التي استخدمت في الحرب الروسية ـ اليابانيـة ـ وكانت زهرة الأقحوان الإمبراطورية قد محيت منها ـ وصارت هذه البنادق غير صالحة للاستعمال منذ زمن بعيد في القتال الحالي. أمـا البندقيـة طـراز (٣٨) للمشـاة أصبحـوا أيضاً يزودون بها ـ وأصبح الطرازان من البواريد يستخدمان من قبل الطلاب لتدريبهـم في المدارس. وثم مرة أخرى أعيد استخدامها في القتال من جديد ـ بعد أن أعيد تجميعها من قبل الجيش. وإنني أعرف أن يعلن بارسال العسكريين إلى سـاحات القتـال مسـلحين ببنادق تدريب عتيقة شكل مضحك. حتى أصبحت هذه البنادق عتيقة الطراز والمهملة، أفضـل مـن التسـلح برمـاح الخيزران حيـث كـانت النسـاء اليابانيـات يتدربـن عليهـا لاستخدامها من أجل القتال في جبهة الوطن.

بقيت أبنية الجامعة، بفضل رحابة حرمنا الجامعي النسبية سليمة من الغارات الجوية، باستثناء مبنى الألعاب الرياضية الذي تعرض لضربة مباشرة، وصار مدمراً بالكامل. وتصبح ألوان الأبنية البيضاء أو المنارة، أهدافاً سهلة للقصف الجوي المعادي، فأعطي الجيش الإمبراطوري الأوامر أن تصبغ مثل تلك الأبنية بألوان تمويهية، وطبع بعضها بلون أسود. وحرقت مروجها الخضراء وتحولت إلى حقول للبطاطا، وشوهت بعض الأبنية بعد أن طبعت بلون أسود وزُخْرِفَتْ على نحو شنيع ـ وأصبح الحرم الجامعي مبدلاً ـ وكان يسبب لي الألم كلما نظرت إليه.

في النهاية، جرى الإعلان عند الظهر من يوم الخامس عشر من آب من إذاعة خاصة تكلم فيها الإمبراطور مباشرة إلى الشعب الياباني. كان ذلك للمرة الأولى في تاريخ اليابان بأن يسمع الشعب الياباني صوت إمبراطوره، وكان معظم الشعب الياباني في تلك المرحلة من الحرب لا يزال يتوقع أن يكون بيان الإمبراطور واحداً للتشجيع. داعياً إياهم مواصلة القتال ومحاربة العدو بكل شدة، بسبب التطورات الجديدة ــ أعني تدمير هيروشيما وناغازاكي بواسطة نموذج جديد من القنابل ودخول روسيا الحرب ضد اليابان.

في الحقيقة، قبل أيام قليلة من ذلك الإعلان، وإلى حد ما في سبيل تحضير الشعب للخبر المروِّع بقبول الإمبراطور تصريح بوتسدام واستسلام اليابان، فقد أذاع مدير مكتب الأخبار بلاغاً عاماً من قبل شبكة محطات الإذاعة، وكان ذلك البلاغ غامضاً بحيث أن معظم الناس اعتبره بأنه يعني العكس تماماً، وبأنه يقصد منه: «وصلت الأمور الآن إلى أسوأ مرحلة ممكنة، وعلينا الآن جميعاً، أن نتحمل حتى أقسى درجات الشدة والتضحيات في سبيل الحفاظ على سلامة الوطن والاستمرار في حياة بلادنا وكرامتها» لقد استند سوء الفهم هذا، على تصريح من قبل وزير الحرب بأن طلبت الإذاعة من اليابانيين أن يهبوا على الفور مع هذه الحالة هبة واحدة ويقاوموا العدو حتى الموت، كهية اللحن العسكري: «السيوف المشرعة» التي كان يجري عرضها، بعيداً عن الأنظار.

وقفنا في يوم حديث الإمبراطور، العاملون في الجامعة والطلاب وأنا، في صفوف في الخارج لسماع صوت الإمبراطور للمرة الأولى في حياتنا. وكان من الصعب جداً فهم ما كان يقوله حيال طريقته الخاصة في الحديث الفريدة، إلى حد ما وبسبب التشوش في

الإذاعة. وكنتيجة أن بعض الناس فكروا بصورة خاطئة ـ على أساس اللحن الخفيض لصوته والشيء الصغير جداً والمقاطع في عرضه ـ في جعلهم عاجزين عن التقاطه بشكل صحيح ـ إن جوهر بلاغة، كان على الشعب الياباني أن يتحمل ما لا يتحمل ويستمر في القتال.

كان بعض الناس من حولي قد رُوِّعوا بوضوح لأن جلالة الإمبراطور نفسه تفضل وقام بنداء مباشر لشعبه للاستمرار في القتال والثبات. لكن ما أمكنني أن اكتشفه بواسطته، فإن لهجته، كما لو أن الإمبراطور قد قال إن على بلاد وشعب اليابان أن يتحمل مالا يحتمل ـ أي يقبل الاستسلام،

«اليابان خسرت الحرب..» ودمدمت لنفسي دون تفكير.

«ماذا تقول» صرخ العقيد ايغاراشي الذي كان يقف إلى جانبي ورأسه ينحني كالباقين منا، يستمع بوقار إلى صوت الإمبراطور «جلالة الإمبراطور أعلمنا تماماً أن رغبته هي أن نستمر في القتال وأنه يناشدنا أن ندعم ونؤيد السياسة الوطنية ويشجعنا على تحمل كل ذلك، ودفعني دفعة أوقعتني على الأرض.

وفي حين كنا نستمع إلى الإذاعة، سقط قلبي نتيجة عواطف مختلطة ـــ فرح لأن المحنة الطويلة قد انتهت في أخر الأمر، والحزن بسبب هزيمة اليابان بلادي ـــ لكنها كونها ضربة قوية أوقعتني على الأرض، فقد حررتني من تلك الأزمة الداخلية وشعرت بنفسي بإشراقة مع مرح بسبب السلام.

أصبح واضحاً للجميع، بعد حوالي الساعة، أن اليابان قبلت إعلان بوتسدام، ووافقت على صيغ الاستسلام دون شروط.

ذلك المساء، جاءت بعض الطائرات المقاتلة من الجيش الإمبراطوري بعد عدة شهور لم تظهر في السماء خلال الغارات الجوية لاعتراض طائرات العدو، تطير فوق المدن على ارتفاع منخفض وألقت وريقات صغيرة دافعت بها عن الاستمرار في المقاومة مهما كلف الأمر، بدلاً من الاستسلام. ودعت الشعب الياباني إلى الاستمرار في القتال حتى أخر رجل وامرأة وطفل. لكن، بالطبع كان هذا الجهد وجهود أخرى من قبل العسكريين المتطرفين للاستمرار في الحرب، دون جدوى.

هكذا أسدلت الستارة الأخيرة على حرب بحر المحيط الهادي، وأصبح على الشعب الياباني أن يواجه حقيقة الهزيمة المرة.

اليابان بعد الحرب:

لم تتوقف واجباتي كرئيس لجامعة ايكوغاكوين، حتى بعد انتهاء الحرب، بعيداً عن ذلك، وأصبحت مشغولاً للتغلب على المشكلات والمصاعب نتيجة التبدلات الاجتماعية والمشاكل التي تولدت عن هزيمة اليابان.

كان بعض الأساتذة خلال سنوات الحرب، إلى حد ما اتخذوا مواقف معادية تجاهي، ووسمو ني بالخيانة بحجة العمل على توحيد الدعم العمومي للحرب. وتآمر آخرون علي من وراء ظهري مع العسكريين في كل مرة أدرت ظهري. والآن انهزمت اليابان، وأصبح عند هؤلاء الذين كانوا يعتقدون حقاً أنهم يقومون بالأمور الصحيحة بمعارضتي، عندهم الأساس والعزيمة في تقديم رسائل استقالة وترك الجامعة. لكن أخرون، الغالبية إلى حد بعيد، غيروا من مواقفهم بين عشية وضحاها وأصبحوا يتكلفون الابتسام بتملق وذل وبذلوا جهوداً للحفاظ على مناصبهم.

في هذه النقطة، دعوني أقول كلمة أو اثنتين حول عودتي إلى قريتي مسقط رأسي في نيجوري. مات والدي قبل نشوب الحرب، واضطلع أخي الأكبر بمهمة ممارسة الطب. وأصبحت أمي مريضة تماماً بعد انتهاء الحرب وماتت. وكنت أصلي يومياً من أجل أن تعتنق المسيحية حتى منذ تعميدي قبل سنوات عديدة، وفي النهاية فإن صلواتي قد استجيبت. وجرى تعميدها وهي على فراش الموت من قبل كاهن الكنيسة المحلية المسيحي مع ابتهاجي العظيم وشكري.

بدأت قوات الحلفاء باحتلال اليابان في أيلول. وكنت غالباً أُستدعى إلى قيادة جيش الاحتلال في كيوتو واوساكا أو كوب. وكنت أسأل عن رأيي ونصائحي في ما يتصل بسياسة الاحتلال. وتقديم أخباري، ربما بسبب سنواتي التي عشتها في الخارج، وطلاقة لساني في اللغة الانجليزية، ومركزي في المجتمع كرئيس للجامعة.

ونتج عن ذلك، أن أحد القساوسة، وهو الكاهن كوب، كان العقيد كوب من جيش الاحتلال المتمركز في كيوتو، وهو زميل كهنوتي كطالب، وتعرفت عليه قبل سنوات عديدة في جامعة كولومبيا في نيويورك. وكان يسكن بالقرب من القصر

الإمبراطوري في كيوتو في بيت على الطراز الغربي، حيث صودر القصر لاستخدام ضباط جيش الاحتلال. دعاني للعشاء، وقدم لي أول وجبة جيدة لم أذقها منذ زمن بعيد جداً، حتى أنه قدم لي صندوقاً من الحلوى ـ من النوع الفاخر بشكل لا يصدق في تلك الأيام ـ لأخذه معي إلى المنزل.

وما هو أكثر من ذلك، كان بيننا نقاش آسر حول مستقبل اليابان وما يتوقعه في النظام الدولي، وما هو الأحسن لتعزيز الديمقراطية في «اليابان الجديد». وما كان يسعدني أيضاً هو أن نتحادث بالانكليزية مرة أخرى بعد هذه السنوات الطويلة!

وبينما كنا نتحدث حول هذه الأمور مع العقيد كوب وبالرغبة في مساعدة جامعة ايكوغاكوين، جعلتني أشعر ببداية جيدة لجمت قلبي. وشرعت في تخيل الطرق المتعددة التي يمكن للجامعة أن تتبعها في هذه المستقبل، ودعوت الله لمساعدتي وتوجيهي.

في هذه النقطة، قام أحد ما بإشاعة بيان كان يوزع باليد يستحق الشجب حول الحرم الجامعي في قصة قذرة، أن أمينة سري الآنسة، ناكاجيما وأنا، كنا عاشقين زمن الحرب. وكانت قبل مدة ليست بعيدة في الجامعة إذ جاءت إلى مكتبي في صباح أحد الأيام بعد نهاية الحرب بأسبوع وأعلنت أنها تغادر بسبب أنها قامت بالعمل لمجرد التملص من أن تجند في خدمة العمل، ولم يعد لها من سبب للاستمرار في العمل.

أصبت بصعقة بسبب وقاحة هذه الكذبة، لقد كانت مخططا حقيراً جديراً بالازدراء، من أجل طردي من منصب رئاسة الجامعة بوضوح. ثم انتقل الأمر، إلى العناوين الرئيسة في الجرائد المثيرة في بيانات كانت توزع مثل: علاقة خاصة بين الرئيس يوهارا وأمينة سره الجميلة. و«غرام رجل عجوز».

كما اعترفت لكم من قبل أنها الحقيقة، أنني حقاً فكرت أنها كانت جميلة. فتاة حلوة، وهمت بها بطريقة غير لائقة من قبل رجل بعمري. لكن بالرغم من ذلك، فإنني اعتبرت مسك يدها أو وضع ذراعي حول كتفها ـ على مرآى الناس بكل وضوح ـ عندما اجتمعنا في أحد الملاجئ الخاصة بالحماية من الغارات الجوية في العديد من المرات خلال الحرب من الخوف، ولازلت، لم يكن لي أي نوع من ما يسمى «علاقة لا اخلاقية» مطلقاً معها عموماً.

إنني مدرك تماماً تعاليم يسوع المسيح في كتاب متى في ما يتعلق بالزنا التي تميز

بوضوح تام أصل خطيئة الجنس البشري «كل واحد ينظر للمرأة بشهوانية، يكون قد ارتكب الزنا معها في قلبه» في حالتي رغم ذلك، لايتعلق الأمر بنظرة شهوانية. كان شعوري نحوها اتحاد الاشتياق للجمال وحب من وجهة جديدة لابنتي — والتي يذكرني بها، وإنني أردت أن أذكر أن حبي لها كان أفلاطونياً، لكن منذ أن توفرت الأوقات عندما يستولي علي اندفاع لأطوقها بذارعي وبكل شرف روحياً خالصاً يتجاوز الرغبة الجسدية.

وعندما فكرت ملياً بأعدائي و«التكتيك الذي استخدموا فيه عواطفي نحوها لتأسيس كذبهم الشنيع حولنا، ومن أجل أن يجعلوني أترك الجامعة، شعرت كأني أسألهم «من هو بينكم بدون خطيئة فليرمني بالحجر الأول؟»».

كانت هذه الخسة والاتهام الجدير بالازدراء، رهيبة، وأصبت بصدمة وجاءت في الوقت الذي كان فيه عقلي مليء بأمور لا تحصى، والتي يجب علي إنجازها للحصول على استعادتي للجامعة التي كانت بطريق الإنجاز بمساعدة تقود إلى السلام والديمقراطية في المنطقة الجديدة.

مع ذلك، كان الاتهام سخيفاً ومنافياً للعقل، وإن الأمر لا يستأهل دحضاً أمام الرأي العام، جعلني أفكر ملياً بأنني كنت موضع لوم بطريقة أو بأخرى. وبدا لي أنه إذ كنت مستقيماً أخلاقياً حقاً وفاضلاً، فإنني اكتسبت الاحترام والتقدير من زملائي، وليس عليهم الافتراء علي وتشويه سمعتي بهذه الطريقة. وأحزنتني مثل هذه الأفكار والاتهام الذاتي المضاد على نحو شديد.

وجرى الإعلان في مطلع كانون الثاني (١٩٤٦) عن خطة لإقامة جامعة جديدة في اوساكا، التي كان من المفروض أن تسمى جامعة الثقافة العالمية. وقد تم إجراء بعض العمل الواقعي من قبل، عندما أثار الاقتراح اهتمامي إذ وعدت البعثة المسيحية في الولايات المتحدة أن تقدم بعضاً من المساعدة المالية للمشروع، وجرى اختيار الموقع المقترح الملائم شرق تل سنري شمالي أوساكا. فضلاً عن ذلك، تولى العقيد كوب أمر العناية بأمر المفاوضات التمهيدية، وإن يكن بصورة غير رسمية، ولكون اليابان لا تزال تحت الاحتلال العسكري لحد ما، وبأنه عقيد في جيش الولايات المتحدة، وبسبب ارتباطه بمدرسة ديفينيتي في جامعة كولومبيا.

اختارني لأرأس اللجنة المكلفة بالعمل التمهيدي لتأسيس الجامعة الجديدة وبقبولي بهذا المنصب الجديد، اعترفت أنه يجب علي أن أستعد لأصبح أول رئيس للجامعة ما أن تفتح.

كنت لا أزال متحمساً لخططي لمستقبل المدرسة، كما كان عليه الحال في جامعة ايكوغاكوين، لكن البيان الذي شوه سمعتي ملأني بالغضب وخيبة الأمل. أكثر من كل ذلك. جعلني اركع قلقاً بسبب مواطن ضعفي.

مع ذلك، لم أكن مؤيداً أو داعماً للسياسة الوطنية العسكرية العدوانية خلال فترة الحرب، مفكراً ومتحدياً، إلى حد أن أستطيع أن أفهم في الحقيقة لماذا يدعونني بعض الناس بأسماء مثل «المرتد» و«الخائن». مع ذلك وكرئيس للجامعة زمن الحرب، فإنني خضعت للضغط العسكري، وتعاونت في الواقع مع المجهود الحربي، وحفظت تكتيكاتي التوفيقية في الجامعة من التوقف، لكن على حساب المثالي وإنني اعتقدت بذلك، وأصبحت أشعر بقوة يوماً بعد يوم، بوجوب تحمل مسؤولية أعمالي وذلك بالتخلي عن منصبي كرئيس لجامعة ايكوغاكوين.

أصبحت مهتاجاً أكثر فأكثر حول العمل لإنشاء هذه الجامعة الجديدة في أوساكا، بحيث أستطيع أن أكثر مفاهيم ثقافية جديدة ومتابعة أفكار عصر ما بعد الحرب الجديدة، وحتى أنني بدأت أشعر أن هذا العمل كان مهمتي الحقيقية في الحياة.

بعد تسليم رسالتي الخاصة باستقالتي إلى أمناء الجامعة، وجدت مكاناً للعيش في منطقة ماتسوغاساكي، ورجعت إلى كيوتو. ومن هناك أصبحت مشغولاً بصورة مستمرة أركض هنا وهناك في سبيل علاقات عمل واستعدادات لتأسيس الجامعة الجديدة. ولم أشعر مطلقاً أن لدي ما يكفي لأكله من جرايات الطعام التي كانت لا تزال غير ملائمة على نحو تعيس. وأصبح علي أن أرحل للقاءاتي اليومية في قطارات محشوة بالناس ومعي كمية صغيرة من الأرز لأكلها خلال النهار، ووجدت كل ذلك يجتمع ليسبب لي الإجهاد جسمياً تماماً .

وفي يوم بارد من أيام منتصف شهر شباط لازمت خدمة الصباح لضباط جيش الاحتلال ورجال مجندين دون مرتبة الضباط من احتفظ بهم في كنيسة

القديس أوغسطين بالقرب من تقاطع كاراسوما ـ تيمواشيوري، بناء على دعوة من العقيد كوب الذي كان يقوم بالوعظ في عظة ذلك اليوم.

ونشر زيت الكاز حرارة عالية، وصارت الكنسية شديدة الحرارة، وفاسدة الهواء غالباً، وأنشدت النشيد الوطني بالإنجليزية بمشاركة عسكريين أمريكيين، من ثم أصغيت باهتمام إلى عظة العقيد كوب. ولم يكن يكتب عظة غالباً بحضوري بل يلقيها مباشرة، لكن تحدث عن مأساة الحرب وذكر القنابل النووية التي ألقيت على هيروشيما وناغازاكي، وحتى أنه كان يذهب بعيداً في أن يصرح أن على أمريكا أن تدفع الثمن للرب والجنس البشري لاستخدامها مثل هذا السلاح الرهيب. وعندما استمعت، فإنني أعجبت بهذا الشعب الذي احتل بلادنا، الولايات المتحدة، حيث كانت الحرية والتواضع مطلقة هكذا، بحيث يستطيع أحد مواطنيها أن يتكلم عن مثل هذه الآراء لهؤلاء الرجال الذين صرفوا الأربع سنوات الأخيرة من حياتهم في الحرب.

شيء أخر أثر في حول الخدمة في الكنيسة، كان الصوت الناعم للموسيقى التي تصاعدت من أرغون صغير مصنوع خصيصاً للاستخدام من قبل العساكر في ميدان القتال، الذين انتقلوا هنا وهناك ومعهم من أرض قتال إلى أخرى.

واختفى الحاجز بين المنهزم والمنتصر بعد خدمة الوعظ، عندما تحادثنا مع الجنود الأمريكيين الذين كانوا منذ عهد قريب أعداء، تحادثنا في غير كلفة وبود للحظات قبل مغادرة الكنيسة.

لقد جاء العقيد كوب من مكان بعيد وعرض علي أن أرافقه في سيارته الجيب إذا كان باستطاعتي الانتظار مدة أطول قليلاً، لكني رفضت مفضلاً بدلاً من ذلك. اجتياز ما يشبه أرض الحديقة للقصر الإمبراطوري في كيوتو، ورجعت ماشياً إلى بيتي في ماتسوغاساكي.

شعرت بارتفاع حرارتي بكل ما في الكلمة من معنى في الكنيسة، لكن مع الوقت اجتزت شارع كاراسوما العريض ودخلت أرض القصر، مسافة حوالي ثلاثمائة متر فقط، وشعرت أنني أتجمد إذ بدت البرودة وكأنها تسللت عبر معطفي واخترقت جسمي حتى العظم.

شعرت على الفور أنني مريض جداً. كما لو كنت ذاهباً إلى الإغماء، وبدأت

بالترنح في الطريق المفروش بالحصى، وسقطت على العشب، وأخذت حاسة بصري بالوهن. ولم يعد ذراعي اليمنى ورجلي، قادرة على الاستجابة لأوامر دماغي، وسقط لساني الثخين في فمي. ولم يعد باستطاعتي الاستمرار في الوقوف وانهرت بكل ثقلي على الأرض.

عندما استعدت وعيي، كنت أتمدد في غرفة المستشفى. وبدا هذا القماش الرمادي المُسْمَرّ والغرفة ذات الضوء المعتم قليلاً مع جدرانها المسلحة والسقف الملون بالسخام، أن كل شيء حريص على أداء الواجب عكس اليابان الكئيبة المُفْقَرَة التي جلبت لنفسها كنتيجة شن الحروب الطائشة لعدة سنوات انتهت بالهزيمة، مع ذلك نشر أول درجة من تقرير مستشفى كلية طب راكوهوكو.

«أحد ما وجدني فاقد الوعي على أرض القصر وأعلم الشرطي الذي حملني عندئذٍ إلى أقرب مستشفى رئيس».

قدمت لي هينة المستشفى عناية خاصة ربما بسبب أني كنت أستاذاً في السابق في جامعة سايتو ورئيس سابق لجامعة ايكوغاكوين، لكن قدرات المستشفى كانت تعيسه حقاً في الأشهر التي تلت الحرب مباشرة خصوصاً بالنسبة لبعض أمثالي ممن ليس لهم عائلة تأتي وتلبي الحاجيات اليومية.

كنت أحمل كتابي الخاص ببطاقات الجعالة الغذائية معي في محفظتي الجلدية عندما انهرت. وهكذا ساعدتني لحد ما. لكن وكما تعلمون في اليابان عادة، تقوم عائلة المريض أو أحد المرافقين المستخدمين من قبل العائلة بطبخ وجبات المريض في غرفة في المستشفى فوق نار فحم نباتي موقد.

فضلاً عن ذلك، تجلب جميع شراشف المريض من بيت المريض. وهكذا كانت العناية بي عبئاً ثقيلاً، دون شك، على هيئة المستشفى فوق واجباتهم العادية. كانت غرف المستشفى مجهزة عادة بهيكل سرير حديدي تفرش في قمته حشية رثة بالية من القش، وتنخفض من الوسط ولها حشية مُثَقبة في عدة أماكن. وعندما يسمح للمريض دخول المستشفى للمعالجة، على عائلته أن تحضر جميع الشراشف ـ بما في ذلك مخدة لتوضع في أعلى الحشية من القش ـ ويتم نقل أدوات المطبخ الشخصية والأطباق والأدوات إلى المستشفى وإلى

غرفة المريض بعربة يد وتجر باليد عندما يتم إفراغها. فكل شيء يجب أن ينقل خارج الغرفة من جديد، فكلمة «مستشفى» يمكن أن تكون من الأصل نفسه لكلمة «حسن الضيافة» لكن المستشفى في اليابان، أي شيء لكن ليس لحسن الضيافة، ويبقى المستشفى مناسبة لجميع أنواع الاضطراب والفوضى لحركة الأسرة».

سمح لي بالذهب للمنزل،بعد أسبوعين في المستشفى، ليس بإمكاني تحمل أية معالجة فيزيائية خاصة وكل ما كنت أقوم به التمدد في السرير ببساطة، هاجعاً وأجول بذهني تكراراً في خططي للجامعة الثقافية العالمية. وقد وضح لي الطبيب المكلف بوضعي، أنني لم أصب بخثرة أو جلطة دماغيه أو نزيف، وما أصبت به هو انقطاع جريان الدم إلى دماغي بين فينة وأخرى لمدة قصيرة، ونتج عن ذلك، نوبات دوار تسمى هجمات عابرة نتيجة فقد الدم موضعي ناشيء عن عقبات تعترض تدفق الدم الدقيق في الشرايين. ومنذ أصبح هذا المرض مؤكداً وهو علامة إنذار ناتج عن ضعف خفقان القلب. وقال: يجب أن أكون حذراً في المستقبل، وَحَذَّرَني بصراحة أن يجري التحقق من ضغط الدم عندي بصورة منتظمة وأخذ دوائي كما وصفه لي.

جاء ابني شن ايشي في يوم خروجي من المستشفى، ورافقني إلى المنزل، وقد انضم إلى البحرية الإمبراطورية في رتبة الملازم في البحرية كمدرب مهندس قبل حوالي أربعة أشهر من نهاية الحرب، وصار في الخدمة الفعلية منذ مدة قصيرة فقط. وعندما انتهت الحرب أصبح قادراً على العودة إلى المنزل على الفور ويعمل الأن في بحث للتخرج في الكيمياء كما فعل كمحاضر في فرع العلوم في جامعة سايتو.

وَقَّفتُ تلك الليلة ووضعت خاتمي على استمارة موافقة كنت طلبتها من طبيب قبل مغادرة المستشفى تماماً، من أجل وهب جثماني بعد الموت إلى كلية طب راكوهوكو من أجل البحث الطبي.

«أنني الآن عجوز» قلت، لشن ايشي، وأنا أناوله صيغة الطلب.. مع أنه لا يوجد دليل مني يمكن أن أمرض أو أموت.

والشيء الوحيد الذي كان بالإمكان عمله أن أعوض المجتمع عن المعروف الذي

أظهره لي الآخرون في حياتي، لأهب جثماني للبحث الطبي. من فضلك، انظر إِلَيَّ، تلك هي وصيتي نفذها».

لم أعد أشعر بأي ألم عند عودتي للمنزل من المستشفى، خاصة في الرأس ولم تعد رقبتي متيبسة. واستعدت الإحساس بالحركة في ذراعي الأيمن وساقي. وشعرت أنني بصحة جيدة. ولخصت برنامج عملي من نشاطات كما من قبل اجتماعات تحضيرية يومياً والقيام باستعدادات لافتتاح الجامعة الجديدة.

كنت جالساً أقرأ الأخبار المحلية في جريدة صباحية تماماً بعد شهرين من تفرغي بتاريخ ١٦/ من نيسان ـ كنت أقرأ تقريراً حول أشجار الكرز في منتزة مارويات التي كانت قد أهملت تماماً من خلال الحرب، وأصبحت الآن كتلة رائعة متكاملة ـ عندما أسود كل شيء فجأة أمام عيني ولمع ألم فجأة انطلق من خلال رأسي بعده فقدت الوعي وانهرت على الطاولة إلى الأمام.

تسببت هذه الهجمة الثانية عن نزيف دماغي شديد، ربما في الجزء الهام من مقدمة الدماغ. وبعد دقائق قليلة فقط توقف قلبي عن النبض.

غادت روحي جسمي وبدت كأنها كانت تجتاز نفقاً طويلاً مظلماً.

وشعرت أني أصبحت مسحوباً إلى عالم آخر من الوجود، مختلف كلياً، لكن على ما يظهر هو الثاني لعالمنا. ودخلت عالم الأرواح.

كان جثماني قد وجد من قبل مديرة المنزل عندما جاءت للعمل في الساعة الثانية ذلك الصباح، ورتب ابني ما يلزم لنقل الجثمان لغرفة تشريح مخبر كلية راكوهوكو، كما وعد ونفذ.

نقل شن ايشي وصيتي بناء على رغبتي بإخلاص، في نقطة أخرى، في موضوع جنازتي.

إنني أعتقد بطريقة حاسمة أن الموت لا يمكنه أن يكون عبئاً على الحياة والكثير من الناس ربما أنهم أبدوا بوضوح أن يدفعوا بآخر احترام من أصدقاء في الجامعة وزملاء، وأناس كنت قد تعرفت عليهم في الكنيسة، وآخرون، في مأتمي. وبسبب أن المآتم يستمر عادة دون إعطاء مهملة كافية للاستعداد ـ فعلى الناس دائماً أن يغيروا من روتينهم اليومي لملازمتها، ويجب عليهم أن

يقوموا طيلة المراسم تحت شمس محرقة في أيام الصيف الحار، وهم يمسحون عرقهم عن وجوههم. وفي أيام الشتاء البارد، عليهم أن يقفوا وهم يرتعشون بسبب الرياح المجمدة. إنني أردت، وبأي ثمن تجنب وضع الناس في مثل هذا الإزعاج. وهكذا، لم يقم شن ايشي بمراسم جنازتي. ويعتبر المجتمع ذلك، كمراسم مناسبة وضرورية.

وهكذا، يمكن أن ينال الحظ الأحبة والأصدقاء لأن يبقوا في أذهانهم ذكرى مميتة ومجابهة الحقيقة المقدسة لموت الشخص وللمواساة للمرضى والصلاة لسلام روحه. مع ذلك فهي تعبر عن رغبتي بأن لا يكون هناك جنازة بالنظر إلى مكانة أهمية المجتمع في مثل تلك المراسم، إنني أعتقد أنها اقتضت شجاعة كبيرة من شن ايشي لأن يقيم واحدة من أجلي.

هكذا، يوشيو، ترى أرواحنا من قبلك، كنت آخر من يموت. إنني على يقين أنك لاحظت أن جثماني الطازج، هو الأفضل من بين تلك الممددة على طاولات التشريح، وذلك هو السبب.

تلك هي نهاية قصتي. حياة طالب، ثم أستاذ، وهي لا تستدعي جعلها قصة ذات أهمية جداً، فنحن المحبين للتعلم الذين يبدون دائماً أن تكون أنوفهم فوق الكتب، غالباً، لهم قليل من الخبرة في العالم، ويعيشون على هامش الحياة. وعلى نحو معكوس فهؤلاء الذين خبروا طرق العالم، هم عادة من سيئي البطانة في حياة الدراسة.

الآن، يكفي ما قلته حول حياتي المضجرة، شكراً لكم لسماعكم قصتي بصبر، هكذا.

وكما أنجزنا كل ليلة سابقة، فإن يوشيو، تركنا نتحدث قليلاً الآن، فهل ستقوم بذلك؟ إنها المرة الأخيرة لمقابلاتنا في هذا العالم.

بعد سماع قصة الليلة السابقة:

عندنا انتهى الأستاذ يوهارا من سرد قصة حياته، شعر يوشيو أنه قد تأثر بعمق تام، كما كان في كل ليلة من الليالي السابقة.

«شكراً لتقاسمكم قصة حياتكم معي»، قال لروح الأستاذ يوهارا «لقد قدمت لقصتك بالقول إن حياة الأستاذ والطالب ممكنة تماماً، وعادية، بلا ريب، كلا، إنها

غريبة وحتى خيالية»، لكنني أعتقد أن حياتك كانت مليئة بالصعود وبالهبوط، وقد تعلمت الكثير عما سمعت حولها.

كانت خبرتك كصبي، وبعدها كرجل شاب، ممتعة جداً، وكذلك كانت روايتك لسنواتك في البحث الجامعي، خصوصاً العلاقات المعقدة من خلال البرج العاجي الأكاديمي.

إنني لازلت طالباً، فأنا لا أعرف كثيراً حولها، ولكنها لا تزال ترن في ذهني، كما لو كنت أستاذاً منتظماً في خط العمل. وهنا في كلية طب راكوهوكو، يجب عليك أن تكون ذكياً، وتظهر اعمالاً جيدة في المجتمعات الأكاديمية من أجل أن تصبح أستاذاً كامل الأستذة كالآلة السياسية لنوع يبدو كونه مشمولاً في البرنامج، لقد سمعت قصصاً عن بعض الطلاب أيضاً، بأطماع الواحد مع الآخر، مع عداوة مبطنة أيضاً، عمداً وبشكل عنيد، ومناورات من وراء الستار.

في كليات الطب المنتظمة، هكذا، بحيث يوجد أستاذ فقط واحد كامل الأستذة لتدريس كل مادة، وبالنتيجة، فإنه على جميع الأساتذة المساعدين أن يزحفوا الواحد فوق الآخر محاولين الوصول إلى المكان الوحيد في القمة من هذا التسلسل الهرمي من الاختصاص. وسمعت أن بعض كليات الطب منظمة بشكل مختلف تماماً في الولايات المتحدة، فلديهم تسميات كما نسمية نحن بـ «أساتذة سريريين»، ويوجد عديد من الأساتذة السريريين لكل مادة. وهكذا، يُقلّل الشجار التلاحمي بشكل كبير والضاري الذي يقيده نظام التعليم الطبي في اليابان.

لقد تأثرت بعمق المأساة التي حلت بك نتيجة احتراق منزلك وفقدان زوجتك وابنتك، وروايتك الصريحة حول الصعوبات التي واجهتها روحك الباحثة في سبيل الوصول إلى حزنك والتجديد اللاحق في عقيدتك.

«مع ذلك، لدي تجربة شخصية عن الضغط العسكري الموجهة ضد المدارس، خصوصاً المسيحية منها، سواء خلال الحرب، بما في ذلك التدخل في الشؤون الداخلية للمدارس من قبل ضباط المدارس من العسكريين، إذ فوجئت وغضبت بسبب السلوك السخيف والشائن والذي كان عليك تحمله والصبر عليه من العقيد ايغاراشي.

«قرأت حديثاً شيئاً ما حول، كيف اعتبر فرع الجهاز السري للشرطة، المعروف باسم «توكو» المسيحية، مرتبة أدنى مما هو موافق عليها رسمياً، أكثر من العقائد الدينية التقليدية اليابانية من البوذية والشنتوية. ولم تميز التوكو الكاثوليك اليابانيين كأعداء لسببين: أولاً، بسبب الفاتيكان، المركز الرئيس للكنيسة الكاثوليكية في إيطاليا، والتي كانت على الدوام مع ألمانيا واحدة من حلفاً اليابان في المحور الثلاثي. والثاني، بسبب تنظيم الكنيسة الكاثوليكية نفسها، حيث هو استبدادي لحد ما. مع ذلك كان اليابانيون البروتستانت في وضع مختلف. فالتوكو، يعتبرون البروتستانتينية، جسماً انجلو ـ أمريكي من حيث التفكير والتصرف، مع أتباعها وفقاً لذلك. وبقدر ما كانت العسكرة والمتعصبين القوميين الذين يشكلون الخط المتشدد، معنيين بالأمور أصبحت البروتستانتينية عقيدة دينية للعدو، والتي هي الملاذ الخطر للأفكار الضاغطة على أهمية السلام والحرية الفردية، واعتبروا البروتستانيتينية جماعة خطرة في الحقيقة.

«آمل وأصلي أن لا تختبر اليابان مطلقاً وقتاً مثل ذلك من جديد». «إنك تكلمت باستقامة وصدق حول احساساتك نحو أمينة سرك الآنسة ناكاجيما، وإنني أحترمك لصراحتك. قد يحاول معظم الرجال في مثل تلك الظروف أن يخفوا رغبتهم نحو امرأة عوضاً عن الحديث بشكل مفتوح حولها.وهناك مربون مشهورون مثلك، ينزعون، على نحو خاص، نحو مواقف متزنة ويتصرفون كما لو كانوا قديسين غير قابلين للفساد، وبأنهم لم يذكروا مطلقاً أنهم ارتكبوا مثل هذا النقص الإنساني.

إنه مثبط للهمم ومقلق أن يفكر المرء أن بعضاً من أعدائك، هم زملاء مثاليين في الجامعة، لمرتبتك ويعادوك. وقد يكون من الغباء أن يفبركوا مثل هذه الأكاذيب القذرة حولك وحولها، فقط ليقودوك لتقديم استقالتك من رئاسة الجامعة، والأكثر من ذلك ـ منذ أن بدأت جامعة ايكوغاكوين ترعى الإرسالية التبشيرية القائمة على المبادئ المسيحية.

«كانت بعض النقاط التي أوصيت بها حول خدمات المأتم جيدة تماماً مع ذلك، فكرت يجب أن أسمح بأنني لم أفكر مطلقاً حول المأتم بهذا الوضوح من

قبل، فماذا فعلت عندما قتلت زوجتك وابنتك وخادمتك في النار؟ إنني أظنك لم تقم بخدمات دينية من أجلهن، أليس كذلك؟

كان يوشيو يتحدث دون توقف، وكان عقله مليء بانطباعات بعد سماعه قصة حياة الأستاذ يوهارا، لكن الآن، فقد انتهى من حديثه بهذا السؤال الموجه إلى روح الأستاذ يوهارا.

كلا، لم أقم بطقوس دينية جنائزية من أجلهن، وتمسكت أثناء موتهن بالرأي، أن المآتم الجنائزية مضيعة للوقت، وغير ضرورية. بكل وضوح، انتقد بعض الناس قراري، ولكن كان ذلك متوقعاً. إنني قلق جداً أن تفسر طريقتي. في التفكير حول المآتم الجنائزية بعكس وجهة النظر العامة المعقولة.

لكن الآن، يوشيو، فمنذ أبديت اهتماماً بالموضوع، سوف أخبرك المزيد حول التعهد النفسي من قبل البروتستانت اليابانيين خلال الحرب. كان البروتستانت اليابانيون قلقين بعمق حول الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في اليابان، منذ بداية عهد شووا، أصبحوا ينزعون إلى انتقاد الحرب، بما في ذلك الأمور الشخصية.

قريباً، منذ حوالي وقوع حادث منشوريا في عام (١٩٣١) أصدرت الكنيسة البروتستانتينية في اليابان إعلانا عن الحالة الحرجة للأمور وبدأت تتعامل مع المجهود الحربي، على الرغم من الزيادة المستمرة في الأزمة مع الصين التي أدت في آخر الأمر، إلى اندلاع الحرب الصينية ــ اليابانية في عام (١٩٣٧). بحذر شديد.

بدأت الكنيسة البروتستانتينية تأخذ على عاتقها القيام بخدمات تعبدية للصلاة من أجل انتصار اليابان في جنوب شرق آسيا العظمى، وشرع المترددون على الكنيسة بانتظام ينحنون باتجاه القصر الإمبراطوري في طوكيو قبل البدء في خدمات العبادة، بناء على تعليمات من الحكومة.

وكان عملاء التوكو والشرطة العسكرية يلازمون أحياناً الخدمات الكنسية، ويعتقلون الكاهن إذا لفظ كلمة «سلام» في وَعْظِهِ والأمر نفسه للجميع.

صارت جميع الكنائس البروتستانتينية في اليابان تتعزز في الكنيسة الموحدة

للمسيحية في اليابان، تحت ضغط خارجي من قبل الحكومة، قبل مدة طويلة. وكان هؤلاء البروتستانت ينشطون في الحركة لإعادة توحيد كنائس العالم في اليابان ليؤدي ذلك في آخر الأمر إلى أبعد من العسكرة والحرب.

تجرأ الأستاذ يانيهارا تاداأو من جامعة طوكيو،الذي كان صديقاً حميماً لي طوال سنواتي العديدة في جامعة ساتيو وفي جامعة ايكوغاكوين، أن يتحدث ضد السياسة الاستعمارية اليابانية وشن الحروب اليابانية، وطرد من منصبه التعليمي في الجامعة نتيجة ذلك، ثم صار ضحية الازعاجات المتكررة والمضايقات بطرق أخرى أيضاً. وقال في وداعه الموجه للجامعة: «يجب أن تموت اليابان الحالية لتولد من جديد»، وإذا نظرنا إلى الوراء، نرى كلماته الآن نبوئية في الحقيقة، أليست كذلك؟ فقد خسرت الحرب، وتدمرت وتخربت اليابان، وهي اليوم تشرع في سباق جديد.

لكن لم ينج العديد من الآخرين الذين انتقدوا السياسات اليابانية العسكرية، مثل الأستاذ يانيهارا وكهنة كنيسة القداسة، وضباط جيش الخلاص، وآخرون ممن تجرؤوا بالحديث ضد الحروب، فألقي بهم في السجون وعذبوا، وعديد منهم مات هناك.

نعم، إنني أشعر بأنني بالحزن، عندما أفكر بهؤلاء الرجال الشجعاذ والنساء، الذين ناصروا معتقداتهم، ولأنني لم أقم بما يجب أن أقوم به، وحسب طاقتي كرئيس لجامعة ايكوغاكوين، وإنني في الواقع، لعدم اتخاذي موقفاً ضد الحرب، أكون قد ساعدت جهد الحرب في شرقي آسيا العظمى.

حسن، كما يمكن أن تكون، يوشيو، سمعت الآن قصصاً من حياتنا سبع ليال لسبعة أرواح، وإنني أتخيل أنك تعلمت الكثير حول الحياة بشكل عام من كل واحد. وأصبحت القصص التي رويت من قبل ارواح زملائي، مهمة بالتأكيد لي، لهذا تركت عالم المادة ورائي، وإنني الآن أنتمي إلى عالم الأرواح، فماذا أكثر من ذلك، يجب أن يكون من أجلك، والذي لا يزال مغلفاً بمشاكل الحياة.

لقد خبرنا العديد من الأشياء نفسها، سواء من سبقنا وعاش الفترة نفسها

من التاريخ تقريباً، أو من ماتوا على الفور في نهاية الحرب حالاً أو بعد ـ خصوصاً تلك الحرب المشؤومة المروعة ـ ولو كان الأمر في أماكن مختلفة ومن وجهات متعددة. زمن مسيرات مختلفة في الحياة. هكذا،بالطبع فإن قصصاً تحتوي بعضاً من التداخل أو التوافق لكن المعاناة والقسوة التي واجهها كل واحد منا، كانت محاولة وحيدة الجانب.

برغم ذلك، منذ بدء تجاهل للآخر أحدنا لما يمكن أن يحدث فيما بعد ردة فعل فعلى الفرد أن يكون مستعداً لأي شيء ويعمل معظم ذلك كل يوم في الحياة.

قال واحد من شعراء العهد القديم: «عُلِّمْنا أن نَعُدَّ ايامنا على نحو صحيح، ويمكن بذلك أن نربح به قلب الحكمة وكبد الحقيقة!

يوشيو، إنني على يقين أن ظهورنا قبل أن يخامرك الشك حول ما يحدث للناس بعد الموت، لكن هؤلاء الذين ينتمون لعالم الأرواح حتى يسمح لهم بصعوبة الظهور مباشرة قبل العيش بهذه الطريقة، دع أحداً ما يتكلم ويتحدث كما فعلنا، يجب أن تفهم أن هذه الليالي السبع أصبحت استثناءً نادراً.

كما وضحت لكم، في الليلة الأولى، التقينا بيوشيو، والإله قدر صلاتك لروح الجثمان الذي شرحتموه، لهذا ضمن لكم هذه الفرصة غير العادية.

في الوقت الحاضر، يحاول الآله أن يظهر وجوده للجنس البشري في كل فرصة، لكن الناس لا يلاحظون ولا يريدون ملاحظة علاقات الآله. عندما يتذمر الناس لعدم وجود الدليل على وجود الله، هكذا، فهذه خطيئتهم، وليست خطيئة الله، إنها بالضبط، بسبب أن الله يحب الجنس البشري كثيراً، لهذا فقد أرسل ابنه الوحيد يسوع المسيح إلى العالم كرجل حي في سبيل التكفير عن خطايا جميع البشر، مع ذلك، العديد من الناس لا يزالون لا يؤمنون بالله، وحتى بوجوده...

فنحن الذين هم من عالم الأرواح، لم تظهر مطلقاً بهذه الطريقة من قبل لشخص من الأحياء، وسوف لن نعمل ذلك من جديد مطلقاً. وكما قال المسيح: «مباركون أولئك الذين لم يروا، ومع ذلك فإنهم يؤمنون»

فلا تضع إيمانك فقط فيما تستطيع رؤيته بعيونك، بل تحقق أن ذلك، الذي لا تستطيع أن تراه فهو الأبدي، وضع ثقتك بذلك.

هذه الليلة هي الأخيرة في لقائنا هنا، لكن كما تعلم الآن، يوشيو، فهذه ليست المرة الأخيرة أن يرى الواحد منا الآخر. وسيأتي اليوم الذي تدخل فيه عالم الأرواح وسنلتقي من جديد. ونظراً لخبرتي معك في هذه الليالي السبع الماضية، توصلنا إلى الشعور بأننا قريبون منك. ونجد أنفسنا آسفين أن ندعوك للوداع، لكننا نتطلع إلى اليوم الذي سنلتقي به من جديد. بالطبع ذلك لا يراد به القول أننا نرجوا لك الوقت والدخول في عالم الأرواح فوراً! وكما حاولنا أن نوضح في عديد من المرات في خلال السبع ليال الانتقال إلى زمن الأبدية، وهو مع ذلك، مختلف عن ذلك الذي اختبرته على الأرض، فلا زلت تملك الكثير من الحياة في الطبيعة، وعليك عمل الكثير من الأمور الهامة. وهكذا يجب عليك أن تعيش حياة كاملة طويلاً.

«فالله قد منحك هذه الفرصة النادرة للتحدث مع أرواح هؤلاء الذين ماتوا بهدف أن يراك تُقَدِّم شهادة عن وجود عالم الأرواح، وعن وجود السماء، وعن المخلص، المسيح، للجنس البشري. فقد وأعطاك مهمة عظيمة لإنجازها في حياتك.

الآن، دعنا نتحدث قليلاً حول ما أعرف أنك مهتم به تماماً، باعتبارها الليلة الأخيرة، يبدو أنك تحب الموسيقى الكلاسيكية، يوشيو، «شاهدت روح موزات، منذ عهد قريب، وهايدن، وبتهوفن، تتحدث مع بعضها، وينتقد كل واحد أعمال الآخر التي ألفها أثناء حياته على الأرض، وجاءت أرواح كل من رافل وديبوس واتحدتا في إحدى النقاط، ونظرتا بالتأكيد، كما لو كان لديهن وقتاً عظيماً.

«فاجأتنا روح موزارت، بأن أظهرت ميلاً خاصاً لموسيقى الجاز عندما دخل أعضاء من جماعة الجاز في نيوأورليان عالم الأرواح واحداً فواحداً، ذات مرة، عندما كانوا جميعاً سوية، وهم يقدمون إنجازاً عظيماً في موسيقى الجاز، وبدت روح موزارت إنها قد استمتعت بها على نحو رائع حتى درجة أنها أخذت موقفاً مفعماً بالحياة جداً. من ناحية أخرى، لم يبد على بيتهوفن الاهتمام الكثير بموسيقى الجاز.

وظهـرت حـوادث مشـابهة بـين الأسمـاء الكبـيرة في الفـن والأدب وفي جميـع الحقـول الأخـرى مـن الإبداعـات الإنسـانية، وهـذا مـا جعـل عـالم الأرواح مكانـاً مدهشـاً حقـاً. وقـد سمـت حـدود الزمـن الدنيـوي هكـذا، إلى درجـة أصبـح باسـتطاعة روح غوتـه وشـيلر المنافسـة في كتاباتهـا، مـع ذلـك الكـاتب المسـرحي البـارع، مـن قـرن آخـر، شكسـبير. وشـاهد، في يـوم آخـر، روح كـوروت تتكلـم عـن لوحاتهـا الزيتيـة مـع روح تولوزلوتريـك الـذي كـان صبيـاً صغـيراً تمامـاً عندمـا مـات كـوروت. وشـاهدت أيضـاً روح ريكيـو وتوبوتومـي وهايدويوشـي. وتتمتـع هـذه الشـخصيات الأسـطورية مـن القـرن السـادس عشـر اليابـاني بحفـلات شـاي سـوية، وكـانت اختلافاتهمـا الدنيويـة قـد سـويت سـلمياً في آخـر الأمـر في عـالم الأرواح.

كـان لجميـع هـذه الأرواح الـتي ذكرتهـا بالكـامل الزمـن المطلـوب في عـالم الأرواح، وكـانت قـد دخلـت مـن قبـل السـماء، لكنهـا كـانت حـرة للتحـرك للأمـام والوراء بـين السـماء وعـالم الأرواح كمـا يحلـو لهـا.

«في عـالم الأرواح، سمـا العـالم الدنيـوي الزائـل، كمـا كتـب في الرسـالة الانجيليـة الثانيـة لبطـرس، «مـع الـرب اليـوم، يشـبه العـام، والألـف عـام، يشـبه اليـوم»، فالأشـياء قـد تكـون مسـتحيلة علـى الأرض، وتحـدث في عـالم الأرواح كمواضيـع طبيعيـة.

لكننـا نكـون علـى الأرض، أليـس كذلـك، موضوعـاً لزمـن مسـتنبط مـن العـالم الدنيـوي، والزمـن المخصـص لنـا سـوية انقضـى بسـرعة وسـوف نكـون علـى الفـور في الجـانب الآخـر، وقبـل أن نذهـب، يوشـيو، أرغـب أن أتحـدث إليـك عـن مسـتقبل اليابـان.

حقـاً، قاسـت بلادنـا العديـد مـن المحـن الشـديدة ومـن الحرمـان والجـور، كمـا أعلمنـاكم نحـن الأرواح، وعـانت مـن الحرمـان والفاقـة والتضحيـات وشملـت جميـع اليابـانيين في كـل مكـان مـن الوطـن والمسـتعمرات اليابانيـة في الخـارج الأكـثر رهبـة ممـا تسـتطيع الكلمـات أن تعبر عنهـا. فـالعديد مـن النـاس مـاتوا. وآلاف لا تحصـى ممـن عملـوا كـل حيـاتهم دون انقطـاع ليبنـوا الوطـن ولينفعـوا عـائلاتهم، فقـدوا كـل شيء عملوا من أجله ــ كـل شـيء ــ في يـوم وحيـد.

«إن مجمل اليابان، أصبح بالكامل غالباً محترقاً إلى درجة أن صار قاعاً صفصفاً ومدمراً. إذ فقد ملايين اليابانيين حياتهم نتيجة ما تكبدوه من إلقاء القنابل النووية على هيروشيما وناغازاكي ـ كل ذلك جرى وأعلم به ـ وجرح بعض الناس وعانوا الحروق في كل من أجسامهم وأرواحهم، وهم يهيمون على وجوههم في مدن مدمرة وفي الأرياف بلا هدف، يتضورون جوعاً وعطشاً، حتى مجيء يوم الهزيمة في آخر الأمر ولا يزال يوجد العديد من اليابانيين الذين لم يعودا بعد من أرض الغربة حيث كانوا يقاتلون. واعتقل وأسر جنودنا في منشوريا من قبل قوات الاتحاد السوفيتي ولا يعلم أحد متى يسمح لهم بالعودة للوطن، كما لم يعد جميع المدنيين اليابانيين الذين كانوا يعيشون في منشوريا لليابان. ولا يزال العديد منهم يهيمون على وجوههم في السهول المنشورية الموحشة يختبؤون من العدو ويحاولون أن يجدوا طريقة للعودة للوطن. ولايزال اليابانيون الذين كانوا هناك، حتى بعد أن استسلمت اليابان يُصطادون ويُقتَلون. وهكذا، هربت آلاف الأمهات اليابانيات وهن يحملن أطفالهن على أذرعهن ـ لكن يصارع هؤلاء الفقراء للبقاء على قيد الحياة وأولئك الذين فقدوا أطفالهم كيف سيعيشون. وانتزع العديد من الأطفال الباكين من صدور أمهاتهم اليابانيات، وعهد بأطفال آخرين إلى أصدقاء صينيين أو جيران لحمايتهم، واستمرت الأمهات بالهرب.

«ما من أحد منا الأرواح السبع خبر حرب المحيط الهادي في منشوريا، لكن توجد قصص لا تحصى عن المآسي. وحدث أن العائلات اليابانية التي أرسلت من قبل الحكومة إلى مستعمرة منشوريا تعرضت أيضاً لحوادث نقلت في قصص عن بؤس إنساني تجلب الدموع لعيون أي واحد.

وساءت شروط الحياة في اليابان، ليس فقط بسبب خسارة اليابان للحرب، بل أيضاً، تعرضت اليابان في عام (١٩٤٥) لأسوأ عام بالنسبة لمحصول الحبوب، حيث اخفق محصول الأرز منذ عام (١٩٠٩) وأصبح أقل من ثلاثين بالمائة من المعتاد. وأخذ الوضع الغذائي في اليابان يسير من سيئ إلى أسوأ،

وفوق ذلك، تضوّرَ عشرات الآلاف جوعا حتى الموت منذ انتهاء الحرب. علاوة على السكان المدنيين، وما له صلة وثيقة بالمجاعة، كانت هنالك مشاكل تسريح الجنود العائدين من الخارج، وترحيل المستعمرين اليابانيين من المستعمرات وعائلاتهم. ويتامى الحرب الذين لا سكن لهم، وكذلك الجنود المرضى والجرحى في المستشفيات وفي محطات القطارات وهم في اللباس الأبيض للعسكريين. وحتى الآن، لا يزال العديد من الناس يعيشون في الخرائب المسوده وفي الملاجئ الخاصة بالحماية الجوية. هذه المشاهد التي يرثى لها، إنها مشاهد مأساوية قاسية تعصر قلبي!

في قمة ذلك كانت هنالك الكوارث الطبيعية، كالطوفانات والهزات الأرضية. فقد تعرض الناس في اليابان لمآسي مماثلة متتالية وأحزان وراء أحزان، ضربة بعد أخرى تماماً.

«الآن، فاليابان تحت الاحتلال العسكري من قبل المنتصر، جيش الولايات المتحدة.... إنني أعرف أن هذا قد يتردد وكشيء مزعج لأقول، لكن هذه المعاناة كانت ضرورية!

«لكن الله الذي يحب كل جنس بشري دون النظر إلى أخطائنا المجنونة وخطايانا بشكل كامل، سوف ينظر بعطف إلى معاناة البلاد ويعطي اليابان بركاته.

كان شعب اليابان قد انقاد للحرب من قبل بعض مجموعات القوى السياسية والعسكرية، ودفع ثمناً باهظاً بإراقة دماء لا تحصى وتضحيات بلغت في آخر الأمر الأوج بالهزيمة، لكن سوف ينهض اليابانيون بفضل قابليتهم الأصيلة وكدهم وروحهم التعاونية، من كبوتهم ويتخلصون من مأساتهم وبؤسهم، وسوف يزدهرون مرة أخرى من جديد. فاليابان سوف تنهض من عثراتها وتعيد بناء نفسها وسط دمارها وتجدد نفسها، كالعنقاء الأسطورية.

«وكما تنظر إلى حالة الحاضر لليابان، يوشيو، إنني أعرفك، ستجد صعوبة لتصدق، لكن الروح القدس قالت، إن النقص الرهيب في الطعام الذي حل في

اليابان الآن سوف يتلاشى خلال ربع القرن القادم، بالكامل، وسوف تنعم اليابان بطعام وفير، بحيث سوف يهتم جيل المستقبل بإمكانية إنقاص أوزانهم، بدلاً من أين ستأتي لقمتهم التالية من الطعام.

«نعم سيأتي الزمن عندما تصبح اليابان قادرة على المسير إلى المطاعم ليملؤوا بطونهم بأي نوع من الطعام اللذيذ الذي يحبون، من الطعام الفرنسي والصيني والألماني والايطالي والهندي، بالطبع مع الأطباق اليابانية التقليدية أيضاً. ومن الغريب، يبدو ذلك الآن الروح القدس، ليقول أيضاً أن المطبخ الياباني سيصبح شعبياً في الولايات المتحدة وأوروبا، لأنه صحي وقليل الكالوري كبديل.

كانت القطارات القليلة التي سمحت لها اليابان بالقيام برحلات الآن قد قصفت أثناء الحرب، وأغلبها مدمر، وكان باستطاعتها استخدام خط السكك الحديدية فقط عندما تدخر القطارات لاستخدام جيش الاحتلال، يصبح غير مستخدم، بل سَيَتَغَيَّرُ هذا أيضاً، وستصبح اليابان مشهورة خلال عقد من الزمن أو هكذا لكونها ستملك أسرع قطار في العالم، وتدعى بقطار «الرصاصة» فهذا القطار المصقول انسيابي من حيث الرسم، وستصدق بصعوبة من هذا القطار الفضي اللون الذي يسير بين مشرقي اليابان وغربها بسرعة مذهلة.

غالباً، جميع ما يسمى بالطرق العريضة في اليابان، هي طرق ضيقة وغير مزفتة. وتنطلق سيارات الجيب التابعة لجيش الولايات المتحدة فيها مخلفة وراءها سحباً من الغبار عندما تنطلق. وسيأتي اليوم عندما تقوم اليابان بصناعة السيارات والعربات، عندما تنطلق على طول طرق سريعة مزفتة وذات أربعة اتجاهات وتسمح بسرعات قد لا تصدقها الآن. في الوقت الحاضر فإن السيارات الجديدة التي تشاهدها على الطرقات، هي سيارات جيش الولايات المتحدة من نوع الجيب، أو من صناعة الولايات المتحدة من طراز الشيفرولية والفورد والبويك والأولدزموبيل، والتي جلبت من أجل استخدام الضباط من

ذوي الرتب العالية. وكذلك من قبل المستخدمين المدنيين التابعين لجيش الاحتلال. ولا يحلم اليابانيون تحت الظروف الخاصة، وعادياً، بأن يركبوا مثل هذه السيارات الخاصة بهم أو ما يماثلها. مع ذلك، ستكون اليابان من البلدان المنتجة للسيارات بكثافة، عاجلاً أم آجلاً مما سينتج في البلاد وستباع حتى في امريكا الشمالية وفي أوروبا وفي آسيا، وستصبح كلمة (مصنوعة في اليابان) مرادفة لكلمة عالية الجودة كونها تستحق ذلك.

في الحقيقة، ستصبح البراعة والإتقان في الصناعات اليابانية عظيمة جداً، بحيث أنها ستصبح سبباً لمشكلة التقليد في التجارة العالمية بين اليابان وشركائها في التجارة الدولية.

في الوقت الحاضر، يتطلع اليابانيون بإندهال إلى الراديوهات القابلة للحمل التي كان يحملها جنود الولايات المتحدة،لكن لم يمض وقت طويل، حتى تَمَّ صنع أجهزة مذهلة أكثر في اليابان، وسيصبح الراديو القابل للحمل الذي أذهلكم الآن منسوخاً باختراع أكثر إذهالاً، صندوق مع حاجز سيعرض الصور المذاعة بالصوت والصورة ــ نوع من الراديو بالصوت والصورة ــ سيطلق عليه اسم التلفاز. وسيصبح هذا الجهاز وعديد من المنتجات الجديدة، كتطبيق كهربائي ياباني كبيرة وستصدر إلى جميع أطراف العالم.

في الوقت الحاضر، الشيء الوحيد الياباني المسموح بتصديره للولايات المتحدة، المواد الزخرفية المسيحية وتتطلب الشركات رقعة يكتب عليها عبارة (مصنوع في اليابان المحتلة) تلصق على كل منتج. عندها سيأخذ الأمر بعين الاعتبار أن هذه المنتجات اليابانية رخيصة الثمن، وأشياء ضئيلة القيمة ومصنوعة على نحو فقير. هذه هي الصورة الوحيدة لدى الامريكيين عن الصادرات اليابانية، وسيحتفظ المستقبل حقاً بمبادلات مذهلة.

وسيكون هناك العديد من الاكتشافات العلمية الجديدة الأخرى، والتقدمات التكنولوجية، وأشياء لا يمكنك حتى تخليها الآن. وسيصبح اليابان من أغنى الشعوب في العالم وسيستمتع شعبها بحياة غنية ووافرة.

«كيف لهذا البلد الصغير وغالباً دون مصادر طبيعية أن يصبح قادراً على تحقيق مثل هذا الاقتصاد العظيم والتطور التكنولوجي؟ من خلال الجهود المترابطة لشعبها ومواهبهم والتضحيات الذاتية في سبيل المصلحة العامة، أيضاً، شكراً للمغفرات الآلهية الرحيمة والبركات السماوية، التي جمعها، السبب الأكثر الذي يجب على اليابان العناية به ليكون متواضعاً، وليس متعجرفاً تجاه الإنجازات العظيمة والنجاحات في السنوات المقبلة.

«إذا شعر اليابانيون بالكبرياء تجاه نجاحاتهم مثل الخنازير المعتنى بها، سيتقهقرون في عجرفتهم، العودة إلى فترة بعد الحرب شاكرين، والشروع أيضاً بشكل أعمى بالاعتماد أنهم يتفوقون على شعوب أخرى، من ثم سوف سيحل باليابان الغضب الرباني الشديد مرة أخرى من جديد، لِيُعَلِّم اليابانيين أخطاء أساليبهم.

«يوشيو، إنني أحملك المسئولية لتجنب هذا المصير، ساعد شعبنا لتعرف أين ترسو الحقيقة الروحية له، وأن يحترم ويخاف الله، وليكون متواضعاً حول تطوره الاقتصادي القادم ونجاحاته العالمية. وهكذا يمكن أن يحتل اليابان في أحد الأيام مكاناً محترماً حتى في عيون مواطني البلدان والأمم الغربية،والأبراز لهم، كيف جعل اليابان، الذي ساعد البلدان الأخرى في العالم خصوصاً الشعوب الآسيوية التي أخطأت اليابان بحقها وذلك بغزوها وبالتالي شن الحروب ضدها.

«إنني آمل وأصلي أن لا يعاني بلدنا المحبوب المصير نفسه الذي عاناه القديس جون الذي نطق بالوحي السماوي إلى مدينة بابل في وحيه. وسوف لن يكون لدينا مهرب من دمار اليابان مع صرخات «و، و، و،» اليابان العظمى، بلاد القوة! وتكون ساعة هلاكك قد حانت، خلال ساعة.

«أخيراً، يوشيو، في سبيل خلاصك، أريدك أن تأخذ هذه الكلمات من سفر الرؤيا (١) و (٣) إلى القلب، مبارك هو الواحد الذي يقرأ كلمات هذه النبوءة، ومباركة هي هذه التي نسمعها ونأخذها إلى القلب، ما كتب منها لأن زمنها قريب.

«الآن، حان الوقت لأقول وداعاً، وستشعر في الطريق وكأننا قضينا زمناً طويلاً سوية، زمناً طويلاً جداً، وخلال ساعات قليلة شاركنا فيها، شكراً لكم لاستقبالي.

«أوصت الروح القدس أن لا تكشف محتوى لقائنا معك هذه الليالي السبع إلا بعد أربعين عاماً تنقضي. فاعتن بنفسك بشكل جيد يوشيو، وادرس بقوة، وتذكر الدروس التي تعلمتها من قصص تجاربنا ومعاناتنا، وذلك كونك يمكن أن تعيش حياة صحيحة وكاملة، وداعاً!

أخذ يوشيو يصرخ، والدموع تنهمر من عينيه، فيما رأى الأرواح السبع وهي تنظر إليه وتبتسم بود. إذ أصبحت هذه الأرواح السبع للموتى التي أصبح مولعاً بها بعد مرور الليالي السبع.

«شكراً لكم جميعاً، وداعاً» هذا كل ما يمكنني قوله.

تلاشت الأشكال الإنسانية للأرواح بالتدريج خلال ثانية، إلى آلاف نقاط من الضوء بالغة الصغر المتوقدة، وتلاشت في الحال من المشهد وغابت تماماً.

داعب النور الباهت الآتي إلى الغرفة من الخارج من خلال النوافذ، هيئات الجثث الممدة في الظلام على طاولات التشريح أمامه، في الضوء الضعيف جداً وقد اختفت الآن في الظلام المفاجئ بعد أن اختفت الأرواح المضيئة، وكأنها غير حقيقية بعيون يوشيو، والأشكال السوداء من الصور والإحساس البصري لما بعد الصور.

الفصل التاسع

حلم ليلة منتصف الصيف

وقف يوشيو صامتاً في منتصف الليل، بعد أن غابت الأرواح منذ لحظة في غرفة التشريح الفارغة، وأصبح قلقاً من الجو الخاص في الغرفة. مزج غريب في ليالي منتصف الصيف ثقيلة الوطأة مع الهواء الرطب الحار يتسرب إلى الداخل، وتنبعث رائحة الفورملين من الجثث.

شعر باختلاف تام في الطريقة التي كانت له في نهاية الليالي الست السابقة. وطفح قلبه بعاطفة، وبموجة من الحنين للأرواح السبعة التي رحل عنها للتو. وكما كان يفعل في كل ليلة من قبل، فإنه انسحب من غرفة التشريح وامتطى دراجته الهوائية وانطلق إلى الجنوب في شارع تيرا ماشي في الجانب الشرقي من القصر الإمبراطوري في كيوتو.

شعر في ذلك الحين، أنه ليس متأكداً إذا كانت الأحداث في غرفة التشريح قد انتهت في الليالي السبع الماضية في التجربة التي لم يسبق لها مثيل والهامة جداً والخطيرة ـ اللقاء والحديث مع أرواح الموتى، وشعر بالحيرة والتردد ولحد ما تلاشت طاقته عندما غادرها.

وتوهم حتى أنه يستطيع أن يرى جنيات مؤذية وهي ترقوا وتضيء في الخارج من وراء أشجار الصنوبر المظلمة التي كانت تمتد على طول أرض القصر ورفعت أغصانها عالياً في سماء ليلة شديدة السواد.

تذكر فجأة مشهداً من فيلم كان قد شاهده في سينما في ناكانو عندما كان يزور أقرباء له في طوكيو خلال سنتة الأخيرة في المدرسة المتوسطة قبل الحرب ـ إنتاج أمريكي حلم في ليلة من ليالي منتصف الصيف لشكسبير ـ وتعجب فيما إذا كان قد تخيل لقاءاته مع الأرواح.

نظر يوشيو إلى الأعلى إلى النجوم وهي تتلألأ في سماء الليل، وصدم مرة أخرى من جديد مع انفعال، وتعجب فيما إذا كان عالم الأرواح، قد عاد إليه أرواح شيونويو شيكو، وكيم هاك سك ونانسي ماساكو ايتو، وسوميتا شوغو،

ويوتيدا ايسامو وناغوشي فويوكو والأستاذ يوهارا شونجي. ويجلس في مكان ما بين هذه المسافة، ونور النقاط المضيئة.

كان مغلفاً بحجاب من الظلام الدامس، ذلك السكن الهادئ خلال الساعات القليلة من الصباح، وتتحطم فقط بواسطة الأصوات الحادة، الصادرة عن صدى تساؤل دواسات دراجته التي كانت بحاجة لتزييت.

عندما وصل إلى شارع ماروتاماشي العريض، كانت سيارة جيب تابعة لجيش الولايات المتحدة تسير بسرعة عالية باتجاه الشرق وهي تهدر في تقدمها، وصدرت ضحكة مرحة من امرأة يابانية شابة كانت تجلس بجانب الجندي الأمريكي الذي كان يقود تلك السيارة وروعت فجأة يوشيو وأخرجته من أحلام يقظته، وأعادته إلى الحقيقة على نحو مفاجئ.

كان يعرف، أنه سيعود في اليوم التالي إلى غرفة التشريح عند ضوء النهار، ومعه طلاب طب آخرون يتابعون دراستهم الخاصة بعلم التشريح وتشريح الجثث. كل ذلك، بقي الآن عَلَى أرض السبع أرواح التي معه قصص حياتها ويتذكرها دائماً بحنان.

في ما بعد

إن الفكرة الأساسية التي تتصدر هذه الرواية، هي أنه لا توجد معرفة في الحياة عما سيحدث لنا من يوم لآخر، وحتى من لحظة لأخرى، وكما كتبت، حاولت التشديد على أهمية كل ما هو روحي وعاطفي المعد لأي نوع من الحياة، يمكن حصوله. علاوة على ذلك، فقد أردت أن أشد انتباه القارئ، منذ الصفحة الأولى وإلى النهاية، إلى الحقيقة المأساوية والمنافية للعقل، في الحروب. والظلم الناشئ عن أنواع التمييز العنصري. كما أنني أردت أيضاً أن أطبع في ذهن القارئ كم هو هام، السلام والحرية والمساواة، والتي لا يمكن الاستغناء عنها في أي مجتمع، وكم هو حاسم بأن نعمل كل حسب طاقتنا لحمايتها ورعايتها.

عندما أنظر لليابان في أيامنا الحاضرة، المنعم عليها بالغنى المادي والوفرة، مع ذلك، فإنه من الجلي أنها قد أُفقرت روحياً. وإن أملي الصادق من هذه الرواية أن تقود القارئ ليفكر ملياً بما هو الهام حقاً في الحياة، وما هي الأهداف التي تجب علينا أن نناضل من أجل تحقيقها على المدى الطويل. وإذا جرى ذلك، فإنني سوف أكون أول من يدفع بجهوده لأكتبها في سبيل استماع اليابانيين للأصول المطلوبة، وأخيراً ترجمتها للجماهير القارئة للإنجليزية والأسبانية.

يوجد الكثير من الخلاف في ما يتعلق بتعريف الموت في اليابان وباقي العالم. فأية درجة من تعطيل أجزاء مختلفة من الجسم والدماغ تجعل الحياة تنتهي ويبدأ الموت. ويدافع العديد من الناس الآن إنه أكثر أهمية السماح للكائنات البشرية بالموت مع الكرامة من إنجاز إجراءات طبية تزيد من حياة الجسم بدون إعادة الوعي أو الشعور للمريض. مع ذلك، تحدث تقدمات طبية باستمرار، جاعلة من الممكن إطالة العمر في ظروف متعددة، عما كان قد حُلم به في السابق، وأصبح المرض مركز حوار شديد، فيما يتعلق في مواضيع أخرى مثل الأخلاق بشأن نقل الأعضاء الداخلية، والسؤال فيما إذا كان على الطبيب أن يعلم المريض عندما يصاب بالسرطان. ومن الطبيعي، كيف

يرى الأطباء أنفسهم الحياة والموت، وسيكون لهم تأثير عظيم على نتيجة هذا الحوار.

وبدون التفكير ملياً بموضوع الأبدية. كيف يمكن للطبيب أن يتعامل مع مرضاه بصدق وأمانة وعلى نحو صحيح، أو يكون له قناعة بوجود الأبدية، ووجود ما وراء هذا العالم المادي الذي نعيش فيه، إنني آمل أن ينال كتابي المتواضع قبولاً واسعاً وتعليقات مستنبطة وانتقادات، ليس أقل بما قام به زملائي في المهنة الطبية. فما من أحد منهم كان قادراً على أن يصبح طبيباً دون أخذ دروس في علم التشريح كما وصف في هذا الكتاب.

لقد اخترت غرفة التشريح في كلية الطب خلال السنة الأولى بعد هزيمة اليابان في حروب المحيط الهادي. وكان من الضروري، في كل مكان وزمان، استنباط أحداث هذه الرواية من أجل الصفات الرئيسة ـ ممن انتهت أجسامهم كتجارب للبحث الطبي ـ لسبب أو آخر لأموات من جوار كيوتو في الأسابيع أو الأشهر التالية لنهاية الحرب. وكل من ولد عاش حياته ومات بعد أن جرب المحنة المروعة للحرب العالمية الثانية.

إنني أردت أن يشمل كتابي روايات تصف المشقة التي عانى منها اليابانيون بسبب الاعتقالات في سيبريا. والهرب والفرار للعودة إلى اليابان من منشوريا، والمعركة في أوكيناوا، والإخلاء من جزيرة كيسكا، والقتال اليائس ضد الشواذ المستحيلة خلال عمليات إيغال لمهاجمة الهند، أو أي عدو آخر، والمحن التي قاساها اليابانيون خلال الحرب وبعدها. لكن أخذ معظم هؤلاء المذكورين آنفاً من الذين حاولوا العودة لليابان بعد انتهاء الحرب.

وقصصهم لم تتطابق مع الزمن المستنبط للرواية ببساطة.

حياة الطبيب مشغولة إلى أبعد حد. وكان علي أن اكتب هذه الرواية في الأوقات المتوفرة التي كنت فيها قادرا على التوفيق بين معاينة المرضى، وبين الجولات في المستشفى ودراستي الخاصة واستمرارها من أجل المحافظة على الإطلاع على آخر التقدمات في حقل الطب.

وكنت أجلس في كثير من الأحيان وراء مكتبي حتى وقت متأخر من الليل، والبدء في الكتابة. فقط كطبيب وبالنتيجة، وتحت الظروف، فإنه من المؤسف،

أن بعضاً من أجزاء الكتاب كان من الممكن أن يكون بحثها على نحو أشمل، لكن لا سبيل إلى تجنب ذلك.

إنني أرغب أن أعبر عن عمق امتناني للأستاذ سانويوتاكا مَفْخَرَةُ صفي في مدرسة الطب وهو معروف كاختصاصي في التشريح على المستوى العالمي والذي خدم كرئيس في كلية طب مقاطعة كيوتو حتى وقت قريب. وكذلك، للأستاذ تاكيناكا ماساأو من جامعة دوشيشا، أحد علماء النظرية اللاهوتية في جامعة دوشيشا، فبعد أن حصل على الدرجة العلمية في الاقتصاديات من جامعة كيوتو، حصل على درجة أخرى بعد الحرب، كما تلقى درجة دكتوراه من جامعة يال في الولايات المتحدة، وينظر إليه في الوقت الحاضر كأحد قادة علماء اللاهوت المسيحي ـ كلاهما كانا لطيفين، بحيث قرآ مخطوطتي الروائية أعطياني تعليقات قيمة ونصائح.

وأتقدم بالشكر لتعليمات الموقر أونوايشيرو من كنيسة هاين كيوتو اليابانية التابعة لكنيسة المسيح الموحدة والتنوير الذي أعطاني توجيهات وتنويرات في مشكلة التمييز العنصري والتي هي الموضوع ذي الأهمية العميقة له، ويكافح بصورة مستمرة لإيجاد حل لها.

وبالطبع أقدم شكري الصادر عن القلب إلى الموقر يوشيدار يوكيشي والموقر أوياما يوتاكا والموقر أوياما سوسومو، والموقر هاراتاداكازو جميعهم من كنيسة المسيح الموحدة في اليابان، التابعين لكنيسة كيوتو، التي أنا عضو فها، من أجل الاهتمام الرعوي والتوجية.

وأحب أن أعبر عن شكري للسيد دانييل كيلي الذي قام برسم غلاف الكتاب.

وكل رمز يظهر في هذه الرواية، هو مُفْتَرَضُ خيالي، باستثناء الأشكال التاريخية، ليس لها أية علاقة بأي شخص حياً أو ميتاً.

وإنني من الطبيعي، ككاتب لهذا العمل مسؤول أمام محتواها وحسب.

وأريد أن أعبر عن العرفان بالجميل الخالص للسيدة بروك نيل للجهود والمثابرة وبذل الكد في ترجمة هذه الرواية من اليابانية إلى الإنجليزية.

الفهرس

ليلة في غرفة تشريح الجثث

سبع حكايات عن الحياة والموت والأمل

من قبل يوشيو ساكاب. دكتور في الطب البشري

هذا الكتاب مؤلف من سبع حكايات عن الحياة في زمن الحرب في اليابان مختارة لوصف الحياة والموت، وحتى البعث والحساب. وهي تظهر كيف أن الكائنات البشرية تقع في أخطاء حمقاء لا تحصى. فالحياة القلقة الموصوفة تقع فريسة مشاكل الشوق الشديد والإجحاف والتمييز العنصري. وفوق كل ذلك رعب ومآسي الحرب.

* * *

والكاتب هو يوشيو ساكاب، دكتور في الطب البشري، المولود في كيوتو، اليابان، كطبيب من مستوى عالٍ وجراح. وقام بالخدمة في مستشفيات عديدة ذات المستوى الرفيع في اليابان. وقد نشر على نحو واسع في مجالين الطبي والثقافي، وهو مشارك نشيط في برامج لدعم وتطوير التحسينات المدنية، مثل جمعية الشباب المسيحية، والجمعية الدولية للمساعدة الدولية للعمال.

الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية